











سنه الشرح والغرب

# الكون في الفلسفة

لأرسطو طاليس

يتلوه كتاب « في ميليسوس وفي اكسينوفان وفي غريغياس »

ترجمها من الاغريقية الى الفرنسية وصدرها بمقدمة في تاريخ الفلسفة  
الاغريقية وعلق عليهما تعليقات متتابعة

بارتلمي سانتيلير

استاذ الفلسفة الاغريقية في «كلليجديفرنس» ثم وزير الخارجية الفرنسية

ونقلها الى العربية

أحمد لطفى السيد



# مقدمة المترجم

بارتلى سانتهيلير

## أصول الفلسفة الإغريقية

هذان الكتابان اللذان جمع بينهما في هذا السفر هما حملة على مدرسة ايليا التي هي من اقدم مدارس الفلسفة اليونانية - مهد الفلسفة هو في مستعمرات شواطئ آسيا الصغرى : طاليس وفيثاغورث واكسينوفان ٥١٠٠ الخ وسابقوهم الخيرون بالاعتجاب هوميروس وسافو ٥٥٠ الخ - علم الفلك والرياضيات والتاريخ والطب ٥٥٠ الخ - الاتحادات الثلاثة : الايوليون في الشمال ، واليونان في الوسط ، والدوريون في الجنوب - جملة الحوادث الكبرى التي تدخل في امرها الفلسفة من طاليس الى ميليسوس من السنة ٦٢٠ الى السنة ٤٣٠ قبل الميلاد - حرب يونيا مع ليديا ومع مملكة الفرس - الوسائل المادية التي كانت عند الاقدمين لكتابة المؤلفات - المكتب من طاليس الى زمن ارسطوطاليس - شهادات هيرودوت وطوكوديدس واكسينوفون والفلاتون وارسطو - الاستعمال العام لورق البردي المصري - صنع الورق على قول بلان - رسائل ششيرون - افصح هذه الحوادث - ورق البردي المحفوظ في دور الآثار عندنا في فرنسا - محابر واقلام الكتبة التي يرجع تاريخها على الاقل الى نحو خمسة وعشرين قرنا - اولية الفلسفة اليونانية - كونها لا تدرك بشئ للشرق - المقارنة بينها وبين الفلسفة الهندية - خلاصة القول على مدرسة ايليا - المعنى الحقيقي لنظرية الوجود

جمعت عمدا بين هذين الكتابين في هذا السفر لانهما ، كما يظهر لي ، يعبران كلاهما عن أفكار من قبيل واحد . ففي أولهما يعنى ارسطو بايضاح كيف تكون الاشياء وكيف تنتهي ، خلافا للمذهب وحدة الوجود ولا تغيره . وفي ثانيهما المناقشة بعينها موجهة مباشرة الى ممثلي مدرسة ايليا : اكسينوفان مؤسسها ، وميليسنوس حافظ مبادئها حتى العهد الذي قام فيه سقراط يبدل بالتردد القديم فلسفة جديدة حاسمة . فالفكرة في الكتابين متماثلة ، ولا فرق بين أحدهما وبين الآخر الا في الشكل فقط ، فهنا توضيح عام لمبدأ ، وهناك نقض خاص للمبدأ المناقض . وسنعود باختصار في آخر هذه المقدمة الى تقدير قيمة هذين الكتابين اللذين يستأهلان أن يعرفا أكثر مما هما الآن . ولكني أراغب بديا في أن أبين بقدر ما أستطيع من البيان ماذا كانت التركيبة الفلسفية التي شاطرن فيها اكسينوفان وميليسنوس ، سواء في احداثها أو في اتباعها .

اكسينوفان وميليسنوس كلاهما من الاسماء البعيدة القدم . ومن الصعب لأول نظرة الاقتناع بأن درسهما يبعث اهتماما جديا هذه الايام . هذان الفيلسوفان كانا يعيشان في القرن الخامس أو السادس قبل الميلاد . وعلى هذا المدى فليس الا التنقيب وحده ، فيما يظهر ، هو

الذى ما زال يولييهما العطف الذى انقضى زمانه ، ويستقصى مذهبهما المنسية منذ زمان بعيد . لست أقصد فى الحق الى انتقاد التنقيب ، ولكنى أدرك ما يثير تأثيره من التحامل البادر عند ما يتوغل فى درس تلك الأزمان البعيدة اذ تنعدم المراجع الوثيقة فلا يبقى لنا من أعيانها الا آثار لا صور لها . على أنى فى هذا الموطن أكثر مما فى سواء أسأل أن يصغى الى التنقيب لحظة . فان الموضوع الذى يحاوله فيما يتعلق باكسينوفان هو موضوع من أهم موضوعات تاريخ العقل البشرى وأكثرها حيوية .

انه ليس أقل من أن يكون ميلاد الفلسفة فى هذا العالم الذى نحن منه .

أما من جهة الفلسفة الشرقية فاننا لا نعرف ، بل ربما لن نعرف أبدا من أمرها شيئا معينا بالضبط فيما يختص بمصورها الرئيسية وانقلاباتها . فان أزميتها وأمكنيتها وأهائها تكاد تعزب عنا على سواء . انها مستعصمة دون ادراكنا ، مدعاة للشكوك لما يغشاها من كتياف الظلمات . حتى لو عرفنا منها هذه التفاصيل مع الضبط الكافى لما أفادنا ذلك الا من جهة ارضاء رغبتنا فى الاطلاع دون أن يتصل بنا أمرها كثيرا . ان الفلسفة الشرقية لم تؤثر فى فلسفتنا . ومع التسليم بأنها تقدمتها فى الهند وفى الصين وفى فارس وفى مصر فاننا لم نستعمر منها كثيرا ولا قليلا . فليس علينا أن نصعد اليها لنعرف من نحن ومن أين جئنا . والامر على الضد من ذلك مع الفلسفة الاغريقية ، اننا بها نتصل بالماضى الذى منه خرجنا . وعلى الرغم من عماية الكبرياء التى هى فى الغالب جانبية الكفران يجب علينا ألا ننسى أبدا أننا أبناء اغريقا . انها أمنا فى جميع أمور العقل تقريبا . فلئن ساءلنا أوائلها فأنما نسائل اصولنا . فمن طاليس ومن فيثاغورث ومن اكسينوفان ومن أنكساغوراس ومن سقراط ومن أفلاطون ومن أرسطوطاليس اليان لا يوجد الا فرق الدرجة . نحن جميعا فى طريق واحد مستمر من قرون عديدة ، ومتصل بلا انقطاع لا يتغير اتجاهه ، بل يصير على مرور الزمان أكثر طولاً وأبهى جمالا . والظاهر اننا لا نخلج من الانتساب الى أمثال هؤلاء الآباء . وكل ما علينا هو أن نبقى حقيقين ببنوتهم بأن ندرج على سننهم .

قد أمكن القول : لا من غير حق ، بأن الفلسفة ولدت مع سقراط (١) والواقع أن لهذا الرجل العجيب من المقام مايسمح بأن يسند اليه هذا الشرف العالى ، بأن يقرن اسمه بهذه الحادثة الكبرى . ولكن سقراط

(١) راجع مقدمة تاريخ الفلسفة لفيكتور كوزان : لدرس الثانى من دروس سنة ١٨٢٨ والتاريخ العلم للفلسفة لدرس الثالث ص ١٠٢ .

يتواضعه المعروف ما كان ليقبل هذا المجد ، فإنه كان يعلم أكثر من كل إنسان أن الفلسفة قد كانت تنشأ من قبله بنحو قرنين الى أن جاء فأفاض عليها قوة وجمالا لم يفارقها بعده . لم يكن مولد الفلسفة في آتينا بل في آسيا الصغرى ، لأنه يجب تأخير هذه الحادثة مائتي عام الى الوراء تقريبا ، الا أن تمحى من التاريخ تلك الاسماء العظام الاولى انتهى ذكرتها . ان التقدم الذى افتتح سقراط بابه لم يكن الا استمرارا لا ابتكارا وابتداعا .

كل الاصول غامضة بالضرورة . يجهل المرء نفسه دائما في أول الامر . وان تعرف سنة هذه القرون الاولى مقرون بالشك الذى يلحق أيضا الحوادث ذاتها التى مرت كأنها غير محسوسة . ومع ذلك اذا لم يلتزم هنا الضبط غير الممكن فإن أوائل الفلسفة اليونانية يجب أن تظهر لنا أجلى من أن يدعو للشك فى أمرها سبب محسوس .

كان طاليس من ملطية ، وقد حقق التاريخ وجوده فى جيش أحد ملوك ليديا نحو آخر القرن السادس قبل المسيح . وبعده بقليل جاء فيثاغورث الذى بعد أن عاد الى وطنه ستموس اثر سياحات طويلة فر منه اتقاء لظلم بوليقرطس الذى كان يضطهده ، وذهب يحمل مذاهبه على الشطوط الشرقية لاغريقيا الكبرى الى سيبارس وقروطن . أما اكسينوفان فإنه لاسباب أشبه بالمتقدمة نزح عن كولوفون . وطنه الاول ولما اجتمع ببعض المهاجرين من فوكاية ، الذين هم بين أنياب الاخطار قد وجدوا آخر الامر موثلا على شواطئ البحر الترهينى فى ايليا (هيلا أوفيليا) ، أسس فى هذه المدينة الحديثة العهد وقتئذ مدرسة شهرت ذكرها .

أصرف القول الآن الى هؤلاء الثلاثة العظماء الذين كانوا جميعا رؤساء مدارس خالدات ، وان كنا لا نعرف منها الا الشيء القليل : مدرسة يونيا ، ومدرسة فيثاغورث ، ومدرسة ايليا . وعما قريب أستطيع أن أضم الى هذه الاسماء طائفة من أسماء آخر ، لا يستطيع تاريخ الفلسفة أن يغفلها كما لا يستطيع اغفال الاولى .

ولكنى ، لا لشيء غير الفكرة فى أمر طاليس وفيثاغورث واكسينوفان أشعر بأمر يسترعى نظرى ، انهم ثلاثتهم من هذا الجزء من العالم الهلينى الذى يسمى آسيا الصغرى وانهم تقريبا متعاصرون . ان ملطية التى هى فى القارة ، وسموس فى الجزيرة التى بهذا الاسم ، وكولوفون فى شمال ايفيزوس بقليل ، تكاد لا تتجاوز الابعاد بينها خمسة وعشرين فرسخا .

على هذه المسافة الضيقة وفى وقت واحد تقريبا تجد الفلاسفة مهدها للمجيد . لكيلا نخرج من هذه الحدود فى المكان والزمان والموضوع نضيف

الى هذه الثلاثة الاسماء : طاليس وفيثاغورث واكسينوفان ، أسماء أنكسيمندروس وأنكسيمينس اللذين هما أيضا من ملطية ، وهيرقليطس الذى هو من ايفيزوس ، وأنكساغوراس من كلازومين غربى أزمير قليلا فى خليج هيرموز . وأذكر اسم نوكيبس وديموقريطس اللذين ربما كانا من ملطية أيضا أو من أبدير مستعمرة طيوس ، واسم ميلبوس الذى هو من سموس كفيثاغورث . وفوق ذلك أضيف الى هذه الاسماء أسماء بعض الحكماء الذين هم أقل استنارة من الفلاسفة ولكنهم ليسوا أقبل منهم احتراماً . فمنهم بطاقس من ميتلين فى جزيرة لسبوس وهو رفيق سلاح للشاعر ألقايوس فى محاربة الطغيان ، وقد نادى به مواطنوه ديكتاتورا عليهم فلبث فيهم عشرة أعوام يعمل صالحا ثم نزل عن الدكتاتورية . ومنهم «بياس» من «بريينة» الذى لو اتبع الاتحاد اليونانى ما قدمه له من النصيح لنجا كما ذكر هيرودوت . ومنهم ايزوبس الذى أقام طويلا فى سموس ثم فى سرديس عند كريسوس ، ذلك المولى الفريجي الذى لا ينبغى للفلسفة أن تنسى ذكره فى عداد ذويها ، والذى لم يستنكف سقراط من أن ينظم حكاياته شعرا (١) .

وأذكر كذلك أسباسيا من ملطية التى حدث عنها أفلاطون فى كتابه المينكسين ، والتى كانت تتحدث الى سقراط ، والتى كانت تعطى لبيركليس دروسا فى البلاغة كانت تؤلف منها أحيانا الخطب السياسية ، والتى خصص لها رفائيل محلا فى مدرسته الاتينية .

من ذلك يرى أن تيديمان الاريب كان محقا حين كنى آسيا الصغرى بـ « أم الفلسفة ووطن الحكمة » (٢) . هذه الاحداث القليلة التى جئت على ذكرها وانتهى يمكن أن يضتاف اليها كثير من أمثالها كافية فى اثبات هذه الحقيقة . منذ الآن متى عرض حديث منشأ الفلسفة فى عالمنا الغربى - بالمقابلة للعالم الاستيوى - عرفنا لمن هو ذلك المجد ، والى من يجب أن يسند عدلا .

يكفى قليل من النظر للعلم بأن من الممتنع أن تنمو الفلسفة بذاتها وحدها . من البديهي أن جميع عناصر العقل يجب أن تبلغ نماءها قبل التأمل . لأن التأمل المرتب على نمط معين لا يظهر الا متأخرا وبعد سائر الملكات الأخرى . وليس بى حاجة الى التبسط فى بيان هذه الحقيقة المشاهدة فى الامم وفى الافراد على السواء . واقتصر على أن أقدر أنه مجرى الأمور فى آسيا الصغرى لم يكن مختلفا عنه فى غيرها . فان

(١) فيدون لأفلاطون ترجمة فكتور كوزان ص ١٩١ و ١٩٣ .

(٢) تيديمان ٥ روح الفلسفة النظرية ) سنة ١٧٨١ ج ١ ص ١٣٩ النسخة الالمانية .

الفلسفة على هذه الارض المخصصة لم تكن نبثا منفردا ولا ثمرة غير منتظرة . وقليل من الكلمات يكفي في التذكير بأنها كانت هي المنطقة المهمة لهذا الانتاج الشريف وما على الا أن أسرد أجمل الأسماء وأحفظها باعتراف الناس .

في رأس هذه الطائفة اسم هوميروس الذي ولد وعاش يقينا على شواطئ آسيا الصغرى وفي جزرها قبل الميلاد بنحو ألف عام . وماذا عسى أن أقول في قصائده وكيف أوفى عبقريته مدحا وثناء . كل ما أقرر أن هوميروس لا يقصر أمره على أنه أكبر الشعراء بل هو أعظمهم فلسفة . وأن بلدا ينتج باكرا أمثال تلك البدائع لحقيق بأن ينتج بعد ذلك عجائب العلم والتاريخ .

بعد هوميروس أقص نبا قلينوس الايفيزوسي الذي هو حربي مثل طورطيس والذي شهد وقت اغارة القميريين وشدا بها في شعره . ثم الكمان السردى الذي حق له أن يعلم تقدمونيا وطن لوكورغس ويبرها على ما بها من جفاء . وأرخيلوخس الباروصى وألقايوس اللسبوسى ذى الرماية الذهبية كما قال هوراس . وسافو الميتيلينية أو الايريزية التى لا يكاد يستحق أحد الثناء أكثر منها الا هوميروس (١) . ثم ميمنرس الازميرى شاعر انتصارات يونيا على الليديين . ثم فوكليديس الملطى الذى حمل الشعر قواعد الاخلاق . ثم أنا كريون الطوسى . وقريب من الشعراء تربندرس اللسبوسى مبدع الموسيقى وواضع طرائقها الثلاث الاصلية : الليدية والفريجية والدورية . ويمكن أن نضيف الى هؤلاء أريون الشاعر الذى هو من لسبوس مثل تربندرس .

ذلك في الشعر . وكم الى جانب الشعر من الكنوز التى لا ثقل عنه في نفاستها وإن قلت عنه في البهاء : علم الفلك والجغرافيا أبدعهما أنكسيمندروس وسكولاكس من كاروندا على خليج يسوس . والرياضيات التى أبدعها فيثاغورس وتلاميذه أسلاف أرستارخس السموسى معلم أرخميدس وهيبارخس الرودى . والتاريخ أبدعه أكسنطس السردى وهيكتيوس الملطى وهيلانيكوس الميتيلينى ، وعلى الاخص هيرودوت الهاليكارناسى الذى لقب منذ زمان طويل أبا التاريخ . وبودى لو أعطيه لقبا آخر لو وفقت الى لقب أجمل من هذا وأدخل منه فى الحق . والطب انتقل من جزيرة سموس الى كورينا وقروطن ورودى وكينيدس قبل أن يقر قراره فى قوص بفضل بقراط الذى لا يقل عظما فى فنه عن هوميروس فى شعره . وفن عمارة المدن أبدعه هيوداموس الملطى الذى كان مع ذلك

(١) ر . كتاب فيلمين على عبقرية بندار ص ١٠١ وما يليها . ر ١٠ أيضا تاريخ الاداب الاغريقية الذى ألفه أوتفريد مولر . ترجمة ايليبراندج ١ ص ٢١٨ وما يليها .



كاتباً سياسياً حلل مؤلفاته أرسطو في كتابه «السياسة» (ك ٢ ب ٥) .  
وفن الحفر والصب أبداعهما تيودور السموسى ابن روكوس . وفن التعدين  
أبداعه انيديون ... الخ .

أقف هنا لكيلا نجاوئ بهذا التعديد الجاف أبعد مما ينبغي .  
ولكنه يجب التنبيه الى أن هذا الخصب البالغ حـد الاعجاز لم ينته  
بانقضاء تلك الأزمان التي ذكرناها . فان تيوفراسط هو من ايريزا ،  
وأبيقور ربي في سموس وكولوفون ، وزونون فخر الرواق ولد في كتيون  
من قبرص ، وايفورس من كومة ، وتيوبومبس من شيوخ ، وبرهاسيوس  
وابيلس من ايفيزوس وكولوفون ، واسترابون من أماسية على الجسر  
( البحر الاسود ) مستعمرة احدى المدن اليونانية من الشاطئ الغربى  
لآسيا الصغرى ... الخ .

تلقاء هذا المجد السامى الذى لم يمحه ما ظهر بعده لا يسعنى الا أن  
أقف مأخوذاً أتساءل : هل عرف الناس أن يوفوا هذه العبقرية وهذا  
الكمال وذلك الابداع حقوقها من الاعظام ؟ لا أظن ذلك . وتلك فى رأينا  
داعية الى تعديل تاريخ هذه المستعمرات الاغريقية من آسيا الصغرى فى  
بعض أجزائه على الأقل . تلك المستعمرات التى ندين لها بكل شيء .  
ولكنى اذا قربت هذا العمل وحاولت هنا عجلة فذلك لا لارفع ظلما  
مرت عليه القرون لضيق دائرة موضوعي ، بل ليحيى فهم الناس لتلك  
الحركة الخارقة للعادة التى هى فذة فى تطور العقل الانسانى ، ولابن  
حق واضعى الفلسفة وآباء العلم .

لذلك أعرض ، دون مجاوزة الحدود المشروعة ، ماذا كانت هذه  
المستعمرات التى نزلت من أغريقا على شواطئ آسيا الغربية قبل المسيح  
بأحد عشر أو اثنى عشر قرناً ، وماذا كانت الحوادث السياسية الرئيسية  
التي اعتورت تلك الاصقاع مدة قرنين اثنين من عهد اكسينوفان الى  
ميليسوس ، ومن طاليس الى حرب بيلوبونيز . وسنرى أن فلاسفتنا  
أخذوا بقسط وافر من هذه الحوادث بل صرقوها فى بعض الأحيان مع  
أنهم فى الغالب كانوا لحرها صالين .

وانى راجع فى كل ما أقدم من القول الى هيودوت وطوكوديدس  
واكسينوفون وما حقر على رخام باروص أو رخام آرونديل (١) .

كانت المستعمرات الاغريقية على شواطئ آسيا الصغرى مقسمة الى

(١) من بين المؤرخين الحديثين استند على الخصوص فى تاريخ اغريقا الى ج جروت الذى  
هو أتم وأحسن ما أعرف .

ثلاثة أجناس متميزة تؤلف اتحادات منفصلة : الايوليون فى الشمال ، واليونان فى الوسط ، والدوريون فى الجنوب . يقطن هؤلاء وهؤلاء أوطانا متقاربة المساحة . فاما الايوليون الذين هم أول من هاجر من الوطن الاصل المشترك فانهم حطوا رحالهم واستوطنوا آسيا بعد فتح طروادة بقرن تقريبا اذا طردوا من بيلوبونيز عند الغارة الهيرقليديين . وأما اليونان فقد جاءوا بعدهم بأربعين سنة تقريبا . وأما الدوريون فكانوا آخر المهاجرين .

كان الايوليون الذين هم أقل الشعوب الثلاثة شهرة وأضعفها امتيازا يقطنون اثنتى عشرة مدينة (١) وهى كومة فريكيون ، ولاريسافريكيون ، وليونتيكوس ، وطموس ، وكيليا ، ونوسيون ، واغيروسا ، وبيطاني ، وأيغاي ، ومورينا ، وغروناى وزامير . ولكن هذه المدينة الاخيرة قد نزعت من أيديهم وأضيفت الى الاتحاد اليونانى بفضل الذين نفوا من كولوفون والتجئوا الى أزميز واستولوا عليها فى غفلة من أهاها . وقد ضاع من أيدي الايوليين أيضا بعض المدن الاخرى التى أسسوها على جبال ايدا . وكان لهم خارج القارة خمس مدائن بجزيرة لسبوس ، وواحدة بجزيرة طندوس ، وأخرى فى مجموع الجزر الصغيرة التى كان يطلق عليها اسم مائة الجزيرة منذ زمان هيرودوت . ولم يكن للمدائن الايولية من الاسم الا الحمول . وكانت أرض أيولس أحسن من أرض يونيا ولكن جوها كان أقسى من جو الاخرى خصوصا فى سرعة الانقلاب .

وأما اليونان فكان لهم اثنتا عشرة مدينة كلها على التقريب مشهورة . وهى : ماطية وهيموس وبرمينه فى قاريا ، وايفيزوس وكولوفون وليبيدوس وطيبوس وكلازومين وفوكاية فى ليديا وايروطراى على اللسان الذى يكونه جبل ميماس . وكان لهم جزيرتان : سموس فى الجنوب ، وشيوز فى الشمال . ومن الغريب أن اليونان كان لهم أربع لهجات متباينة جسد التباين : لهجة سموس وكانت لاتشابه واحدة من الثلاث الاخرى ، وملطية وميوس وبرمينه كان لها ثلاثها لهجة واحدة . وللمدن الست الاخرى لهجتها ، وكان أهل شيوز وايروطراى يتكلمون بلسان واحد .

أما الدوريون الذين جاءوا بعد الآخرين فكان قرارهم فى الجزء الجنوبى ، وليس مدق الديوريون لهم الا ست مدن نزل عددهم الى خمس .

(١) اتبع فى ذكر هذه المدن الترتيب الذى وضعه هيرودوت . ولكن أخذا من الجنوب الى الشمال يجب أن ترتب هكذا : طموس ، نيونتيكوس ، لاريسا ، كومة ، ايغاي مورينا غروناى ، بيطاني ، كيليا . ولا يعرف مكان الاخيرتين .

بعد قليل ، وهى : لندوس ، ويانيسوس ، وكاميروس فى جزيرة رودس ، وقوص ، وكينيس ، وهاليكارناس . على ان هذه المدينة الاخيرة قد عزلت عن الاتحاد الدورى عقابا لها على أن أحد أهلها كان اتهم بانتهاك بعض الحرمات المقدسة .

كل واحد من هذه الاتحادات الصغيرة كان له معبد جامع مشترك يجتمعون فيه : فللدورين معبد طريوبيون ، ولليونان معبد نبتون هليكونى على رأس موكالى فى مواجهة سموس تقريبا ، وفى هذا المعبد كان يجتمع مجلس الاتحاد اليونانى المسمى بأنيونيون والذى كان يرأسه دائما شاب من شبان بريئة . ولا يعرف بالضبط معبد الايوليين . كانت هذه المعابد لاقامة الاعياد الدينية عادة ، غير أنهم فى الظروف الخطيرة كانوا يتداولون فيها فى أمر اخطار الحلف وفيما يمس منافعهم الكبرى .

لم تك هذه المستعمرات لتشغل جغرافيا الا مساحة ضيقة . فاو أن شهرة المدائن والممالك كانت تقاس بمقدار امتدادها لظلت هذه المستعمرات مجهولة فى التاريخ ، فان مساحة المستعمرات الايولية واليونانية والدورية لا يكاد يتجاوز مجموعها ٧٠ فرسخا فى الطول على ١٥ أو ٢٠ فرسخا فى العرض ، أى أقل من ثلاث درجات فى خطوط الطول وأقل من درجة فى خطوط العرض . ومساحة لسيوس خمسة عشر طولا على خمسة عرضا . وسموس لا يبلغ محيطها ٣٠ فرسخا . وشيوز أكبر منها قليلا .

ومن الطبيعى أن اهتم بأمر اليونان أكثر من الآخرين ، فانهم كانوا أكثر نشاطا وحذقا فى الملاحة والتجارة والسياسة والفنون والعلوم والآداب . ومن الامم كثيرة العدد من كان أثرهم أقل ألف مرة من أثر اليونان .

لما ترك اليونان أشاية الواقعة شمال بيلوبونيز على خليج كرسا كان لهم فيها اثنتا عشرة مقاطعة أو مدينة . واستصحبها لتذكار وطنهم الأول لم يشاءوا أن يؤسسوا فى آسيا من المستعمرات عددا أكثر مماكان لهم فى اغريقا . ولما طردهم الدوريون الذين أغاروا على بيلوبونيز من الشمال اجتازوا برزخ كورنتة واحتموا الى أجل ما على الاقل فى أطيكا ، وهى الملجأ العادى لجميع المنفيين كما نبه اليه طوكوديدس فى مقدمة تاريخه . وعما قليل ضاقت أطيكا القليلة الحصب ذرعا بأهلها واضطر نازحو أشاية الى البحث عن ملجأ آخر . وصادف وقتئذ أن قدروس مات ميتة الابطال دفاعا عن وطنه ، ولما ألغى نظام الماوكية لم يتيسر لابنائهم أن يقيموا فى بلد انقطع فيه رجاؤهم من ميراث أبيهم ، فرأسوا المهاجرين فى هجرتهم . فاما نيلالوس فولى وجهه شطر ملطية ، واما اندركلوس فاتجه

الى ايفيزوس • ولو صدقنا رخام باروص لقننا أن نيلاوس هو الذى أسس  
المدائن الاثنتى عشرة اليونانية وأسس رابطة اتحاد تحت ظل الدين هي  
البانيونيون الذى لم يكن بعد من القوة على ما كان يرجو مؤسسه •

يظهر أن المهاجرين الذين اقتفوا آثار ابني قدروس كانوا خليطا  
ولم يكونوا من صميم انيونان كما يمكن أن يظن • فان الذين أتوا من  
أشاية الى أطيحا اختلطوا فيها بأجناس مختلفة مختلطة جد الاختلاط ليس  
بينهم وبين اليونان جامعة مشتركة بل لا يشابه بعضهم بعضا ، انما كانوا  
أبناطة من أبويوا ، ومنجنيين من أرخوموس ، وقلميين ودروبيين  
وفوكيين ومولوس وأرقديين وبلاسجة ودورين من أبيدورس وطائفة من  
أجناس آخر • وكان كل هؤلاء الرجل يعامل بعضهم بعضا على حد  
المساواة ، ومع ذلك كان اليونان الذين هم من نسل شيوخ آتينا يعتبرون  
أشرف هذا الخليط وان كان ذلك لم يستتبع أية مزية عملية • وان تلقيهم  
بلقب « اليونان » كان فى ذلك الحين وفيما بعده أيضا قليل الرفعة ،  
فكان الاتينيون يخجلون منه ، وكان الملطيون فى أوج قوتهم يحبون  
أن ينفصلوا من بقية هذا الاتحاد الذى كان دائما قليل الاحترام • واما  
اليونان فكانوا من جهتهم أيضا يفظرون بأصلهم ويقيمون مثابرين  
الابتوريا الآتينية ، تلك الاعياد الخاصة بالعائلة وبرابطة الاخوة الشعبية  
التي كانت موجودة فى آتينا ، ما عدا أهل كولوفون وايفيزوس فانهم  
حرموها على اثر قتل حرام ارتكبه •

لم تكن المهاجرة هينة ولو أنه كان يرأسها أبناء ملك • فلم يحمل  
المهاجرون الى ملطية معهم نساءهم واتخذوا زوجات بالاكراه ، بل عمدوا  
الى القاريين فذبخوا منهم الآباء والبعول والاولاد ، واستحيوا النساء  
واتخذوهن زوجات لهم ، ولكنهن انتقمن لانفسهن فأقسمن الايمان على ألا  
يطعمن مع غاصبيهن طعاما ولا يدعونهن أزواجا حتى لا يذقنهم حلاوة هذا  
الدعاء ، واستنتت بناتهن هذه السنة مع أزواجهن عدة أجيال •

والواقع ان البلد الذى احتله المهاجرون كان محتلا قبلهم زمانا  
طويلا • فقد كان فيه ، غير أهليه ، خليط من البلاسجة والتوكريين  
والموصيين والبيثونيين فى الشمال ، ومن الفريجين والليديين والمايونيين  
فى الوسط ، ومن القاريين والليليج ٠٠٠ الخ فى الجنوب • وكان هؤلاء  
قبائل منقسمين على أنفسهم أكثر مما هو الشأن فى الاغريق ، ولو انهم  
كانوا يقربون القرابين بالاشتراك ، مثال ذلك قرابينهم الى « مولا » فى  
معبد « المشتري » القارى • فى أوائل الامر لم تكن الممالك التى كملكه  
ليديا قد اتخذت نظمها بعد • ولو ان الليديين لما زحزحوا بعد ذلك الى  
الوسط نشروا سيادتهم بآدى الامر على تلك الجهات الى الشواطىء ،

وبعثوا منهم طوائف المستعمرين الى اغريقيا الكبرى والى اميريا وعلى شواطئ البحر الترهيني . واما الموصيون الذين كانوا الى شمال لبيديا وغربها فكانوا انزع هذه الامم الى الحرب . والفريجيون الذين هم أكثر توغلا في الجهة الشمالية من هؤلاء كانوا يثرون من تربية القطعان ، يبيعون من أصوافها وأجبانها ولحومها المملحة بأثمان غالية جدا في أسواق منطية . وكان الميديون مشغولين على الاخص بصناعة المعادن ، لان نصف أرضهم بركانية تخرج الذهب والفضة والحديد والنحاس . الخ . وكانت أخلاق الفريجين والليديين أخلاق تهيب وحياء ، ومن بلادهم يأتي أكثر العبيد .

ومع أن اليونان جاءوا الى آسيا بالبحر فلم تكن تظهر عليهم المهارة في فن الملاحة . وعلى قول طوكوديدس لم يكن تفوق البحرية اليونانية حقيقة الا تحت حكم قيروش وابنه قمبيز ، ومع ذلك فقد كان شأنهم أن أقبلوا بجدة على أن يتلقوا دروسا عن الكورنتيين الذين كانوا وقتئذ أعلم الناس بانشاء العمارات البحرية وانتفعوا بتلك الدروس . على انهم قد ألجأهم الحاجة منذ بداية أزمانهم الى التزام الشواطئ في ملاحظتهم . كانت هذه المدائن التي تستجلب كل شيء من داخلية البلاد لا تستطيع أن تحصل على الثراء الا بتجارة كبرى في المصادر والواردات . فكانت كبنوك ومراكز معاوضات بين الاهالي والبلاد التي كان يأتي منها الاجانب . فلم يمض على هذه المدائن زمان حتى ظهرت ثروتها على صورة رائعة . ولما ازدحمت بالسكان وفاضت بالشراء استطاعت أن تنشئ أساطيل قوية ، وعمرت كل شواطئ البحر الابيض المتوسط شمال افريقية حيث كان لصور وسيدون من قبل منشآت في اغريقيا الكبرى وصقلية وفي بلاد الغالة وفي أسبانيا أمام عمده هيرقليس وفيما وراءها ، وعلى الاخص في القسم الشمالي لبحر أيغاي وفي هليسبنتس ، والبروبونتيد ، بل في البحر الاسود الذي كان يسمى وقتئذ «الجسر» ، حتى لقد قيل ان ملطية وحدها كان لها خمس وسبعون أو ثمانون مستعمرة .

هذا النماء الاول للمستعمرات الاغريقية بآسيا الصغرى ، وعلى الخصوص المستعمرات اليونانية ، غير معروف الا قليلا مع أنه استمر على الأقل ثلاثة قرون أو أربعة ، فان التاريخ لم يبتدئ حقا الا حين دخلت المدائن الهلينية الحرب مع المملكة الليدية أي حوالى القرن الثامن قبل الميلاد ، اعنى من عهد حكم المرمادة .

روى هيرودوت على طوله تاريخ جوجيس الذى ارتقى عرش لبيديا بقتله قندولس ملكها . وهذه الحكاية ليس عليها الا مسحة الصديق وان كانت ليست مطابقة لرواية أفلاطون التي هي بالبداهة أسطورة . فان

غضب الملكة زوجة قندولس وغدر جوجيس عشيقها ليس فيه شيء من المستحيلات . وأما حكاية الحاتم فليست الا اسطورة عامية وجدت بعد ذلك بكثير على صورة أخرى في «الف ليلة وثيلة» . ولقد حدث أرخيلوخس وهو معاصر لقندولس وجوجيس عن ذلك العسكري الذي صار ملكا وعن اقدامه وظفره في احدى القطع الشعرية التي كان لا يزال يقرأها هيروودوت (١) . وقد انتهت بموت قندولس العائلة الليدية الاولى التي تدعى أنها سلالة هيرقليس ، والتي دام ملكها خمسمائة وخمسة أعوام مدة اثنين وعشرين جيلا من عهد نصف الاله الذي وصلها بنسبة كبرياؤها . وكان جوجيس هو أول الدولة الثانية دولة المرمادة .

افتتح جوجيس في أول القرن السابع قبل الميلاد عهدا جديدا ، اذ أخذ يغير على المدائن الاغريقية ملطية وأزمير وكولوفون . وربما كان الحامل له على ذلك أنه أراد أن يبرر اغتصابه للملك ومطاعة لبعض الضرورات السياسية ، في حين أن ليديا كانت وقتئذ بينها وبين الاغريق ، خصوصا اغريق القارة ، علاقات أقرب ما تكون الى السلام .

وقد كان جوجيس ، كسائر الاغريق في آسيا وفي غيرها ، يعتقد وحى دلفوس ويخضع له . ولما كان محاطا بالمكايد من كل ناحية منذ تبوئه العرش ، وخائفا من سخط الليديين الذين كانوا شديدي التعاق بالملك الذي ذبحه ، أراد أن يدخل الاله في قضيته ، فأستشاره وقدم اليه الهدايا الغالية . وقد أقر الاله هذا الغاصب القاتل على عمله . ولكن بوثيا كاهنة دلفوس كانت قد أنبأت بأن عائلة هيرقليس سوف ينتقم لها من شخص الولد الخامس من ذرية جوجيس . وكان هذا الخليفة الخامس هو كريزوس السوء البخت المشهور بمصائبه أكثر من شهرته بكنوزه التي تضرب بها الأمثال . ولكن لم يك جوجيس في أوج ملكه ولا الليديون في سخطهم ليعبثوا بانذار الكاهنة ، وملك ذلك العسكري الزانى القاتل ثمانية وثلاثين عاما آمنا مطمئنا ما عدا حروبه مع مدن الشاطئ . والظاهر أن ملطية وأزمير وكولوفون سلمت له وخضعت لسلطانه .

وقد حكم أردوس خلف جوجيس أكثر منه أيضا أي مدة تسعة وأربعين عاما . فاستولى على بريينة وهاجم ملطية بلا جدوى لأنها استطاعت رد هجماته . وخلفه ابنه سندواتيس ، فلم يمكث على العرش الا اثني عشر عاما ومات ، وكانت سنوه الست الاخيرة كلها مشغولة بمحاربة ملطية كما كان يفعل أبوه . ولكن هذه المدينة التي لم يكن يستطيع أن يائنها من

(١) ر . هيروودوت ك ١ ب ١٢ ، وأفلاطون ، الجمهورية ك ٢ ب ٦٩ ترجمة فكتور كوزان .

البحر نجحت في الدفاع عن نفسها ، على رغم أن عدوها كان يهكم حرثها كل سنة وكان دائما على قدم الاستعداد ليكرر هجماته المخربة . وفي كل مرة حاول الملطيون الحرب في العراء كانت هزيمتهم أمرا مقضيا . وقد مزقهم العدو كل ممزق مرتين على أرضهم في ليمنيون وفي سهول ميانندروس حيث صادف منهم غفلة وسوء احتياط .

وقد واصل أليات بن سدواتيس محاربة مدينة ملطية خمس سنين ، وكان يظن وقوعها في يديه بالقحط وشيكا لولا أنه استشار وحى دلفوس ، كما كان يفعل أجداده ، فجنح لعقد الصلح معها . وساعد على ذلك مهارة طراسوبولس طاغية ملطية وقتئذ . إذ أنبأه جلية الامر صديقه يرياندروس بن كويسيلوس طاغية كورنتا ، فأخفى عن سفير ليديا حقيقة الحال السيئة التي وقعت فيها المدينة من جراء الحصار ، وأوهمه أن في ياطن أسوارها من الارزاق والذخائر ما لم يجتمع لها مثله من قبل . وبذلك انخدع أليات بما خبره به سفيره المخدوع وأمضى عهد ملطية في حين أنه لم يكن بينه وبين الاستيلاء عليها الا القليل . وقد استمر هذا السلام الذي يرجع الفضل فيه الى الوحي ودهاء طراسوبولس زمانا طويلا . ومات أليات بعد أن حكم سبعة وخمسين عاما حكما مملوءا بالاضطراب . وفي هذا الزمن لم يقطع صلته الحسنة بكاهنة دلفوس . وقد اعتراه مرض طالت مدته ، فلما برى باستشارة الوحي قدم الى اله دلفوس كاسا جميلة من الفضة قاعدتها من الحديد فنية الصنع صاغها جلوكوس الشيزوى مخترع ذلك النمط الحديث الذي بالغ الناس في الإعجاب به .

لم تكن حرب ملطية هي الوحيدة التي أجاج نارها أليات ، بل استولى على أزمين مستعمرة كولوفون ، وهاجم مدينة كلازومين الواقعة على مسافة قليلة الى الغرب في الخليج بعينه ، ولكن كلازومين ردت عنه وحملته خسائر عظيمة . غير أن أليات ألهم التوفيق وخدم آسيا كلها خدمة حقيقية بأن حول قواه الى محاربة القميريين الذين استولوا في عهد جده اردوس على تلك الولايات الآمنة المخصبة . فانهم لما طردهم السيتيون الرحل من مواطنهم اضطروا الى النزوح جهة الجنوب ونفذوا من قوقازيا وولوا وجوههم جهة الغرب وجازوا هالوس وتقلصوا الى قلب آسيا الصغرى ، وكانوا قد دخلوا سرديس عاصمة ليديا على حين غفلة من أهلها وأحرقوها الا القلعة القائمة على صخرة شاهقة يجري من تحتها نهر بكتول فهي وحدها التي استعصت عليهم ، ثم ردوا عن المدينة بعد ذلك ولكنهم ظلوا يهددون الامن : يخيفون السابلة وينهبون الاماكن المجاورة ، حتى طردهم أليات من آسيا الصغرى ودحروهم الى الشرق وقذف بهم بين



الاجناس السامية التي كانت حدود اوطانها تنتهي الى هالوس . ومن يومئذ يظهر أن علاقته بهم صارت من السهولة والعطف بمكان .

لكن هذه العلاقات التي كانت بين ليديا وبين السيتيين هي التي جرت على آسيا الصغرى جيوش الميديين ثم جيوش الفرس الذين هم أشد بأسا . فان فصيلة من السيتيين لما طردوا من اقليمهم القاسي المناخ هبطوا الى أرض ميديا في الشمال الغربي من نهر الفرات ، فأحس كواكزاريس ملك الميديين وفادتهم ، ولم تقتصر حفاوته بهم على أن مكن لهم في وطنه ، بل دفع اليهم صبيانا من الميديين ليعلموهم لغتهم وليتعلموا في مدرستهم فن الرماية . ولكن بعض هؤلاء المتوحشين المقربين من ملك ميديا غاظمهم منه شدة في قول وجهه اليهم ، فشتفوا غليل صدورهم من هذه الاهانة بأن قتلوا الصبيان الذين هم في رعايتهم واحتما بمعية أليات ليتقوا شر العقاب الذي كانوا يتوقعون . فطلب كواكزاريس تسليم الجناة وأبى ملك ليديا تسليمهم . ومن ذلك قامت بين الليديين والميديين حرب لم تخب نارها خمس سنين أو أكثر . وهذا السبب كان تافها جدا ، بل يظهر أن الخلاف قام على سبب آخر ، لان الملكتين متجاورتان ، والاحتكاك بين أمم ما زالت متوحشة مثار خلاف لا يتقي .

هنا أستوقف النظر لحادثة في غاية الخطر من حيث تاريخ تلك الامم ومن حيث تاريخ علم الفلك ومن حيث تاريخ الفلسفة جميعا : كانت تلك الحرب في سنتها السادسة والتقى الجمعان وجنودهم على أشد ما يكون التحام بين المحاربين ، واذا بالشمس قد كسفت فغشيمهم ليل مظلم اضطهرهم الى وقف القتال . ليس في هذه الحادثة ما يبعد احتمال وقوعها ، وليس من الغريب أن تأخذ ظاهرة من هذا النوع بالعقول مأخذا عميقا . غير أن هيرودوت الذي حفظ لنا ذكرها زاد على حكايتها أن طاليس الملطي كان قد تنبأ بهذا الكسوف الشمسي ونبا اليونان به وبالسنة التي يقع فيها (١) .

لا شبهة لدى في رواية المؤرخ تلك التي قد أقسحت من البحث محلا لنظريات كثيرة على غاية الخطورة . فقد بحث العلماء أخيرا في حساب هذا الكسوف بالآلات الفلكية التي بين أيدينا الآن والتي تكاد تكون معصومة من الخطأ رجاء تعيين تاريخ صحيح ثابت بين تلك الروايات المختلطة المشكوك فيها ، ولكن لم يمكن الاجماع على أمر علمي محض ولا الاهتداء الى الغرض المطلوب . فان الاب بيترو قد حسن أن هذا الكسوف ينبغي أن

(١) هيرودوت ك ١ ب ٧٤

يكون قد وقع في السنة الرابعة من الاولمبياد الخامسة والاربعين ، يعنى السنة ٥٩٢ قبل الميلاد . وأما سان مارتان الذى هو آخر من عنى بهذه المسألة فانه وجد أن كسوفاً كلياً يروى فى هالوس حيث ملنقى الجيشتين لا يمكن أن يكون الا فى ٣٠ سبتمبر سنة ٦١٠ ق م « ر . مذكرات مجمع الرسوم الخطية والفنون الجميلة - السلسلة الجديدة - الجزء ١٢ » وإذا يكون الفرق بين التقديرين ثمانية عشر عاماً . ويمكننى أن أسرد آراء آخرين من المؤلفين الحديثين ليسوا أقل اختلافاً من السابقين . أما بلاين عند القدماء فانه عين هذا الكسوف بغاية الضبط فى السنة الرابعة من الاولمبياد الثامنة والاربعين وفى السنة ١٧٠ من تأسيس روما (١) . وهذا التوافق المشكوك فى ضبطه بين التاريخين يجعل ذلك الكسوف فى سنة ٥٨٠ تقريباً . ولست أريد الدخول فى هذه التفاصيل لانى لا أتطلع الى امكان الفصل فيها واستجلاء غوامضها ، بل أقف عند حد الرجاء فى أن علم الفلك يستطيع أن يضع رأياً قاطعاً فى هذه المسألة التاريخية .

أما المسألة الأخرى التى أثارت هذه الحادثة ثائرتها فهى : أياكون من الممكن أن طاليس حسب حقيقة هذا الكسوف وتنبأ به كما سمع بذلك هيرودوت ؟ شك المؤرخون الحديثون فى ذلك . وفى هذه الايام أنكر ج . جروت (٢) . أن العلم كان وقتئذ من التقدم بحيث يسمح بنبوءات مثل هذه وحسابات علمية الى هذا الحد . لا أبغى أن أعارض هذا المؤرخ وهو حجة ، ولكنى أنبه الى انه يؤخذ من رواية هيرودوت عينها ، صادقة كانت أو كاذبة ، انه فى زمانه أى بعد طاليس بقرن تقريباً كان الناس يعتقدون امكان حساب الكسوف . هذا وحده يكفى فى اثبات أن العلم كان متقدماً الى قدر الكفاية فان مثل هذا الفرض يشهد بتقدم هو غاية فى الجدل لانه لايجل أن يقبل العامى امكان حساب الكسوف وبصدقه ويتحدث به لابد من أن يكون العلماء قد وفوا الموضوع بحثاً . ومما لا جدال فيه أيضاً ان شهرة طاليس بين تلك الشعوب كانت من الرفعة بحيث انهم نسبوا اليه من غير تردد هذه المعجزة العلمية . ولقد قرر بلاين أن هيبارخس الرودى أمكنه أن يضع فهرساً لكسوف الشمس وخسوف القمر مدة ستمائة عام . وفى زمن هذا الكاتب الرومانى لم تكن الحسابات الفلكية لتخطى مرة واحدة . حتى قيل : « ان هيبارخس كان يحضر مداولات الطبيعة » . وكان هيبارخس بعد طاليس بأربعمائة عام تقريباً . وربما كانت المسافة بين علم أحدهما وعلم الآخر متناسبة مع المسافة الزمنية بينهما ، لانه ليس فى يوم واحد

(١) بلاين . التاريخ الطبيعى ك ٢ ب ٩ ص ١٠٦ طبعة وترجمة ليرى .

(٢) ر . م . ج جروت . تاريخ اليونان ج ٣ ص ٣١١ .

يمكن الوصول الى نتائج علمية مضبوطة الى هذا المقدار . فلست أرى من المستحيل فى شىء أن طاليس فى عهد أليات قد فتح باب علم بلغ به هيبارخس هذه الغاية البعيدة سنة ١٥٠ قبل الميلاد .

أعود الى ما كنا فيه :

بعد قليل عقد انصلح بين الليديين والميديين بوساطة سونيزيس ملك كيليكيا ولاينيوس ملك بابل . وزف أليات ابنته زوجة الى أصطياغ بن كواكزاريس ، وأقسم الطرفان على احترام المعاهدة . واتباعا لعرف هذه الشعوب قد فصد سفراء الصلح من الجانبين أذرعههم ومصر كل فريق من دم الفريق الآخر . ولكن هذه المحالفة التى عقدت على أكمل ما يمكن من الاخلاص كانت طائر نحس على ليديا ، اذ جرتها الى حرب جديدة انكسرت فيها وفقدت وجودها .

ذلك انه لما مات الملك أليات خلفه ابنه كريزوس الذى قدر عليه أن يكون آخر ملك لجنسه وحقت بذلك نبوءة هاتف دلفوس . وكان كريزوس هذا الذى صار اسمه مرادفا للغنى أميرا من خير الامراء الممتازين . ومع أنه كان شديد الاعجاب بكنوزه الوراثية التى جمعها أجداده الهيرقليون والميرمناديون لم يكن رجلا مترفا ولا ضعيفا كما يبدى للذهن عادة ، فما كاد يلى الملك حتى فكر فى أن يتم عمل أسلافه ويخضع نهائيا جميع المدائن الاغريقية على الشاطئ ، فتجنى عليها بعزل مختلفة حقا أو باطلا بادئسا فتحه بايفيزوس ، وعما قريب أخضع الى سلطانه كل المستعمرات اذ قهر يونيا وأيولس جميعا ، ولكن كريزوس أحس أنه لم يصنع شيئا مادامت الجزر خارجة عن قبضة يده ، فجهز أسطولا ليجاوز عليه بجيشه البحر ، ثم عدل عن هذه الغزوة التى هى قليلة الجدوى عند أمة كالليديين بنصيحة بياس البريىنى ، وفى رواية أخرى بنصيحة بطاقس الميتيلينى اذ جاء الحكيم الى سرديس فسأله الملك عن ماجريات الحال فى الجزائر ، فأجاب بياس : «ان أهل الجزائر يتأهبون لمهاجمة سرديس فى عشرة آلاف فارس» فأجاب كريزوس : لتشأ السماء أن يركبوا هذا الشطط . فقال الحكيم : «أيها الملك لك الحق أن ترغب فى أن أهل الجزر يرتكبون خطأ كهذا ، ولكن ماظنك بما ستقولون من جانبهم عندما تأتئهم الانباء أنك تفكر فى غزوهم من طريق البحر ؟ » . ففهم كريزوس الدرس على مرارته ، وقنع بأن عقد عهد محالفة ومودة بينه وبين يونان الجزر .

لما ارتاح كريزوس وأطمأن من هذه الجهة بحث فى بسط سلطانه الى جهة الشرق وفى آسيا الصغرى ، وعما قليل وضع يده على جميع الشعوب النازلة الى هذا من نهر هالوس دون ما وراءه ، وهم الفريجيون والميزيون

والمارياندينيون والخالوبس والبلاغونيون وتراقيون وثينيا وبيشينيا والقاريون  
وانبمفيليون حتى الدوريون وابيونان والايوليون . ولم يفلت من قبضته  
الاكيليكيا وليكيا في الجنوب . وكان نهر هالوس هو احدى الثلاثة أو الاربعة الانهر  
التي تحدد هذه البقاع المسماة آسيا الصغرى وترويا ، فهو ينبع من جبال  
ارمينية ويسير من الشرق الى الجنوب الغربى وينفرج على نحو زاوية قائمة ليرتفع  
من الجنوب الى الشمال فيصب في البحر الاسود شرقى سينوب وطنديجين  
وبعد نهر هالوس ثلاثة انهر آخر عظيمة النفع لتلك الجهات تنقسم بينها شبه  
الجزيرة ، جارية كلها الى الغرب وصابة فى البحر الابيض المتوسط يوازي  
بعضها بعضا تقريبا ، وهى المياندريس الذى يصب فى خليج ملطية ،  
والقاوسترس فى خليج ايفيزوس ، والهرموز فى خليج أزمير الى الشمال  
الغربى قليلا . وكان لكريزوس أن يفخر بأنه تفرد بالملك فى آسيا الصغرى  
وانه وصل بالملكة الاليدية الى حد من رفاهة العيش وقوة البأس لم يكن  
لها مثله من قبل . ولكن ذلك هو فى الواقع كان السبب فى خرابها .

فى هذه الاثناء حصلت تغيرات وانقلابات عظيمة فى الشرق وفي البلاد  
للجاورة للمملكة الليدية المترامية الاطراف . فان قيروش خرب مملكة  
اصطياغ صهر كريزوس ، وقهر ملوك آشور ، وعاهد ملك هرقانيا ،  
وفكر فى مهاجمة ليديا التى كان يظهر عليها انها كانت متحدة مع أعدائه .  
وبعد أن بسط سلطانه على جميع البلاد شرقى نهر هالوس لم يكن هناك  
محل للتأخر عن عبور ذلك النهر ، كذلك لم يكن لقوة الفرس الهائلة مدفع  
عن أن تمتد الى البحر وان تفتح شبه الجزيرة وكل ماتحويه من الشعوب سواء  
فى ذلك البرابرة والاغريق . ولقد أدرك كريزوس للحين خطر الموقف الذى  
يتهدده ، فلما علم بهزيمة اصطياغ استكمل عدته للحرب بقدر ما يستطيع .

فما كاد يتعزى عن موت ابنه الذى قتل فى حادثة فى الصيد ، حتى عزم  
على أن يقف تقدم الفرس بأن يحالف اغريق الشواطىء وجميع اغريق  
بيلوبونيز والغرب . ولهذه الغاية أرسل بادية الامر يستشير الوحى  
ليحصل على تأييد الآلهة والاعتقاد العام . وذهبت وفوده فعلا الى دلفوس  
ودودون ، الى أباس فى فوكيد ، الى غار طروفو نيوس ومعبد انفياروس  
ومعبد البرنثيد على مقربة من ملطية ، بل الى معبد المشتري آمون نفسه .  
وكان كريزوس يريد ان يضع لهم بادية الامر اسئلة يختبر بها صدقهم ثم  
يستفتيهم بعد ذلك بصورة منظمة فى المسألة الكبرى مسألة الحرب مع  
الفرس التى كانت تقلق باله . فوجد أن هاتفى دلفوس وانفياروس أكثر  
اخلاصا ، فحمل اليهما الهدايا الباهرة التى يمكن قراءة وصفها التفصيلي  
فى هيرودوت الذى رأى بعض هذه النفائس الغالية فى المحارب . وعندما

«قدم ملك ليديا تلك الهدايا الثمينة استشار الهاتفين في أمر الحرب فكان جوابهما مبهما كله تورية ، اذ قال : « اذا اشتبك كريزوس في الحرب مع الفرس خربت مملكة عظمى ، .. أيهما ؟ أدولة الفرس أم دولة ليديا ؟ لم يقل الالهيان بالتعيين ولكنهما نصحا لكريزوس أن خير وسيلة أن يتخذ حلفاء ونصراء من أقوى الشعوب الاغريقية . فعاود كريزوس هاتف دلفوس في هذه النقطة فعين له الهاتف اللقدمونيين من الجنس الدورى والأتينيين من الجنس اليوناني ، يعنى الهيلينيين والبلاسجة ، فأوفد سفراءه الى الاجزاء المختلفة لبلاد الاغريق يخطب ودهم فلم يجب دعاءه الا اللقدمونيون الذين هم مائلون اليه لخدم أداها لهم قبل ذلك . أما بقية الاغريق ، وعلى الخصوص الأتينيين ، فلم يدركوا حقيقة الخطر المقبل ولم يجيبوا داعي ملك ليديا واستنجد كريزوس ، على ما يقول سيروبيديا ، حتى بأهل مصر . ولكن من المشكوك فيه ان مصر وجهت لمساعدته مائة وعشرين الف مقاتل كما يروى الرجل الطيب اكسينوفون .

ولقد أول كريزوس جواب الهاتف لمصلحته خطأ وأغار على كابادوس من أرض ميديا التي افتتحها قيروش قبل ذلك بقليل ، وكان من الضروري له أن يعبر نهر الهالوس وهو في هذا المحل واسع المجرى ، ووقع بذلك في صعوبة كبرى لم يتغلب عليها الا بحذق طاليس الذي كان قد تبسع الجيش الليدي في عدد غير قليل من مواطنيه ، فانه اصطنع جسرا عريضا فوصل النهر الى عدة فروع سهل اجتيازاها . تلك هي الرواية التي وصلت الى هيرودوت في حادثة عهدها . ولكن هيرودوت يظهر عليه أنه يعتقد أن الجيش عبر النهر بالبساطة على قناطر لم تنشأ في رواية العامة الا بعده هذه الواقعة بزمان . ولما عبر كريزوس النهر استولى على المنطقة التي كانت تسمى بطيريا وخربها .

سارع قيروش الى لقاء الغائرين بجميع جيوشه ومن انضم اليهم من أهل البلاد ، ولكن قبل أن ينازل الليديين أرسل الى اليونان يستميلهم الى التخلي عن جيش كريزوس ، ولكن اليونان بقوا على عهدهم مع كريزوس لاعتقادهم أن خيانة مخجلة لا تأتي الا بالعار المجرد من كل منفعة ، لان الاغريق لا يستطيعون ان يقفوا وحدهم في وجه الفرس اذا سقطت ليديا في يده كما كانوا يتوقعون . وان هزيمة عامة لكل اجناس الاغريق خير من العار ما داموا مصريين على ألا يسلموا بلادهم الى الفرس لاول وهلة . ولما التقى الجمعان في سهول بطيريا شرقي هالوس جرت بينهم حرب طاحنة استمرت نازها طول اليوم الى المساء لم يظهر فيها نصر نهائي لاحد الفريقين على الآخر .

ولكن اضارها كانت على كرىزوس اكبر ، لان جيشه مع بسالة قواده كان قليل العدد جدا بالنسبة الى الجيش الآخر . ولما رأى قىروش ما مس جيشه من القرح لم يشأ ان يبدأ بالقتال فى اليوم التالى ، فانتهز كرىزوس تلك الفرصة للتقهقر الى سرديس وعزم على ان يبلغ من الدفاع عنها غايته .

ثم استنجد حلفاءه وأما زيس ملك مصر ولاينطوس ملك بابل واسننفر لقدمونيا لنصرته ، واعتمد على انه متى اجتمعت له هذه القوى كلها يجدد الكرة على جيوش قىروش فى الربيع القادم ، وجعل ميعاد حلفائه ونصرائه على تمام خمسة أشهر من يوم الدعوة فى عاصمة ملكه . ولقد أصاب كرىزوس الحكمة فى هذه التدابير ، ولكنه ارتكب خطأ جماً فى صرف جنوده ظناً منه ان قىروش لا يستطيع ان يطلع على سرديس بجنده الذى نال منه القرح ما نال . وقد خاب ظنه لان قىروش احتفظ بجنوده وسار بهم بعد ان أخذوا قسطاً من الراحة الى ليديا ، فلم يلبث أن نزل السهل الفسيح القائمة فيه مدينة سرديس .

أما كرىزوس وان كان قد أخذ على غرة فأنه لم تنحل عزيمته بسلا اعتمد على ما هو مشهور عن أهل ليديا من الاقدام خصوصاً كتائب فرسانهم ، فأنهم كانوا مقطوعى النظير لمهارتهم فى سوس الخيل وفى حسن استعمالهم الرماح الطوال التى كانوا يعتقلونها . ولكن قىروش من جهته قد فكر فى تقليل قيمة تفوق فرسان العدو ، فسير فى مقدمة جيشه جماله كلها التى لم تعد خيل ليديا رؤيتها ولا رائحتها فجعلت وصعبت رياضتها ، فترجل الليديون وأبلوا على الرغم من ذلك بلاء حسناً ، لكنهم بعد التحام هائل انهزموا فلم يجدوا لهم موثلاً الا أسوار مدينتهم .

لما رأى كرىزوس انه محصور بجنود منصوره عجل الى حلفائه وعلى الاخص التقدميين ، لكن هؤلاء بعد أن تأهبوا لنصرته حسب نص المعاهدة جاءهم نبأ سقوط سرديس عنوة فى يد قىروش بعد حصار دام أربعة عشر يوماً ووقوع كرىزوس فى الاسر . لما وقع ملك ليديا التمس فى أيدي أعدائه مقبلاً بالسلاسل وحكم عليه بأن يحرق حياً هو وبعض ابناء العائلات الكبرى الذين كانوا معه وسعرت له النار وكادت تصل الى جسعه ، رق له قلب قىروش وأخذته الرحمة على هذا الملك البائس الذى كان يحتمل تصاريق القدر بالرضا والتسليم ، والذى كان فى هذه اللحظة الرهيبة يذكر نصيحة سولون له حينما وفد عليه واقام فى معيته . وكانت سن كرىزوس وقت وقوعه فى الاسر تسعة واربعين عاماً حكم منها أربعة عشر عاماً منذ وفاة أبيه ، وبقي بعد ذلك زمناً طويلاً فى معية قىروش مرافقاً ومعيناً له فى غزواته .

ان تاريخ سقوط سرديس ليس أقل اضطرابا من تاريخ كسوف طاليس . واخذا بما على رخام باروص تكون سرديس سقطت في السنة الثالثة من الاولمبياد التاسعة والخمسين أى سنة ٥٣٧ قبل الميلاد . أما فريريت فانه يقول انه وقع في سنة ٥٤٥ اخذا بشهادة سوسيقراط الذى استشهد به ديوجين اللايرثى في كتابه « حياة بيرياندر » . وأما فولنى فانه أخره الى سنة ٥٥٧ فم كتابه « أخبار هيرودوت » . وعلى كل حال فان هذا التاريخ على خطره محوط بالشكوك ، ولا يزال محلا للتحقيق .

لما غلب الليديون على أمرهم أحست المدائن الاغريقية خطر مركزها ، فعرض الايوليون واليونان الطاعة على الشروط التى كانت بينهم وبين كريزوس ، فرفضها قيروش مزدريا اياهم ، وذكر اليونان اعراضهم عنه حين خطب ودهم قبل ذلك ببضعة أشهر ، فلم يبق لهذه المدائن الا خوض غمار الحرب بعد ذلك الرفض المهين ، فدعيت ندوتهم ( البانايونيون ) وحضرها أهل المدائن كلها الا الملطيين الذين كانوا اتخذوا للحرب عدتاهم قبل ، ولكن حظ الجميع منها لم يكن أحسن من حظ مملكة ليديا .

من المحتمل ان يكون هذا الحين هو تاريخ النصيحة التى قدمها طاليس للاتحاد اليونانى ، فانه لبصره بالعواقب ارتأى ألا يكون للمدن اليونانية الا جمعية واحدة تعقد فى طيوس ، لتوسط مركزها ، على ان تحتفظ كل مدينة بنظمها الخاصة ، لانهم متى اجتمعت قواهم كانوا بالضرورة أقدر على مقاومة عدوهم المشترك ، فان الاتحاد وحده هو الذى ينجيهم ما دامت المنازعات الداخلية هى التى أضعفتهم . ولكن هذا الرأى السديد لم يكن ليطاع فيهم مع أنه لم يجيء بعد الاوان ، فان حال اليونان لم يكن بعد من السوء بحيث لا يمكن اصلاحه . ولقد نصح لهم طاليس بعد ذلك نصيحة فى وقت أشد حرجا فلم تقابل الا بما قوبلت به سابقتها من الاعراض . ثم نصح لهم بعد ذلك بياس البريينى أحد أعضاء الندوة ( البانايونيون ) ان يترك اليونان جميعا آسيا ويتخذوا اسطولا كبيرا يركبونه الى « سردينيا » حيث يؤسسون جمهورية قوية . وأبان لهم بياس أنهم أن بقوا فى آسيا لا يستطيعون أن يحموا حريتهم . يرى هيرودوت ان اليونان لو كانوا قرروا هذا القرار الباسل لصاروا أسعد الشعوب الاغريقية كلها ، ولكنهم قنعوا بمفاوضة الايولين ليرسلوا سفراء الى أسبرطة يطلبون باسمهم وباسم اليونان اعانة الجمهورية اياهم .

لم تشأ جمهورية أسبرطة أن تمدهم بقوة حقيقية ، بل ارسلت رجلا ثقة من رجالها يقال له «لقرين» الى سرديس يطلب الى الفاتح ألا يسوء الى أية مدينة اغريقية ويهدده بسخط لقدمونيا . غير أن قيروش الذى



ماكان يعرف الى ذلك الوقت ما هي اسبرطة ، أخذ يسأل بها وأعلن - وهو هازيء بهذه الشعوب التى يخالها متأنثة فى أمورها - انه أولى بها ان يشغلها الخطر المحقق ببلادها عن الخطر الذى يتهدد يونيا . فى هذا الوقت دعا قىروش اختلاف الاحوال فى بابل وبكتريان والساسيين بل وفى مصر أيضا الى التعجل بالسفر من سريديس الى اقبطانا ، وخلف على المدينة فارميسا يدعى طابالوس ، وجعل على نقل الكنوز التى جمعها ملوك ليديا منذ عدة قرون ليديا يقال له بكتياس .

انتهم بكتياس غيبة قىروش فى حصار بابل ، ووضع يده على الكنوز التى أوتن على نقلها ، وانتبذ بها مكانا بعيدا على الشاطئ ، ودعا الليديين الى الثورة والانتفاض على قىروش ، وألف بالمال جندا سار به الى حصر مدينة سريديس التى كان يحميها طابالوس . ولكن هذه الثورة لم تلبث حينما حتى جاء مزاريس أحد قواد قىروش بالمدد ، واضطر بكتياس الى الهرب والاحتباء فى «كومة» . فلما طلبه مزاريس هم الكوميون بتسليمه اليه بنصيحة هاتف البرنشتيدلولا رجل شجاع منهم يقال له ارسطوديقوس حمى المنزل ونجاه من الهلك واستحب عصيان الاله على انتهاك حرمت الضيافة فى حق مستجير . ونجا بكتياس الى ميتيلين حيث عادت لاهل كومة نخوتهم وأرادوا هم أيضا حمايته . غير ان هذا السبيء الحظ قد أخذه الشيزيون بالقوة من معبد مينرفا وسلموه الى الفرس ، لان قىروش أمر بأن يحضر لديه حيا ، وقبض الشيزيون ثمنا لهذا العار مقاطعة أطرنة الواقعة فى ميزيا تجاه لسبوس، ولكنهم لم يسعدوا فى هذه الارض التى امتلكوها بذلك الثمن المخجل ، فقد أكد هيرودوت انه مر زمن طويل على اهل شيزور لا يستطيعون أن يقربوا للآلهة قربانا ولا أن يضحوا بشيء مما كان يأتهم من غلة ذلك البلد الملعون .

قسا مزاريس فى التنكيل بالذين خرجوا على الملك فى ثورة بكتياس ، وكتب الرق على سكان بريينة وباعهم بالمرزاد ، وخرب بلا رحمة سهول مياندرس جميعها واباحها لنهب عسكره ، ولكن منيته صادفته أثناء هذا الانتقام . ولقد أراد الفرس بهذه الفظائع ان يغلوا أيدي المغلوبين عن الثورة ، ولكن اغريق الشاطئ ومستعمرات ايولس ويونيا ودريدا لم يخفهم ذلك بل أخذوا عدتهم واستجمعوا بأنهم الى حرب غير متعادلة القوى. ولا ملحوظ فى نتيجتها الا الفشل والخذلان .

بذلك يبتدىء العهد الثالث والاخير لتاريخ الاغريق فى آسيا الصغرى. فان العهد الاول لبث من وقت نزوحهم اليها الى حكم جوجيس غاصب ملك ميديا ، وهو أطولها ، لانه لا يقل عن ٥٠٠ سنة . والثانى الذى كان مملوءا بالتنازع بين مدائن الاغريق ومملكة ليديا ، ويمتد الى هزيمة كريسوس.

يوسقووط سرديس • ولم تكن قوة ملوك الميديين تلقاء قوة الفرس شيئاً  
مذكوراً ، لان الفرس كانوا أمة حزب ملكت جزءاً عظيماً من آسيا ، وتقدموا  
تقدماً كبيراً في فنون الحرب بفضل قيادة قيروش •

أما الذى خلفه مزاريس على التنكيل بالثائرين واستمرار الفتح فهو  
رجل خليق بكل انواع الفطائع واقتراح الدنيا يقال له هربغوس اشتهر  
بعمل مقطوع النظر في الحسنة حتى في معرض دنيا البلاط الفارسي ، ذلك  
أن «اصطياغ» ملك الميديين ، كان قد أزعجته رؤيا ، فكلف هربغوس امينه  
أن يحتال لقتل الولد الذى وندته حديثاً ابنته مندان من قمبيز ، وكان هذا  
الحفيد المقصود بالوقية هو قيروش، فقبل هربغوس هذا الامر، ولكنه لم يشأ أن  
يقتل الصبي بيده فوكل ذلك الى راع أخذته الرحمة من توصيلات زوجته  
فاستبدل صبيه الذى ولد ميتاً بالذى دفع اليه ليقتله ، ودخلت هذه الحيلة  
على هربغوس فلما استكشف «اصطياغ» خفية الامر وعلم بكل ما جرى  
كظم غيظه ، ولكنه انتقم من هربغوس شر انتقام، فأمر بقتل ابن هربغوس،  
سراً ، وودعه الى طعام قدم اليه فيه لحم ابنه فأكله ثم أمر فاحضر رأس الغلام  
ويده ووقدتهما أثناء المادبة تحت غطاء الى هربغوس، فاما كشف عنها الغطاء رأى  
هذا المنظر الفظيع فلزم السكينة، فسأله «اصطياغ» في ذلك فقال: انه تعرف  
اللحم الذى أكله ولا يسعه الا الشناء على الملك على ما تفضل به •

ومع ذلك فإن هربغوس قد أصر على الانتقام من « اصطياغ » بأن يثل  
عرشه من تحتة ، فحرض قيروش سرا على العصيان • ولم يصادف هذا  
الامير الشاب عناء فى حمل الفرس على نبذ نير الميديين الثقيل • ولقد بلغت  
العماية «باصطياغ» انه لما جاء حفيده على رأس الجيش الفارسى أمر على  
الجند هربغوس الذى كاذب قد نكل به ذلك التنكيل ، فلم يلبث هذا الاخير  
أن خانه وانخذل بالجيش ، وقهر قيروش «اصطياغ» ولم يقتله بل تركه  
يعيش فى الخزي • وسقطت مملكة الميديين بعد أن أقامت ٣٢٨ سنة من  
ديجوسيزبن فراورط • وبقي هذا القسم من آسيا من يومئذ تابعا للفرس  
الذين لم يحتفظوا به الا اقل من تلك المدة حتى سقطت مملكتهم باغارة  
اسكندر •

ذلك هو هربغوس الذى رمى به قيروش مدائن الاغريق ليخضعها •  
ولقد عنيت بذكر هذه التفاصيل على شهرتها لابن اى الامم واى  
الاخلاق سيكون ليونان الشاطيء علاقة بها •

أخذ هربغوس يبتكر طرائق لفتح المدائن ، فكان كلما وصل مدينة  
احاط بها ثم حفر حولها خندقاً يحصر اهلها فيضطرهم الى التسليم • فبدأ

بمدينة فوكاية ، تلك المدينة التى كان لها اسم كبير فى ذلك العهد والتى تهمنا بوجه خاص جد الاهمية ، لان أحد فلاسفتنا اكسينوفان كان بها منذ نفى من كولوفون وهرب مع مواطنيه على الشواطىء البعيدة لبحر طرهينيا ولقد كان أهل فوكاية اول من أزمع السياحات الكبرى المقرونة بالاحطار من جميع الجنس الهلينى، فانهم أول من علم الناس ما هو البحر الادرياتيكي وبحر طرهينيا وايبيريا وطورطاييس ، تلك الاصقاع السحيقة فى حدود الارض وراء عمد هيرقليس، وهم الذين حوروا طريقة صنع السفن فرغبوا عن السفن الغليظة المستديرة الى سفن ذات خمسين صفاً من المجاذيف وهى المسماة «البانيكونتور» . ولما كان لاهل فوكاية صلات مودة ومعاملة ببلاد طورطاييس عرض عليهم ارغانتونوريوس ملك هذه الجهة أن يهاجروا اليه اذا شاءوا أن يتركوا يونيا عندما هدد الفرس مدينتهم . ونظرا الى انهم لم يكونوا قد عزموا على الهجرة بعد ، اعطاهم حليفهم الملك مبلتغا عظيما من النقود ليساعدهم على اقامة سور منيع حول مدينتهم ، فاقاموا هذا السور الواسع الامتداد من احجار كبيرة محكمة الرصف جدا .

وقف هربغوس أمام هذا الحصن العظيم الذى لم يستطع النفوذ منه الى داخل المدينة ، وبقي محاصرا لها حتى أرق أهلها ارهاقا ، ثم عرض عليهم عرضا يوافقهم وهو ان يهدموا جزءا من الحصن الامامى تحتله الفرس اشارة الى أن أهل المدينة أطاعوا فطلب اليه الفوكيون الذين أعياهم الحصار جوابا على هذا العرض هدنة يوم واحد ، وأن يتعبد الجيش الفارسى عن مراكزه ، فأجابهم هربغوس الى ذلك مع توقعه ما سيحصل فاغتنم الفوكيون هذه الهدنة ، وحملوا على السفن نساءهم وأولادهم وجميع ما يستطيعون حمله خصوصا الامتعة المقدسة التى جمعوها من المعابد ، وسافروا الى شيوز فلما جاء الفرس فى اليوم التالى وجدوا المدينة خلوا ليس فيها احد من أهلها .

كان الفوكيون قد رغبوا بادىء ذى بدء فى أن يشتروا من أهل شيوز الجزر التى تسمى اينوزوس ، لكن هؤلاء قد رفضوا الصفقة حتى لا يخلقوا لانفسهم مزاحمين لا يستهان بأمرهم على مرافق التجارة ، فاضطر الفوكيون الى أن يوجهوا سفنهم نحو جزيرة قورسقة ( المسماة وقتئذ سيرنى ) حيث أسسوا فيها قبل ذلك منذ عشرين عاما مدينة «علاية» بإشارة الهائقف ولكنهم قبل أن يذهبوا الى هذا المنفى النهائى رجعوا الى فوكاية على غرة من حرسها الفارسى وذبحوهم ، ومع ذلك فان هذا العمل الجرى لم يمكنهم من البقاء فى وطنهم القديم بل ارتدوا الى أسطولهم . وليثبتوا أنهم لن يتركوه القوا فى البحر كتلة من الحديد واقسموا الا يعودوا قبل أن تطفو هذه

الكتلة الثقيلة على سطح الماء . وعلى رغم هذا القسم زين لنصف النازحين أن ينزلوا الى البر ويدخلوا فوكاية ، وأما النصف الآخر الذى بر بقسمه فقد اعتمد على ألا يبقى تحت نير المتوحشين الذى لا يطاق ، وأبحروا الى قورسقة ، فدخلوها آمنين وأقاموا كما يشتهون فى سكيانة مدة خمسة أعوام مع مواطنيهم الذين سبقوهم اليها قبل ذلك بسنين طوال . ولكن أهل طرهينيا وقرطجنة هاجموا الفوكيين ، أما حسدا من عند أنفسهم ، وأما اضطرابا للكسب وحيا فى السلب والنهب . ولم يكن لدى الفوكيين الا ستون سفينة ضد مائة وعشرين لخصومهم ، ولم يبرر لهم ذلك التردد فى منازلهم ، بل ذهبوا يبحثون عن عمارات خصومهم فى بحر سردينيا ، وتجرشوا بهم وطلبوهم للقتال ، ولكنهم خسروا فى هذا انظر ثلثى سفنهم فرجعوا عجلين الى « علالية » ، واحتملوا عائلاتهم وأموالهم ليلجأوا الى موئل آخر آمن من هذا . والظاهر أن جزءا من هؤلاء المهاجرين قد وقع فى يد الطرهينيين والقرطجنين فقبضوا عليهم وذبحوهم ، وذهب الجزء الآخر الى رغبوم فى صقلية ، ومن هناك اتجهوا الى الشمال وأسسوا على أرض أونتري مدينة كانت تسمى فى زمن هيرودوت « مدينة هيبلا » وهى المعروفة بمدينة ايليا الشهيرة بمدرستها الفلسفية التى شيدت فيها بعد تأسيسها بقليل .

فى نحو هذا الحين لجأ اكسينوفان الى ايليا هاريا من كولوفون التى وقعت فى قبضة الفرس ، وانضم الى الفوكيين الشجعان الذين كانوا مثله يكرهون العبودية . من الواضح أن ما ورد فى شعر اكسينوفان خاصا باغارة الفرس الذين ما زال يسميهم الميديين ، انما يراد به واقعة هربغوس تلك لا حرب الميديين (١) ، كما ظن ذلك أحيانا . وقد يظهر أن تأسيس ايليا الذى شدا به اكسينوفان كما شدا بتأسيس كولوفون كان فى سنة خمسمائة وست وثلاثين أو خمسمائة واثنين وثلاثين قبل الميلاد ، بل قد يكون أدنى من ذلك . على كل حال فإنه قبل اغارة مردونيوس وداتيس على بلاد الاغريق بثلاثين سنة على الأقل ، وليس عندنا ما يفيد أن اكسينوفان عاش الى ذلك الوقت .

ولسنا نرى فيما حفظ لنا التاريخ من التفاصيل ما ذا جرى على كولوفون بخصوصها ، وهى من ليديا كمدينة فوكاية ، ولكن المفهوم ضمنا هو أنها وقعت فيما وقعت فيه فوكاية ، وأن أهلها الذين لم يقبلوا حكم

(١) ولقد جلا الشك فى هذه النقطة فكتور كوزان . راجع القطع الفلسفية والفلسفة القديمة طبعة سنة ١٨٦٥ ص ٣ و ٤

المتوحشين ركبوا البحر ليلجأوا الى جهات أكثر طمأنينة . حق أن هيرودوت لم يذكر بعد أخبار الفوكيين الا اخبار أهل طيوس الذين فعلوا مثل ما فعل اولئك ، فحملوا ما قدروا عليه في سفنهم وقصدوا تراقيا حيث أسسوا مدينة أدير ، وقد كان سبقهم في الهجرة الى تلك البلاد أحد مواطنيهم المدعو كلازومين . أضاف هيرودوت الى هذا أن بقية مدن يونيا خضعت لحكم الفرس بعد مقاومة عنيفة ، ولأمانع من افتراض أن أكسينوفان كان أحد هؤلاء الأبطال الذين أتى عليهم المؤرخ ، والذين لم يلقوا قيادهم الى الفرس الا بحكم الضرورة . الا الملبطين وحدهم فأنهم اتفقوا مع قيروش كما ذكر آنفا وبذلك احترم هربغوس حيادهم اكتفاء بما شئت وأذل من سائر يونان القارة . وأما أهل الجزائر فأنهم بوضعهم كانوا في مأمن من الغارة ، لان الفرس لم يكن لديهم بعد أسطول يطولون به الجزائر ويلقون على أهلها نير العبودية . وأما يونيا وأيولس فأنهما أطاعتا غاية الطاعة حتى جند منهم هربغوس حين مشى الى قاريا التي وقعت في قبضته بعد قليل . وأما الكنديون فأنهم حاولوا الارتفاع بالأسراع في قطع البرزخ الذي يصلهم بالقارة ، ثم بدا لهم أن يستسلموا الى الفرس أخذاً بنصيحة كاهنة دلفوس . وأما البيدازيون من ضواحي هاليكارناس فأنهم قاوموا حتى حين ، ولكنهم قهروا كما قهر الليقيون الذين أبلوا بلاء حسناً في الدفاع عن وطنهم . وبذلك تم النصر لقيروش ، وكان يستطيع أن يغتبط وهو سائر الى اخضاع بابل بأن كل آسيا الدنيا ملك له الى البحر .

كانت جزيرة سموس وقتئذ أقوى الجزر ذات مركز سام بما لها من الروابط بأغريقيا وبمصر ، وبينما كان قمبر المفتون ابن قيروش يغزو مصر ليقضي على نفسه فيها كان بوليقراطس يحكم سموس ، وقد مكن له فيها بحسن ادارته وقلة تحرجه ومبالاته ، حتى جعل الجزيرة من الرخاء محسودة الوفير من كل نظائرها . وكان من أمره أنه أقام فيها ثورة انتهت باستيلائه فيها على السلطان هو وأخويه ينتنيوت وسيلوسون ، اذ اقتسم الاخوة الثلاثة حكم المدينة لكل منهم قسم معلوم . ولكن بوليقراطس لم يلبث ان تخلص من أخويه اذ قتل احدهما وشرذ الثاني وخلص له الحكم وأطاعه أهل المدينة . وقد أراد أن يثبت لنفسه الملك المفصوب فارتبط بأمازيس ملك مصر ، وتبادل وياه الهدايا النفيسة . ولم يمض عليه حين حتى نبه ذكره ، وعمت شهرته بلاد الاغريق ، وكان سعيد الطالع موفقاً في مشروعاته الى غاية المنى ، وكان أسطول له مؤلفاً من مائة سفينة من ذوات الخمسين صفاً من المجاذيف ، وكان يبلغ عدد رماة وحدهم ألفاً .

ولم يكن مع ذلك ليرعى لجيرانه حرمة بل كان يضرب عليهم الاتاة

بغاية الجراءة ، وكان من مبادئه السياسية ألا يبقى حتى على أصدقائه متى  
قضى الظرف الا انه كان يعرض عليهم بعد ذلك . وكان قد غزا عدة جزر  
حوالى سموس ، بل عدة مدن فى القارة . ولما ساعد اللسبوسيون المنطيين  
عليه حاربهم وقهرهم فى وقعة بحرية ، وسخر جميع الاسرى مصفدين  
بالاغلال فى خفر الحندق العميق الذى كان يحيط بأسوار المدينة . وكان  
من نتائج ظلمه أن بعض أهل سموس هجروها من هول ما يلقون من  
الجور واستجاروا بأسبرطة ، فأبحر اليه اللقدمونيون فى اسطول قوى .  
وحاصروا المدينة أربعين يوما ، ولكنهم ارتدوا على أعقابهم بفضل بأس  
بوليقراطس أو بفضل ماله . وبقي هذا الطاغية مستبدا بالحكم مهيب  
الجانب لا يغلب على أمره ، حتى أن من لم يريدوا من السموسيين الاستسلام  
لمظالمه لم يكن لهم وسيلة الا الهجرة بعيدا عن ملكه الى حيث ينزلون منزلا  
يرضونه . ولم يكن ليأمن على نفسه الطوارىء بذلك الحندق العميق الواسع  
بل اتخذ نفقا تحت الجبل سلك فيه الى المدينة ماء غدقا ، وبني رصييفا شاهقا  
متقدما فى البحر ، جعل به المرفأ أكثر ملاعة لرسمو السفن ، ثم بنى  
معبدا اشتهر بأنه اكبر المعابد المعروفة . وقد ذكر أرسطوطاليس أيضا  
هذه الاعمال العظيمة التى عملها بوليقراطس .

وكان هذا الطاغية محبا للآداب والفنون ، ويقال أنه أول من أنشأ  
مكتبة . وكان مثل ذلك فى تلك القرون زخرقا نادرا ، كانت مصر وحدها  
هى صاحبة الإبداع فيه . وكان يؤوى اليه الشعراء ، وكان أنقريون  
الطيوسى بعض جلسائه ومادحيه .

فى صدد الكلام على عهد طغيان بوليقراطس هذا ، ينبغى أن نورد  
خير الصلات التى كانت لفيثاغورث به والتى لدينا عنها معلومات مضبوطة  
فان يميليك وفريريوس وديوجين لا يرث يلتقون فى هذه النقطة ، وليسوا  
بالضرورة الا صدق كثير من المؤلفين الذين هم أقرب عهدا بزمان فيثاغورث  
وكتبوا ترجمته مثل أرسطوكسين الموسيقى تلميذ أرسطو وأبلينيوس  
الصورى وهرميب وديوجين وانثيفون ٠٠٠٠ الخ . كان فيثاغورث بن  
منيزارخس يدلى بأمه الى اكبر عائلات سموس ، ويمكن ان يتصل نسبه  
بأنصى مؤسس المستعمرة ، ويظهر أن أباه قد جمع مالا وفيرا  
من تجارة القمح وكأنه صوريا على رأى بعض المؤرخين ، وطرهينيا على قول  
البعض الآخر وكان يستصحب ابنه معه فى سيطحاته منذ حدثه ، فطاف  
الصبى مع أبيه تلك البلاد التى عنى بدرسها بعد ذلك ، فلما صار فى سن  
التعلم ، ورأى أبوه فيه مخايل وعليه سيما النجابة ، وصله بأعلى الرجال  
امتيازا فى زمنه : طاليس - على ما يقال - وانكسيمندر وانكسيمين الملطى .

وفرقليد السيروسي . وقد عرف فيثاغورث فينيقيا وهو شاب اذ صحب  
أباه اليها . ولما أراد السفر الى مصر زوده بوليقراطس بكتاب توصية  
الى أمازيس ، وذلك يثبت أن رأى فيثاغورث فى بوليقراطس وقتئذ على الأقل  
لم يكن كرايه فيه بعد ذلك .

لم تكن مدة إقامة فيثاغورث بمصر محل اتفاق فى التاريخ ، فمن  
مترجميه ، مثل يميليك ، من حددها باثنين وعشرين عاما وان كان ذلك  
قليل الاحتمال لما أسر عسكر قمبيز فيثاغورث سيق الى بابل ، وهناك  
اتصل بالمجوس كما اتصل بكهنة مصر مدة إقامته بها ، اذ كان محل  
اعجاب بذكائه ورجاحة عقله وحسن روايته . ولما رجع الى وطنه وهو  
متقدم فى السن ، أى كانت سنة ستا وخمسين سنة على قول يميليك ،  
فتح فيه مدرسة . وظل السموسيون الفخورون بمواطنهم يعقدون  
مداولاتهم السياسية قرونا عدة بعد ذلك فى مجلس نصف حلقي مسمى  
باسم فيثاغورث ، وقد قال أرسطوكسين : ان فيثاغورث لما ترك سموس  
فرارا من ظلم بوليقراطس لم يكن يتجاوز من العمر أربعين سنة ، وربما  
كان قوله أوجه ، لانه أقرب عهدا الى هذه الاحداث من يميليك ، ومن  
المحتمل أن يكون أعام بها منه ما دام انه تلميذ ارسطو الذى كان يشتغل  
كثيرا بفلسفة فيثاغورث . وأما شيشيرون فانه ذكر فى كتابه « الجمهورية » :  
أن فيثاغورث وصل الى ايطاليا فى الاولوية الثانية والستين أعنى فى سنة  
٥٢٨ قبل الميلاد ، أى فى السنة التى جلس فيها طرخان العظيم على  
العرش . ولما كان شيشرون ( على لسان سيبيريوس ) يقصد الى تصحيح  
خطا تاريخي شائع . فمن المراجع أنه يعرف حق المعرفة صحة ما ذكر وأنه  
غير مخطئ .

ومهما تكن حياة فيثاغورث محجوبة عنا مع ماكان من اشتغال كثير  
من الكتاب الاقدمين بها ، فالظاهر ان من المحقق أنه هاجر من سموس  
المحرومة الحرية ليجد بلدا فى اغريقا الكبرى لا تشتمل فيه نفسه من  
مشاهد الظلم ويستطيع ان يتمتع فيه بالاستقلال الذاتى الذى كان فى  
حاجة اليه . وكذلك فعل اكسينوفان فى نحو هذا الزمن ، اذ كان يفر من  
اضطهاد الفرس الذين كانوا أشد ظلما من طغاة الاغريق . كان ذلك هو  
الخط المشترك لأمثال هؤلاء ، فليس من السهل أن يبقى المرء وطنيا أو  
فيلسوفيا ينوء بحمل الضغط الذى يأتية أمثال أولئك الاسياد . وعلى ذلك  
حمل فيثاغورث الى قروطون والى ستيباريس مذاهب عجيبة فيها بلا شك  
شئ من الديانات الشرقية التى اتصل بأهلها ، ولكنها حقيقة باحترام كل  
من يحبون الحكمة والانسانية .

ولم تصل الينا مذاهب فيثاغورث الا عن طريق الوسطاء ، اذ لم



يجتمع لنا شيء من مؤلفاته الكثيرة التى وضعها (١) فيما يظهر على مايقول هيلير قليطس ، والتى مع كون فيلولاولس أذاعها لأول مرة بعد ثلاثة أو أربعة قرون من وضعها كان يطلبها أفلاطون بأعلى ثمن .

أما بوليقراطس الذى شاطر فى أسباب تعليم فيثاغورث فإنه لقي حتفه على أسوأ ما يكون بعد سنين قليلة من اعتزال الحكيم سموس التى صارت أخط من أن تكون وطناً له ، ذلك بأن أورطيس الذى رسمه قيروش مرزبانا على سرديس حاول أن يوسع سلطان الفرس ويدخل الجزائر تحتها ، فعزم على أن يوقع بالطاغية الذى اتى سموس الواقعة أمام حكومته قوة ومنعه ، فأرسل الى بوليقراطس سرا رسولا يخبره عنه بأنه مههد شخصيا بغضب قمبيز البالغ حد الصرع ، وأنه يريد أن يودع ماله مكانا آمينا ويرجو السيد أن يقبل ايداعها عنده ، ولكيلا يتظن فى قوله طلب اليه أن يرسل ثقة له ليريه خزائنه المملوءة بالذهب المضروب على شريطة أن يبقى نصف المال للمرزبان والنصف الثانى يكون لبوليقراطس ينفقه على مشروعاته الواسعة المدى الى حد فتح اغريقيا كلها .

لم يطق شره بوليقراطس صبيرا ، فأرسل أمين اسراره مندريوس الى « سرديس ليحقق خبر كنوز أورطيس الذى خدع الرسول وأراه صناديق مملوءة حجرا مغطاة سطوحها بالذهب ، فرجع الرسول الى سيده وقرر له مارأى ، ففرح بوليقراطس وعول على أن يذهب بنفسه لاحضار الذهب ، وعثا حاول أصحابه وعائلته منعه ، حتى لقد كان منه أن هرب ابنته بالآ يزوجها الا بعد زمن طويل حين تشبثت بمنعه وقت ركوبه الفلك . ومضى وفى صحبته عرافه المدعو هيلى الذى لم يصل علمه الى كشف هذه الاحبولة . فلما وصل الى حيث ينتظره أورطيس أمر الغادر بالقبض عليه وصلبه . ومع ان هيرودوت لم يكن به مظنة ضعف للطغاة فإنه رأى لحال بوليقراطس الذى كان من العبقرية والسؤدد بحيث لا يستحق هذه الميثة الشنعاء . وكان فى معية بوليقراطس فى هذه السفرة المشئومة ، غير ذلك العراف المغفل ، ديموكيد الطيب الشهير من قروطون الذى وقع هو ايضا بهذه الاحبولة فى الرق ، ثم دعى بعد ذلك بقليل الى بلاط دارا ليعالجه من التواء مفصل أصابه ، وذلك حين أمر دارا مهلك المجوس بقتل أورطيس لارتكابه فظائع لامصلحة فى ارتكابها (٢) .

(١) ديوجين اللايرى . حياة فيثاغورث ف ٦ ك ٨ ب ١ . وان الرسائل بين انكسيمين وفيثاغورث ربما لا تكون منتحلة . ديوجين اللايرى فيما كتبه عن حياة ديتكم الفيلسوفين (٢) السنة ٢٣٠ من تأسيس روما أو ٥٢٣ قبل الميلاد على رأى بلاين ك ٣٣ ب ٦ ص ٤٠٣ طبعة ليتري .

لما خلت سموس من بوليقراطس لم تستأخر عن الوقوع في قبضة الفرس ، لان الطاغية لما ذهب الى حيث لقي حتفه كان قد خلف على الجزيرة اخاه مندريوس الذى هو اقل كفاية من أن يلى الحكم ، وجاءت جنود أوطانيس المزمين الجديد تحت قيادة سيلوسون أخى بوليقراطس الذى نال حظوة عند دارا بسبب أنه عرفه فى مصر حيث منقاه ، فهرب مندريوس وترك الجزيرة ، فتولى أخوه شاريلوس قيادة الحامية ، وبعد مقاومة عنيفة سقطت الجزيرة فى أيدي الفاتحين ، ودخلها سيلوسون فوجدها خلوا من سكانها .

ولما انتصر دارا على بابل بفضل اخلاص زوبير وجه قواه الى محاربة السيتيين ، فصنع له مندروكليس المهندس السموسى القنطرة المشهورة التى عبر عليها جيشه بغاز البسفور ، وهى قنطرة من المراكب لم يكن طولها اقل من أربع غلوات أى نحو ٨٠٠ متر . ولا بد أن يكون اتخاذ مثل هذه القنطرة من أصعب ما يكون وكانت واقعة على رأى هيرودوت ، بين بيزنطة وبين معبد قائم على مصب البسفور . ولكي يخلد هذا الملك العظيم ذكرى هذا العمل أغدق على المهندس السموسى نعمة ، وأقام عمودين على جانبي الشاطئ كتب عليهما باللغتين اليونانية والآشورية . وقد رسم مندروكليس فى معبد جونو لوحة تمثل القنطرة وجيوش الفرس تعبر فوقها تحت نظر دارا جالسا على عرشه . وقد شفع دارا جيشه البرى بأسطول عظيم يقوده اليونان والايوليون وفريق من اهل هلسبون وأمر الاسطول أن يدخل البحر الاسود ، ثم يدخل مجرى الدانوب ونهر الاستر . ويقيم قنطرة على النهر فى محل تفرعه الاول الى عدة فروع . واتجه دارا بجنوده فى البر من تراقيا الى تلك النقطة ، وكانت عدة جنوده البرية سبعمائة ألف مقاتل وعدة سفن أسطوله ستمائة سفينة . وكانت هذه الجيوش البرية والبحرية مؤلفة من جميع الامم التى تشملها مملكة الفرس المترامية الاطراف من شواطئ آسيا الصغرى الى الهندوس .

وتقدم الملك العظيم ، على بعد الشقة وصعوبة المسالك ، نى طريقه بين تلك الامم الجافلة التى كانت تولى الادبار أمامه وتستدرجه شيئا فشيئا الى مفازاتها الواسعة وتلك المهامة التى لا تجاز ، كما وقع فى أيامنا هذه لغات آخر ليس أكثر منه بصرا بالعواقب ولا أقل منه نحسا فى الطالع . وقد عنى دارا فى انتصاراته الموهومة بأن يقيم فى طريقه أعلاما وأعمدة نقش عليها بأعبارات الفخمة : « اخضاع الجيتيين » . وكان يبني آثارا سهلة البناء ، فانه أمر بأن يلقى كل جندي من جيشه العرمم وهو سائر حجرا فى مكان معين ، فيجتمع من هذه الحجارة

أكمة عظيمة يخيل أبها هرم • ولقد وجد جيش دارا حتى في هذه  
المجاهل بعض آثار النفوذ الاغريقى ، فان أولئك الرجل الذين كانوا  
يعبدون « ذالمكسيس » الذى كان ، كما يقال ، عبدا لفيثاغورث بن  
منيزارخس فى سموس ، والذى بعد أن صار حرا وغنيا عاد الى موطنه  
بشتات من المدنية الهلينية اذ نقل اليهم شيئا من عقائد سيده العالم •  
غير أن هيرودوت لم يقبل هذه الرواية وردها بأن «المكسيس أوغيبيليزيس»  
كان أقدم من فيثاغورث بكثير ، وأن فيثاغورث أعجب بحكمته العالية (١)  
ولكن تلك الرواية المشهورة مهما كانت كاذبة تدل على الأقل على ما لاسم  
الفيلسوف من الاحترام منذ تلك الازمان ، فاليه تنسب الثقافة الاخلاقية  
والاصلاح الموفق الذى وان لم يتم كان سببا فى التثذيب من حال أصل  
تراقيا المتوحشين •

على أن دارا لما وصل الى المحل المعين على نهر الدانوب ، وجد  
اليونان نفذوا أمره باقامة قنطرة المراكب ، كما أقاموا قنطرة البسفور •  
ولما عبر الجنود النهر أراد دارا رفع القنطرة حتى يتبعه الاغريق فى  
غزوته ، ولكن قويس رئيس المتألنة كان لحسن الحظ أسد رأيا من الملك  
فانه وصل الى اقتناعه ببقاء القنطرة لانها طريقه الوحيد عند التقهقر ،  
وعلى ذلك أمر دارا اليونان ان ينتظروه ستين يوما فان لم يعد فى هذه  
المدة هدموا القنطرة وسافروا •

حدث ما كان سهلا توقعه ، فان جيش دارا بعد أسفار نحو الشمال  
متعبة عديمة الفائدة اضطر الى أن يعود خاسرا تاركا مرضاه وجرحاه ،  
وكانت حاله حال ذلك الجيش العظيم سنة ١٨١٢ الذى كان فى تلك  
البلاد تقريبا يقاثل أولئك الاعداء أنفسهم الذين خدعوه الخديعة عينها •  
ولما انتصر السيتيون على دارا من غير حرب تقدموه الى قنطرة الدانوب ،  
وكان دارا سيلاقى مالا فى نابليون فى عبور نهريزير يزينا لولا أسانة  
الاغريق الذين وكل اليهم حراسة القنطرة ، فان السيتيين حرضوهم على  
كسرها قائلين : ان ميعاد الستين يوما قد مضى ، وانهم قد أوفوا بعهدهم •  
وقد نصح لهم ملتياد الاتيني الذى كان قائد أهل شرسنيز وهلسبون  
وطاغية عليهما والذى صار بعد ذلك فاتح مرطون ، أن يهدموا القنطرة  
وينسحبوا الى بلادهم وبذلك يهلك الجيش الفارسى ويسترد اليونان  
حريتهم ، وكانت نصيحته ستجد آذانا صاغية ، ويكون لها من الاثر  
مالم يكن لاغراء السيتيين ، لولا أن اجتمع رؤساء اليونان وقرروا بناء  
على رأى هستيا الملطى ان ينتظروا دارا ويخلصوه • وكان مع هستيا

(١) هيرودوت ك ٤ ب ٩٥

من رعوس اليونان سطرطيسم الشيوزى وأوسيزن انسموسى ولوداماس  
الفوكى . وكان أرسطاغوراس الكومى وحده رئيسا للابولين . ولم يكن  
الوفاء بالعهد هو الذى حمل أولئك الرؤساء على هذا القرار الغريب ، بل  
هى المصلحة الشخصية ، فان هستيا لم يصادف عناء فى اقناع زملائه  
الذين مصالحتهم كمصلحته بأنهم اذا فقدوا تأييد الفرس لهم لم يلبث واحد  
منهم سيذا على مدينته التى يحكمها ، بل أن الامة متى تخلصت من حكم الاجنبى  
تسارع الى حكم الديموقراطية ، وتحرم رؤساءها الحاليين كل سلطان عقابا  
لهم على قبولهم المزايا التى خصهم بها الملك الكبير . وقد رجح لدى  
الرؤساء هذا رأى وأمكن لدارا ، وقد اقتفى السيتيون أثره ، ان يفر  
منهم بعبور النهر .

ماذا كان عساه أن يقع لو أن اليونان كسروا اتقنطرة وهلك بذلك  
دارا وجنوده ؟ تكون داهية دهياء على مملكة الفرس من غير شك ، ولكن  
هذه الضربة مهما كانت خطورتها لا تكون هى القاضية ، لان هزائم مرطون  
وسلامين وبلاته لم تكن تتكفى لهذا الغرض . حقا ربما كانت يونيا  
تستطيع أن تتنفس من ضيق الحناق بعض الزمن وتسترد استقلالها ،  
ولكن اغارة جديدة أكثر حدة بالضرورة من سابقتها ترجعها الى الخضوع  
فلم يكن حان الوقت لسقوط الفرس الذين كانت أمتهم وقتئذ فى قوة  
الشباب وطور النمو الاول ، ولكن هذا لا ينفى الاجرام عن أنانية الرؤساء  
اليونان فانهم كانوا يستطيعون البقاء على عهد دارا بأسباب أشرف من  
الاسباب التى اتخذوها .

لما وصل دارا الى سستوس ركب البحر الى آسيا وخلفه مغبار على  
الجنود فى أوروبا ، وليفتح تراقيا ومقدونيا . وبعد قليل دعى مغبار  
الى صوص ، وكذلك هستيا الذى ظهر أن من عدم التبصر تركه وحده فى  
تراقيا ، حيث أقطعه دارا اقطاعات واسعة فى مرسينة جزاء له على خدمته

ولقد منيت بلاد اليونان بجهد جديد ومصائب جدد تتخمر فى باطنها  
فان هستيا لما ترك ملطية نزل عن السلطة الى أرسطاغوراس صهره وابن  
عمه ، فجاء الى هذا الاخير بعض المنفيين من نكسوس يستنجدونهم ،  
وأحس من نفسه قلة الحول فى أن يقوم بمشروع فتح نكسوس وحده ،  
فرجع فى الامر الى ارتافرن أخى دارا وبرز بانه على سرديس وجميع تلك  
الجهات التى هى أول مرزبانية فى المملكة ، فطمع ارتافرن فى الاستيلاء  
على نكسوس وما يليها من مدن السكلاد وحصل من دارا على الاذن  
بتسيير مائتى سفينة تحت تصرف أرسطاغوراس ، ولكن الشقاق قد  
دبت عقاربته بين الاحلاف فاستطاعت نكسوس أن تدافع عن نفسها وان

تصد هجمات محاصريها وتردهم بالخيبة بعد حصار أربعة أشهر ، وعلى ذلك لم يوفق أرسطاغوراس الى تحقيق شيء مما وعد به مرزبان سرديس فخاف من ذلك على سلطانه الخاص ، وعقد العزم على الا يكون نصف مذب فخلط ذنبه ، وأوقد نار ثورة صريحة دفعه اليها أيضا سلفه هستيا الذي كان لا يزال في صوص عند الملك الكبير ، ولكي يجذب قلوب اللطيين اليه نزل عن حكومة الطفيان ، ورتب بدلها حكومة الشعب ، ودعا المدائن اليونانية الاخرى الى العصيان ، فاستجابت لدعائه وطردت جميع الطغاة الذين نصبوا عليها تنصيباً .

ان ما آتاه أرسطاغوراس من الاقدام الكبير كان بعدا استفسارة اصحابه . فاما هيئات الملطي المؤرخ فكان رأيه الا يوقدوا نار الحرب في الحال وليس لديهم المال الضروري ، فلما لم يستطع الاقناع برأيه ألم فوجوب توجيه كل قواهم نحو البحر ، بفكرة أنهم فيه أقدر على الهجوم منهم في البر ، ولهذا الغاية نصح بأن يأخذوا جميع أموال كزيزوس التي جمعها في معبد البرنثيد ، ولكنهم أصموا أذانهم عن الاستماع لهذا الرأي السديد ، وأصرروا على الثورة على أي حال . وكان أرسطاغوراس يشعر تماما بضعف يونيا فذهب الى أسبرطة ليتخذها حليقة له .

ولقد عني أرسطاغوراس ليزيد كليومين ملك أسبرطة علما بحقيقة مشروعاته بأن يبين له في أثناء المفاوضات مواقع البلاد التي كانت موضع الحديث وهي ليديا وفريجة وقبادوس وفارس . . . الخ . بسببها له مرسومة على صحيفة من النحاس حملها معه ، وكان وقتئذ من أحدث ما يكون رسم خريطة جغرافية . ويظهر أن أنكسيمندروس هو صاحب هذا الاختراع البديع ، ولكن كليومين لم يفهم الا بسؤال واحد : « ماهي المسافة بين بحر يونيا وبين المحل الذي يقيم فيه الملك ؟ » فأجابه ببساطة : « مسير ثلاثة أشهر » وكان ينبغي لأرسطاغوراس أن يحسب وقع هذا الجواب في نفس رجل أسبرطي ، لان كليومين بعد أن سمع هذا الجواب أمر نزيه أن يبرح لقدمونيا قبل غروب الشمس ، ورفض مع الازدراء المال الذي حمله اليه ليحاول اغواؤه به . وكان ما قاله أرسطاغوراس عن المسافة حقيقة واقعية ، فان هيرودوت قد عدد بالضبط والعناية المائة والاحدى عشرة محطة الواقعة على الطريق الجميل الذي أنشاه دارا من سرديس الى صوص على نهر كواسب أو كراسو البعيد جدا من مدينة بابل نحو الشرق . فكان ١٣٥٠٠ غلوة أو ٤٥٠ برزنجيا والبرزنج هو في المتوسط ٣٠ غلوة أو بعبارة أخرى ٦٠٠ فرسخ ، فكان لابد للقيام بمشروع ضخم كهذا عبقرية اسكندر وثباتا عام حرب على مملكة الفرس

الضخمة ، ولم يكن لتكليمين من خلقه ولا من زمانه مايجرئه على معاناة  
امثال هذه المشروعات .

١٠ ففضل أرسطاغوراس فى أسبرطة قصد آتيننا لانها صارت  
نميننا فقسينا أقوى مما كانت عليه منذ قلبت طغيان البيزستراتيين ،  
واخذت ترسل السفراء الى ارتاقرن مرزبان سرديس حتى لايصغى الى  
مزاعم هيبياس الذى التجأ اليه . ولما لم ينجح أرسطاغوراس فى استمالة  
كليومين ، ونجح فى استمالة سكان آتيننا ، وعدتهم ثلاثون أنغا - كما  
ذكره هيرودوت بعبارة ملؤها التهكم ، اذ ذكرهم بأن ملطية كانت  
مستعمرة لاجدادهم - فتقرر أن يرسلوا الى يونيا عشرين سفينة النصرتها .  
وكان ذلك - كما رواه أيضا هيرودوت ، بداية الحرب التى فيها لبست  
الجمهورية حلل الفخر بتخايص الاغريق والتى فيها لاقت دولة الفرس  
هزائم قاسية كانت طلائع لحرابها العاجل . وقد حمل أرسطاغوراس  
البيون أيضا على الثورة . وهم أولئك الذين أخرجوا من ضفاف استريمون  
الى فريجة بأمر دارا ، وهزبوا منها الى شيوز وسافروا من شيوز  
الى لسبوس ومنها الى دوريسكوس ومنها عادوا الى بلدهم الاصلى .

لما وصلت السفن العشرية الى ايفيزوس وانضم اليها خمس سفن  
اخرى من اريتريا لاخوا اخوة ارسطاغوراس يقودون جنود ملطية لان  
اخاهم افام بالمدينة ينشر بنفسه حركة التعبئة وقد ترك الجيش البرى  
الاسطول فى مياه ايفيزوس وتقدم هو على ساحل « قايستر » يجرس  
خلال طبولوس حتى وصل الى سرديس ، فأخذها من غير حرب تذكر  
وحرقتها بغاية السهولة ، لان سطوح منازلها مغطاة بالقصب اليابس .  
ولم يتمكن ارتاقرن الا من الاستعصام هو وجنوده بالقلعة . وقد انزعج  
الفرس والميديون لما رأوا المدينة غنية النار ، ولكنهم استجدهم  
شجاعتهم وخرجوا الى المحاربين ونبتوا

أمامهم حتى اضطروهم الى التقهقر نحو الشاطئ ، ونهض الفرس المرابطون  
على الهالوس الى المعركة فلم يجدوا اليونان فى سرديس فاقتفوا آثارهم الى  
ايفيزوس حيث نالوا منهم نيلا فى واقعة كبرى .

ولقد أخذ اليأس من الاتيينيين كل مأخذ من جراء هذه الهزيمة  
فانسحبوا على رغم رجاء أرسطاغوراس والحاحه ، ولكنه هو لم ييأس ، بل  
اعتمد على جنوده الخاصة وعلى مساعدة مدن هلسبون وقاريا وجزيرة  
قيرص العظيمة واذ ذاك كان أونيزيلوس طاغية سلامين منتقضا على  
الفرس .

لما علم دارا بما آتاه الاتيينيون من المشاطرة فى احراق سرديس أقسم

أن ينتقم منهم ويجزيهم على هذه الاساءة شر الجزاء ، وأرسل هستيا بديا ليعيد اليونان الى الطاعة بفضل دسائسه ، ولم تكن مع ذلك أحوال اليونان بخير . بل انه قبرص سلمت بعد مقاومة شديدة ، وقاريا التي كانت تأثرة ردت الى الطاعة وكلازومين سقطت فى قبضة أرتافرن وأوطانيس ، وكذلك سلمت كومة أوليد ، فلم يستطع ارسطاغوراس احتمال هذه الخيبة فأنزوى فى مرسين ببلد حميه هستيا . وكان هيكاط الملطى يرى ان الاوفق لهمم الالتجاء الى جزيرة ليروس حيث يمكنهم البقاء حتى يعودوا الى ماطية فى الوقت المناسب . ولما سافر ارسطاغوراس الى تراقيا قتل امام قلعة وهلك جيسه .

ولم يكن حظ هستيا بأحسن حالا من ذلك فان ارتافرن تظنن فى أمره ، واطلع على دسائسه ففر بعد عناء من سرديس الى جزيرة شيوز فانتبدوه بفكرة انه صنيعه الفرس ، ولكنه بعد ذلك كسب جاذبيتهم بأن أظهرهم على ما فعل لاقامة ثورة اليونان فحملوه الى ملطية حيث قابله أهلها بفتور ، لانهم بعد أن نالوا حريتهم كانوا يخشون ان يعيد اليهم أيام طغيانه ، ولذا نفى من وطنه حصل من أهل لسيبوس على بعض السفن يطوف بها جهة بيزنطة ينهب أموال الذين لا يريدون ان ينضموا اليه .

أخذت العاصفة التي أثارها ثورة ارسطاغوراس تهمى على رأس يونيا القام تنقهق امام هذا اخطار المزعج . انعقد البانيونيون وقررا الحرب ، ولم تكن هناك فكرة فى حرب برية فام يؤلف

جيش ماعولت ملطية على أن تتفرد بحماية أسوارها التي يهددها العدو ولكنهم رتبوا أسطولا عظيما تجتمع سفنه فى لادى وهى جزيرة صغيرة قبالة ملطية ، فاجتمعت اليه السفن من كل ناحية حتى ان الايولين ارساوا سبعين سفينة فكان الملطيون ومعهم ثمانون سفينة فى الجناح الايمن جهة الشرق ، وكان مع البريين اثنتا عشرة سفينة ، ومع الميونتين ثلاثة ، ومع أهل طية سبع عشرة ، ومع الشسيوزيين مائة سفينة ، ومع الاريتريين ثمانا ، والفوكيين ثلاث فقط كالميونتين ، وكان مع أهل سموس فى آخر الجناح الايسر الى جهة الغرب سبعون سفينة ، فكان هذا الاسطول الكبير العدد فى طاقته ان يقاوم حلفاء الفرس الذين هم الفينيقيون والقبارصة والصقليون والمصريون ، ولكن تسلل الشقاق بين اليونان ، وحقد بعضهم على بعض حتى يوم الواقعة فلم يتناصروا كما ينبغي . وكان السموسيون واللسبوسيون أول من فر من حومة القتال . ويكاد الشسيوزيون ان يكونوا وحدهم هم الذين صلوا سعيير الحرب وقاموا بواجبهم ولكنهم كانوا أضعف من الا يهزموا . وختمت الحرب بهزيمة تامة . وكان دينيس رئيس الفوكيين بطلا مغوارا ، وكانت

عزيمته بحيث يضمن الظفر لو أطاعوا أمره ، فلما انهزم لم يجد مناصا  
من الهرب على شواطئ فينيقيا ، ومن هناك الى صقلية حيث يشن الغارة  
على القرطاجين والطرهينين .

بعنا هزيمة لادى حوصرت ملطية برا وبحرا فأحسن الدفاع عن  
نفسها ، ولكنها أخذت عنوة بعد حصار مهلك ، قذبت رجالها وسبيت  
نساؤها وأطفالها ، وسبق بهم أرقاء بأمر دارا الى مصب نهر دجلة ،  
واحتل الفرس المدينة والسهل الذى يحيط بها وأعطوا بقية ما كان  
يتبعها من الارض الى بيدازى قاريا . أما آتينا التى تخاذلت عن ملطية  
وتركتها ، فانها ألت لمصائبها التى هى نذير بمصائب أدهى وأمر . ولقد  
صاغ هذه الواقعة المحزنة الشاعر المأسائى فرينشوس فى رواية تمثيلية  
أبكت جميع شهود تمثيلها ، فحكم على الشاعر بتغريمه ألف درهم ومنعت  
الرواية منأ باتا .

ثم قصد الفرس جزيرة سموس فلما رأهم أهلها ومعهم اقيس  
ابن سيلوزون طاغيتهم القديم الذى كان نفاه أرسطاغوراس تفرسوا  
ماسينزل بهم القدر فاستحبوا الرحيل من أوطانهم على أن يحتلموا ظلمه  
مرة أخرى ، فهاجروا من جزيرتهم الى قلقة حيث كان يدعوهم الى صقلية  
اهل زنكل . وكان السموسيون هم وحدهم اليونانيون الذين هاجروا  
هذه المرة هم والمطيون الذين استطاعوا أن يفروا من المذبحة . ودخل  
اقيس سموس تحت حماية الفرس الذين استثنوا معابد هذه المدينة  
وحدها من الاحراق اعتدادا بجميل السموسيين الذين تخاذلوا عن  
أخوانهم يوم لادى .

وقد حاول هستيا أن يقاوم من جديده بعد أن انضم اليه بعض  
اليونان والايوليين ، ولكنه قبض عليه قرب أطرنة في ميزيا وسبق الى  
ارتافرن فى سرديس فقتله صلبا واسل رأسه مصبرة بالملح الى دارا فى  
صوص .

ولما قضى الاسطول الفارسى فصل الشتاء فى ملطية فتح جميع الجزر  
شيزو ولسبوس وتندوس . . . الخ فى حين أن الجيش البرى يستكمل  
فتح جميع المدائن الاغريقية .

ولما كان لانتصار الفرس نتائج فظيعة ، كما أنذر الفرس بذلك  
قبله بست سنين حين بدأت ثورة أرسطاغوراس ، فانهم كانوا يذبحون  
الرجال ويخصون أجمل الفتيان ويرسلون أجمل الفتيات الى صوص ،



ويحرفون المذائن وما فيها من المعابد لينتقموا لحرق معبد سيبييل الهيسة  
 سرديس . وفي اثناء ذلك كان ارتافرون عامل اخيه دارا يدخل في اصلاح  
 الشقاق بين اليونانيين ، وكان يضرب عليهم الجزية التي بقي مقدارها  
 ثابتا لم يتغير الى زمن هيرودوت اى بعد ستين سنة ، ثم اخذ مردنيوس  
 صهر دارا قيادة جيش جرار في البر والبحر وسار به في يونيا يقيم  
 حكومة شعبية متجها الى أوروبا ليعاقب آتينا واريتريا على مساعدتهما  
 في عصيان مستعمرات آسيا الصغرى . فأما اريتريا فقد أسلمها بعض  
 الخونة فقهرها داتيس ، وحرقت معابدها وصفد رجالها في الاغلال يساق  
 بهم أرقاء الى صوص . وأما آتينا التي هدها الخطر بعد اريتريا بأيام  
 فنها اقتحمت الحرب وحدها هي والبلاتيون اقتحام الإبطال ، وصدت  
 الغازين في مرطون . وعلى ذكر مرطون امسك عن القول لانى لا اقصد  
 روايه عجائب الشجاعة والوطنية . وماذا أنا قائل في الوطنية ! آتينا  
 التي سيكون من امرها ان تنير العالم بكائها قد خلصته وقتلته بعزيمتها  
 التي لا تنزعزع ، فاذا كان قدر للفرس أن ينتصروا ماكان عسى أن تصير  
 اليه المدنية الغربية ؟ وماذا يكون مصير أوروبا ؟ الله وحده يعلم ذلك  
 ولكن آتينا تستحق اعترافا أبديا بجميلها . وقد صيرت مرطون بلوغ  
 الطرموفيل وأرتيميزيوم وسلامين وبلاته وميكال تجاه سموس من  
 المحنات . وكان أول شرط لقهر المتوحشين هو عدم الخوف منهم ، ذلك  
 هو السنة الحسنة التي استنتتها يونيا والتي اخذت بها آتينا في هذا الظرف  
 أمام خطر مزعج . لقد افتدتنا مدينه مينرفا (آتينا) من الاستعباد  
 الاسيوى منذ اثنين وعشرين قرنا . نحن الذين نعرف اليوم آسيا  
 بعلاقة أننا نمدها نستطيع ان نرى أكثر من اغريق ملثياد وطستوكل  
 من أية هاوية انتشلونا . ونستطيع أن نحلف كما فعل ديمستين باسماء  
 الإبطال شهداء مرطون .

في كتاب هيرودوت ينبغي أن تقرأ هذه الحكاية الخطيرة على بساطة  
 في سردها كتبها بعد الواقعه بأقل من ثلاثين سنة ، وأنه ليخاطب في  
 أولبيا رجلا اخذوا بخطر من ذلك الانتصار ومن الحوادث التي كان يمكن  
 أن يكون هو لها شاهد عيان . فلا أريد أن أكرر ما حدث به ذلك المؤرخ  
 الشريف من سيرة المجء ، ولكن لي بعض كلمات على يونيا لأمشى بالحوادث  
 الى العهد الذي كان فيه ميليسوس آخر من علم من فلاسفتنا في سموس  
 مداهب مدرسة ايلي .

لما قهر اليونان اضطروا الى ان يخدموا سادتهم ويتبعوهم في  
 حروبهم ضد اغريقا ، ففي سلامين كان من سموس انسان من قواد

الاسطول الفارسي ، طيومستور بن اندروداماس وفيلاقس بن هستيسا وقد ابلوا بلاء حسناً ضد سفن لقدمونيا حين كان الفينيقيون. يحاربون سفن آتينا ، ولكنه مهما كان لاغريق آسيا الصغرى من العمل في تأليف جزء عظيم من أسطول دارا واكراركييس ، فانهم لم يكونوا الايتريصوا الفرصة المناسبة للعصيان . بعد هزيمة سلامين جاء اسطول الفرس يقضى الشتاء في كومة وفي سموس بعد ان وصلت الملك المغلوب ومعينه . فلما جاءت السنة التالية حضر الاسطول الاغريقي تحت قيادة ليوتيخيديس ملك أسبرطة يبحث عن أسطول الفرس في مياه آسيا الصغرى أظهرت له جميع مدائن الشاطئ والجزر استعدادها لمظاهرة والعصيان على الفرس ، وعلى الاخص جزيرة سموس ، فانها كانت تلهب شوقا الى خلع طيومستور الذي رماهم به المتوحشون طاغية عليهم . فارسلت لهذا الغرض رسلا الى ليوتيخيديس سواء في أسبرطة أو ديلوس ، ليؤكدوا له استعدادها . وربما كانت هذه المخابرات هي التي قوت رئيس الاغريق على الحضور لمهاجمة الفرس في موضعهم ، ولكن المتحشين منذ الدرس القاسي الذي تلقوه في سلامين لم يكونوا ليجروا على اقتحام حرب بحرية . وقد اذنوا للاسطول الفينيقي أن ينسحب ، ولم يكذب يبق معهم الا يونان واغريق من الشاطئ . فغيروا مركزهم من سموس الى ميكال حيث جروا سفنهم الى البر واحاطوها بسور يصح أن يكون خط دفاع، والى جانبها جيش مؤلف من ستين ألف مقاتل تحت قيادة تجران الذي عهد اليه اكراركييس في المحافظة على يونيا . وكان الفرس يظنون انهم من موضعهم هذا في حصن حصين . ولزيادة الحيلة قد نزعوا السلاح من اهل سموس الذين كانوا يهتمونهم بأن لهم ضلعا مع ليوتيخيديس والذين كان منهم أن اقتدوا بآلهم أسرى آتينا وردوهم الى وطنهم ، وفوق ذلك فقد كلف الفرس الملقين بحماية الطرق المؤدية الى قمم ميكال ، وعلى ذلك لم يكن لديهم ادنى ريب في أن يصعدوا من حصنهم كل هجمة عليهم من العدو ، ولكنهم مع ذلك قد اهلكهم الاتينيون والقورنتيون بغزى شجاعتهم وبانتقاض أهل سموس وأهل ملطية ، فدمر جيشهم تدميرا ، وقتل قذره تجران وحرق أسطولهم ورجع الاغريق ظافرين من هذه الواقعة مشعين بالغنائم .

كانت يونيا قد تخلصت من حكم الاجنبي بعد واقعة ميكال ، ولكن هل تستطيع أن تقوم قائمتها بنفسها وترفع عنها حمق المتوحشين متى تركت الى قواها وحدها ؟ . كان من المشكوك فيه أن لها طاقة على المقاومة، فأتجسع الأفراد في سموس وتداولوا فيما اذا كان الواجب على اليونان أن

يهجروا نهائيا سواحل آسيا الصغرى ويلتجئوا الى قسم من اغريقا يعين لهم ، فعارض الاتينيون جد المعارضة في هذا القرار مع أنه كان من الميسور تعويض اليونانيين على حساب الخونة الذين كانوا قد تخاذلوا عن الدفاع في القضية العامة عند الغارة الميدية . وأما البلوبونزيون فانهم انضموا الى هذا الرأي من غير مشقة ، ووقف الامر عند عقد معاهدة معاهدة مع السموسيين والشيزيين والسموسيين وجميع الذين شاطروا في الظفر . وقد كان الجيش الفارسي قد التجأ الى سرديس حيث كان اكراركسيس باقيا منذ رجوعه المخجل تم تركها توا الى صوص ليستر عاره ويكظم غيظه . ولما أصبح الاسطول الاغريقي سييدا على بحر ايجه كانه لا يهاب فيه عدوا رجع الى جهة بيلوبونيزسائرا على امتداد كل الشواطىء حاملا من ابيدوس بعض بقايا قنطرة اكراركسيس المشهورة لجعلها في المعابد تذكارا لذلك الانتصار .

لما أمنت يونيا شر غارات الفرس أخذت تعمر ما تخرب ووضعت نفسها تحت حماية آتينا التي تربطها بها تذكارات الماضي ومنافع الحال وضعا تاما بقدر الامكان . وبهذه المثابة تحزبت يونيا مع آتينا ضد اسبرطة التي كان ملكها ليوتيخيدس وبوزانياس موضعا للتظنن فيمسا يتعلق بعلافتها مع المتوحشين . لقد كانت آتينا قوية جدا في البحر بحيث تستطيع أن تقدم ليونيا مساعدة عاجلة مفيدة في حين أن اسبرطة لا تستطيع أن تقدم هذه المساعدة ولو أرادت . من أجل ذلك أخذ اليونان يحظ عظيم في اتحاد ديلوس وشاطروا بمقدار وافر في النفقات العامة التي انفقها الحلفاء المتحصن من هجوم المتوحشين كرة خرى ، وكان ذلك على أثر حوادث بلاتة وميكال اى فى نشوة الاستقلال المستردبحموجة الثقة المتبادلة ( نحو سنة ٤٧٧ قبل الميلاد ) .

ولكن آتينا كان من شأنها أن جاوزت في استعمال السلطان الذي أوتيته عفوا فجرت على نفسها الغيرة والأحقاد التي سببت بعد ذلك حرب بيلوبونيز في وقت كان عدوهم المشترك لا يزال فيه بقية . وأخذ ساطان آتينا ، كما نبه اليه ارسطو ، ينقل على نفوس حلفائها الذين هم مساوون لها لا رعاياها ، وبخاصة أهل نكسوس وطاشوز الذين عوملوا معاملة قاسية ظالمة ( ٤٦٧-٤٦٥ ) ولم يكونوا ليستسلموا الى غطرسة الاتيين في أوامرهم . غير أن الاسطول الاتيني وهو دؤلف من مائتى سراع كان يمحى دائما على شواطىء آسيا عزيز الجانب مهيبا من الاسطول القيني الفارسي الذي هرب أمامه حتى بلغ مياه النيل . كانت تلك خدمة حيوية

أيونيا . من أجل ذلك كانت يونيا من جانبها تتسامح في كثير من الامتهان الذي كانت تجنيه عليها حليفاتها القوية في مقابل هذه الحماية المستمرة التي تنالها . والظاهر أن اعترافها بجميلها كان إلى انفاية القصدوى حين رأت أن استقلالها مضمون بمعاهدة استكرهت آتينا على عقدها الملك الكبير بعد عدة انتصارات داوت الهزيمة التي وقعت في مصر (٤٥٥ قبل الميلاد) . وهذه المعاهدة التي يرجع الفضل في نصوصها إلى دهاء سيمون وأعماله في قبرص ، كانت تنص على أن فارس تترك شواطئ آسيد الصغرى التي يقطنها الاغريق حرة تمام الحرية فلا تضع عليهم جزية ولا تدنو بجندودها إلى خط على مسافة معلومة من الشاطئ ، وفي مقابل ذلك يتعهد الآتينيون وحلفائهم ألا يغزوا بعد الآن قبرص ولا صقلية ولا فينيقيا ولا مصر . وقد أرسل الاغريق سفراء إلى صوص حيث صدق على المعاهدة وكان فلياس هو الممثل لآتينا ( نحو ٤٤٩ قبل الميلاد ) (١) .

صارت جمهورية آتينا وقتئذ في أوج قوتها ، فانها كانت على رأس اتحاد بحرى تكاد تتصرف فيه على هواها ، مؤيدة بطائفة من الاحلاف في الفارة ، سيدة على مستعمرات عديدة على جميع سواحل بحر ايجه وعلى الهلسبون وبحار الاغريق ، يضطلع بأعبائها رجل مثل بيريكليس . فهي لذلك كانت تتطلع إلى بسط سلطانها المطلق على جميع الجنس الاغريقى . وهذا الطمع هو الذي أعماها وذهب بها . من بين حلفائها كانت سموس وهي أشدهم بطشا وكانت تحتفظ هذه الجزيرة الكبيرة تلقاء آتينا بنوع من المساواة في المعاملة قد لا يأتلف وما تضمه الجمهورية من مشروعات بسط سلطانها ، فحدث شجار قليل الخطورة بين سموس وبين ملطية بشأن أرض بريين الصغيرة جر إلى المداخلة الآتينية فان الجمهورية قسدت دعت الفريقين إلى التقاضى أمامها . وكانت سموس تخشى تحيز بيريكليس لملطية التي هي وطن أسباسبيا فرفضت قبول هذا التحكيم المريب فأرسلت آتينا لقورها أربعين سفينة لأرغام سموس على الطاعة ، فقبلت حكومتهم من الأوليجارشية إلى الديموقراطية ، وأخذ خمسون من اعيان الاهلى وعدد مثله من أبناء العائلة الرفيعة رهائن وضعوا في جزيرة المنوس وبقيّة حامية في سموس لتحقيق نظام الحكومة الجديدة ( نحو ٤٣٩ قبل الميلاد ) .

كان هذا التصرف من جانب آتينا فظيلا فقبول بمثله لأن منفي

(١) الح ج جروت الحاحا شديدا في بيان الاهمية الكبرى لهذه المعاهدة . ( تاريخ الاغريق

ج ٥ ص ٤٠١ وما بعده ) .

نعموس ذهبوا الى بيسوتنيس مرزبان سرديس يستنجذونه فأمدهم ببعض مقاتلين فقصصوا سموس وعدتهم سبعمائة رجل ، وانقضوا على حرس الجزيرة الاتيني بياتا واسلموهم الى بيسوتنيس . وفى الوقت عينه كرة رابحة مثل الاولى على جزيرة لمنوس ردت اليهم رهائنهم ، وفوق ذلك تحالفوا مع بيزنطة التى تكاد تكون مثلهم فى التبرم بحكومة آتينا ، وكان ذلك مفيدا لهم . كل هذا انما هو خطر جدى يتهدد الجمهورية ، فلو احتملت عصيان سموس نذهب ذلك برئاستها وبسلطانها الذى كانت تؤيده هدة الثلاثين عاما التى عقدت قبل ذلك ببعض سنين مع اسبرطة عدوها الوحيد المريب ، لذلك عقدت آتينا العزيمة على التكنيل بسموس تنكيلا يمنع سواها من أن يهزم بتقليدها . ستون سفينة أرسلت سراعا الى الثائرين انفصل منها ست عشرة اما لمراقبة الاسطول الفينيقي على شطوط آسيا ، لأن بيسوتنيس لا يفوته أن يضعه تحت تصرف الثائرين، واما لياتى بالثمد من جزيرتى شيوز ولسبوس المدن بقيتا تحت الطاعة، ولكن من الجائز عليهما أن تلقيا ظهر المجن . وبقي الاربع والاربعون سفينة امام سموس تحت قيادة بيريكليس احد القواد العشرة السنويين الذين من بينهم سوفكل الشاعر الذى نشر « انتيجون » السنة الماضية . ومع أن السموسيين كانوا يتوقعون هذا الهجوم ، فانهم كانوا ذهبوا لمحاصرة ملطية ، وكانوا عائدين اذ التقوا مع بيريكليس بالقرب من جزيرة تراجيا ، ومع أنه كان لديهم سبعون سفينة من بينها عشرون تحمل رجال حرب فان بيريكليس لم يتأخر عن منازلتهم وانتصر عليهم ، وعوضت خسارة سفنه بالمدد الذى جاءه وقدره اربعون سفينة جاءت من آتينا وخمسين وعشرون من لسبوس وشيوز اللتين قدمتاها باخلاص .

وقد تلت الواقعة البحرية واقعة برية ، اذ نزل الاتينيون الى الارض ، وانتصروا على الثائرين وأسرعوا فى اقامة أسوار عالية تحصر المدينة من ثلاث جهات فى حين انها مضيق عليها من جهة البحر أيضا تضيق . وفى هذا المركز ثثنى للسموسيين أن يرسلوا خمس سفن تحت أمرة استيزاغوراس يستعجل الاسطول الفينيقي الذى كانوا أحوج ما يكونون اليه . وليتدارك بيريكليس خطر تجمع هذا الاسطول اسرع بستين سفينة مما معه امام سموس متجهسا الى قونوس فى قاربا حيث كانت هى موطن الاجتماع كما كان يقال . فلما بعد بيريكليس خرج السموسيون مستققلين ، ولم يكن خط دفاع الاتينيين قد تم بعد فانهمزموا وخربت بعض سفنهم ودارت عليهم الدائرة فى البر والبحر ، ولكن نجح السموسيين لم يكن ليلبث مدة فان بيريكليس لما رجع بمد غيبة اربعة عشر يوما غير مجرى الحال ، ولكن فى تلك المسدة كانت المدينة قد

استطاعت أن تدخر الزاد وفيرا واستعدت لمقاومة حصار جسدريد . عاد الحصار كما كان وقوى الحصار البحري بستين سفينة جاءت من آتينا وثلاثين من لسبوس وشيوز فكادت تكون عدة مجموع السفن مائتى شرع تحيط بسبوس .

فى هذه الحادثة نال ميليسوس القدر المعلى فى الوطنية وسعد الطالع ، اذ كان على رأس الاسطول والجيش فانتهاز غيبة بيريكليس وحرك حمية مواطنيه بغاية الاقدام وكسب الظفر الذى تكلمنا عنه آنفا . ويظهر على قول بلوتارخس فى ترجمة بيريكليس مستندا الى أرسطو : ان ميليسوس هزم بيريكليس نفسه فى واقعة بحرية أولى ، غير أن طوكوديدس الذى شهد هذه الوقائع لم يقل شيئا من ذلك فتكون هذه الرواية محلا للشك . ومع ذلك فان النجاح الاول لميليسوس لم يكن من شأنه ان يخلص وطنه ، فان بيريكليس لما جاءه نبا هزيمة جيشه عجل الى سموس فخرج ميليسوس للقاءه ، ولكنه انهزم فى حرب برية ، ويمكن أن يكون هزم أيضا فى واقعة بحرية . وقد استمر الحصار على أضيق مما كان . وبقيت سموس وفيها ميليسوس تقاوم تسعة أشهر ، لان بيريكليس كان أحب اليه أن يأخذها بالاناء حتى مع انفاق المال والزمان من أن يسفك الدماء الاتينية . فلما جاء السموسيون على آخر زادهم سلموا ودك بيريكليس اسوارهم وأخذ سيفنهم واضطربهم الى دفع نفقات الحرب التى قدرت كما قيل بالف طالنطن ، أى خمسة ملايين من الفرنكات نى زمننا ، فدفعت سموس على الفور جزءا من هذا المبلغ الطائل وقتئذ ، وتعهدت بدفع الباقي مؤمنا عليه برهائن قدموها . ويقال ان بيريكليس أبدى فى هذا الطرف ما تقشعر له الابدان من الفظاعة فى معاملة بعض الاسرى الذين ماتوا تحت العصا بعد تعذيب عشرة أيام ، ولكن الذى روى هذه الفظائع مؤرخ متأخر من سموس وهو دوريس فى عهد بطليموس فيلادلفوس . ولا شك فى أن روايته تشفى عن الحق الوطنى ، فان بلوتارخس زيف هذه الرواية التى لم يجد لها أصلا فى طوكوديدس ولا فى أرسطو ولا فى ايفورس وهسم الذين استرشد بمؤلفاتهم فى ترجمة بيريكليس .

يظهر ان آتينا كانت تعلق أكبر أهمية بقمع ثورة سموس ، لان منلها من شأنه أن يحتذى . فاذا قلد سموس غيرها تداعت مشاريع الجمهورية الاتينية رأسا على عقب . من أجل ذلك قوبل هذا الظاهر فى آتينا عند عودته اليها بأجل مظاهر النحس ، وأقيمت حفلات الماتم الفاخرة لشهداء هذه التجريدة ووكلت المحكمة المقدسة أمر تأبينهم الى بيريكليس . ليس لدينا نص هذا التأبين ، ولكننا يمكن أن نأخذ عنه فكرة من التأبين الذى نقله لنا طوكوديدس من حيث المعانى على الأقل .

ذلك التابن الذي تُفيم لشهداء حرب البيلوبونيز ، فان بين الحربين علاقة مشابهة . لان كلتيهما فتنة داخلية تمزق وحدة الاغريق . وقصد قوبل مدح شهداء حرب سموس بغاية الحفاوة ، فان بيريكليس لمسا نزل عن منصبه الخطابة قامت اليه النساء جميعهن متأثرات بالاعتراف بفضله يعانقنه ويتوجنه بالازهار والعصائب ، كما كان يصنع بالمصارع المنصر في حفلة الالعب العمومية ، الا امرأة واحدة لم تشرك الجماعة في ذلك الاعجاب المجمع عليه ، تلك هي ايليبنس أخت سيمون الذي كان زمنا طويلا منافس بيريكليس وقبيلت عليه تقول نه : « حق انها أعمال مجسد حقيقة بهذه الاكاليل ! ولقد أضعنا رجالنا لا في حرب الفينيقين او الميديين ، كما فعل أخى سيمون ، ولكن في تخريب مدينة محالفة بدلى بأصلها الينا وجعل عاليها سافلها » .

لم يكن هذا الانتقاد الا مصداق الحقيقة ، ولكن الظافرين قد كانوا سكارى بخمرة الظفر . ولم يكن حظ سموس الا نذيرا بما غيبه الفساد لكثير من المدائن الاغريقية الاخرى في الحرب الكبرى التي كان يتوقعها بيريكليس . والظاهر انه هو أيضا كان متأثرا بنجاحه الى حد لا ياتلف مع اعتدال أخلاقه المعروف . فاذا صدقنا فيه الشعاع يون الشيوزي لحسينا بيريكليس يفخر بأنه فاق اعمامهون الشهير الذي قضى عشر سنين في فتح مدينة اجنبية ، مع انه لم يقض الا تسعة أشهر للاستيلاء على اكثر المدائن اليونانية مالا واعزها نفرا ، ولكن كلمة بيريكليس هذه انما نقلها صديق لسيمون خصمه فهمي بذلك بعيدة الاحتمال ، لان كلمة كهذه تخرج من فم رجل سياسة لا نعد الا غشما ، انها فخر شخصى سىء الذوق ومعاجزة في غير موضعها موجهة لالحلفاء ، ولكن مهما كان انتفاص هذا الشاعر له حقا و باطلا ، فانه كاف في الدلالة على ما عافته آتينا من الاهمية على هذه الحرب قصيرة العمر غزيرة السماء . وعلى رأى طوكوديدس الذي هو : « ورخ شاهد عيان » من السموسيين لو كانوا انتصروا في هذه الحرب لآخذوا من آتينا سيادة البحر ، فكانت هذه الحرب على ما هي محل للأسف حرب موت وحياة بالنسبة للجمهوريتين . فلما خضعت سموس رغم مقاومة ميليسوس العنيفة لم يبق لآتينا شىء تخشاه الا شر نفسها ، وذلك نوع من الخطر تلهو عن الشعور به المدائن كما تلهو عنه كبرياء الافراد .

لا اريد ان أبجوز بهذه الاعتبارات التاريخية الى ابعد من ذلك بل يظهر لى انها على ايجازها كافية لان تكشف بوضوح عن حالة الوسط الحقيقي الذي نشأت فيه الفلسفة والذي عاش فيه الاعيان الذين نشغل بأمرهم وعملوا أعمالهم . واني ملخص أبرز رسوم هذه اللوحة التي رسمتها لانعاش حياة تلك الازمان او بعض أجزائها على الأقل .

أجل ظهرت الفلسفة لأول مرة في آسيا الصغرى قبل الميلاد بستة أو سبعة قرون ، انبعاث المستعمرات الاغريقية التي خرجت من يونيا بيلوبونيز ، وهي التي أشعلت هذا المصباح في أقطار نصف متوحشة ونفلته الى آتينا حيث كان الاستعداد للانتفاع به تاما ، فان انكساغوراس الكلازوميني عاش مع سقراط ، وسقراط هو أب افلاطون ، ويمكن ان يقال انه أب لارسطو أيضا ، ولكن قبل أرسطو وقبل افلاطون وقبل سقراط كانت بذور الفلسفة مبدورة على أرض أخرى ، وكان من اللازم أن تنقل الى ايطاليا حيث تؤتي ثمراتها . نعم ان الفلسفة كانت مسبوقة هناك كما هو شأنها في كل ناحية بالشعر ، فان هوميروس أنشد من قبل ان يفكر فيثاغورث بأربعمائة أو خمسمائة عام ، ولكن العلم بجميع صورته : الفلك والرياضيات والطبيعة والتاريخ والطب ، كل ذلك تبع الفلسفة وناصرها ، لان الفلسفة هي التي نفخت روح الحياة في كل هذه الفروع واكتسبت بها قوى جديدة .

في وسط المنازعات المدنية والحروب الاجنبية والتجارة والصناعة والملاحة الى الجهات السحيقة والوقائع والاطار المتنوعة ، في وسط حروب الابطال التي كان يذكي نازها فئة قليلة من الرجال الاذكياء الاحرار على دولة فخرية ، في وسط كل ذلك يجب ان يوضع مهده الفلسفة الحاشية المجيدة . لم يكن هاجر فيثاغورث واكسينوفان الى شواطئ ايطاليا والى افرিকা الكبرى الا سخطا على الطغيان أو الاضطهاد . وما لفتحت ايطاليا الا بهذين الاستاذين اللذين جاءها من الشاطئ الآخر للبحر ، ولكنها لم تشمر لان النبات الغريب لم يجد فيها الاغذية الضرورية لنضجه . فكان أن ترجع الفلسفة الى منزلها الاول الذي منه درج أوائل المهاجرين لتكسب فيه صورتها الحقيقية وتكتسب ثوب جمالها وتستوفي قسطها من العظمة وحققها من الاستقلال الذي كللها به استشهاده أهليها . غير أن هذه الفلسفة ذاتها مهما دعا الظاهر الى انها ابتدعت في افرিকা أفلا يكون من المحتمل أن تكون اقتبست الشرارة من قبس الاختلاط مع جيران افرিকা ؟ فان طاليس قدعاش مع الليديين ، وأصل أجداده من فينيقيا . وفيثاغورث الذي يمكن أن يكون هو أيضا من أصل فينيقي زار حقيقة سوريا ومصر وكلمة ماذا تعلم هناك ؟ وماذا جلب منها ؟ أو بعبارة أخرى بماذا تدبر الفلسفة الاغريقية جده فلسفتنا وأم غربنا للعلم الشرقي ؟ هل من عليه يحل هاتين المسألتين ؟ هل العقل اليوناني بل العقل الغربي اقترض شيئا ما من العقل الشرقي العتيق ؟ هذه أيضا مسألة مظلمة على ما لدينا من النور الحديث ، وسأحاول الجواب عليها بعد ، غير اني بادى ذى بدء



أبغى تكلمة لما سبق أن أثير مسألة أقل بسطا ولو أن لها أهميتها وفائدتها فإنها مع قلة تسديدها جوهرية .

نحن نعرف فلاسفتنا ونعرف بعض الحوادث الرئيسية في حياتهم . نعرف بعض مؤلفاتهم أن لم تكن لدينا كلها . وإذا كان هوميروس هو وحده الذي وصل إلينا كاملا تقريبا بفضل أفلاطون فقد كان يمكن أن يصل إلينا الآخرون إذا لم تكن المصادفة أعصمت تأليفهم التي هي مستودعات أفكارهم . إذا فقد كتب الإقدمون ومن ذا الذي يجعل ذلك موضعاً للشك ! هذه النظرية التي أقر بها هنا ليست قاصرة على ما يتعلق بطاليس وفيثاغورث واكسينوفان ومعاصريهم ولكنها تنسحب أيضا على من قبلهم وعلى من بعدهم إلى مسافات طويلة ، كيف خرجت من أيدي مؤلفيها تلك المؤلفات التي هي الآن تحت أيدينا كاملة أو آثارا ناقصة ومخرومة . وعلى أي مادة كتبت بادئ الأمر وماذا كانت وسائط الكتابة في عهد اكسينوفان بل في عهد ليكورغوس أو هوميروس ولاجل أن يكون بحثنا في حدود وضعية ضيقة نتساءل كيف كانوا يكتبون في المستعمرات الإغريقية بآسيا الصغرى في حاجات تجارتهم النشطة ومقتضيات سياستهم المعقدة الحازمة وشعرهم الحاد وعلمهم العجيب وبالجملة في سائر حاجات عيشة اجتماعية راقية مليئة بالأعمال .

أظن أننا الآن بحيث نجيب على هذه المسألة بطريقة قاطعة واضحة تمام الوضوح . ولكن قبل أن نقول كلمتنا في هذا اللغز نرى من الحسن تقديم حوادث مسلم بها لنبين أن استعمال الكتابة قبل الميلاد المسيحي بسبعة قرون في آسيا الصغرى بل في فارس نصف المتوحشة كان من الانتشار والسهولة على ما هو عليه عندنا الآن . كانت موادها أشياء أخرى ولكنها تكاد تساوى المواد التي نستعملها اليوم إلا أعجوبة المطبعة . لم يكن للناس في تلك الأزمان البعيدة ورق كالورق التي عندنا ، ولكنهم كان لديهم ما يساويه وما يؤدي لهم المطلوب من الورق . أفتح بالمصادفة هيرودوت وبلوكوديدس واكسينوفان وأفلاطون وأرسطو وأخذ الأشياء كما رواها بل كما رواها وكما استعملوها

أضمر هربغوس وهو في معية اصطياف ملك الميديين أن ينتقم من سيده القاسي انتقاماً وينتصف لنفسه ، وأراد أن يتفق مع قيروش الذي على حداثة سنه كان له بين الفرس من النفوذ ما سيخرج منه مملكة فسيحة الأرجاء . لما لم يسع هربغوس أن يتصل مباشرة بالأمير الشاب الذي يحمل هو أيضا ما يدعوه للانتقام ، أرسل خادما أميناً يحمل إليه بعض الصيد ، وجعل في بطن أرنب كتاباً أخفاه فيه يحرض به قيروش

على الثورة ، ويؤكد له مساعدته اياه . ماذا فعل قيروش ؟ لما فتح بطن الارنب بيده ، كما اوصى المهني خادمه به ، وقرأ الكتاب بمعزل ، وضع كئيبا مزورا يفيد ان اصطياف قد عينه رئيسا على الفرس التابعين وقتئذ للميديين . وقرى ذلك الكتاب المزور على أعضاء عائلة الاشيمييين فصدوه . وبهذه المنابة قادهم قيروش على غير علم منهم وحارب بهم اصطياف وخلعه (١) . ولم يكن هر بفس وقيروش مع ذلك الا متوحشين ، ولكن هـا نحن اولاء بصدد أناس متعلمين فى آسيا الصغرى وفى مصر . وهذا بوليقراطس طاغية سموس وهو على سرير ملكه متمتعا

بالرفاهية الى غايتها والناس الذين يعجبون به او يخافون بطشه يكبرون منه حذقه وسعادته . وكان له بامازيس الحكيم ملك مصر رابطة اتفاسق بل صفة صداقة فخاف امازيس على صاحبه ذلك الموقف المريب مما اجتمع له من التوفيق المستمر أن يتغير له الدهر ، وهو يعلم انه لاثبات المحظوظ الانسانية فنصح له أن يحذر الغير فى قلب القدر ، كتب له بذلك خطاب عطف ونبوة اوصاه فيه أن يضرب على نفسه قربانا يتقى به سخط الحظ الخادع الخائن ان استطاع . فأجابه بوليقراطس الذى يخشى على نفسه ما يخشاه صاحبه بخطاب أرسله اليه فى مصر ، ذكر له فيه الوسيلة التى اتخذها ليصيب نفسه بمحض اختياره بمصيبة موحجة . والمصادفة الحارقة المعادة هى التى صيرت قربانه عبنا . فكان امازيس وبوليقراطس يتبادلان الرسائل بين سموس ومنفيس على نحو السهولة التى يتخاطب بها التجار فى وقتنا الحاضر بين أزمير والاسكندرية (٢) . لست أدعى أن الخطاب الذى نسبه هيرودوت الى امازيس صورة رسمية من خطابه الاصلى لا يتطرق اليها الشك ولكنه لا محل لادنى شك فى أن الملكين كانا يتبادلان الرسائل الكتابية .

كذلك كان بوليقراطس نفسه قد جمع مكتبة كثيرة الكتب كما ذكرنا آنفا ، وقد كانت فى العالم الاغريقى احدى الباكورات التى استمتع بها بوليقراطس وأنفق فى جمعها مالا طائلا . ويقولون نحو ذلك بالنسبة الى بيزيسطراط المتقدم بالزمان على بوليقراطس . يقولون انه انشأ مكتبة فى أثينا وجعلها مكتبة عمومية ليلطف من حال الشعب بهذه المزية وبغيرها ، ولكن ناقلى هذا الخبر الينا هم من المتأخرين ، لان أحدهما أطينى والاخر أولوجل ، غير انى لا أجد أسبابا تحمل على الشك فى روايتهما . فاما بوليقراطس فإن مصر كانت له قدوة ما كان أسهل عليه تقليدها كما سنبينه بعد ، وكان فى استطاعته أن يجمع آثار المؤلفين الذين يعجبون

(١) هيرودوت ك ١ ب ١٢٣ وما بعده

(٢) هيرودوت ك ٣ - ٢٠ وما بعده .

سكان الشواطئ الذين يطربون للنسج ويتذوقون طعوم العلم منذ عهد هوميروس . وأما بيزيسطراط فمن المؤكد انه اذا لم يكن فتح مكتبة للجمهور فهو على الاقل قد اقتنى الكتب واشتغل بنفسه فيها لغرض سياسى محض . وروى باوتارخس فى كتابه «حياة طيسى» أن بيزيسطراط سملخ من «هيزيود» بيت شعر كان يمكن أن يجرح صلف الاتيين ، وانه زاد على قصيدة هوميروس بيتا من شأنه أن يسرهم ، فذلك الحذف وهذه الاضافة كيف يمكن اثباتهما الا أن يكون لديه نسخ من تلك القصائد يمكن فيها التغيير والتبديل .

نرجع الى استعمال الرسائل فى العهد الذى نحن بصددده .

ان أوريطيس مرزبان سرديس الذى عامل بوليقرطاس بتلك القسوة الفظيعة استوجب بسلوكه الوحشى سخط كل من حوله ، فان أحد زملائه عاب عليه أحمولته التى نصبها لطاغية سموس ، فقتله هو وابنه . وكان دارا الذى ارتقى عرش الملك حديثا سماخطا على أوريطيس الذى فوق ما قارف من الآثام تلكا فى حرب المجوس والفرس بعد موت قمبيز ، وكان ذلك أكثر مما يازم للملك الجديد من الاسباب التى تحمله على التخلص من مرزبان قوى يسوس فريجة وليديا ويونيا جميعا ويقود جيشا عرمرما . ولأن يقبض عليه جهرا بالقوة فيه ما فيه من عدم التيسر خصوصا فى ابتداء حكم جديد . ومع ذلك فإن أوريطيس دس على سفراء دارا الذين جاءوا يدعونه الى مقابلة الملك من قتلهم سرا ، فصار بجملته ما فعل مستحقا للعقوبة ، ولكن كان يلزم مداراته بعض الشيء وتجنب ثورة أصبح حدودها قريب الوقوع ، فدعا دارا أكابر الفرس وطلب اليهم أن يخلصوه من ذلك العاصى اما بقتله واما بالقبض عليه واحضاره ، وفى كلتا الحالتين لا ينبغى اتباع غير طريق الحيلة ، فتقدم اليه منهم ثلاثون دفعة واحدة كلهم يعرض قيامه بهذا العمل وحده . فلم يشأ دارا أن يختار من هذه العروض الصادرة عن الاخلاص واقتنع بين أصحابه فصاغت القرعة باجى بن أرطوطيس .

ماذا فعل باجى ؟ كتب كثيرا من الاوامر تتعلق بمسائل شتى ، وختم كل واحد منها بختم دارا ، فلما وصل الى سرديس سلم هذه الاوامر الى سكرتير الملك بحضرة أوريطيس ، لان كل مرزبان كان لديه ممثل للملك . ففرض السكرتير الخاتم عن تلك الاوامر وقرأها على الضباط العظام الذين كانوا حول أوريطيس . وكانت تلك الاوامر موجهة اليهم بنوع أخص ، فتلقوا جميعا أوامر الملك بغاية الطاعة والاحترام . فسر باجى بهذه المحنة الاولى ورأى أن فى استطاعته الاعتصام على طاعتهم ، فأفصى اليهم سرا ببعض الاوامر التى يأمرهم فيها دارا بالانفضاض عن أوريطيس والانقطاع

عن خدمته ، فاطاعه الضباط أيضا والقوا رماحهم دلالة على أنهم تركوا  
المرزبان ، فلما تحقق باجى من تأثيره فيهم جعل سكرتير الملك يقرأ عليهم  
أمره اياهم بقتل المرزبان ، فهجموا عليه فخر صريعا تحت طعنات سيوفهم ،  
وبذلك أخذ منه القود لبوليقراطس ، ونال دارا بغيته من الانتقام (١) .

على ذلك كان الفرس أنفسهم فى زمن دارا يستعملون الكتب  
بالسهولة التى يستعملها بها الاغريق الذين هم أرقى منهم تعلما وأكثر  
مدنية ، فان الملك الكبير كان يرسل أوامره الى جميع اجزاء مملكته  
الفسيحة الارحاء . وكانت هذه الاوامر مكتوبة بالواضاح وبالمواد التى  
ربما لا تزال تستعملها الى الآن تلك البلاد القليلة المدنية .

لما اتهم الاغريق بوزانياس بأن له ضلعا مع الفرس وكرهوه عزم  
فعلا على خيانة قضيتهم الشريفة التى طالما خدمها فى بلاتة ، فراسل  
اكراركسيس بكتاب يعرض عليه فيه أن يخضع له أسبرطة وبقيّة بلاد  
الاغريق ، فقبل ملك الفرس عرض ذلك الخائن ، وكتب اليه بخط يده  
كتابا يرسله اليه مع أوطبان مرزبان دسكيلينس . فلما أحسن أهل  
ايفورس خيانة ملكهم ، كتبوا اليه يندرونه بأن يغادر طروادة ويعود الى  
أسبرطة حيث يستطيعون مراقبة سلوكه . فلم يجرؤ بوزانياس على  
مخالفتهم ، وعاد الى مقر ملكه ، ولكنه لم يكف مع ذلك عن مراسلته  
الجنايية ، ولكن الرجل الذى سلم اليه آخر الرسائل خاف على نفسه لانه  
لم يعد ولا واحد من الرسل الذين حملوا أمثال هذا الكتاب الى دارا ،  
ففض غلاف الكتاب بعد أن قلد الختم الموضوع عليها ليقلها كما كانت ،  
فتحها ليرى ما اذا كان لخوفه محل ، واذا به يقرأ توصية على قتله ،  
فحمل الكتاب الى أهل ايفورس وبلغهم أمر الملك الذى كان يسلم اغريقا  
للمتوحشين .

ان تاريخ طيمبيستوكل أشبه ما يكون بتاريخ بوزانياس وان كان  
أقل منه جناية ، لان الاتيينيين كانوا حرضوه على الخيانة بأن عاقبوه  
بالنفى ظلما فكاتب أرتقزاركسيس . ولما هرب من أرغوص الى قرقيز  
ومنها الى الملك آدميت ملك الملوص ، ومن عنده الى اسكندر ملك مقدونيا  
جاء آخر الامر الى ايفيزوس حيث كتب الى الملك الكبير يطلب اليه ملجا  
أباه عليه الاغريق . وقد روى طوكوديدس صورة ذلك الكتاب ولا محل  
للمتظنن فى صحته (٢) .

(١) هيردوت ك ٣ ب ١٢٦ وما بعده .

(٢) طوكوديدس ك ١ ب ١٢٨ وما بعده .

من غير النافع أن نعدد الامثلة لانها مستفيضة في جميع المؤرخين  
الذين لم أذكرهم وليس من الضروري أن نذهب بالتمثيل بعيدا ، فقد  
وضح أن الناس في افریقا وفي آسيا الصغرى كانوا يستعملون الكتب  
في الاعمال العمومية والخصوصية على نحو ما نستعملها نحن تقريبا ،  
وبوسائل أشبه ما تكون بوسائلنا من حيث المادة التي كان يسهل الحصول  
عليها من غير عناء ، وأنهم يختمون الاوراق على نحو ما نختم أوراقنا  
بالطابع الرسمية ، وبالاختام التي يمكن تقليدها من غير أن تكسر . . .  
الخ

وماذا كانت تلك المواد ؟ - .

تجيبنا على ذلك عبارة هيرودوت الصريحة ، فان ذلك المؤرخ العظيم  
للزمان الاولى للعالم الاغريقي قال في عرض حديثه عن كيفية نقل  
«قدموس» الحروف الهجائية من فينيقيا الى القارة عند اليونان ما يأتي :

« يطلق اليونان على الكتب من قديم الزمان اسم الدفاتر أو الجلود  
لانهم » « لما لم يكن عندهم ورق في تلك الايام كانوا يستعملون للكتابة  
جلود المعزى » « والغنم ، بل لم يؤمنوا ما يزال كثير من المتوحشين يكتبون  
على الدفاتر أو جلود من » « هذا النوع » (١) .

وقد اتى هيرودوت بما لا يقل عن ذلك عجباً ، فانه ذكر انه رأى  
بنفسه عند زيارته طيبة في ييوسيا في معبد أبولون الاسمينى ثلاثة  
نصائب منقوشا عليها بالحروف التي كانت تستعمل في يونيا . وهذه  
النقوش باللغة في القدم الى لابوس أبى أوديب أى بعد قدموس بأربعة  
أجيال .

ان الكلمة التي يستعملها هيرودوت عبارة عن الكتب هي كلمة  
«ببلوس» ودلالاتها معروفة بصورة مضبوطة ، فان هذه الكلمة تدل على  
جزء معين من بردى مصر . ولم يترك تيوفراسط محلا لاقل شك في هذا  
الصدق ، فانه في كتابه «تاريخ النباتات» (٢) قد وصف النباتات المائية،  
وتبسط في وصف البردى الذي ينمو في ماء النيل ، وعدد الاستعمالات  
المهمة المتنوعة التي يصلح لها البردى ، وبعد أن قال : أن من الخشب  
تصنع المراكب ، قال : « ومن الببلوس تصنع الشرع والحصر والملابس  
أحيانا والنعال والحبال وأشياء أخرى كثيرة أهمها الكتب «ببليا» المعروفة  
عند الأجانب حق المعرفة . وعلى ذلك يكون معنى ببلوس الذي ذكره

(١) هيرودوت ك ٥ ب ٥٩ وما بعده .

(٢) تيوفراسط. وتاريخ النباتات ك ٤ ب ٩

تيوفراسط هو ذلك الجزء من ساق البردى الذى لمرونته ومقاومته يقبل هذه الاستعمالات المختلفة بالنسج والى .

وخلاف مكتبتى بيزيسطراط وبوليقراطس ، فالثابت من الادلة التفصيلية التى أتى بها أفلاطون أن الكنب فى زمنه على المعنى الذى نفهمه نحن من هذا اللفظ كانت منتشرة جد الانتشار باتينا . وقصد روى سقراط نفسه فى كتاب « فيدو » انه سمع ذات يوم انسانا يقرأ كتاب انكساغوراس وفيه أن العقل هو نظام كل الاشياء ومبدؤها . ولما قرعته هذه الحكمة البالغة رجا أن يجد فى انكساغوراس حل كثير من النظريات بعد ما سمع من براعة الابتداء ، فجد فى طلب مؤلفاته وهو يظن انه سيتعلم منها علم الخير والشر ، فقرأها على شوق الفهم ، ولكنه كلما تقدم فى القراءة خاب من رجائه فالتقى بها الى جانب ليعود الى تفكره الذاتى ، اذا كان لسقراط كتب يراجعها ويتركها ، كما يفعل بيننا عشاق العلم والحكمة سواء بسواء ، يرجعون الى كنوز دور الكتب فلا يجدون فيها شفاء الغلة الذى يطلبونه .

وروى أنتيفون فى أول كتابه « برمينيد » نقلا عن رواية فيتودور أحد أصحاب زنون الايلى قال : « لما أتى برمينيد وكان قد تقدم فى السن الى آتينا مع تلميذه أقام فى حى السيراميك خارج الاسوار فانتقل اليه سقراط فى رفقة ليسسمع قراءة كتب زنون » وكانت تلك هى أول مرة حمل فيها زنون وبرمينيد هذه الكتب الى آتينا . وكان سقراط وقتها صغير السن . وكان زنون نفسه هو الذى يقرأ كتابه لان برمينيد كان غائبا فى تلك اللحظة وكان على وشك أن يفرغ من القراءة اذ عاد فيتودور ومعه برمينيد ومستمع آخر هو ارسطوطاليس الذى صار بعد ذلك أحد الثلاثين ، ولم يسمع فيتودور الا قليلا مما كان باقيا ، ولكنه أقام الى آخر التلاوة التى كان قد سمعها قبل ذلك فى جلسة اخرى .

لما أصغى سقراط الى النهاية طلب الى زنون أن يتفضل باعادة القضية الاولى من الكتاب الاول فأجاب طلبه مع الارتياح ، وأخذ الكتاب وأعاد الجملة التى وقف فيها سقراط والتى أراد سقراط استحضار الفاظها حتى يدخل فى مناقشة المعانى : « اذا كانت الموجودات متعددة لزم عليه أن تكون متشابهة وغير متشابهة فى آن واحد فيما بينها ، وهذا مستحيل لان غير المتشابه لا يمكن أن يكون متشابه ، وما هو متشابه لا يمكن أن يكون غير متشابه أيضا » وابتدأ الجدل وقتئذ فكرر سقراط قضية زنون ، وسأله اذا كان هذا حقا هو ما يريده ؟ فاكد زنون أن ذلك هو غرض كتابه ، فالتفت سقراط الى برمينيد وقال له : « ترى واضحا أن زنون متصل بك لا بعلاقات الصداقة فقط بل بكتاباته . فالواقس

أنكما تقولان جميعا معنى واحدا ، وإن اختلفت العبارة ، فإن أحكما يثبت أن الكل هو واحد ، ويثبت الآخر أن التعدد ممتنع » فاعترف زنون بأن الحق في جانب سقراط ، وأنه ما كتب كتابه الا انتصارا لمذهب برمينيد ضد أولئك الذين يبسفون جعله صخريا ، وأن كتابه جواب على نصراء التعدد ، وأن الغرض منه أن يبين لهم أن مذهبهم نفسه له نتائج أسخف من المذهب المضاد . وزاد على ذلك زنون بقوله : « انى ألفت هذا الكتاب مدفوعا بدافع المجادلة . فسرق منى قبل أن أسائل نفسى عما اذا كان ينبغي نشره او لا ينبغي . على هذا كنت يا سقراط تخدع نفسك اذ اعتقدت أن هذا الكتاب انما أملته على رغبة رجل ناضج بدلا من ان تنسبه الى شاب يميل به ما لطبع الشباب من حب المغالبة » .

واستمر حديثهم دائرا على موضوع الوحدة والتعدد بما هو معروف لديهم من المواربة والمغالطة مما أكف عن الاسترسال فيه . فحسبنا هذه التفاصيل دلالة على أن زنون وبرمينيد لما جاءا من ايليا الى غرب اغريقا الكبرى كان فى بلدهما كتب كما فى آتيننا ، وأن هؤلاء المتناظرين كانوا يتخذون الكتب لما تتخذة نحن من الاغراض يقرءونها ويعيدونها ويقفون ببعض جملها للتحقق منها . ونحن فى شأننا لا نقلب الا على مثالهم صفحات ما لدينا من الكتب التى فى حجم الثمن أو الاثنى عشرى التى ليست بأكثر مطاوعة للتقليب من كتبهم .

وفى مقدمة فدر الرشيفة قابل سقراط ذلك الشاب السذى خرج يتنزه فى الخلاء بعد ان مضى صباحه قاعدا . فميم قصى فدر صبيحه اذا ؟ فى استماع قطعة كان يقرؤها له ليزياس بن سيفال ، وما زال مأخوذا بما قرء عليه . وقد كان ليزياس أتى خصيصا لهذا الغرض من يره الى مونيشيا ، فطلب سقراط من صديقه الشاب أن يفسر له ذلك الكلام العجيب ، فامتنع فدر بفكرة انه أقل علما من أن يكرر مثل تلك العبارات الجميلة ، ولكن سقراط الذى كان عليما بشغف صاحبه رقيق الحاشية أكد له انه لابد أن يكون قد حفظ تلك القطعة عن ظهر قلب ، لانه لابد أن يكون استعداد من مؤلفها أن يقرأها عدة مرات وأنه لم يقنع بذلك بل لابد ان يكون أخذ الكراسة المكتوبة فيها حتى يقرأها على خلاء ، وإن ذلك كان شغله الشاغل الذى ألهاه عن الخروج صبيحة يومه ، فأخذ فدر يتنصل بحجج ضعيفة ، ولكن سقراط ألحف فى المسألة فإظهره فدر على الرسالة المخطوطة التى كانت بيده مخبأة تحت طرف رداءه ، وأخذ الصاحبان يبحثان وهما سائران على شاطئ الاصوص حيث كان يفسر فيه سقراط قدميه ليبترد ، عن مكان يناسب القراءة بالراحة حتى وصلا الى مجلس تحت شجرة سناج عالية ظليلة بجانب شجرة كف مريم يعطر

نورها الهواء على مسمع من خرير عين صافية بين التماثيل والاصنام  
القائمة للحوار ولنهر اخلاوس ، فجلس قدر وسقراط فى الظل على  
الحشيش الغض وقرأ الشاب كتاب ليزياس فى النسخة التى معه .

فأثنى سقراط على بلاغة ليزياس ، ولكنه لم يصل الى حد اعجاب  
صاحبه الشاب وقال له : ان هذا الموضوع قد كتب عليه الحكماء فى  
الازمان القديمة بما لا يقل اجادة عن هذا ، وحسبك منهم الحسناء سافو  
الشاعرة أو الحكيم أنقريون بل حسبك اى كاتب من الكتاب ، فلم يصدق  
قدر من ذلك شيئا وسأله ان يأتى بأحسن مما أتى به ليزياس ، وان  
' . يفعل على الفور فلن يقرأ له شيئا بعدها ، فأخذ سقراط لغوره فى  
مسابقة ما ظنها مستحيلة عليه . وأعاد كلام ليزياس فى نفس الموضوع  
على ما فيه من الشطط والاشكال ، ولكنه ارتقى كثيرا عن هذه المنافسة  
التانهة فى موضوع مطروق ، وانتزه هذه الفرصة ليعطى الشاب درسا  
فى الخطابة والذوق . ان ليزياس يكتب أكثر مما ينبغى فيجب تعلم  
الحكم على مؤلفاته حتى لا تعطى من القيمة أكثر مما تساويه فى الحقيقة ،  
وان رجال السياسة البصراء يربأون بنفوسهم عن تأليف مؤلفات تكون  
بعدهم موضوعا لانتقاد الخلف انتقادا قاسيا ، فاذا كتبوا بالمصادفة  
شيئا كتبوه بكل عناية حتى لا يعاب عليهم . وهذا بيريكليس أخطب  
الخطباء وتلميذ أنكساغوراس العظيم لم يترك شيئا مكتوبا .

وبينا سقراط يرسم قواعده الخطابة الحقيقية اذا به يصل الى اختراع  
الكتابة والكتب . على حسب أسطورة محفوظة فى نقراطس ، احدى مدائن  
الدلتا ، ربما كان سونون قد رعاها من هناك ، أن الكتابة من اختراع  
الاله توت وهو أنضى بها الى الملك طاموس الذى كان يحكم فى طيبة . ولم  
يعجب طاموس بهذا الاختراع كما أعجب به مبدعه ، وخشى على المصريين من  
الكتابة التى يبعدهم عنها أن تصيرهم أكثر حكمة بل تضرهم متى جعلتهم يثقون  
أنهم يعلمون ما يقرءونه قرادة سطحية فى كتبهم . قال سقراط معصدا  
رأى طاموس : « يكون الانسان » من البساطة بمكان اذا تصور انه يمكن  
ابداع أى فن من الفنون فى الكتب . وأنه « يمكن تعلمه منها ، كما لو كان قد  
خرج يوما من الكتب شيء بين متين ، الا ما يكون » من تنشيط الذاكرة  
عند الذى كان يعلم من قبل ما تحويه الكتب . وان محصلات « الكتابة » أشبه  
بمحصلات الرسم . سئل لوحات الرسم تجيبك بمسكوت جليل

وسئل « الكتب تجيبك دائما بهذا الجواب . وقد تعتقد عند استماع ما فيها  
انها عليمة » ، « ولكن مقالا متى كتب دار فى كل ناحية ؛ فيقع فى أيدي من  
بفهمونه كما يقع » فى أيدي الذين لم يكتبوا لاجلهم ، وأنه لا يعرف لمن  
يتكلم وأمام من يلزم الصمت ، فاذا احتدثه أو عابه أحد بغير حق التجأ



الى ابيه ليسه عنه ، لانه لا يستطيع أن « يقاوم ولا أن يساعد نفسه » .  
 وسقراط يحط من شأن هذه المقالات المبتنة في طي الكتابة التي يحويها  
 ويرفع فروعها قدر المقل الذي ينقسه العلم في نفس اندي يتعلم ، ذلك  
 المقال الحى انلى بالحياة هو اندي يبقى في انذهن ، وما منزلة المقال المكتوب  
 منه الا الشبح الباهت . هذا هو ما ينصح لندر أن يكثر العناية بمزاويلته  
 ان اشاعر والناتر يحجانه ويجرران أف مرة قد كتب ، يزيدان  
 عليه أو ينفصان منه ، ولكن يلزمهما قبل كل شيء أن يهتما بما في نفسيهما  
 ويرعيانه حق رعايته ، تلك هي الوسيلة لاستحقاق ذلك اللاعب الجميل  
 لقب الفيلسوف . ذلك هو الرأي الذي يمكن أن يعطيه فدرالى ليزياس ،  
 وذلك هو الرأي الذي يعرف سقراط كيف يجعل أصحابه الشبسان  
 يتدقونه ، وعلى الاخص ايزقراط الجميل الذي عليه مخايل النبوغ .

أنا لا اناقش رأى الحكيم الاتينى مهما ظهر لى منه عدم ائثلافه مع  
 ذوقه اسليم المعروف ، ولكن أيا كانت قيمته فانه ينتج منه ان سمع  
 وفدر وجميع اصحابها يستعملون الكتب كما نستعملها نحن ، يكتبون  
 مقالاتهم ومؤلفاتهم كما نفعل نحن ، ويدرسونها ويصححونها ويهدونها  
 كما نفعل نحن وينتج من هذا فرق ما تذهب انه منذ زمن افلاطون كان  
 ينسب اكتشاف الكتابة واختراع الكتب الى مصر . ولا شك في أن  
 افلاطون وهو من ذرية سولون يجب أن يعلم أكثر من غيره شأن تلك  
 الاسطورة التي جاء بها جده الامجد من البلد الاجنبى .

وعلى هذه الفوائع القاطعة نزيد وقائع من اعصر ذاته . لنا وصل  
 اكسينوفون رئيس تفهقر عشرة الاف من بيزنطة الى ساميدس اخر  
 نقطة وصل اليها في الشمال ، حكى أنه عند دخوله في البحر الاسود وجد  
 سفنا كثيرة جانية في الرمل تحت جرف الشاطئ ، انه أهل تراقيا سكان  
 تلك المنطقة يسارعون الى نهب اولئك الفرقى انتعساء ويتقاتلون على أيهم  
 يسرق من السلب أكثر من غيره . ولذلك توجد منقولات كثيرة على هذا  
 الشاطئ الحبث ينقلها الملاحون في صناديق من الخشب ، ومن بينها كتب  
 لا شك في ان اولئك المتوحشين ماكانوا يفهمونها ، ولكنهم يحفظونها  
 ليبيعوها (١) . ونظرا الى أنه كان يوجد عدد عظيم من الجاليات الاغريقية  
 في تلك الجهات بيزنطة وغيرها ، فليس مستحيلا أن فكر اولئك الملاحون  
 في الاتجار بالكتب ، وربما كانوا ينقلونها من الشواطىء الاسيوية ومن  
 آتينا والمدائن الاخرى لليونان النازلين والمهاجرين الذين مع بعدهم عن

(١) : اكسينوفون . انا باز . ك ٧ ب ٥ ف ٤ ص ٣١٣ طبعة فرمان ديدو .

وطنهم تتوق انفسهم الى الاقتباس من نوره الذى هم أحوج مايكونون اليه  
فى غربتهم .

لا أقول بأنه فى زمن افلاطون بل فيما قبله لم يكن يوجد فى آتينا  
اصلا كتيبة يبيعون الكتب ويشترونها فذلك محتمل جدا ، ولكنه ليس  
عندنا على ذلك شهادات تقارن فى قدمها ذلك الزمن . فان أول شهادة من  
هذا النوع تنسب الى زنون الستيومى ، فان زنون قبل أن يترك مدينة  
ستيوم وهى مستعمرة فينيقية فى قبرص اشترى حمولة من الارجوان  
ليربح فيها فى آتينا وذهب يستفتى الهاتف عن أحسن طريقه للعيشة  
فنصح له الهاتف أن يصير فى لون الموتى ، وفسر زنون هذه النصيحة بأنه  
يجب عليه أن يعكف على قراءة كتب الاقدمين حتى يشحبه لونه . فلما  
وصل الى آتينا بعد غرق محزن دخل عند كتيبى وأخذ يقرأ بلذة شديدة  
الكتب الثانى من مذكرات اكسينوفولم على سقراط ، فسأل الكتيبى وهو  
مسحور بلذة ما قرأ : أين يمكنه ان يقابل المؤلفين الذين يكتبون مثل  
هذه الملح ؟ فأشار له الكتيبى بأصبعه الى «قراطيس» الذى كان مارا وقتها  
فى الشارع فجعل زنون الى الاستاذ يمتدح خطاه حتى وصل اليه وتلميذ  
عليه ، ولكن لما لم يستطع ذلك الجفاء الغليظ اعتزل قراطيس اذ أصبح  
فى قدرته أن يضع مؤلفات لا تقل عن مؤلفات استاذة وأخصها كتابه على  
قيثاغورث (١) . وكان عمر زنون وقتئذ ثلاثين عاما وعلى الاحتمال الغالب ان  
ارسطو وقتها كان لا يزال حيا فان ذلك كان فى آخر ملك اسكندر .

اقص حادثة أخيرة استعيرها من نظريات ارسطو فى الفصل السادس عشر  
الباب السادس (ص ٩١٤ ف ٢٥ طبعة برلين) يتساءل المؤلف : لماذا قطع  
الكتب يعطى هيئات مختلفة على حسب ما اذا كان هذا القطع مستقيما أو  
بانحراف ؟ أترك التفسير الى ناحية لانه لا يهمنا هنا ، ولكن ذلك يبين ان  
ارسطو كان لديه كتب من جنس كتبنا وعلى الاقل من جهة كونها مقصودة  
على صورة منتظمة قليلا أو كثيرا . بعد ذلك فى الفصل الثامن عشر يبحث  
ارسطو : لماذا تنيم القراءة بعض الناس ؟ ولماذا بعضهم على الضد من ذلك  
يتناول الكتاب حين يريد أن يبقى ساهرا ؟ كل ذلك يعين استعمالات  
المكتب أشبه ما تكون بما نفعل نحن . كان فى آتينا بعضهم يقرأ فى سريره  
وليس معدوما فيها هذا الصنف من الناس الذين يأمرون هذه البعثة  
عندنا .

من أين جاءت هذه الكتب ؟ وعلى أى مادة كانت مكتوبة ؟ لا أتأخر

(١) ديوجين اللايرتى ك ٧ حياة زنون السنوسى .

فى الجواب : كانت مكتوبة على ورق البردى ، وكان البردى يجمع من مصر منذ أقدم الأزمان كان بين مصر وبين أفريقيا روابط مستمرة ، ومن باب أولى كان بين مصر وآسيا الصغرى . وأن أقدم الهجرات التى اتبع فيها سبيل أناخوس وسكروفس وكثير غيرهم إنما عادت من شواطئ النيل جالبة معها الى الهلين فى عداد ما جلبته لهم أسماء جميع ألهم المتنوعة الى الانهاية: وبعد ذلك ضاعفت العلاقات دولتى التجارة والحروب . وفى تلك القرون التى نحن بصددنا كانت مصر متدخلة دائما لمصالح شتى فى سياسة جميع الأمم المجاورة لها ، وعلى الأخص سياسة المدائن الاغريقية التى على الشاطئ ولما أن فتح الفرس مصر صارت هذه العلاقات أكثر توثقا واستمرارا فان اسطول المصريين وجيوشهم كانت تشهد كل حين وقائع البر والبحر ومن البديهي . ان الأمم المختلطة على هذا النحر تتبادل كثيرا من الأشياء بحكم الضرورة . وكانت مصر وقتئذ الوحيدة تقريبا فى انتاج البردى فكانت تصدر منه كميات وفيرة الى بقية العالم .

قد كان من السهل على مصر وهى التى اكتشفت الكتابة وهى التى نخرج البردى وتستعمله تلك الاستعمالات الصادرة عن المهرة والذكاء أن تنصوّر أيضا انشاء المكاتب ، فان الكتب متى كتبت يجب جمعها وحفظها لحفظ الذكر لكل ما اشتملت عليه . وعلى الرغم من قول طاموس وأفلاطون وسقراط فقد ظهر ان تلك المحفوظات مفيدة ونفيسة جدا . ذلك ما كان هو الواقع . فان اوزيمندياس أحد ملوك مصر يعتبر انه اول من اقتنى مكتبة أو من أوائل من اقتنوا مكاتب . وتذكر هذا الحادث العجيب نقله الينا ديودور الصقلى الذى زار مصر فى الاوشية ١٨٠ كما كان زارها هيرودوت من قبله بأربعمئة وخمسين عاما ورأى بعينه كل ما يتكلم عنه تقريبا . بعد أن قال كلمة عن قبور الملوك التى كان عددها سبعة وأربعين على رواية الكهنة والتى لم تكن الا سبعة عشر حين زارها ديودور (١) . وصف بغاية التفصيل الاثر الشهير لأوزيمندياس ، ومن بين العمالز التى تنسب الى هذا الملك دار الكتب المقدسة المنقوش على وجهتها : « دواء النفس » . ولا يستنتج من كلام ديودور نفسه أن هذه المكتبة كانت لا تزال قائمة فى زمنه . فاما أنها وجدت فذلك ما لا يكاد الشك يتطرق اليه . ولقد كان لدى الكهنة المصريين كتب بالغة فى القدم مسجل فيها تاريخ البلاد سنة فسنة تسجيلا منتظما والوراثة غير المنقطعة على عرش مصر

(١) نزلت اليها بنفسى فى السنة ١٨٥٤ عهد سياحى فى « مصر ووجبت أن اعجاب ديودور كان أقل من حقيقة الواقع بكثير . ( ر . رسائل على مصر طبعة ولجل ص ٢٧٤ وما بعدها )  
( بارتلى سانتيلير )

لأربعمائة وسبعين فرعوناً وخمسة ملكات. . . وألم يشأ ديودور أنه يكرر  
بنسبته لهم. . . بل فرعون. . . ما. . . كانت بحويه هذه الكتب التي يظهر أنه  
اطلع عليها ، ولكنه وضع خلاصتها وعلى ذلك الوثائق. بنى عمله . . . فداد. . .  
ندين هذه المكتبة موجودة قبل المسيح بخمسين عاماً خلا من أن يكون  
ذكرها وارداً في تلك السنويات الرسمية التي كان لا يزال يمكن الاطلاع  
عليها مهما كان مبلغها من الضبط قلة أو كثرة « ١ » .

وعلى رأى علماء المشنعين بالاندر فإن أوزيمندوس الذي كان  
يسميه الأعريق أوزيمندياس هو فرعون من العادة السادسة عشرة .  
وهذه العادة يعترف عهدها تقريباً بعهد انحوس أي بناريخ نحو ألفي  
سنة قبل الميلاد . فإنه انهنسوس أو عرب اربعة نذر العادة السابعة  
عشرة .

مثل هذه الاحديب ربما كانت تظهر لنا حديث خرافة ، إذ لا يمكن  
النصديق بوجود كتب في زمن بلغ من القدم حداً بالغايه ، إذا لم تكن  
حاصلين الآن في متاحفنا على الادبه ، التي لا تقبل التهم ، المنسبته لهذه  
الحوادث ، ففي باريس وفي تورينو وفي لندن وفي برلين . . . الخ اوزاق  
البردي والمخطوطات التي يصل تاريخها الى ثلاثه عشر واربعه عشر قرناً  
قبل الميلاد المسيحي. بل الى أبعد من ذلك . ولكل أن يراها ولمعرفة  
تاريخها ليس عليه الا ان يستغنى شموليون ودي روجي ومرييت وأميدى  
بيرون وليمانس ولبسيوس . . . الخ . أن برديه طورينو الشهيرة التي  
تكلم عنها شموليون في خطابه الى دي بلاكاس (ص ٤٢) هي على الأقل من  
القرن الثالث عشر قبل المسيح كما بينه لبسيوس « تودتبوخ ص ١٧ »  
وفي كتاب الملوك نقل لبسيوس (لوحة ٦) مخطوطة يصل تاريخها الى العائلة  
الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة ، وذلك ما يبرغ بنا الى أقصى مما ذكرنا .  
ووصف مارييت في مذكرته عن دار الآثار ببولاق (ص ١٤٨) بردياً وجد  
في طيبة في نحو المترين طولاً يتعلق بأحدى اشلاث الدلائل الاولى  
للامبراطورية الجريده ، وهذه المخطوطة لا يتل عمرها عن ١٢٨٨ سنة قبل  
الميلاد بل يمكن ان تكون من سنة ١٧٠٠ ومخطوطه أخرى (ص ١٥٣) طولها  
اربعة أمثال ونصف على ٣٥٠ ارتفاعاً وهي من متعلقات العائلة الثامنة  
عشرة فنكون من سبعة عشر قرناً قبل الميلاد . ويمكن ايراد أمثلة من هذا

(١) يتكلم ديودور على الأقل مرتين أو ثلاثاً على سياحته في مصر . ر . المجودة  
البارجية ك ١ ب ٤٤ ف ١ ب ٤٦ ف ٧ . وفيما يتعلق بمكتبة أوزيمندياس راجع  
الكتاب عينه ب ٤٩ ف ٣ . وإذا ما حادث سولون كهنه ساينس ذكروا له كتبهم المقدسة  
وفها سمويات البلد منذ ثمانية آلاف عام ( رطيماسوس ترجمة فكتور كوزان ص ١٠٩ )

التزوع الى مايشاء ، ولكن نحسبنا ما أوردناه وما أظن بنا حاجة الى المجاوزة  
بالايضاح الى ابعد من ذلك فقد كمل .

أكثر من ذلك . قد وجد بجانب المخطوطات الأدوات التي تصلح  
لكتابتها فناجين تحوى المادة المرنة وقصب الاقلام ، وذلك ما يعدل عندنا  
المحابر والريش ، والمصاقل التي تصقل البردى قبل الكتابة عليه ،  
والمقالم التي توضع فيها الاقلام . وفي دار الآثار بليون توجد الواح  
الكتابة ومعها ذوى فيها يميز المرء بغاية الوضوح الحبر الأسود او الاحمر  
وقد جف فى باطنها ودوى من البرنز . . . السخ . وكل هذه الآثار انما  
هى سابقة على العائلة السادسة عشرة على رأى ليمناس ( ص ١٠٨ ف  
٢٤٥ ) وفي دار الآثار ببولاق توجد الواح الكتاب ، ومعها كل لوازمها  
وهى كما قرر مارييت سابقة لعهد ابراهيم ( ص ٢٠٩ ) وعلى ذلك يكون  
عمرها من ٣٥ الى ٤٥ قرناً . وفي باريس في متحفنا المصرى أيضاً جميع  
الأدوات اللازمة للكتاب ( القاعة المنديبية - دولا ب P درج x )  
وكذلك فى قاعة الموتى ( درج LM . ترى المخطوطات اما على ورق البردى  
أو على القماش ، كل ذلك غير أوراق البردى الكبيرة المشورة المحيوسة  
بالاطر المغطاة بالزجاج والتي تبلغ أطوالها عدة أمتار . وفى ليدن  
مخطوطات تبلغ أطوالها الى اثنى عشر متراً . والواقع انه كان يمكن صنع  
ورق البردى الى طول غير متناه لان العرض وحده هو المحدود ولا يكاد  
يزيد من ٣٠ سنتيمتراً .

من التفاصيل التي تقدمت والتي يمكننا ان نزيد فى ايضاحها عند  
الحاجة أظن أننا نستطيع استنتاج النتائج الآتية التى هى كذلك ، كما  
يظهر لى ، حوادث ثابتة:-

انه فلاسفتنا للقرن الخامس والسادس قبل الميلاد كتبوا مؤلفاتهم  
سواء فى آسيا الصغرى أو فى اغريقا الكبرى ، وقد وصل اليها بعض  
أجزاء هذه المؤلفات من خلال الصعوبات التى كانت تقترن بنقل الكتب  
قبل اكتشاف المطبعة واختراع الورق من انقطن ومن الكتان او استعمال  
الرق . وانما كتب اكسينوفان وميليسوس بل ربما كتب طاليس وفيثاغورث  
أيضاً كلها كتبت كما يكتب كل الناس وقتئذ على ورق البردى المصرى .  
ولابد أن تكون صورها على شكل ورق البردى المحفوظ فى دور الآثار . ومن  
الممكن أن تكون أوراق البردى رتب ، منذ عهد قديم وبالتحقيق منذ  
عهد ارسطو ، بحيث يكون شكلها كشكل كتبها الحاضرة . ومن ثم تيسر  
جميع الكتب فى المكاتب ، فام المكاتب التى ينسبون لها الى بوليقراطس

ويزيسطراط لم تكن بلا شك الا تقليدا للمكاتيب المصرية التي كان أشهرها دار الكتب التي أنشأها أوزيمندياس .

ما الذى بقى علينا تعرفه ؟ ربما كان شيئا واحدا هو الذى تقتضيه نفوسنا الطلعة بحكم عاداتنا الجديدة فى دقة التحرى وهو صنع البردى المخصص للخطابات ولؤفات الكتاب . ومن محاش المصادفات ان بلاين الذى ليس أقل منا حبا للاطلاع قد نقل اليينا هذه المعلومات اذ يقول لنا كيف كان يصنع ورق البردى فى زمنه . ومن المفهوم ضمنا أن هذه الصناعة قد نالها بعض التحسين بمرور الزمن الطويل الذى يمتد من عهد أوزيمندياس الى القرن الاول للميلاد ، ولكن الاصول الرئيسية لهذه الصناعة لابد أن تكون قديمة جدا بل الظاهر أنه لم يكده يدخل عليها أقل تغيير . (١) .

وفد عني بلاين عناية كبرى بوصفه هذا القصب المسمى برديا نظرا الى « أن المدنية وتذكارات الاشياء مرتبطان باستعمال الورق ، وبهما يتعلق تخليد ذكرى الرجال » . أما فرون فانه لم يبلغ بتاريخ استعمال الورق الى أبعد من عهد اسكندر الأكبر وتأسيس مدينة الاسكندرية . وقد يكون ذلك صحيحا فيما يتعلق باستعمال الورق فى روما ، ولكننا قد رأينا آنفا انه لا يمكن أن يكون صحيحا بالنسبة الى مصر ولا الى افرىقا ، وبلاين لا يشاطر رأى فرون مهما كان معتبرا . وهالك ما يقوله فى ذلك الخبث النفيس الذى يريد درسه :

ينبت البردى فى المستنقعات أو مياه النيل الراكدة على عمسق لا يزيد على ذراعين ، جذره المروج فى ثخن التراع تقريبا ، وساقه مثلث الاضلاع ويندر أنه يعلو أكثر من عشرة أذرع يتناقص سمكه من تحت الى فوق . فأما جذره فيستعمل وقودا وقد تتخذ منه بعض الآنية ، وأما ساقه الحطبي فتتخذ منه القوارب ، ومن قشرته تنسج الشرع (٢) والحصر والملابس والاعطية والحبال . وذلك ما قرأناه آنفا عن تيوفراسط ونقله عنه بلاين بلا شك . وأن بردى مصر فى كل الاستعمالات التى ذكرناها خير من كل بردى آخر ، فانه البردى الذى ينبت فى سوريا أو على شواطئ نهر الفرات بقرب بابل بعيد عليه أن يساوى البردى المصرى خصوصا فى صنع الورق

ولصنع الورق يقسم البردى الى اشربة رقيقة جدا وعرضة بقدر

(١) بلاين . التاريخ الطبيعى ك ١٢ ب ٢١ وما بعده ترجمة وطبع ليرى .

(٢) وهذا ما كان يصره هيرودوت حينما كان يسبح فى مصر ك ٢ ب ٩٦ وعندنا فى متحف

الوفر - تعال من البردى .

الممكن . وأحسن شريط منها هو شريط قلب النبات ثم الذى يليه على هذا الترتيب . وبهذه الطبقات الداخلية وحدها كان يصنع ورق الكتنب المقدسة وسمى الورق من ثم باسم هيرأتى . وبعد حين اعطى لا على درجة من الورق المنقى بالفصل اسم أغسطس ، كما صميت الدرجة الثانية من الورق باسم ليفى امرأة أغسطس ، وكان الهيرأتى اذا فى الدرجة الثالثة وورق الدرجة الرابعة سمي افيتياترى نسبة الى المكان الذى كان يصنع فيه . ومن انواعه المتدركة الى أسفل ورق سايس الذى يصنع من قراطه البردى ثم ورق الطينيوطيقى من مدينة قريبة من سايس ويباع بالوزن ، ثم ورق الانبوريتيك أو ورق المتجرى ، ولا يصلح الا للظروف او لفه البضائع ، وبعد هذه الاشرطة تأتى قشرة البردى وهى اشبه ما تكون بقشرة الخيزران لا تصلح الا للصنع الاحبال التى لها خاصة البقاء فى الماء .

كل انواع الورق كانت تصنع بطريقة واحدة ولا يكون الاختلاف الا فى مادة الورقة ، ومتى اخذت الاشرطة بعناية تنشر على نحو خوان مندى بماء النيل ، فان هذا السائل الحامل للطين يصلح كإزاق لتقوية الاشرطة وضما بعضها الى بعض . وعلى هذا الخوان الممال نوعا تالزق الاشرطة على طولها وتقرض من نهايتها حتى تصير منتظمة ومتساوية فى الطول ثم يؤتى بأشرطة أخرى توضع بالعرض على شكل تعريش، ولوقاية الورق من التمزق كانوا يضعونه تحت المكيس فيحصلون منه على الورق الذى يعرضونه بعد ذلك للشمس ليجف . ثم يضعون هذه الاوراق بعضها فوق بعض لتكون منها فرائد الورق التى لا تتجاوز عدة الواحدة منها عشرين ورقة . وكان الورق مختلف العروض وأحسن ما كان فى عرض ثلاثة عشر اصبعاً ، والهيرأتى لم يكده يتجاوز عرضه الاحد عشر، وقال فانيوس أن هذا الورق الهيرأتى الذى اشتق اسمه من اسم ذلك الصانع الماهر الذى أبدعه لا يتجاوز العشرة . والورق المتجرى كان فى عرض ستة اصابع . وكان يمكنهم أيضا أن يصلوا الاوراق اطراف بعضها ببعض ليحصلوا على ورق لانهاية لطوله كما عندنا .

وكانوا يقدرون الورق كما نقدره نحن برقته ومتنانه وبياضه وصقله . وقد اهتم الامبراطور كلود بتحصين ورق أغسطس الذى كان يجده أرق مما يلزم واكثر شفافية فجعل منه ورقا جديدا بأن جعل السدى من اشرطة الدرجة الثانية واللحمة من اشرطة الدرجة الاولى ، وبهذه الطريقة زيد فى عرض الورق اذ بلغ عرضه ذراعا فى الفرج الكبير . وكانوا يفضلون ورق كاود فى الكتنب ويستعملون ورق أغسطس فى المخططات .

وكانوا يصلقون الورق بقطعة من العاج أو بمحارة ناعمة ، ولكنه كان

من أنلازم الوقوف بهذه العملية عند جد هذين ، والأ زلق الحبر هلا يأخذ في الورق وتكون الحروف المكتوبة معرضة لأن تتمحي عما قريب ، وذلك هو الذي يحصل في ورقنا حين يجاد صقله أكثر مما يلزم . ربما يكون حسن في مرأى العين ، ولكنه لا يطيب الانتفاع به . وقد كان يحدث ماء النيل الحمىء ضررا من هذا النوع متى صب من غير احتراس في ابتداء العملية اذ يجعل الورق غير قابل للكتابة بل يترك فيه رائحة يعرفونها له وبقعا كان يلزم لازانتها أن يخرقوها من مواقع البقع ويرقعوها بغاية الدقة حتى لا يظن لها المشتري ، لحسن سبك الغش فيها ، الا بالاستعمال اذ يشرب الورق الحبر في مواضع الرق ويجعل الحروف سائحة لا تقرا الا قليلا .

لذلك قال بلالين انه لتوقي تلك العيوب المختلفة كان يلزق الورق بكيفية تجعله اطرى من قماش الكتان نفسه ، ووجد أن هذه الطرائق فعالة جدا قال : انه رأى عند أحد اصحابه وكان مغرما بخطوط انونين مخطوطات لشيشيرون ولاغسطس ولقرجيل على ورق من هذا النوع ، بل رأى عنده مخطوطات لطيبيريوس وقايوس غراكوس مضى عليها مائتا عام مما يدل على أن لصق الورق كان من الجودة بحيث يقاوم كر الزمن .

وبعد أن اورد بلالين هذه التفاصيل عاد ينقضي رأى فرون في أن استعمال الورق حيث في ايطاليا وحاول ان يثبت ، ضد مذهب ذلك لعالم أن الكتب كانت معروفة منذ زمن «نوما بومبيليوس» فقد عثر في تابوت هذا الملك الذي وجد في زمن قنصلية سيتيفوس وبمبيوس طنفيلوس ، بعد موته بخمسمائة وخمس وثلاثين سنة ، على كتب من الورق . لذلك ثلاثة كتب جاءت بها العرافة الى طرخان الاجل كانت مكتوبة على ورق حرق منها اثنين والثالث الذي قبله هذا الملك البصير قد حفظ الى عهد سيلا ثم باد في حريقه روما . واذا أريد برهان دامغ غير منقطع الاثر على استعمال الورق في الزمن القديم فما على المرید الا ان يتصفح رسائل شيشيرون فيجد فيها المعلومات المضبوطة القوية في هذا الموضوع . فان الناس ما زالوا يستعملون الاوراق مع السهولة القصوى ، ويسرفون في استعمالها الى الغاية . كتب شيشيرون الى اطيقيوس كل يوم بل مرات عديدة في كل يوم تارة رسائل طويلة ، وتارة أخرى تذاكر بسيطة يرسل اليه مع رسوله بعض أسطر أو صحيفة اذا لم يكن لديه مايقوله أكثر من ذلك أو سلسلة من الصحائف لا آخر لها اذا انطلق قلبه يتدفق أو اذا حضرته مناقشة مسائل هامة . ومتى كان موضوع الكتاب يهم عدة اشخاص عمل منه نسخ بعدهم . أو صرح للمرسل اليه باتيان هذا العمل ، أما اذا كان



موضوع الكتاب دقيقاً يشطب الكاتب غير مرة العبارات النقصية عن تأدية المعنى المراد تماماً ، ويرجع مرات على ما كتب ويهذب ويحرره . وإذا كان الكاتب قد أخذ منه الثبات أخذاً يبيكه ترك دموعه أحياناً تمحو الكتابة ومتى فرغ من الكتاب طواه وحتمه . فإذا نسي أن يكتب شيئاً أو أهمل تفصيل معنى من المعاني فتح الكتاب من جديد ، فأن كانت الورقة لا محل فيها كتبت الزيادة بالعرض . ومتى قرأ الكتاب المرسل إليه وكان لا يتضمن شيئاً يراد حفظه مرقه . ولا يتساهل في ذلك إذا كان المرسل قد أوصى بحفظ سره . فإذا طرح الكتاب مطرحاً من غير أن يمزقة فيمكن رده الى مرسله إذا طاب رده اليه . فإذا لم يجد أحدهم ورقاً مسح الكتابة من على ورقة أخرى وكتب عليها بعد غسلها أو كشطها متى فرغ الكاتب من كتبه جمعها وسلمها الى البريد يوصل كل كتاب الى المرسل اليه بغاية الأمانة . وقد تبرز الفرصة فيكتب الى أصحاب متعددين في جهة واحدة ، فإذا فك المرسل اليه الصرة وزع الكتب على المرسل اليهم ، وعند الحاجة قد ترسل الرسل الى الأشخاص البعيدين .

ويمكن أن يحمل الانسان بنفسه كل هذا التعب ، يكتب كتبه بيده ويختتمها ويرسلها ، وقد يتخذ له سكرتيراً يكل اليه كل ذلك ، يمل عليه الكتاب ويوقع عليه بتوقيعه . فإذا كان المرء متعباً ، وعلى الأخص إذا كان به رمد اضطر الى تكليف غيره ، وفي هذه الحالة يعتذر لصاحبه بعجزه عن ان يمسك القلم ، كما نقول نحن في هذا المقام . وهؤلاء السكاترة هم محل امانة بالضرورة متى كانوا يطلعون على أسرار العائلة والاعمال الخصوصية والسياسية . وفي الغالب يستحقون هذه الكرامة التي يربون اياها ، ولكنهم أحياناً يخونون ساداتهم ويفرون بها معهم من الأوراق . ولما انهم عادة من الارقاء يقتفي أثرهم ويقبض عليهم الا اذا أبعدها في فرارهم بحيث لا يمكن الوصول اليهم . ويخلف الخادم غير الأمين أو الماخذم أكثر أمانة وأفر كفاءة ، كل ذلك على عجل بحيث لا ينقطع سير المراسلة زمناً طويلاً .

وإذا كان استعمال الكتابة في الشؤون الخصوصية من السرعة والسهولة على ما وصفنا فقد كان استعمالها في الشؤون العامة لا يقل عن ذلك الوصف ، فان تحرير جميع العقود الرسمية يحصل بداية السهولة . ومتى استكملت هذه العقود الشرائط المطلوبة عمل منها نسخ بقدر عدد المنتفعين بها . كذلك الاوامر تصدر الى الموظفين القائمين بالاعمال التنفيذية من كل الطبقات والمخاطبات الادارية تحصل بوسائل سريعة مأمونة يظهر انها تشبه على الأقل ما هو عندنا الآن . فالى اقاصى حدود الجمهورية تصل الاوامر العالية التي يصدرها مجلس الشيوخ ويتخذ من

هذه الاوامر صور رسمية تحفظ بمحافظ السجلات ، ولولا المحن المتنوعة التي قلبت حال العاصمة الرومانية الخالدة من فتن داخلية ونهب وحرائق وحروب خارجية وهجوم وغارات ١٠٠ الخ . لولا ذلك كله لكان المرجح ان تكون بين أيدينا تلك الوثائق التي هي انفس لتاريخ منها لارضاء حينها الاطلاع على ذخائر الفن . فان المادة التي كتب عليها كل ذلك يمكن حفظها بدون أن تتغير مدة ثلاثين قرنا ، كما تشهد به أوراق البردي المحفوظة في دور الآثار عندنا . فاذا أصابنا ما أصابنا من فقد معالم من ذلك القدم المحترم المخصب فانما كان ذلك من خطايا الناس لا من خطيئة الزمان .

كذلك كان استعمال الكتب منتشرا عاما في عهد شيشيرون كاستعمال الخطابات كما هو الحال في أيامنا ، فلم يكن أحد من الاهالي ذو ميسرة وعلى شيء من العلم الا له مكتبة على شكل المكاتب التي كانت لاهالي الاسكندرية وفي سائر مدائن الاغريق من قبل ذلك بقسرين أو ثلاثة قرون (١) . كان لكل امرئ في روما مجموعة من الكتب يختارها لنفسه بنفسه أو بواسطة صديق له عوضا عنه اذا كان لهذا الصديق من مركزه يمكنه من ذلك أو كان معترفا له بحسن الذوق في هذا النوع . وقد كان من شيشيرون أن كلف أطيقيوس اذ كان في آتينا أن يرسل اليه تماثيل وزخارف ليزين بها مكتبته التي كان يسميها الاكاديمية . ولما كان أطيقيوس يريد أن يتخلص من بعض كتب نسسخها ويريد بيعها رجاء شيشيرون في ألا يبيعها من غيره لانه كان معجبا بمكتبة أطيقيوس ، وكانت مؤلفة بمنابة خصوصية ، فطلب اليه تلك النسخ ليجعلها أساسا لمكتبته ، ولا يكون عليه بعد ذلك الا أن يكملها على حسب ما تقتضيه حاجته ودراسته وهواه ، كان ذلك في سنة ٦٨٦ ولم تكن سن شيشيرون تجاوز الأربعين ، ومع ذلك يفكر في أن ينزوي من ميدان العمل الى مسكن جميل هادئ يعيش فيه مع كتبه « تلكم الصاحب القدماء » التي يحب مخالطتها حبا جما ، كما كان يقول ذلك لفرون الذي هو أيضا يفوق شيشيرون في الشغف بالعلم والابحاث المتنوعة في قديميات وطنه وقديميات الامم الأجنبية . حين تمكن شيشيرون من بعض ساعات الراحة والعزلة حبس نفسه في مكتبته التي زخرفها وزينها ، واختفى وسط كتبه حتى كان يجعل منها ركاما عظيما يحيط به من كل ناحية . ومتى لم يكن لديه ما يرغب في مراجعته استنسخه عنه أحد أصحابه ، فاذا كان لبعض

(١) نقل سويتون أن فيصر كلف فرون بانشاء مكتبات عامة فيها السكتب الاغريقية واللاتينية . وقد وضع فرون مؤللا خاصا بالمكتبات ولكنه مفقود مع الاسف . راجع كتابه جستون بوايزير ص ٢٢ . ٤٧ على فرون .

الاصحاب مثل هذه الحاجة قضائها لهم على خير وجه فيكلف كتبتنه ومقريبه وسكاترتة بنسخ الكتاب المطلوب ، ويجد لذة في اهدائه كما كان يسره أن يتقبل كتابا يرسل اليه . وكان من الجارى فى عرفهم أن الرجل يهدى الى صاحبه الكتاب الذى يعرف أن له فيه رغبة مستترة أو كان له به حاجة من غير أن يطلبه . واذا زار احدهم آخر فوجد كتابا يوافقه أعير اياه فيرده بعد أن يقضى منه حاجته الخ .

يمكننى أن أضاعف هذه التفاصيل الى غير نهاية ، ولكن ما الفائدة فى ذلك والناس يعلمون أن الرومان فى آخر الجمهورية وقبل بلاين الذى أجاد لنا فى كيفية صنع الورق بمائة وخمسين عاما كانوا قد اتخذوا من البردى كل ما نتخذاه الآن نحن من الكتان ومن القطن ، فكان الناس يكتبون فى روما بمقدار ما نكتب نحن فى الاغراض الاجتماعية عينها وينفس السهولة والحدة ، بل مع تشابه تام فى التسهوات والمباراة . كانت المادة مختلفة ولكن الموضوع واحد . ولا أجد بين الحالين خلافا الا الخلاف الكبير الذى هو المطبعة التى لم تكن لتستكشف الا بعد ذلك بخمسة عشر أو ستة عشر قرنا . كان نسخ الكتب والاوامر الادارية والخطابات أمرا غاليا وبطيئا ، وذلك يستتبع أن تكون تلك النسخ قليلة العدد وفى غاية التعرض للضياع . جاءت المطبعة فجعلت النشر وانقل والحفظ ألف مرة أكثر أمانا وألف مرة أكثر سرعة وألف مرة أرخص ثمننا . بيد النساخ استبدل ضبط المكيئة المعصوم وفوتها التى لا تعرف حدا ورخصها الذى لا ينافس ، ولكن ذلك لم يكن مهما قيل فيه الا تغيرا ماديا صرفا ، فان المقصود متوفر فى الازمان الغابرة . على ذلك يكون المخترع الحقيقى الكبير لا يزال هو الشيخ توت أو أى ساحر آخر من السحرة المصريين الذى أنطق البردى والحروف التى رسمها عليه قلم الكاتب مغمورا فى مادة ملونة . وعلى الرغم مما كان يفكر فيه البصير طاموس فان المقالة المكتوبة فى الذهن لم تكن لتكفى الا الذى يحملها فى طيات نفسه لانها منعزلة وشبه صماء . وما كانت المقالة لتعيش الا بالكتابة ، ويمكنها أن ترجو من العمر ما لا ينبغى للفرد الفانى أن يرجوه أبدا ، فان أوراق البردى لا تزال تكلمنا ، وسوف تكلم أحفادنا أزمانا طويلا مع أن طاموس قد حبس عن الكلام منذ أربعين قرنا . من ذا الذى كان يعرف ما افكره لو لم يكن أحد الكتابة الاقل حذرا منه قد سجل لنا أقواله التهكمية على صفحات البردى التى شد ما كان يستهين بشأنها ذلك الفرعون الحكيم المسرف فى الحكمة .

بعد ان ثبتنا فلاسفتنا فى نصابهم منا حقيقة الحوادث التى كانت تعتور حياتهم فى حال الدراسة أو فى حال الحرب ، فى حال الإقامة أو فى

جان التشرود • وبعد أن بيننا الظروف الحسية التي ألفها فيها هؤلاء فاتهم صار جائزاً لنا عن بينة ونية من ادعائنا أن نتسائل الى أي حد كانت أصدية هذه الفلسفة ؟ انها كما يظهر لنا نبتت نحو القرن السابع قبل الميلاد في آسيا الصغرى المرتبطة بروابط وثيقة مع جميع البلدان المحيطة بها فبأي شيء هي مدينة لها ؟ وهل استعارت منها شيئاً ؟ أم هل هي مسقة تمام الاستقلال ثم تتبع سواها ؟ وهل لم تنهل شيئاً من غير مذاهبها الذاتية ؟ كانت مذاهب طاليس وفيثاغورث واكسيندوفان محض ابتذاع لبنا من الاصلية ما أشعر هوميروس وسافو وأرخيلوكس والكايوس ؟ وسبارة أخرى هل الغرب الذي فتح صدره للحياة العلمية يدين بشيء للشرق الذي هو مخالف له والذي هو معتبر أنه متقدم عليه بكثير في هذا الطريق الموعر الذي حده النهائي هو الفلسفة ؟

أجيب من غير تردد بالسلب وإن أغريقاً لم تدن لأحد غيرهما ، وإن المساعدات التي وردتها تكاد تكون من خفة الوزن بحيث يمكن الجزم بأن أغريقاً في العلم أيضاً كانت ذات أحداث وإنتاج ، شأنها في بقية الأشياء الأخرى ، وإذا كانت تلتفت شيئاً عن جيرانها فما هو إلا أصول عديمة الصور فصورتها هي وبلغت من تصويرها حد التمام بحيث يمكن القول بحق انها هي التي أوجدها في الواقع •

وعلى أن أقدر بأدنى ذي بدء ماذا يعني بالفلسفة ؟ وحسبى حدها وهو : « اتجاه العقل اتجاهها الى العلم » • المشاهدة لأجل العلم من غير غرض آخر الا فهم العالم الذي نعيش فيه وظواهره وأصله ، نعماته • هذا هو المذهب الذي تولد وقتئذ لأول مرة في العقل الانساني ، الذي ، من طاليس وفيثاغورث واكسيندوفان الى عهدنا ، لا يزال ينمو من قرن الى قرن ، والذي ينمو في المستقبل بلا انقطاع مادامت القرون ، مادام الزمن الذي نقاس به ما نقاس به الزمن الانساني • ذلك هو ما اجادت الفلسفة في ردالة أمرها عملة أن اعتقلت حركتها العنصرية فلا استثناء • وماهي الا بسبب ضعف عقلنا وضعف راتنا الدجج العمام ان الفلسفة دت العائد الحصر صمة شدة ثا ما انزلت أمراً الفلسفة عن أولاده • لكننا ما زالت نندرس ، ندرس كما ندرس • ما زال العلم والفلسفة أنهما دت داتهما الخاصة المتوزعة أجزاءها في العلوم المختلفة التي الفلسفة أصلها وتماها ، ولكنها في تلك الايام الاولى كانت مختلطة بجميع العلوم ، لان العلوم لم تكن بعد قد خرجت منها • من هذا سكت نفسها بذلك الاسم الجليل المتواضع ، فان فيثاغورث لما سألها ليونطاغية الفلياز ( سيقونيا ) أجاب بأنه فيلسوفاً وهو اسم لم يسمع من قبل •

الفيلسوف ليس الا صاحب الحكمة أى صاحب العقل ذلك العقل الذى يدرس الاشياء ويدرس نفسه أيضا . وقد كان فيثاغورث يقول : « حال الناس فى الحياة يسعون فيها يشبه حال الجمهور يتقاطرون الى الاعياد الرسمية . وفى جمعيات الجمهور الفسيحة لكل واحد من الساعين اليها اغراض مختلفة ، أحدهم يقصدها ليبيع فيها بضائع مدفوعة بحسب الكسب وآخر لا يقوده اليها الا حب المجد والرغبة فى ان ينال قصص السبق فى القوة أو فى المهارة . وطائفة أشرف من هؤلاء لا يظهرون فيها الا لمشاهدة جمال محال تلك الاجتماعات وعجائب الصناعة المعروضة لانظار الجميع . كذلك فى الحياة ، لناس الذين تضمهم الجمعية الانسانية مشاغل متباينة . فمنهم المجرورون بجواذب الثروة والتمتع التى لا تقاوم . وآخرون مملوك عليهم أمرهم بانطعم فى السلطان والشرف وهما لا ينالان الا بالحروب الحادة والمنافسات التى تسفك الدماء ، ولكن الغرض الاسمى للرجل هو امعان النظر فيما فى هذا الكون من الجمال المتنوع الذى يقدمه لانظارنا وبذلك يستحق عنوانا فيلسوف ، فمن الحسن أن ينظر المرء الى اقطار السموات الفسيحة يتتبع سير الافلاك التى تتحرك فيها على قدر غاية فى النظام ، ولكنه لا يستطيع فهمه جيدا الا بالمبدأ المعقول المجرى الذى يسير الكون ويحصى كل شىء عددا ومقياسا ، فالحكمة تنحصر فى التعرف بقدر الممكن لهذه الظواهر الالهية الابدية الاولى التى لا تتغير . والفلسفة ليست الا التتبع المستمتر لهذه المراسمة الشريفة التى تميز الناس وتصلحهم (١) .

منذ البداية قد علمت الفلسفة ما كانت تفعل ، منذ خمسة وعشرين قرنا لم تبحث الفلسفة الا فى تحقيق الفكرة التى قامت بها عند خطواتها الاولى بالتدرج تحقيقا كاملا . وما زالت حكمة فيثاغورث هى حكمتنا وان كانت العلوم قد رقت رقتا كبيرا جدا ، ولكن الفيلسوف لم يتغير فإنه سيبقى دائما هو الذى يتأمل فى الاشياء ويلاحظها ليفهمها وليفهم نفسه ، هذا هو معنى العلم والفلسفة الذى أنسب شرفه الى أغريقا دون سواها . فمن أغريقا تلقيناه من غير أن يكون افئذكه أحد من قبلها فى هذا الشرق الذى كانت تعتقده ويعتقده غالب أهل زماننا ينبوع كل نور وحكمة .

من كانت تستطيع أغريقا أن تستعير هذا المعنى وتعتقده؟ أم من مصر

(١) يميلك ، حياة فيثاغورث ب ٧ ف ٥٨ ، ٥٩ طبعة فرمان ديدو على اثر ديوجين اللايرتى . بشكل هذه الوثائق واثاق يميلك وفريريوس يمكن جمع حياة فيثاغورث المهمة ونبتة تامة عن مذاهبه الاصلية .

ام من فينيقيا ام من الفرس ام من الهند ؟ لا ارى غير هذه الامم أحدا كان يستطيع ان يعلم الاغريق شيئا وأقول: ان هذه الامم ولو انها علمتهم اشياء كثيرة فلم تعلمهم الفلسفة أصلا . لا شك في أن كثيرا من فلاسفتنا وفيثاغورث على الاخص سباحوا سياحات طويلة في تلك البلاد وانهم ذهبوا انهباً ليتعلموا ، فان فيثاغورث الذي ربما كان يدلى الى فينيقيا بعائلته ذهب الى مصر كما فعل طاليس من قبل وكما فعل هيرودوت بعده بقرن وأقام فيها ويقال : انه لقن الاسرار الخفية . وقد يمدن تصديق ذلك بسهولة ، لان سولون ذهب اليها ايضا . والظاهر يدل على انه لم يقف عند محادثة كهنة سايس (١) في أمر الاطلانديد ، ومن المحتمل ايضا ان فيثاغورث جاوز مصر الى كلدة وتحادث مع المجوس كما كان قد تحدث مع الكهنة المصريين . والفضل في ذلك يرجع الى الطريق الملكي الذي أنشأه دارا يصل به المسافر من سرديس الى صوص في أعماق فارس وراء دجلة والفرات من غير مشقة الا طول السباحة التي تقطع في ثلاثة أشهر . وليس يرى لماذا لا يدفع حب العلم الى ازمارع مثل هذه السياحات في حين ان السياسة ، حتى قبل فتح ذلك الطريق ، كانت تقتضى كل وقت علاقات من هذا النوع . وقد كانا حكماء الاغريق مشوقين دائما الى زيارة مصر وفينيقيا وكلدة وهي البلاد التي كانت كانوا يؤمنون ان يجودوا فيها كنوز العلم . والواقع انهم جابوا تلك الاقطار الشاسعة مع ما عليه الوصول اليها من المشقة .

ماذا جلبوا منها ؟ الآن وعلى أثر الاكتشافات اللغوية والاثرية التي جاء بها قرننا الحاضر والمعلومات الهيروغليفية والكتابات وأوراق البردي المصرية وكتب زورواستر وكتب الهند المقدسة ودين البراهمة والبوذيين ، نقول ان طريق الجواب مفتوح أمامنا ، ونستطيع أن نرى فيه أحسن مما رأى الاغريق ، نرى ماذا كانت حكمة الشرق المزعومة . تلقاء الآثار المفسرة بالضبط الكافي ان لم يكن بالكل فعلى الأقل بالجزء تعلم ماذا تساويه وماذا يمكنها أن تؤتيه ، يبحث فيها عبثا عن الفلسفة وهي عنها غلبة فكيف يكون الاغريق حتى مع تناول الاسرار الخفية قد وجدوا الحكمة فيها مادامت لم تكن فيها .

نطرح الى جانب فينيقيا ويهودة جميعا ، فان التوراة أثر ذو قيمة لا تقدر ان بما تشتمل عليه وان بما خرج منها، ولكي لا أرى ان اغريقيا استعارت منها شيئا أيا كان ، واذا كانت كتب اليهود المقدسة قد وصلت اليها بأية

(٢) راجع طيمولوس اللاتون ترجمة فكتور كوزان ص ١٠٧ وما بعدها .

طريقة كانت فلماذا تخفى ذلك وهى قد اعلنت اعلانا عاليا بل عاليا فوق  
مايلزم حكمة مصر وحكمة المجوس ؟ أى عقبة اعترضتها فى اطراء الحكمة  
العبرانية اذا كانت عرفتها ؟ يمكن أن يؤسف على أنها جهلتها ، وأنا أظن  
أيضا أن اغريقيا التى كانت مستعدة للرقى بنفسها كانت تجد من دراسة  
كتب موسى مساعدة قوية ، ولكنها ما علمت منها شيئا . والقول بضد ذلك  
يمكن أن يكون دليلا على إيمان حاد ، ولكنه ضلال مبين لا ينهض واقفا أمام  
أدلة الحوادث . فلما ترجم التوراة السبعون بعد ذلك أى فى عهد بطليموس  
الثانى فيلادلفى (٢٧٥ قبل الميلاد ) أمكن الاغريق أن يقرعوها وليس يرى  
أنهم تحركوا لها ولا استناروا بها ، ولو قرئت عليهم فى زمن طاليس  
وفيثاغورث لكان أثرها أقل من ذلك أيضا ، ولو فسرت لهم لمسا كادوا  
يفهمونها ولا يصغون اليها . والواقع انها لم تفهم شيئا .

أقول عن مصر ما قلته عن فينيقيا ويهوذة تقريبا ، فمن عهد الاكتشاف  
العظيم الذى أتاه شنبوليون ومن كل الأعمال التى تبعتها وأيدهته يعلم ماذا  
كانت أرض الفراعنة القديمة ، فقد يكون الانسان وثقا من أنه لن يصادف  
فيها ما يدل على الفلسفة الا بيانات غير منتظرة من نوع جديد . كانت  
الاعتقادات الدينية مستفيضة فيها ، وكانت عريقة فى أصليتها جميلة على  
حافيتها من شذوذ ، ولكن العلم بالمعنى الخاص لم يكن بها ، وكل شيء  
يساعد على اثبات أنه لم يكن فيها أصلا بل لم يكن ممكن الوجود بها على  
رغم ما عليه أهلها من الذكاء الحقيقى ، ان ذلك لا يقلل من أهمية دراسة  
مصر ، ولكنه لا ينبغي أن ننتظر منها ما ليس فيها . لها سنويات وليس  
لها تاريخ . يمكن ان يكون لها مشاهدات مضبوطة لبعض الحوادث الطبيعية  
والفلكية على الاخص ولكنها ليس لها علم . لها مذاهب دينية وليس لها  
فلسفة . حالها كحال فينيقيا جارتها وحال يهوذة التى كانت خاضعة لها  
وتخلصت منها منذ عهد موسى . يمكن أن يكون لها معلومات كبرى ولكنها  
لم تملئها ولم تركزها على مبادئ معينة .

وللحكم على مجوس كلدة لدينا مذكره هيرودوت وما كتبه الكتاب  
المعاصرون وما تعلمنا اياه الكتب الدينية المجوسية التى فتحت لنا مقالها  
حديثا علماء اللغات وفى مقدمتهم ايجين بورنوف .

أما على قول هيرودوت الذى يظهر أنه رأى المجوس عن كثب فانههم  
لا يكادون يكونون الا عرافين . عندما أراد اصطياف ملك الميديين ان يفسر  
الحلم الغريب الذى رآته ابنته مندان قصد الى المجوس المحترفين بتعبير  
الرؤيا واتبع نصيحتهم مع التخرج ، اذا امر بقتل حفيده قيروش . وعندما  
يريد قمبيز أن يجمع حملته الجنوبية على مصر يعهد الى مجوسى القيام بأعباء  
الدولة مدة غيابه فيسى المجوسى فى ثقة الملك به ويجلس على العرش أخاه

سمرديس الكاذب ، ولكن الفرس غاظمهم هذا الاغتصاب الذي يفضى اليه خضوعهم للمجوسى ، فاتفق سبعة منهم تحت امرة الفارسى دارا بن هستاسب وذبحوا الاخوين اللذين تبرءا الملك غضبا ، وهم هم المجوس الذين يفسرون حلم اكزاركزيس ، اذ يهم بمحاربة اغريقسا وعلى رأيهم يمشى ، وبينما هو فى الطريق على ضفاف الستريمون ، اذا بالمجوس يذبحون الخيل البيض يستفتحون بها باب النصر . فلما شنت الاسطول ( ٤٨٠ قبل الميلاد ) بريح عاصف على شاطئ تراقيا فى رأس سبياس ، غير بعيد من أطوس حيث هلك أسطول آخر قبل ذلك بعشر سنين ، اذا بالمجوس يقربون قرابين للريح ليهبطوا ثائرتة فى اليوم الرابع . وبالجملة لا يقرب قربان الا بحضرة مجوس لينشد ما يسميه هيرودوت تيوجرنى ( أنشودة الآلهة ) ليتم بذلك الاحتفال الدينى .

من أجل ذلك كانت فى اغريقا القديمة وعلى الخصوص فى رومـ شهرة للمجوس وكراهة لهم فى آن واحد ، ومن اسمهم اشتق اسم ذلك الفن الخفى الذى هو « السحر » وهو مخوف عند العامة وطالما غرر بهم . وقد أنحى عليه بلاين بالسخط فوق ماقد يستحق (١) . ومنذ عهد أرسطو كانت تلتصق هذه التهم بمجوس الفرس والكلدان ، فان هذا الفيلسوف قد أفرد مؤلفا خصيصا بذلك وسماه « الماجيك » (٢) ليدفع عنهم التهم التى ظهر له فسادها . وفى كتابه المسمى « فى الفلسفة » ظن أن من الواجب عليه أن يشتغل بأمر المجوس الذين يعتبرهم أقدم عهدا من كهنة مصر . ولما وصل الى لاهوتهم تكلم عن الاصلين اللذين يعترفون بهما : الحسن والقبيح « أوروماز - وأريمان » . ومن الكتاب المتأخرين عن أرسطو من جعل المجوس آباء الجموزوفست ( فلاسفة الهند المتريضين ) بل آباء اليهود أيضا . وفى كتاب دائيال الذى كتب فى عهد دارا أن مجوس بابل ليسوا الا منجمين وسحرة ومفسرى أحلام ، ومع ذلك كانوا يلقبونهم بالحكماء ، ولكن الخدم التى تطلب منهم لا تكاد تدل على أنهم أرفع درجة من المحتالين والسحرة الدجالين ، فهل هم أنفسهم أولئك الذين كان لهم ارصاد فلكية فى بابل قدرها أرسطو خيرا تقدير (٣) .

ولكن المجوس اذا كانوا فلكيين مهرة فليسوا فلاسفة ، وكتبهم الدينية (زند) التى نعرفها الآن بطريقة أكيدة تبين لنا ذلك بغاية الوضوح -

(١) بلاين التاريخ الطبيعى ك ٣٠ المخصص كله لهذه المسألة .

(٢) ديوجين اللايرتى فى مقدمته ف ٨

(٣) أرسطو كتاب السماء ك ٢ ب ١٢ ف ١ ص ١٧٨ من ترجمتى .



«فان الهنديداد واليسنا واليشث وجميع القطع المنسوبة الى زورواستر ( زاراتسترا ) تشتمل على آثار من ديانة ظاهر عليها الجلال والقوة في خلال تلك الظلمات ، ولكنها لا تشتمل على مذهب فلسفى . وهذه الكتب هى كل مايمكن اسناده الى مجوس كلدة . فاذا كان فيثاغورث قد اطلع عليها بالمصادفة فانه لم يدخل منها شيئا في مذهبه الخاص : صلوات وأدعية وأناشيد وعقائد مبهمة وغير مستقرة وآثار من سير مقدسة . وخرافات ليست هى خرافات الفيداس وليست كذلك من خرافات الاغريق ، ذلك على الاخص هو كل ما يمكن أن يقرأ في كتبهم . وهذا في الحقيقة لا ينقص من أهميتها الكبرى ، فان تاريخ الديانات يمكن أن يكتشف فيها الاصول النفيسة للغاية ، ولكن تاريخ الفلسفة لا يجد فيها شيئا يجنيه ، وعلى ذلك لم يكن المجوس ولا المصريون قد أوحوا الى اغريق يونيا شيئا .

افتكون الهند ؟ ولا هى أيضا .

ليل حالك لا يزال يغشى الاصول الهندية وأخبارها ، ولان هذه البلاد ماكتبت قط تاريخها نصادف أكبر العناء في ترتيب الحوادث والوقائع المتنوعة التى تتعلق بها . كذلك الحوادث الخاصة بالعلوم والآداب لا تخرج عن هذا الخفاء العام . ومع ذلك يبين لنا ، وسط هذا الاختباط الذى يكاد لا يخلص أبدا ، بعض الاصول الرئيسية الحققة على ما فيهما من شدة الابهام ، فيمكن الجزم بأننا آثارا بعينها من آثار العقل الهندى أقدم أو أحدث عهدا من بعض آثاره الاخرى . من ذلك أن أنواع الفيدا . وعلى الاخص الفيدا التاريخى الذى لقب مع التسامح بلقب « الريك » هى مقدمة على سائر البقية وجماعة الفيدا أو على الاقل تلك المتقدمة لا يكاد يقل عمرها عن خمسة عشر قرنا قبل الميلاد ، غير أن هذه الاناشيد الشعرية ليس فيها شيء من الفلسفة . أما الخرافات الفياضة النامية فيها فانها تشبه الخرافات اليونانية ، كما أن بين لغتى اليونان والهند البرهمانية مشابهة أخوة ، ولكن الطابع الفاسفى معدوم منها بالرة . وأما الاوبانيشاد التى يمكن أن يوجد فيها هذا الطابع بعد البرهمانيات فمن المؤكد أنها متأخرة عن الازمان التى نحن بصددھا ، فمع أن طاليس وفيثاغورث واكسينوفان هم من القرن السادس قبل المسيح فان الاوبانيشاد لا يمكن ابلاغ أقدمها الا الى القرن الرابع .

وعلى ذلك لم يكن الاغريق ليستعبروا شيئا من الهند مع افتراض أنه كان من الممكن في ذلك الزمان أن يكون لهم مخالطة مستمرة بحكماء شواطئ الهندوس ، بله حكماء أو أسط شبه جزيرة الهند أو شرقها . وما عرف العالم الاغريقى بجماعة الجمنوزوفست الا بتجريدة الاسكيندر وسفارة

ميغاستين ، ولكن الاسكندر وميغاستين هما متأخران بمائتي عام عن حكمهما  
سموس وملطية وكولوفون .

حق أن الهند خلافا لمصر ويهوذة وفارس لها فلسفة حقيقية نعرفها  
في مجموعها ونعرف منها آثارا تفصيلية . وريثما ندرسها دراسة تامة  
نقرر منذ الآن أننا نعلم أن هذه الفلسفة مستوفية كل الشرائط اللازمة  
للعلم على النحو الذي نعينه نحن اليوم ، والذي كان يعنيه الاغريق دائما .  
انها مستقلة تمام الاستقلال ، وغرضها كغرض حكمة الاغريق تفهم العالم  
والانسان . ولا شك في أنها درست كليهما على غير الوجه المفيد ، ولكنها  
جعلتهما شغلها الوحيد ، فينبغي أن يكون لها بمذاهبها الستة التي تتقاسمها  
وتؤلفها مركز عظيم في التاريخ العام للعقل البشري .

ماهو تاريخ هذه الفلسفة ؟ والى أى زمن تنسب ؟ ذلك هو كل ما يهمنا  
في هذا المقام .

قد كان يظن أن أحد هذه المذاهب الذي هو مذهب سعنخيا الملحد  
من قبل كان سابقا على البوذية . ولما أن بوذا مات سنة ٥٤٣ قبل الميلاد  
يكون سعنخيا معاصرا لطاليس ومعاصريه الآخرين . وكانوا يقفون مذهب  
سعنخيا بالمذاهب الأخرى على ترتيب معين لا يخلو من التحكم كثيرا أو قليلا  
باعتبار أن كل هذه المذاهب متأخرة عنه وبالتالي تكون متأخرة عن فلسفة  
أسيا الصغرى ، ولكن يظهر أن هذا الترتيب أصبح الآن معدوم النصين ،  
لأن أغزر البراهمة علما متفقون على ترتيب سعنخيا بعد البوذية بزمان  
طويل . أن الفلسفة لم تظهر في الدين القديم الا لاستئصال شافة الالحاد  
أو على الأقل لتقل من غرض به . وأن مذهب سعنخيا الذي هو ملحد وروحاني  
معا ما يكون الا طليعة التوفيق بين اعتقادات الدين الجديد وبين الاعتقادات  
الجاثية من فيدا ، ويكون « النيايا » أو المنطق جاء نفسه قبل سعنخيا  
لحاجات المناظرة وتكون الفيدعنتا متأخرة عن الاثنين (١) .

ليس بى من حاجة الى الدخول في مناقشات من هذا النوع ، ولا أريد  
أن أجاوز بالبحث حدود ماقدمته من القول ، والا كانت افاضة في العبث .  
فان من البين أننا حتى اذا وضعنا سعنخيا في الترتيب الرجودى قبل  
ظهور البوذية وجدنا أن الاغريق لم يكن في وسعهم أن يعرفوا من مذهبه .  
شيئا عندما أخذوا يفلسفون لأول مرة . ومع افتراض أن سنيحة فيثاغورث .

(١) ر . مؤلفا بترجا « حوار على الفلسفة الهندسية » لندن ١٨٦١ في قطع الثمن  
س ٥٠ وما بعدها . وكان الاستاذ بترجا أستاذا في مدرسة ييشوب بكلكتا أهدى مؤلفه  
الى جون مورين .

بلغت به بابل وصوص ، فإياها لم تعلمه مذاهب لم تكن خلقت فى بنجاب  
أو على شطوط نهر الجنج.

ينبغى أن يزداد على هذا أن « داراسانا » الفلسفة الهندية على ما هي  
معروفة عندنا منذ كولبروك وماتلا مذكراته المشهورة من المعلومات ليس  
بينها وبين الفلسفة الاغريقية فى تلك الازمان الاولى علاقة مشاركة . فلا  
فى طاليس ولا فى فيثاغورث ولا فى اكسينوفان يمكن العثور على أثر  
للمشابهة أو التقليد . وهذا مفهوم بالبدهة مادام الظاهر كله يدل على  
أن الفلسفة البرهمانية لم تنم الا بعد ذلك بقرنين أو ثلاثة .

وحتى خرجنا بالهند من الموضوع صار من العيب أن نبلغ بالبحث  
الصين ، فإن لاونسو معتبر أنه عاش فى القرن السادس قبل الميلاد ،  
ولكن الفلاسفة الاغريق الاول لو كانوا قرءوا الثاوتى كنح وهو كتاب  
الطريق والفضيلة لما استطاعوا أن يجدوا فيه ما يصلح لهم (١) .

على ذلك لا الصين ولا الهند ولا فارس ولا مصر نفسها لم تلهم  
الاغريق شيئا من فلسفتهم . وسأبين فيما يلى أى حظ من التأثير كان  
للمذاهب المصرية فى مذهب فيثاغورث ، ولكنه يمكن الجزم بصورة عامة أن  
الفلسفة الاغريقية باعتبار أنها فى مهدها فلسفة بالغة فى الاصلية غايتها .  
وبأن معنى العلم على الصورة التى صورتها بها هذه الفلسفة وقتئذ كان  
باكورة فهم العقل البشرى للعلم ، تلك هى نتيجة كبرى اعترف بغاية  
الارتياح أنها ليست أمرا جديدا ، كما قد يبين من الاعتبار التى تقدمت  
بل قد تقدمنى بزمان رجال ارتأوا هذا الرأى من غير أن يكون قد توفر  
لديهم كل مالدينا من الادلة .

فإن العالم المحقق بروخر كان يكتب منذ قرن كامل فى هذا الموضوع  
وقبل أن يصل الى الفلسفة الاغريقية بحث عن بدايات الفلسفة فى الارض  
جميعها . فراح يستجوب على التعاقب العبرانيين والكلدانيين والفرس  
والهنود العرب والفينيقيين والمصريين وطائفة من أهم أخرى ، فلم يعثر  
فيها على الفلسفة التى ينشدهم اياها عبثا ، حتى بلغ الاغريق فقال : « الآن  
لنبلغ الاغريق هذه الامة المشهورة منذ كانت صنيعة فى المهد بدرس الحكمة  
والفنون ، والتى عندها وجدت الفلسفة مقرها الذى بغته زمنا طويلا بعد  
أن تلقت هذه الامة غن المتوحشين بعض الجرائيم من المعسارف الالهية  
والبشرية » .

(١) راجع مؤلف استائيسلاس جوليان « لاو - صين - امي - كنح » المطبعة الملكية  
سنة ١٨٤٢

ثم بعد أن درس النظريات القديمة، لانساب الالهة التمثيلية والفلسفة السياسية للحكماء أضاف هذا العالم الرصين مؤرخ الفلسفة الى ما تقدم مايلي محدثا عن مدرسة يونيا :

« الى هنا لم نقدر فلسفة الاغريق الا وهي صبيحة توت في مهدها ، ولكننا قد بلغنا الآن منها الطور الذي فيه بدأ العقل البشرى يزاول انفسه الحقة ، ويظهر بالافكار المرتبة . مظهر المشغوف بالنفوذ في حقيقة الاشياء . فالى انعبقرية الاغريقية ينبغي ان ننسب هذا المجد كما بينته آنفا وفي أول هذا التاريخ عند البحث في الاصول الصحيحة للفلسفة » (١) .

واما أنا من جانبى فلا ازيد على ترديد عبارة بروخر ، وأعبدنى سبيدا باستنادى الى هذا الحجة المحترم المتين الذى تقدم بمائة عام مالدنيا فى هذا العصر من المعلومات البينة . نتيجتى كنتيجته . نعم اغريقا أصيلة على الاطلاق . اعطت كل العالم ولم يعطها العالم شيئا الا ما ربما يكون من بدور كانت عقيمة فى غيرها فعرفت هى وحدها ان تنبتها .

لن أتوسع فى الكلام على مذاهب طاليس وفيثاغورث واكسينوفان بل افترض انها معروفة بمقدار ما يمكن ان تعرف من القطع المذرة التى نجت من البلى وأقف عند بعض الملاحظات العامة الى غاية اليوم . من البين أن اكمل هذه المذاهب الثلاثة على نسبة كبيرة هو مذهب فيثاغورث . ونحن لانستطيع ان نتعرفه الا من خلال الشروح التى وضعتها عقول قليلة التفوق جاءت بعد المصنف بستة أو سبعة خرون ، ولكنها مع ذلك كافية فى بيان أن الدراسة التى كان يزاولها حكيم سموس شدد ماكانت أفسح ميدانا وأكثر ضبطا من دراسات معاصريه ، فيها الفلسفة بتمامها تقريبا مع اجزائها الاصلية التى تتألف هى منها . وفوق ذلك فان دراسة العلوم وعلى الاخص العلوم الرياضية بلغت فيها شأوا بعيدا . ومن البلية أن شخص فيثاغورث كمذهبه لا يزال يحيط به من الظلام حجاب لا شئ يمزقه ، ولا شك فى أن هذا الحجاب العظيم انما جاء كبره من السكوت الذى التزمه فيثاغورث والزم اياه تلاميذه الذين بقوا محتفظين بتنفيذ أمره مدة عدة أجيال . وكان فيلولاوس السابق لأفلاطون بقليل هو أول من علم القاعدة - على ما يؤكدون - ونشر المذهب بل ربما نشر كتب الاستاذ أيضا .

ومما لا يقل عن هذا مطابقة للواقع هو أن فيثاغورث على فلسفته

(١) بروخر تاريخ الفلسفة سفر (١) ص ٣٦٤ ، ٤٥٧

لأن يحتفظ في نظرننا بشيء من النحو الديني انا لم يكن في أفكاره فعلى الأقل في الجمعية التي ألفها والتي لا يدخل اليها الا بعد امتحان قاسي يجزره المريد ، فليست الفيثاغورية مفتوحة للكافة ، كالمذهب الطبيعي لطاليس ، ولا كمذهب ماوراء الطبيعة لأكسينوفان . لفيثاغورث تلاميذ ، ولكنهم بعض أعضاء الجمعية منتظمة خاضعة لملاحظة شديدة ومحصورة في حدود لا تجتاز ، انها نوع من مدينة فلسفية دينية سياسية قاسية وضيقة الحدود . فلم تلبث ان ارتاب في أمرها جيرانها فخرىوها بالحديد وبالنار وما كان اسهل عليهم ذلك نظرا الى ان هذه الجمعية من الوداعة بمكان . ومن البديهي أن نظام المدرسة الفيثاغورية كان على مثال مدارس الكهنة المصريين ، وربما كانت على مثال مدارس المجوس أيضا وان تناسخ الارواح هو عقيدة شرقية صرفة لم تتأقلم في العالم الهليني مع أن افلاطون وضعها تحت إشرافه . كان فيثاغورث مؤسس مدرسة ورئيس جمعية معا ومبدع مذهب لا يتلقاه الا أشياخه ، وبهذه المثابة كان بين فلاسفة الاغريق وحيدا في هذا الباب . وينبغي ان يرجع ان سياحاته في مصر وكلدة هي التي أوجدت في نفسه مقاصدا من هذا النوع فنقلها الى بلاد قلما توافقها وتنجح فيها ، ولكنها مع ذلك جعلت لفيثاغورث مركزا قدسيا علميا معا فبقى به علما فردا مميذا عمن قبله ومن بعده . مذهبه العلمي غير تام ، ولكنه عظيم جليل . ومذهبه الاخلاقي طاهر لا غبار عليه حتى أن مذهب افلاطون مع كونه أشد منه تعمقا لم يرجع عليه في طهره .

ولندع الى جانب شخصيات الفلاسفة وننبه الى ان الفلسفة الاغريقية بتمامها كانت موضوعة في وضع استثنائي أفادها جدا وهو أنها لم يكن أمامها أبدا ديانة مبنية على كتب مقدسة ، وقد كان الأمر على ضد ذلك في مصر ويهودة وفارس وفي الهند حيث لم تكن الحال قاصرة على أن الدين قد سبق الفلسفة في تلك البلاد ، كما هو الحال عادة في كل زمان . بل انها اعتمدت فوق ذلك على أسس معتبرة انها الهية ، ومع ذلك اقامت قرونا طولا كافلة لسد الحاجات الادبية والاخلاقية في تلك الأمم ؛ وبعد ذلك خرجت الفلسفة من المحاريب فمثلا في بلاد الهند البرهمانية أو البوذية استطاعت الفلسفة أن تنمو نموا كبيرا متحللة من القيود الاولى وان كان نجاحها لم يكن عظيما . أما في بلاد الاغريق فلم يكن ما يشبه ذلك ، لأن الاغريق لم يكن لهم كتب الهية ولا موحى بها . وقد كان أرفي ولينوس وسائر المرتلين الاقدمين الذين كانوا ينشدون آيات الاسرار الاولى كلهم ما كان يتكلم الا باسمه هو دون ان يسند ما يقول الى الاله . ولما كان الاشتراك بالله متغير الصور منشورا في البلاد لا ينتظمها على حال واحد لم يستطع

الوصول الى تأليف جسم من المذاهب قد يصير ديانة ذات قوام خاص فلم يكن للكهنة نقابة قوية ذات سلطان وكأثر الناس يحترمونهم ولكن لا يطيعونهم ، ولم تكن الروابط بين الهيئتين الا مفككة العرى ، لانها انما تبحث عن معتقدات عامة يغير من عمومها في كل جهة أساطير محلية لانهاية لها ، وعن بعض احتفالات عامة لم تكن الزامية ، وهواتف يستشيرها الناس وقتما يريدون ؛ والعباء عمومية . والكتاب الوحيد الذى أخذ بمجامع قلوب الاغريق انما هو قصيدة حماسية . ان قصيدة من شعر الحماسة تسحر العقول ولكنها لا تهديها ، تأخذ بالقلوب ولكنها لا توجب الايمان ، انها تنمى الاحساسات الشريفة بما تقدم من التذكارات الوطنية ، ولكنها لا تسوى سبل السلوك . فما قصيدة حماسية بالتوراة ولا هي بالزاندافستا ولا بمنتراس البراهمة ولا بالقنبريان المثلث عند البوذيين . فالواقع ان الفلسفة كانت هي وحدها دين الهلين.

وما تستب عظمة الفلسفة الاغريقية التى لا تزال تدهشنا وتعلم منها بعد خمسة وعشرين قرنا الا الى استقلالها المطلق . ولو أنها كانت تحت وصاية ديانة حسنة النظام أفكانت تظهر قواعدا بهذه السهولة التى ظهرت بها ؟ أو كانت تحيا تلك الحياة الطيبة القوية ؟ أو كانت تلد للعالم تلك الملح من التأليف وتؤتى ذلك الثمر اللذيذ ؟ من ذا الذى يعرف ذلك ؟ لا شك فى أن الجنس الهليني كان عجيب الاستعداد فقد نجح فى ميدان الفلسفة ، كما نجح فى ميادين الاعمال الاخرى ، ولكن أما كانت تذبل هذه الخواص العجيبة لو أن العصارة التى تغذيها جرت فى قنوات أخرى من قبل وخصوصا فى قنوات الديانة ؟ ولم يكن تاريخهم الخرافى الا لعبا تلعب به الملكات ، فكانت الخواص العليا للنفس فى سعة من أن تتخذ لها نحوا جديا آخر وتبحث عن غذاء لها أغزر مادة وأدخل فى باب الحق ، بعيد على أن أنكر نعم الديانات على الناس ، وأرى أن من الخير أن تكون قد سبقت الفلسفة دائما ، وعند جميع الشعوب ، ولكنى لا أستطيع أن أحجم عن القول بأنه اذا كانت ديانة الهلين أكثر جدية مما كانت عليه لاوشكت فلسفتهم وعلومهم أن تكون أقل فى الجدة مما كانت عليه بكثير وتلك خسارة لا تعوض على الاغريق وعلينا أيضا لاننا نحن أبناءهم ومظهر استمرار حياتهم .

ولئن انسب الى آسيا الصغرى وتلك الجمهوريات الاغريقية الصغيرة التى كانت مقيمة على شواطئها كل المجد الطارف فى اختراع الفلسفة والعلم والشعر والموسيقى وكثير من الفنون الاخرى ، فانى لا أقصد الى أن أغبط آئينا حقا من المجد المقطوع النظير ، ذلك لانه من آئينا خرج لى زمن قدروض أهل بعض هذه المستعمرات التى جمعت بين النشاط

والذكاء والشاعرية والحريية ، وفي آتينيا اجتمع اليونان • بل يمكن القول بان آتينيا أعطت من دمها ومن روحها تلك الجاليات التي لم تستطع ان تظلها تحت سمائها بعد ان أقاموا بها زمنا طويلا • ثم أن تلك المستعمرات لم تستطع أن تحفظ في أوطانها جراثيم للفلسفة التي قمضت هي عنها ، فانه اذا كان طاليس بقى في ملطية فان فيثاغورث قد هاجر من سموس الى سيباريس وقروطون ، واكسينوفان ترك كولوفون الى ايليا • فلما نفيت الفلسفة مؤقتا من افرىقا الكبرى بما فيها صقلية وجدت سلطانها الحقيقي في آتينيا آخر مطافها ، وجدته بسقراط وافلاطون في عهد انكساغوراس وبيريكلينس وفيدياس وسوفكل ، على ذلك تكون آتينيا قد حوت أسمى مظهر للذكاء الاغريقي ، وتكون الام المخصبة التي ولدت الملح من كل نوع ، فان الفلسفة لما افتلعت مرتين رجعت الى الارض الاولى التي منها خرجت المستعمرات اليونانية لتؤتى فيها أجمل زهرها وأنضج ثمارها • ولم تكن الفلسفة في آسيا الصغرى الا عارضا جاءت به المصائب السياسية ، فأقامت فيها قليلا ولكن بعد ان انبعث نورها الساطع • فلما استقرت بآتينيا مكثت بها أكثر من ألف سنة من عهد بيريكلينس الى عهد جستنيان فهي معلمة روما وجدة الاسكندرية ومناخستها الجديدة دائما بالاحترام •

من اجل ذلك يظهر لنا ان آتينيا ويونيا او بلفظ واحد افرىقا كان لها على من عداها فضل وسؤدد لا يطاول ، ومن أجل ذلك نضع منزلتها من سماء المجد في أوجها ، لا يقاربا فيها ولا على مسافة كبرى تلك الامم التي حاربتها ومزقتها ولكنها لم تقهرها مع انها تربي عليها في العدد الف مرة • فمن ذا الذي يقام له وزن بجانب الاغريق في باب الشعر والفنون والعلم والفلسفة ؟ لست أعنى السيتيين ولا سائر تلك الشعوب الزحل في شماليها ، ولكننا أعنى الفرس والهنود بل المصريين أيضا ماذا عسى أن تكون القرون الاولى لولا الهلين ؟ ما هي تلك المعارف الإنسانية التي ليس لهم فضل في أمرها ؟ ولقد أراد مؤرخو الانسانية ومنهم هرود أن يتلوهوا أسباب هذا التفوق الخارق للعادة من ظروف وأوضاع كلها مادية كشكل ارضهم وحال جوهم وحاجات تجارتهم •• إلخ ، ولكن مع ان تأثير هذه الظروف لا ينكر الا أنها لا تستطيع أن تحل لنا مشاكل هذه النظرية الدقيقة ولا أن تفسر لنا سر هذا التفوق تفسيراً مقنعاً ، فان شواطئ آسيا الصغرى وضيقات بحر ايجه وأطيقا ، وبيلوبونيز وافرىقا الكبرى لم تنفخ عن أصلها ، ومع ذلك أين هي تلك الزواح التي كانت تنعش الهلين في تلك العصور الخصبية ؟ ماذا صارت روح تلك الشعوب التي لم تتغير أوطانها المخصبة الجميلة منذ ذلك

«لنجد الى اليوم فان اخلافهم لا يعدون الاثن شيئا فيما يتعلق بارتقاء  
المدارك الانسانية .»

لا نكاد نجد لهذا السؤال جوابا ممكنا الا الواقع نفسه ، فانا  
لنرى كيف كانت اغريقا فوق كل الامم حتى بالبقايا القليلة التي وصلت  
اليها من اعمالها ، ولكن لماذا اصطفى هذا الشعب الصغير في زمن معين  
خلال قرون عديدة ليكون عنوان النور الابدي الهادي لجميع الامم فيمس  
يتعلق بالمعقولات ؟ ذلك سر من اسرار العناية الالهية ليس لنا بالنفوذ  
في كنهه يدان ، بل هو كسائر اسرار الله تنال اعجابنا ولا يناله  
فهمنا . ان الاغريق ، الذين لم يكن لهم على النوع الانساني سعة النظر  
التي تقدمها لنا اليوم فلسفة التاريخ مدعمة بشق الملاحظات ، قد حاولوا  
مع ذلك أن يفسروا لانفسهم أعجوبة عبقريتهم . واني اؤثر ايضا في  
هذا المقام ان استجوبهم بدل ان أجيب عنهم في هذه المسألة ، اولئك  
هم ثلاثة شهود عدول من عصر واحد تقريبا وهم بقراط وافلاطون  
ورسطو ، يشهد أحدهم باسم علم وظائف الاعضاء ، والثاني باسم  
الفلسفة والوطنية ، والثالث باسم السياسة ، ولا بأس من ان نتخذ  
يجانب هؤلاء شاهدا على الشعر ايشيل الذي كان يقاتل في مروطون .

فمن كتاب بقراط على الاهوية والمياه والاماكن ، ذلك الكتاب  
الذي يتخيل قارئه كأنما مدده فيما أتى به من النظريات هو العلم  
الحديث ، استطرد فيه المؤلف بحكم ضرورة استيفاء موضوعه الى المقارنة  
بين الجنسين والوطنين الذين يعرفهما حق المعرفة ، لانه عاش فيهما  
فقال :

« اريد بالمقارنة بين آسيا وأوروبا أن ابين كيف ان كليهما تخاف  
الآخرى » « في كل شيء ، وانه ليس بين الامم التي تقطن كليهما أية  
مشابهة في البنية . وقد » « يكون من التزام مالا يلزم تعدد جميع  
الفروق ، بل اكتفى بأكثرها أهمية ، واشدها » « بروذا للعيان ، لاعرض  
رأى الذي ارتأيت في ذلك ، فأقول : ان آسيا تختلف عن » « أوروبا  
اختلافا عظيما بطبيعة حاصلاتها جميعا ، سواء أهيها ما تخرج الأرض  
وما يخرج » « من ظهور الناس الذين يزعمونها . فكل مايتولد في آسيا  
يفضل مايتولد في أوروبا » « فضلا كبيرا في الجمال وفي بسطة الجسم .  
جوها أكثر اعتدالا ، وأمها أدمث » « أخلاقا وأسهل قيادا ، والعلة في  
ذلك هي التوازن التام بين العضول . . . فان الماشية » « التي ترعى في  
أرض آسيا حسنة المنظر خصبة التكاثر الى حد مدهش ، وقربيتها »  
« ناجحة الى الغاية . وأما الناس فيها فنموهم عظيم يمتازون عن الاجناس



الآخري « بجمال صورهم وفضل قامتهم ، ولا يختلف بعضهم عن بعض في الرواء ولا في الصورة . » « ويمكن أن يقال : ان مثل هذه الجهة بينها وبين الربيع نسب يكاد يكون متصلا » « بالنظر لتأليف فصول السنة ولطف آثارها ، ولكن لا شجاعة الرجولة ولا مصابرة » « المشاق ولا اجهاد النفس في العمل ولا شدة البأس كل هذه الصفات لا تنمو » « في مثل هذه الطبيعة ، سواء فيه الوطنيون والمستوطنون ، بل ان حسب الملاحى » « عندهم يتغلب على ما عداه من الميول الآخري » .

« أما من جهة ضعة النفس وعدم الشجاعة فان الاسيويين اذا كانوا أقل ميلا » « للحرب وأكثر سلاما في الطبع من الاوروبيين فعلة ذلك انما هى على الخصوص » « فى حال اقليمهم حيث لا توجد تقلبات شديدة لا فى الحر ولا فى البرد بل » « قليلا ما يشعر بتغير الجو ، وحيث لا يعترى العقل صدمات ولا يعرف الجسم » « تغيرات . وتلك انفعالات من شأنها أن تكسب الخلق وحشة وتمزج به ميلا » « للجماح وانعصيان أكثر مما تفعل الحال الجوية دائمة التماثل . ألا انها التغيرات » « من النقيض الى النقيض هى التى تنبه العقل الانسانى وتمنعه من أن ينام » « فى ظلاله السكون . تلك هى الاسباب التى تتعلق بها على ما يظهن لى ضعة » « نفوس الاسيويين » .

« ينبغي ان يضاف الى ذلك حال النظلمات ، فان جزء آسيا الاكبر خاضع للملوك . » « وحيثما كان الناس لا يملكون حرية أشخاصهم لا يعينهم المرونة باستعمال السلاح ، بل » « يصرفون كل عنايتهم فى أن يظهروا بمظهر العجزة غير الصالحين للخدمة العسكرية . » « ذلك بأن الخطر ليس مقسوما بينهم قسمة عادلة ، اذ يسعى الرعايا الى خوض غمار » « الحرب يدوقون فيها من المتاعب ألوانا يموتون فيها من أجل أسيادهم بعيدين عن » « أبنائهم وعن نساءهم وعن كل ماهو عزيز عليهم . وفى حين أن كل ماياتونه من » « ضروب النشاط والبسالة انما يعنى أسيادهم ثمرة يكبر به قدرهم وتشتد به عصيتهم ، » « فان أولئك المحاربين لا يجنون من وراء كل ذلك الا الاخطار والهلاك . وفوق ذلك » « فان هؤلاء الرعايا لابد لهم من أن يروا فى الغالب دخول الاعداء وانقطاع الاشغال » « سببا لجعل غيظانهم حصيدا جزا . بهذه المثابة ترى الذين آتتهم الطبيعة فى هذه » « الامم قوة فى القلب وميولا حسنة قد تمنعهم تلك النظلمات السياسية من الانتفاع بها . » « وان أكبر برهان على ما أقدم هو أن فى آسيا جميع الامم الاغريقية والمتوحشة » « المتحللة من نير السيادة التى تضع قوانينها بنفسها لنفسها وتشتغل لحسابها هى أكثر » « الامم

الاسيوية ميلا الى الحرب . ولما أنها كانت تتعرض لاختطاف الحروب لحسابها « الخاص فكانت تتمتع بشجرة شجاعتها أو تحتل سوء نتائج جنبها ليسوا كالاسيويين » « المحكومين بالملوك ، فان الشجاعة تفقد وجودها بالضرورة في قلوب الرجال الخاضعين » « لحكم الملوكية ، نفوسهم مستعبدة فلا يكادون يهتمون بمعاناة الاخطار بمحض » « ارادتهم من أجل توسيع سلطان غيرهم . ولكن الامر على ضد ذلك اذا كان الانسان » « غير خاضع الا الى قوانينه الذاتية واذا كان يعرض نفسه للخطر من أجل منفعة » « الخاصة لا من أجل منفعة غيره . من هذا شأنه يقتحم المخاوف طائعا مختارا ويلقى » « بنفسه بكل قلبه في جميع مهاوى المصادفات » « لانه سيجنى لنفسه ثمرة انتصاره » « من أجل ذلك كانت القوانين مساعدة عن سعة على تكوين الشجاعة » .

« تلك هي المقارنة العامة التي يمكن تقريرها بين أوروبا وآسيا في كل الاشياء » (١) ، ذكر افلاطون في كتابه المينكسين حيث لايزيد سقراط على أن يكرر مقالات اسباسيا الشاعرة الملطية تمجيدها للاغريق الذين قهرروا قبائل آسيا مالمصه :

« لما جاء الفرس الذين هم سادة آسيا وحكامها يسعون لاذلال أوروبا قائلهم » « آباؤنا أبناء هذه الارض فقهرهم ودحروهم . ولتقدير قيمة هذا العمل العظيم ينبغي » « أنا ننتقل بالفكرة الى العصر التي كانت فيه آسيا كلها خاضعة الى ملكها الثالث ، (٢) » « فأولهم قيروش الذي لما مكنته عبقريته من تحرير مواطنيه الفرس أخضع اليه » « ساداتهم الميديين ، وحكم بقية آسيا الى حدود مصر . ثم فتح ابنه مصر وسائر الاقطار » « الافريقية التي استطاع أن يضلل إليها . وثالثهم دارا قسه بسط حدود مملكته » « ومدّها الى سبتييا بفتوحات جيشه البري ، وأما أساطيله فجعلته سيد البحر والجزر » ، « واذا كان لا يجرؤ أحد على مقاومته قد دلت له هامات الأمم فكم من أمة قوية » « حربية ألقت عنانها الى الفرس ودخلت تحت نير سلطانهم ١٠٠٠ اذا استحضر » « الإنسان هذه الظروف في ذهنه أمكنه أن يقدر حقا البسالة التي أثارها يوم مرطون » « أولئك المقاتلون الذين صبروا على مهاجمة المتوحشين ، وعاقبوا فبجح آسيا وكبريائها » ، « والذين أثبتوا للاغريق بما جاءوا به من الانفال والغنائم

(١) بقراط كتاب الالهية والمياه والاماكن ب ١٢ : ١٦ : ٢٣ : ص ٥٣ : ٦٣ : ٨٧  
طبعة ليتري ج ٢

(٢) ايشيل . ( : لفرس البيت ٧٦٥ وما يليه ) يذكر عدد آخر . يرى أن آسيا في عرف ايشيل وافلاطون كان حدها الشرقي أرض فارس .

أن قوة الفرس لا تستعصى « على المقاومة ، وانه لاشيء من كثرة العدد ولا من سعة الثروة يقف أمام الشجاعة ... » لذلك ينبغي أن يسند ثناء هذا النصر الاول الى اولئك المقاتلين . وأما الثاني فثناؤه « مسند الى الظافرين في الوقائع البحرية بسلامين وأرطيميس . وقد ضرب بطل « مرطون مثلاً للاغريق عامة أن فئة قليلة حرة تكفي لرد غارة جيوش المتوحشين « البرية ، مهما كانت لاتحصى عددا ، ولكنه لم يكن ليثبت أن ذلك ممكن ايضا « في البحر كما أمكن في البر حتى وقعت الوقائع البحرية فاستحق بها أولئك « البحارة المهرة ما أحرزوا من المجد لتخليصهم الاغريق من الخوف الأكبر ، ولانهم « صبروا للاساطيل الفارسية لا تزيد مهابة على الجنود الفارسية . أما الواقعة الثالثة من « وقائع الاستقلال الاغريقي من حيث الترتيب التاريخي ومن حيث شدة الاقدام « فهي واقعة بلاتة ، وهي أول واقعة اشترك فيها اللقدماتيون والأتينيون وبأوا « بمجدها جميعا ، وقد كان اللقاء فيها حرجا وخطرا محققا فتغلبوا على كل شيء . وياله « من فضل يستأهل مدائحنا ومدائح قرون المستقبل » .

الى أى شيء في الاغريق نسبت أسبابا هذه الشجاعة وهذا المجد ؟ الى علة واحدة ، الى الحرية التي كانت تتمتع بها آتينا . قالت : « ها أنتم هؤلاء ترون كيف أن أجداد هؤلاء المقاتلين واجدادنا هؤلاء المقاتلين أنفسهم الذين ولدوا بالطالع المسعود وربوا في مهد الحرية . قد أتوا هذه الأفعال الجميلة العمومية والخصوصية لغرض واحد هو خدمة الانسانية (١) » .

وما كان هذا النشيد الا اليق ما يكون بالاعمال التي يشدو بها . وحقيق بأسبابا أن تمتدح آتينا وأبناءها . ولما قام ميثكسين يشكر سقراط عند انصرافه لم يتمالك نفسه من أن يجهو بهذا القول : « وحق المشتري أن اسبابا لسعيدة بأنها وهي امرأة تقدر على كتابة مثل هذه المقالات » .

ولا شك في أن هذا الشاب قد أصاب فيما قال ، الا أنه فاتته أن هذه المرأة كانت من ملطية وأنها أجدادها ، مع أنهم كانوا لايزالون اضعف من الاتينيين ، قد حاربوا الفرس غير مرة من قبل أن تثوى آتينا أمر قهرهم .

(١) ميثكسين أفلاطون ترجمة فكتور كوزان ص ١٩٦ وما بعدها . ذلك هو الذي ذكره أيضا إيشيل على لسان جماعة المنسلون يبيجون أوسا أم أكرار كسرس : « لا يستطيع مخلوق أن يقول أن الاتينيين عبيده أو رعاياه » الفرس البيت ٢٤٢ .

وأخيرا فان أرسطو يشرك أفلاطون وبقرات في رأيهما ، فانه لما تكلم على الصفات المطلوبة في سكان المدينة في حكومة منظمة قال :

« لكى يلم المرء بهذه الصفات ماعليه الا أن يطرح نظره الى أشهر المدن ، « الاغريقية والى بقية الامم المختلفة التى تتقسم سطح الارض ليرى أن الامم التى « تسكن الاقاليم الباردة حتى فى أوروبا هى على العموم مملوءة بالشجاعة ولكنهم » « على التحقيق أقل ذكاء فى العقل ومهارة فى الصناعة ، وبهذه المثابة يحتفظون » « بحريتهم خير احتفاظ ، ولكنهم من الجهة السياسية غير قابلين للنظام ، ولم يستطيعوا » « مطلقا أن يقهروا جيرانهم . أما فى آسيا فالامر على ضد ذلك ، فإن أممها أكثر » « ذكاء وقابلية للفنون ، ولكنهم تنقصهم قوة القلب ويصبرون على البقاء تحت نير » « العبودية المؤبدة . أما الجنس الاغريقى الذى هو بموقعه الجغرافى وسط بين هؤلاء » « وهؤلاء فانه يجمع صفات الطرفين ويجمع بين الذكاء والشجاعة ، يعرف كيف يجمع بين حفظ الحرية وبين تأليف حكومات » « غاية فى النظام . فهو جدير اذا توحدت كلمته فى حكومة واحدة أن » « يفتح العالم (١) » .

هذا رأى ثلاثة رجال ، أولئك هم أرسطو وأفلاطون وبقرات فى عبقرية اليونان ، انهم لم ينغوا عن الاغريق المؤثرات الخارجية التى آتت بها اظهر من اذا تخفى ، ولكنهم اهتموا على الخصوص بالاسباب الاخلاقية . وما ضلوا فيما ذهبوا اليه ، لاننا نحن الآن مع اننا أكثر تنورا ، بما أصبنا من التجربة الطويلة ، لانستطيع أن نزيد شيئا على هذه الاعتبارات الضادقة المستمدة وجسدها بنوع ما من الحس ، فلتبقى اغريقية اذا ما كانت فى العصور الاولى مدفونة فى طيات مجدها ، ولكن خالدة ما خلدت اعمال الانسان التى تقع فى يوم من الايام ثم تتلفها ايدى البلى مهما كان موضعها من الجمال والكمال .

كنت أريد أن أفرغ من هذه المقدمة التى طالت أكثر مما ينبغى ، ولكنها من هنا لا تكون كاملة اذا لم أرجع بها الى الكلام على الكتابين اللذين تتقدمهما واذا لم أبسط القول على المسألة الكبرى التى تشبثت بها مدرسة ايليا ، تلك المدرسة التى يمثلها اكسينوفان وميليسوس أعنى بها وحدة الوجود وعدم تغيره . وما أدراك ماهى تلك المناقشة التى ثار نائرها فى بداية الفلسفة وقام بها رجال تقلبوا فى الاعمال الحيوية من

(١) أرسطو . السياسة ك ٤ ب ٦ ف ١ من ترجمتى ص ٢١٧ من الطبعة الثانية .

حرب وسياسه وسياحة واستعمار ؟ واذا نراهم فلاسفة ونظريين نراهم جميعا يزاولون المقاصد العملية بهمة مدهشة ، واني لنا ادراك التوفيق بين الحالين اذا لم نلم بالاخلاق والعادات والضرورات التي كانت في تلك الازمان المضطربة ! كان طاليس في جيش الياط وكان أحد المؤتمرين في البانيونيوم ، وفيثاغورث يجوب البلاد الاجنبية زمنا طويلا على كثرة الاخطار وبعد الشقة ، واكسينوفان الذي نفى نفسه طوعا من وطنه المقهور بالفرس يذهب للانضمام الى الفوكيين فيما وراء البحار ، وميليسوس يدافع عن سموس ضد الاتيينين بعزيمة لم يتغلب عليها بريكليس الا بعد طول العناء ، أولئك قواد وساسة يشتغلون بما وراء الطبيعة ! أمر شديد الندرة دائما ! وفوق ذلك فانهم يظهر عليهم انهم فنوا في دقة التدليل ، تلك الخاصة التي كانت تتهم بها عن بيئة مدرسة ايليا . اذا سلمنا بما ذكره افلاطون في كتابه المسمى « برمينيد » فان ذلك الانتقاد والتهمة كانا من النصفة بمكان ولا شك أن من الغريب أن تملك التدقيقات المنطقية على مثل هؤلاء الرجال عقولهم ، غير أنه يجب التنبيه الى أن برمينيد مع كونه تلميذ اكسينوفان وخليفته قد شرع لنفسه طريقا غير طريقه فمسخ من أفكاره وغلا فيها ، وربما كان ذلك أثرا من آثار الروح العامة المنتشرة وقتئذ في اغريقا الكبرى ، تلك الروح التي كانت وقتئذ تبدع في صقلية فن الخطابة والتي غلت في نظريات فيثاغورث على العدد الى حد الاقراط .

ليست تلك روح اكسينوفان التي تتجلى في المقطوعات التي بقيت لنا من آثاره وفي الكتاب الذي أترجمه الآن في هذا المجلد . وعلى رأيي أن هذه النقطة هي التي ينبغي أن نوجه النظر الى الامعان فيها للاصابة في تقدير قيمة هذه المذاهب الناشئة وقتئذ ، والتي لم تكن لتأخذ بعد مركزا ثابتا في العقل الانساني في بداية هنيوبه من سباته .

أول نظرة في الطبيعة التي تحيط بنا تظهر لنا بادية الامر وحدة الوجود ، وما يكون الا بعد ذلك بالزمان ان نميز بالجهد والتحليل اجزاء مختلفة في هذا المجموع العام الذي يسحر خلاله أبصارنا ويعين ادراكنا . ولم تستطع الهند لا قبل الفلسفة الاغريقية ولا بعدها أن تخرج من تأثير فكرة الوحدة بل فنيت فيها بكليتها وبقي العلم على المعنى الحساس غريبا عنها على الاطلاق طول حياتها ، كانت لها نظريات للتهجم فيها نصحيها قليل أو كثير ، وتصورات للعقل فيها حظ وفير أو ضئيل ، كلها قائمة على الاصل العام للاشياء ، ولكن لم يكن فيها دراسة خاصة وضعية للظواهر الطبيعية ، ذلك هو أساس العبقرية الهندية وعظمتها . لا يوجد

شيء أكثر من ذلك في الفيدا والبرهمانا والابانيشاد • والاناشيد  
الحماسية والقوانين في الدراسات الفلسفية • أما العبقريّة الإغريقية  
فإنها اتقنت أن تسحرها ظواهر النظرة الأولى في الوجود ، ودفعت بذلك  
الخطر عن نفسها ، ولئن كانت قد اتجهت وقتا ما الى فكرة الوحدة  
فإنها قد عرفت لحسن الحظ كيف تتخلص منها لتدرس عن قرب دراسة  
منتجة بعض الاجزاء الاصلية لهذه الوحدة التي ليست في الواقع الا صورة  
اللانهاية عينها •

ذلك هو الواقع حتى أن طاليس حين بحثه في التعبير عن ماهية  
العالم كان يدرس الاصل المادي الذي تكون منه ، ومع أنه قد أخطأ هذا  
الاصل الذي ظنه الماء فإنه على كل حال كان يعتمد على ما يشاهد بالحس  
في الطبيعة ليتعرف أسرار الاشياء • يشتغل بالهندسة ويتتبع جريان  
الكواكب في أفلاكها مادام أنه كان على وشك أن يتنبأ بكسوف الشمس •  
وعلى رأى أرسطو ، وشهادته قاطعة في هذا المعنى ، أن طاليس كان  
يسلم بأن العالم مبلوء بالآلهة القائمة بأمر النفس والحركة ، وليس  
فيثاغورث بأقل استمساكا بفكرة الوحدة مع أنه كان يجزئها ، ولم تلهكه  
استكشافاته الرياضية والفلكية لحظة واحدة عن النظر في توافق النظام  
العالمى ، فكان يعترف بوجود طوائف متخالفة في هذا النظام ، ولكنه مع  
ذلك يعترف على وجه الخصوص بوحدة عجيبة ، وعلى رأيه أن الاضداد  
اثنين اثنين تكون كلا واحدا يكون أرقى منها • وأن الوحدة هي الاصل  
الحقيقى في العالم المادي كما هي في العدد ، وبذلك ارتقى فيثاغورث الى  
تعريف الله دون أن يميزه تمييزا تاما عن العالم الذي ينظمه ويسيره •

أما عند اكسينوفان فإن فكرة وحدانية الله وقدرته هي ظاهرة بغاية  
الوضوح دون أن يتعمق فيها كما تعمق فيها أفلاطون من بعده وكما هو  
الحال على الخصوص في اللاهوت المسيحي ، وأظن أنه هذه النظرة الأولى  
في الوحدة الالهية هي التي أنقت جلالها الباهر وخفاهها في نظريات  
مدوسة ايليسا • وعندى أن ذلك هو الذي يفسر أغلاط هذا المذهب  
الشريف • أن نظر اكسينوفان لم يكن بعيد المدى ، ان شئتكم ، ولكنه  
على الأقل لا يضل • أما برمينيد فإن به ميلا الى السفسطة التي حملت  
تلميذه ذنون على أن ينكر الحركة وحملت غرغياس على تأييد أبعد مذاهب  
العدمية ضلالا وأقلها تنزها • وأما ميليسوس فإنه لزم الحد الوسط  
بين الاستاذ صاحب المذهب وبين الذين غلوا به حتى وقعوا في المحال •  
واننى مقارب بين اكسينوفان وميليسوس وذاكر الفروق الاساسية بينهما  
على ما يظهر لى ::

لقد كان اكسينوفان مثليا باحترام هذا المذهب الذي لم يدركه

أحد من قبله بمثل ما أدركه هو من الوضوح والجلاء ، لذلك نفى عنه خيالات انشعراء اللطيفة التي تحط من مقامه كما نفى عنه الانتروبومورفيزم الجافى الذى هو مذهب العوام ( تصور ذات الله تعالى على صورة الانسان ) . تعالى الله عما يصفون من النقائص وعن صور الكائنات الفانية وعن صور هؤلاء التعساء الذين يجعلونه على صورتهم . ليس كمثله شيء فى الوجود لانه لماذا يكون المشيل خالقا بدلا من أن يكون مخلوقا ؟ وان الله الذى لا يمكن أن يأتى من موجود يشابهه لا يمكن من باب أولى أن يأتى من شيء يكون دون مقامه . اذا هو لم يخلق من شيء فيكون بالضرورة أزليا . واحدا بنتيجة ليست أقل ضرورة من الاولى يكون قديرا على كل شيء . لو كان آلهة متعددون لكانوا أقوى أو أضعف بعضهم من بعض ، وعلى ذلك لا يكون اله ، لان خاصة الاله أن يملك كل شيء ولا يملكه شيء أيا كان . ولما كان الله أزليا قديرا على كل شيء لزم على ذلك أن يكون واحدا ، لانه لو كان له منافسون لما أمكنه أن ينفذ أحكامه ويحقق ارادته العليا .

من ذلك ترى أن فى اكسينوفان بعض مبادئ جلييلة لم يرفضها اللاهوت المسيحى بل تقبلها بالعناية قبولا حسنا ، ولكن نظر اكسينوفان قد اضطرب فى هذه النقطة ، وليس فى ذلك ما يوجب الاستغراب . ولقد أراد أن ينفذ نظره فى حقيقة الذات الالهية فأخذ العثار فى هذا الطريق الوعر الذى ضل فيه كثير غيره ، فانه يقول : الله الذى لا يشابهه شيء من الحوادث هو على الأقل يشبه ذاته ، وهو هو فى جميع أجزائه وهو ب كله هو فى كل جزء منها . قد يكون ذلك مقبولا ولكن اكسينوفان لما وقع فى الاستعارات التى لا تساوى قيمتها الا ما تساويه الانتروبومورفيزم التى انتقدها بحق أخذ يشبهه الله بفلك ، وكانت النتيجة عنده أن الله لا يمكن أن يكون لا لا متناهيا ولا متناهيا ، وانه لا يمكن أن يكون له حركة ولا سكون ، كما أنه لا أول له ولا وسط ولا آخر . ومع ذلك فان اكسينوفان لم يخذع نفسه فى أمر الصعوبات غير المتناهية التى تقف فى حل هذه المسألة ، ودليل ذلك ما قاله فى هذه الأبيات الجميلة التى نقلها الينا سكستوس أمبريكوس .

« لا أحد من الكائنات الهالكة يستطيع ان يرى جليا فى هذه الاعماق ولن » « يستطيع أحد أن يعرف حقيقة ماهية الالهة والعالم ، تلك الماهية التى أحاول الكلام عليها . فاذا لقي أحد يوما بالمصادفة الحقيقة الشامة لما عرف هو نفسه أن يقدر ما وصل اليه منها ، وليس فى كل ما يقال فى هذا الشأن الا محض تشبيه وتقريب » .

والظاهر أن برمينيد لم يتمش بالبحث فى هذا الموضوع الكبير الى الحد الذى وصل اليه أستاذه . وأما ذنون تلميذ برمينيد وواضح

من الجدل فانه ، على ما قال ديوجين اللايرثي نفلا عن أرسطو ، قد وصل  
فى هذا الموضوع الى لا أدريّة غلا فيها غرغياس الى أقصى حد ، ولسكنى  
أكرر أنى لا أشتغل بذنون ولا ببرمينيد بل أخطاهما الى ميليسوس فهو  
الذى أقصد درسه بعد اكسينوفان .

مع أن ميليسوس يفصله عن رئيس المذهب ثلاثة أو أربعة قرون،  
فانه أحرص الناس على أن يحذو حذوه ويلتزم تعاليمه ، الا انه ، عوضا  
عن أن يبقى متمسكا بآله اكسينوفان الواحد الاذى القادر على كل شىء  
بل والمادرك لكل شىء أيضا ، زاغ عن الطريق ووضع الموجود موضع الاله  
فاشتغل بالموجود آخذا إياه فى كل تجرده وفى كل عمقه . غير أن  
التأملات الميتافيزيقية مهما قل فيها الضبط فان ذلك لا يقلل من جمالها  
ولا من تعمقها الاستثنائي .

الموجود لا يأتى من الموجود والا لزم عايله أن يتقدم نفسه وهذا  
تناقض . ومنل ذلك فى التناقض أن يتولد الموجود من المعدوم . على  
ذلك لم يكن الموجود قد وجد فى زمن ما ، وعليه يكون الموجود أزليا  
وفوق ذلك لا يعتريه الفساد ولا الانهاء ، لانه اما أن يتغير الى معدوم  
وهذا محال ، واما أن يتغير الى موجود آخر واذا فلا يكون منعلا ، فالموجود  
على ذلك كان دائما ويكون دائما ، وما دام أنه لم يوجد من العدم فهو لا  
أولا له ، وما دام لا يمكن فناؤه فهو لا آخر له ، وما دام لا أول له ولا  
آخر له فهو حتما لا متناه ، وما دام لا متناهيًا فهو واحد ، لان اللانهاية  
منافية للتعدد ، اذ لا يمكن تصور اثنين أو عدة لا متناهية . ومق كان  
الموجود أبديا واحدا لا متناهيًا كان بالنتيجة غير متحرك ولا قابل للتغير ،  
لانه فى أى مكان غير ذاته يمكنه أن يتحرك ؟ ولما كان موصوفا بالوحدانية  
المطلقة فإى تحول أو تبدل أو تغير يمكن أن يلحقه ؟ ولو أمكن أن يتبدل  
بغيره أيا كان لانتفى أن يكون شبيه نفسه ولانعدمت صورته الأولى  
وجادته صورة أخرى . ومع تقسم الزمن ينعدم هذا الموجود الأبدى  
واللانهاى ويتحول الى لا شىء . ولما كان الموجود أبديا لا متناهيًا واحدا  
كان لا يمكن أن يكون له جسم ، فلا يمكن أن يكون ماديا ، لانه اذا  
كان ذلك لزم عليه أن يكون ذا أجزاء متميزة بعضها عن بعض ، وهذا  
ينافى وحدانيته ولا نهايته وأبديته . لاشى كائن حقيقة الا الموجود .  
وجميع الاشياء التى تؤكد لنا حواسنا وجودها ليست الا مظاهر خداعة  
متحولة كثيرا أو قليلا ، ففى غير موجودة بالمعنى الخاص مادامت متغيرة  
ومادام أنها تهلك بعد أن تولد . اما الموجود الحقيقى فانه  
لا يتحول ولا يتغير أبدا ولو أن الاشياء التى تظهر أمام حواسنا كانت



موجودة كما نطلبها للزم على ذلك أن تكون غير قابلة للتغير وأبدية كالموجود نفسه ، فلا شيء بموجود الا الوحدة ، وأما التعدد فلا وجود له أصلا .  
أما أنا فاني أجد أفكار ميليسوس هذه خليقة به ، وبالمدرسة التي هو أحد أعضائها . لاشك في أنها متناقضة من بعض الوجوه ، ولكننا من خلال هذه الرسوم البالية والمقطوعات القليلة نشعر لها بعظمة وقوة لم يوفهما تاريخ الفلسفة حقهما من حسن التقدير ، وربما كان هذا الغمط منذ أرسطو .

واني أعترف بأن أنكساغوراس مفهوم خير فهم بعد أكسينوفان وميليسوس ، فإن أنكساغوراس الذي هو معاصر لقائد سموس ( ميليسوس ) هو الذي جلا الغوامض عن علم الطبيعة وقواعد نظام الكون في عصره بأن أدخل عليها تلك الفكرة الصالحة : أن العالم يديره العقل المدبر .

ولقد أعجب سقراط بهذا المذهب مع أنه يرى أن أنكساغوراس لم يكن ليستقصى كل نتائجه ، كما أننا نعلم ما صرح به أرسطو من إنشاء الجميل على أنكساغوراس اذ يقول : لقد جاء أنكساغوراس بعد كثير من الضلالات ، أشبه مايكون برجل سليم العقل يتكلم وسط المجانين (١) . فمن البغي أن ينتقص فضل أنكساغوراس أو أن ينزاع فيه بعد ما كان من شهادة سقراط وأرسطو ، فإن له الفضل الاوفى في هذا المذهب ، وليس شاذاً عن المأثوف أن كلمة من عبقرى تكشف القناع عن الغيبات العلمية . قد يقال أن أكسينوفان وميليسوس هما الألمان وطاً لهذا المذهب بنظرياتهما التي هي أقرب ما يكون منه . ولا مشاحة في ذلك فإن لهما نصيبهما الوافر من ذلك الفضل .

ذلك هو المعنى الحقيقي لمذهب الوحدة في مدرسة إبليا التي طالما حجب من نورها وصغر من قدرها على نسب غير مضبوطة ، وما الوحدة الإيائية الا الله طلبوا معرفته يتلمسونها بين حجب الجهالة الاولى ويدرسونها ، كما يمكن أن تدرس في تلك الازمان اذ العلم والملاحظة العلمية لا يزالان في بدايتهما . فلم تكن تلك الوحدة قد وصلت بعد الى ماقرره أنكساغوراس من الادراك الالهى ولا ماقرره سقراط وأفلاطون من العناية الربانية . غير أن تقرير تلك الوحدة مع ذلك كان الجريئة الاولى لكل هذه المذاهب . ومهما يكن من صدق الانتقادات التي يمكن

(١) أرسطو الميتافيزيقا ك ١ ب ٣ ترجمة لكتور كوزان . وطلب فلسفة الطبعة

توجيهها الى المذهب الهندى يراسه اكسينوفان ، فلا تشكك فى أن تلك التوجيهات السلمية هى انتى آتته عظمتة وخطره فى تاريخ الفلسفة .

أقف عند هذا الحد وألخص بيان أوفى تلك المعانى التى جئت على ايضاحها بشئ من الضبط ربما كان أقل مما كنت أريد .

قد ظهر لى أن مجيء الفلسفة الى عالمنا الغربى حادثة من الخطى . بحيث أردت أن احيطها بكل مايجلو خفاءها معتمداً على ذلك على استجواب التاريخ عن الامم وعن الظروف التى اعتورت هذه الحادثة . ومما ينبغى التنبيه اليه أن هذه الحادثة انما كانت من احتكاك أوروبا بآسيا ، وأن كان ذلك قد حصل من قبل فى حرب طروادة الا أن ظروف هذه الحرب مطروحة جانباً لانها خرافية أو لقلة العلم بها . ذلك الاختلاط حصل فى بقعة من الارض ليس فيها من السعة الا بمقدار ما يلزم لتحرك الجاليات الاغريقية وفى عصر يعتبر نسبياً عصر توحش ولكنه كان مملوءاً بالخصب الهندى لم يتجدد بعد من وقتئذ الى الآن . على ذلك كانت آسيا الصغرى هى السابقة على آتينا التى فاقتها من بعض الوجوه ، كما يشهد بذلك هوميروس ، ولكن آسيا التى حملت بهذا الاصل العجيب تحت تأثير أمم غربية عنه لم تستطع تعهده وانماه ، فعاد منها يستكمل قوته وكماله الى الارض العتيقة التى كان قد خرج منها منذ خمسة أو ستة قرون .

ولقد تصديت فوق ذلك لتبيين أن العبقريّة الاغريقية هى التى دانت العالم بهذا النفع العلمى الجليل دون أن تكون مدينة فيه لغيرها . فاذا كانت الشعوب المجاورة لها آتتها شيئاً من العلم فما هو الا مدد مبهم غاية فى الابهام . لا مرأى فى أن المصريين والكلدان والهنود لهم فى ماضى الانسانية مقام كبير ، ولكنهم مع ذلك فى الفلسفة أو فى العلم بعبارة أعم ليسوا شيئاً مذكوراً فى جانب الاغريق الذين لم يكونوا ليتعلموا منهم . ولقد أثبتت مقارنة اللغات فى أيامنا هذه أن لغة الايلاذة ولغة الفيدا كانتا فى الاصل لغة واحدة ، وأن اللسان الاغريقى والسنسكريت أخوان ولدتهما أم واحدة ، ولكنه اذا كان الاصل الذى اطرأ فى أزمان ما قبل التاريخ واحداً ، فإن ما قدر على الاخوين كان مختلفاً جداً باختلاف ، لان العالم الاغريقى قد أنتج الآداب والعلوم والفنون التى ننسج الآن على منوالها ، وشاطر بحظ عظيم فى تقديم المدنية المسيحية حتى وصلت الى ماهى عليه الآن ، فى حين أن العالم الهندى ما أنتج الا البرهمانية والبوذية ، فهو نازل عننا بمراحل على الرغم من المزايا المتعددة التى يكون من الظلم عدم الاعتراف له بها . بين العالم الاغريقى وبين العالم الهندى تأتى بلاد فارس التى توسطت بين العالمين فى المكان كما هى فى الزمان ، ولكنهما لم تشغل مركزاً يذكر

لها ولم تستفد منها الاغريق الا المجد الخالد الذى أحرزه أمثال ملتياد وليونيداس وطيمستوكل والاشكندر .

ومع ذلك فان الهند وفارس واغريقيا ومصر ويهوذة نفسها . مهما كانت الفروق بينها فى المعقولات ، كلها هى الخمسة فروع متفرعة عن جنس واحد . فان علم أنساب الشعوب ووصفها الذى لا ينبغي أن يكون له أهمية عظمى فى هذه الابحاث ، لكنه مع ذلك لا ينبغي أن يغفل أمره فيها قطعا ، هذا العلم قد كشف الغطاء عن مشابهة تامة بين هذه الشعوب منطقية تحت فروق فى الاخلاق وفى العقل وفى اللغة ، وهذا الجنس الرفيع الذى يجمع الخمسة الشعوب المذكورة هو مايسمونه بالجنس الهندى القوقازى . وان الامم السامية نفسها متفرعة منه أيضا كالاخرى وان كانت قابلياتها تخالف قابليات الاخرى على الاطلاق فهى قوية فيما يتعلق بالدين عقيمة فيما عداه تقريبا ، ولكن فى هذه العائلة الكبرى الجميلة التى كأنها احتكرت لنفسها الذكاء الحقيقى يقف الاغريق بجملتهم فى صفها الاول . وحينما كانوا يستمون من عداهم بالمتوحشين لم تكن كبرياؤهم باللغة من السوء الحد الذى كان يظن بهم . ومع أنه كان خيرا أن يكونوا أكثر تواضعا فان الهلين المدفوعين الى هذه الكبرياء بدواعى غرائزهم الصادقة لم يكونوا مخدوعين على شرف مقامهم أكثر مما ينبغي . والآن ونحن فى وسعنا أن نحكم حكما خلوا من الغرض نقول انهم أحق من سواهم بقصب التيبق . ومهما يكن من حال المستقبل فليس من الهين عليه أن ينزعهم من هذا المقام . أما أنا فليست أتردد فى استناد هذا المجد اليهم ، مع انى لا أنكر ما كان لمنافسيهم من العظمة بل من التفوق فى بعض الوجوه ، ولكن من الذى يمكننا أن نضعه فى حلبة المجد فى مستوى فوق مستوى الهلين وقد جاءونا يقدمون بين يدي دعواهم الشعر والآداب والفنون والعلوم والفلسفة والتاريخ .<sup>٩</sup>

ولقد بينت ، على مهد الفاسفة الناشئة ، مقام مدرسة ايليا وما لأكسينوفان وميليسوس من الاهلية الخاصة بين طاليس وفيثاغورث .

ينبغي أن نكرر أن كل ما نسرده من هذه الحوادث التاريخية انما هو تاريخنا ولو كان منذ خمسة وعشرين أو منذ ثلاثين قرنا ، ذلك بأننا أبناء الاغريق ، ولولاهم لما وصلنا الى ما وصلنا اليه ، فان اغريقيا هى التى علمت روما ، وبواسطة روما واغريقيا فتحت المسيحية بلادنا ومدنتنا بعد أن انتفعت بكل ما تعلقها ومهد لها السبيل . وان العلم على جميع صوره كان معدوما فى الشرق ، فاخترعه الاغريق ونقلوه إلينا (١) . وما كان من

(١) راجع مقدماتى لكتاب السماء لارسطو ص ٧٩

روما والعالم الحالى بتمامه منذ اغارة المتوحشين الا أن اقتفوا هذا الأثر  
الذى عفا رسته أحيانا ولكنه لم ينعدم أبدا .

وانى اذ عنيت بايضاح هذه الآثار الاولى أردت أن أوفى أجدادنا  
حقهم وأن أذكر بما عاينا من الواجب نحوهم بأن بينت مراكزهم وخدماتهم  
للانسانية . ان العقل الانسانى بطيء فى سيره فيحسن به وهو سائر فى  
طريقه غير المتناهى أن يلقى نظره الوقت بعد الوقت الى الوراء ليرى من  
أين ابتداء سيره وليسدد خطاه فى المستقبل غير المحدود الذى ينتظر  
قدمه ! .

# الكون والفساد

## الكتاب الاول

### الباب الأول

الموضوع العام لهذا الكتاب - تمحيص المذاهب السابقة - آراء مختلفة - تمحيص نظريات  
الكنساجوراس ولوكيس وديمقريطس - نقض خاص للمذهب امبيدكل - الاستشهاد ببعض  
أبياته - المعاني المختلفة التي يحمل عليها كون الاشياء تبعا لما يسلم به من الوحدة أو التعدد  
للعناصر الأولية .

١ - لاجل أن ندرك الكون والفساد في الاشياء التي تتولد وتهلك  
بالطبع يلزمنا ، كما هو الحال في البقية ، أن نقدر على حدة عللها ونسبها .  
وسننظر أيضا عند معالجة النمو والاستحالة ماهي كل واحدة من هاتين

ك ١ ب ١ - أخذ فيلوبون يتبث أن هذا الكتاب متصل جد الاتصال بكتاب السماء  
ودليله الاصل في ذلك أن كتاب السماء ينتهي بجملة فيها أداة استدراك لا يوجد معادلا  
الا في هذا الكتاب . وهذا الدليل ليس قاطعا جدا . ولكن من المحقق أن مواد الكتابين  
مرتبط بعضها ببعض فضل ارتباط . وان أرسطو بعد ما درس السماء والخواص لها : الاجرام  
اللامتغيرة التي تؤلفها أمكنه أن يفكر في اتمام هذه الدراسة بدراسة الاجسام التي من شأنها  
في الطبيعة أن تتولد وتهلك تابعة في ذلك قوانين منتظمة . الصلة اللغوية بين الكتابين  
موجودة كما نبه اليه فيلوبون ولكن الصلة المنطقية بينهما هي أيضا أحق .

§ ١ - بالطبع - أراد أرسطو ، وهو لا يشتغل الا بالاجسام المكونة أو الهالكة بفعل  
الطبيعة أن يخرج جميع الاجسام التي تكونها أو تهلكها الصناعة الانسانية . فإن هذه  
الاجسام يمكن أن تكون موضوع دراسة خاصة . - عللها ونسبها - اللفظ اليوناني الذي  
عبرت عنه بالنسب هو أيضا مبهم جدا . وقد حاول فيلوبون أن يوضحه فلم يوفق الى  
ذلك . وربما كان لفظ «تحويلات» صالحا أيضا . - النمو والاستحالة - ينبغي الرجوع  
الى تعريف هذين اللفظين في كتاب الطبيعة لأرسطو ك ٤ ب ٣ ف ٧ و ك ٥ ب ٣ ف ١١  
وما بعدها . فإن النمو هو حركة في الكم وأما الاستحالة فانها حركة في الكيف . - الكون  
والاستحالة أما الكون بالمعنى الخاص فهو الانتقال من الوجود الى الوجود . وأما الاستحالة  
فهو ليست الا مجرد تغير في الكائن الموجود من قبل . - بالحقيقة - زدت هذا اللفظ لانما  
الفكرة . لاجل تبين الفرق بين الكون وبين الاستحالة أستشهد فيلوبون ببعض شمولهمروس  
ولكن هميروس لا يكاد يصلح حجة ذات وزن في هذه الفروق اللفظية والمبتازيقية .

الظاهرتين ونبحث ما اذا كان طبع الكون وطبع الاستحالة هما واحدا بعينه أو هما متميزان بالحقيقة كما هما متميزان بالاسم السدال على كليهما ؟ .

٢ - من القدماء من رأوا أن ما يسمى كونا مطلقا ليس الا استحالة والآخر من منهم رأوا أنه كون الاشياء . واستحالتهما ظاهرتان مختلفتان . فالذين يزعمون أن العالم كل ذو صورة واحدة ويجعلون الاشياء كلها تخرج من مبدأ واحد بعينه هؤلاء يلزمهم بالضرورة أن يروا الكون مجرد استحالة وأن يفترضوا أن ما يولد بالمعنى الخاص انما هو يستحيل . وعلى ضد ذلك الذين يسمون بأن المادة تتألف من أكثر من عنصر واحد كأبيدقلى وأنكسافوراس ولوكيبس . هؤلاء يجب أن يكون لهم رأى مضاد للاول تماما .

٣ - ومع ذلك فان أنكسافوراس فى هذا قد نكر التعبير الخاص

§ ٢ - من القدماء - سرى أن أرسطو يعنى بهم أمبيدقلى وأنكسافوراس ولوكيبس وديمقريطس . الخ . - كونا مطلقا - يعنى الانتقال من العدم الى الوجود . ليس الا استحالة - يعنى ادماج طاهرتى الكون والاستحالة . - ظاهرتان مختلفتان هذا رأى هو وحده الصحيح فان الكون والاستحالة معنيان لا يمكن ادماجهما احدهما فى الآخر . - أن العالم كل ذو صورة واحدة - أو أنه لا يوجد الا عنصر واحد بعينه هو الذى يكون كل شيء بلا استثناء . وهؤلاء الفلاسفة هم على العموم اليونان وأصحاب مدرسة ايليا التى كانت تؤيد مذهب وحدة الجوهر ووحدة الوجود . - مجرد استحالة - قد زدت على المتن كلمة مجرد . - ما يولد بالمعنى الخاص هو الذى سماه التولد المطلق كما نبه اليه فيلوبون . - المادة تتألف من أكثر من عنصر واحد - أو أنه لا يوجد أكثر من مادة واحدة . - بولقند سبى هنا أنصار تعدد العناصر وأما أنصار الوحدة فلم يسمهم . أقام فيلوبون نفسه مقام أرسطوطاليس وذكر بأن طاليس لم يك ليقلل الا الماء عنصرا واحدا . وأنكسجين ودوجين الابلوني يقول كلاهما بأنه الهواء . وأنكسيمندروس يقول بأنه عنصر وسط بين الهواء وبين الماء . وكان هيرقليطس يقول بأنه النار . أما فلاسفة التعدد فان أمبيدقلى كان يقبل القسول بالعناصر الاربعة كما قال به أرسطو النار والهواء والماء والارض . وأما أنكسافوراس فانه كان يفترضها تلك الاجسام المتجانسة المتشابهة الاجزاء واللا متناهية . وديمقريطس ولوكيبس كانا يفترضان هذا الفرض بالنسبة لدراتها اللا متناهية فى العدد وفى اختلاف أشكالها . ( ر . الفقرات الاتية ) ١٥

§ ٣ - نكر أنكسافوراس التعبير الخاص - فى عهد أنكسافوراس لم تكن لغة الفلسفة قد تكونت كما حصل ذلك بعد . - كما يفعل فلاسفة آخرون - يعنى المذكورين بعد ذلك . - العنصرين المحركين - هذان العنصران المحركان اللذان يقول بهما أمبيدقلى هما التنافر والعشق أولهما يفرق الاشياء والثانى يجمعها - ستة عناصر - يعنى، عنصرى الحركة مضادة اليهما العنصر الاربعة العادية الارض والماء والهواء والنار . وعلى رأى أمبيدقلى أن هذه الاربعة الاخيرة منفصلة فقط وأما الاخران فانهما فاعلان ومحركان . من اجزاء متماثلة المتشابهة الاجزاء ( هوموميريس ) - احد هذين التعبيرين ليس الا ترجمة للآخر - كل جزء منها مرادف للكل - فان جزء العظم يسمى عظما وجزء من اللحم يسمى لحما فى حين أن جزء اليد لا يسمى يدا . الخ . وعلى ذلك يوجد من العناصر الاولى المتشابهة بمقدار ما يوجد من الجواهر المختلفة ولذلك كانت عناصر أنكسافوراس غير متناهية فى العدد .

وغلب في لغته الخلط بين ولد وهلك وبين تغير ، على انه يعترف بتعدد العناصر كما يفعل فلاسفة آخرون . كذلك قال أمبيدقل ان عناصر الاجسام كانت أربعة وانه باضافة العنصرين المحركين يكون المجموع ستة عناصر . أما انكساغوراس فانه ارتأى انها غير متناهية في العدد كما كان يرى لوكيبس وديمقريطس . والواقع ان انكساغوراس كان يعتبر عناصر الاجسام المركبة من أجزاء متماثلة : المتشابهة الاجزاء ، مثل العظم واللحم والنخاع وجميع المواد الاخرى التي كل جزء منها مرادف للكل .

٤ - - ويزعم ديمقريطس ولوكيبس ان جميع الاجسام مركبة في البداية من أجزاء لا تتجزأ او ذرات وهي غير متناهية لا في عددها ولا في أشكالها . وألّا الاجسام لا تختلف في اصلها بعضها عن بعض الا بالعناصر التي تتركب منها وبوضع هذه العناصر وترتيبها .

٥ - - ويظهر هنا ان انكساغوراس من رأى معارض لرأى أمبيدقل لان هذا الاخير يقول بأن النار والماء والهواء والارض هي الاربعة العناصر وأنها أبسط من اللحم أو العظم او اى عنصر آخر من العناصر المتشابهة فيما بينها أو الاجسام المتشابهة الاجزاء . ولكن انكساغوراس على الضد من ذلك يزعم أن الاجسام المتشابهة الاجزاء هي بسيطة وأنها هي العناصر الحقيقية بينما أن الارض والنار والهواء مركبة وإن جراثيم العناصر منتشرة في كل مكان .

٦ - - على ذلك متى ادعى أن جميع الاشياء تخرج من عنصر واحد لا

§ ٤ - - أجزاء لا تتجزأ أو ذرات - كلا الاسمين مرادف للآخر تماما . وسم الذرات أكثر استعمالاً وقد بين فيلوبون هنا وجه الخلاف بين مذهب أبيقور في الذرات وبين مذهب ديمقريطس فان أبيقور يقول بعدم تنامي الذرات في العدد ولكنه لا يسلم بأنها غير متناهية في الاشكال . - الا بالعناصر التي تتركب منها - أو بعبارة أخرى « التي هي منها » هذا من أجل التخالف غير المتناهي في طبيعة الذرات . - بوضع هذه العناصر وترتيبها - هذا لعدم التناهي في الاشكال .

§ ٥ - - من رأى معارض - لا يجد فيلوبون بين رأى انكساغوراس ورأى أمبيدقل من مسافة التعارض ما تدل عليه عبارة أرسطو . - النار والماء والهواء والارض - ذكرتها بهذا الترتيب لان أرسطو ذكرها كذلك . - انها أبسط من اللحم - قد يؤخذ من صوغ هذه الجملة أن أمبيدقل كان يعلم مذهب انكساغوراس وينتقده . ولكن التاريخ الزمني لا يسمح بذلك . ولعل المراد هنا هم اتباع أمبيدقل كما يدل عليه تعبير النسخة الاغريقية لا أمبيدقل نفسه . - جراثيم العناصر - هذه الجراثيم شدة ما تقارب اذا الذرات التي هي منتشرة في كل مكان على حسب مذهب ديمقريطس .

§ ٦ - - ادعى أن جميع الاشياء تخرج من عنصر واحد لا غير - هذا مذهبهم يقبله أرسطو أبداً . - كيمياء استحالة - راف (١) ألفا . - الموضوع للظواهر - زدت على النص اللفظ الاخير . - يعانى استحالة - يلزم في الواقع وجود موضوع دائم حتى يسكن أن يكون على

غير لازم ضرورة اعتبار كون الاشياء وفسادها كمجرد استحالة . فيكون اذا الموضوع للظواهر دائما واحدا ودائما هو بعينه . فانبا على موضوع من هذا القبيل يمكن أن يقال انه يعانى استحالة ولكن متى سلم بأنواع متعددة للجواهر وجب التسليم أيضا بأن الاستحالة تخالف الكون . لان كون الاشياء وفسادها حينئذ يحصلان باتحاد العناصر او بافتراقها .  
وفي هذا المعنى أمكن لامبيدقل أن يقول :

ليس لشيء من طبع ثابت ، وما الكل الا اختلاط وافتراق

§ ٧ - هذا تعبير ، كما يرى ، يلائم تماما فرض هؤلاء الفلاسفة . وتلك هي أيضا طريقة تعبيرهم . واذن فان هؤلاء الفلاسفة أنفسهم مضطرون الى الاعتراف بأن الاستحالة أمر مخالف للكون . ومع ذلك فان من المحال أن توجد استحالة حقيقية على حسب المبادئ التى يقررونها . على أنه من السهل الاقتناع بصحة الراى الذى نقره هنا . فالواقع أنه كما ان الجوهر فى حال السكون نجده يعتريه فى ذاته تغير فى العظم يسمى النمو والنقص كذلك أيضا يمكننا أن نشاهد فيه الاستحالة .

§ ٨ - ولكن من جهة أخرى ليس أقل من ذلك فى باب المحال ايضاح الاستحالة على حسب ما يقوله الذين يسلمون بأكثر من عنصر واحد . لان التأثيرات التى تجعلنا نقول بوجود الاستحالة هي فصول للعناصر ، أريد أن أقول ، الحار والبارد ، والابيض والاسود ، والجاف والرطب ،

التماعب محلا للاستحالة التى تنتابه اذا يمر من البارد الى الحار ومن الابيض الى الاسود . الخ أو على التبادل . - بأنواع متعددة للجواهر - عبارة النص بالضبط « اجناس متعددة » . - باتحاد العناصر أو بفتراقها - تحت تأثير العشق والتنافر كما يريد امبيدقل .  
§ ٧ - فرض هؤلاء الفلاسفة - الذين يقولون بتعدد العناصر . - وتلك هي أيضا طريقة تعبيرهم - أو بعبارة أخرى « أن الفرض الذى نسنده اليهم هو الذى يسلمون به » . - مضطرون الى الاعتراف - لا يظهر أن امبيدقل أنكره بالضبط . ومن حق هذا القول أن يوجه الى ديمقريطس وأنصار الوحدة . - أن توجد استحالة حقيقية - النص أقل من هذا شبيها فى التعبير . نجده يعتريه - اما يستشهد أرسطو الى المشاهدة الحسية وعلى رأيه أن الاستحالة لبست ظاهرة أقل وضوحا من النمو أو الذبول اللذين تدركهما حواسنا بفاية السهولة . أن الفكرة فى هذه الفترة لا تزال مضطربة خافية ولم أستطع جلاها كما أردت على الرغم من تفسير فيلوبون وتفسير اسكندر الافروديزى الذى نقله بجانب تفسيره . - نشاهد فيه الاستحالة - أو تضر الكيف .

§ ٨ - الذين يسلمون بأكثر من عنصر واحد قد يظهر من هذا أن الفقرة السابقة موجهة الى الفلاسفة الذين يقولون بوحدة الجوهر ولكن النص لا يساعد على هذا التفسير . - التأثيرات - أو التأثيرات - فصول للعناصر - أو بعبارة أوسع « الفروق التى توجد بين العناصر » . - الحار والبارد - بطريقة عامة كل المتقابلات بالتضاد التى تتوارد وتتعاقب على موضوع واحد بعينه . - ينتج من ذلك - لبست هذه نتيجة تنتج بالضرورة من مذهب امبيدقل . - وهذا بالضبط اذا ما كان يعنى بالاستحالة - ولا يظهر أن امبيدقل ينكره .



واللبن والصلب ، وجميع الخواص الأخرى المشابهة كما يقوله أيضا  
أمبيدقل : الشمس في كل مكان بيضاء مملوءة بالحرارة وفي كل مكان  
المطر ينشر غشاه وبرده .

انه يقرر المميزات عينها لسائر الأشياء . وينتج من ذلك انه اذا  
كان الماء لا يخرج من النار ، ولا الأرض من الماء . فان الاسود لا يمكن أن  
يخرج من الابيض ، ولا الصلب من اللين . وهذا التدليل بعينه قد ينطبق  
على جميع التغيرات الأخرى . وهذا بالضبط اذا ما كان يعني بالاستحالة .

§ ٩ - ولكن ليس من البين انه يلزم دائما افتراض وجود مادة  
واحدة لا غير لاجل الاضداد ، سواء اتغيرت بالنقلة في الاين أم تغيرت  
بالنمو أو النقص أم تغيرت بالاستحالة ؟ يلزم ألا يكون الا عنصر واحد .  
ومادة واحدة بعينها لاجل جميع الكيوف التي تتبدل بعضها ببعض . واذا  
كان العنصر واحدا فهناك أيضا استحالة .

§ ١٠ - وعلى ذلك يظهر لنا أن أمبيدقل يناقض الحوادث الأكثر  
واقعية ويناقض نفسه معا . لانه يزعم معا أن العناصر لا يمكن أن يجرى  
بعضها من البعض الآخر بل على الضد يأتي منها سائر الأشياء ، وفي  
الوقت عينه بعد أن رد الى الوحدة الطبيعية كلها كاملة ما عدا التنافر ،  
قد استخرج بعد ذلك كل شيء من الوحدة التي تخيلها . فعلى رأيه الأشياء  
بأنفصالها عن هذه الوحدة العنصرية بواسطة بعض فصول وبعض تغاير  
فهذا الشيء بعينه صار ماء وآخر صار نارا . وبهذه المثابة يسمى الشمس

§ ٩ - ولكن ليس من البين على هذه النظرية راجع كتاب الطبيعة ك ١ ب ٧  
ف ٩ وكتاب المقولات ب ١١ - بالنقلة في الاين . . . بالنمو . . . بالاستحالة - تلك هي انواع  
الحركة الثلاثة التي يقول بها أرسطو وقد شرحها في كتاب الطبيعة . - مادة واحدة بعينها -  
عبارة النص ليست من البيان على هذا القدر . - التي تتبدل بعضها ببعض - والتي هي هذا  
على ذلك أضداد ، فان الجسم بعينه هو الذي يكون بالتناوب حارا أو باردا أو أبيض أو  
اسود . . . الخ .

§ ١٠ - يناقض الحوادث الأكثر واقعية - إنكاره وجود الاستحالة وهي ظاهرة مشاهدة  
بغاية السهولة . - رد الى الوحدة - ذلك هو (سفيروس) آله المادة المظروف فيه الحساب  
على رأى أمبيدقل بفعل العشق الى أن يأتي التنافر فيكشف له عنه من جديد بأن يفصل  
العناصر . - ما عدا التنافر - ما دام هو الذي يجب أن يقطع من جديد الوحدة التي  
أوجدتها العشق . - فعلى رأيه - يظهر أن ما يلى هو نقل حرفى لعبارة أمبيدقل ولكن  
البيان غير جلي وفيه الغموض العادى الذى يوجد في نقوض أرسطو . - فهذا الشيء بعينه  
صار ماء - لا يظهر أن هذا هو مذهب أمبيدقل الحقيقى فان رأيه هو أن العناصر كلها  
مكونة ولا تتغير ، بل هي فقط تتجسج أو تفرق تحت التأثير القدير للعشق والتنافر . -  
ويمكن أن تسعى - قد لا تكون هذه هي فكرة أمبيدقل الحقيقية . - ما دامت متولدة في  
وقت بعينه - يظهر أن أمبيدقل على الضد من ذلك يعتقد أن هذه الفروق أبدية . - بل  
التي تتغير أيضا في هذه اليوم في مذهب أرسطو ولكن لا في مذهب أمبيدقل .

بيضاء حارة والارض كثيفة صلبة . ولكن متى مجيت هذه الفصول ، ويمكن أن تمحي ما دامت متولدة في وقت بعينه ، أمكن للارض بالجداهة أن تلاقى اذا من الماء كما يمكن أيضا للماء أن يأتي من الارض . كذلك الحال بالنسبة لجميع الاشياء الاخرى التي جرى عليها التحول والتغير . لا في الزمن الذي يتكلم عنه فقط بل التي تتغير أيضا في هذا اليوم .

§ ١١ - زد على ذلك أن في مذهب أمبيدقل توجد مبادئ منها يمكن أن تتولد الاشياء وتنفصل من جديد ، وعلى الخصوص متى سلمنا بالتنازع الابدئ المتبادل بين التنافر والعشق . فانظر كيف أن الاشياء فيما يظهر تتولد اذا من مبدأ واحد . لان النار والماء والارض وهي لا تزال مجتمعة لم تكن لتكون كل العالم . ولكنه بهذه النظرية لا يعرف ان كان يلزم الاعتراف بأن لهن مبدأ واحدا أو مبادئ متعددة وأعني بهن الارض والنار والعناصر التي من هذا القبيل . ذلك بأنه في الواقع من جهة ما يفترض كمادة مبدأ منه تأتي الارض والنار متغيرتين بالحركة المتحصلة فانه لا يوجد اذا الا عنصر واحد لا غير . ولكن من جهة أن هذا العنصر عينه هو متحصل من اجتماع هذه الجواهر التي تتحد ينتج أن هذه الجواهر قبل اجتماعها هي ذواتها أشد عنصرية وسابقة بطبيعتها .

§ ١٢ - ولكن يلزمنا في دورنا أن نتكلم بطريقة عامة على كون الاشياء وفسادها على معناها المطلق ، وسنعيد البحث فيما اذا كان هذا الكون أو لم يكن وسنقول كيف يكون هو . ثم نتكلم أيضا على الحركات البسيطة كالنمو والاستحالة .

---

§ ١١ - زد على ذلك أن في مذهب أمبيدقل - ليس النص بهذا الضبط من البيان ، فان المعارضة الجديدة تنحصر في أنه في مذهب أمبيدقل توجد مبادئ سابقة على العناصر وعلى ذلك تكون هذه العناصر ليست عناصر حقيقية .

- التنافر والعشق - هما مبدأان سابقان للعناصر يجمعانها ويفرقانها . - من مبدأ واحد - حينما يتكشف ( سفروس ) اله المادة من جديد بفعل التنافر . - مبدأ واحد أو مبادئ متعددة - يكون على الأقل الاثنان التنافر والعشق . - كمادة - يمكن ألا تكون هذه أيضا فكرة أمبيدقل ، فان التنافر والعشق لا يكونان بالضبط العناصر ولما يعلن بها فقط - أشد عنصرية - هذه هي عبارة النص نفسها .

§ ١٢ - في دورنا - زدت هاتين الكلمتين للدلالة على الانتقال الذي لم يذكر بالنص هنا ، فانه بعد أن استعرض أرسطو على التوالي مذاهب الآخرين سيبين مذاهبه وسنيتكلم أولا على الكون مرجعا الكلام على نمو الاشياء واستحالتها الى ما بعد .

## الباب الثاني

عدم كفاية نظرية أفلاطون - عود على نظرية ديمقريطس ولوكيبيس - نظرية جديدة على كون الاشياء وفسادها - النمط المتبع - أهمية مسألة الذرات - رأى ديمقريطس ولوكيبيس - رأى أفلاطون في كتابه طيمائوس - خطأ هؤلاء وهؤلاء - وجوب الأخذ بملاحظة الاحداث على الاخص - فضل ديمقريطس من هذه الجهة - افكار في قابلية الاشياء للقسمة - يمكن افتراض القسمة لا متناهية - صعوبات هذه النظرية - صعوبات ليست أقل خطراً من نظرية الذرات - نقض هذه النظرية - المعنى العام الذى يجعل عليه كون الاشياء .

§ ١ - لم يدرس اذا أفلاطون الكون والفساد الا من حيث طريقة وجودهما بالاشياء بل لم يكن ليدرس الكون في كل عمومته بل اقتصر على كون العناصر . ولم يقل شيئاً على تكون جميع الاجسام التى هى من جنس اللحم والعظم وسائر الاجسام المشابهة لها ولم يتكلم على الاستحالة ولا على النمو ولم يبين كيفية ادراكه اياهما في الموجودات .

§ ٢ - على أنه يمكن الجزم بأنه لم يتكلم أحد على هذه الموضوعات الا بطريقة سطحية جداً ما عدا ديمقريطس فإنه يظهر انه فكر في كل المسائل ولكنه يخالفنا في ايضاح الطريقة التى بها تحدث الاشياء . ولم يفكر أحد كما قلنا آنفاً في ايضاح النمو الا ما ربما يكون على المعنى الذى تفهم الكافة به هذه الظاهرة . أعنى بأن يقال ان الاجسام تنمو لان الشبيه يأتى فينضاف الى الشبيه . أما كيف تحصل هذه الظاهرة فذلك ما لم يوضحه أحد البتة حتى الآن .

§ ١ - لم يدرس اذا أفلاطون - رجع أرسطو الى فحص مذاهب أسلافه . - اذا - هذه الكلمة موجودة في النص دون أن يكون لها وجه يبررها . - طريقة وجودهما بالاشياء - يحتمل أن أرسطو يريد أن يقول ان أفلاطون لم يدرس الكون الا في المسال الراحنة للاشياء من غير أن يحاول الصعود الى الاصل ، فاذا كانت هذه هى فكرته لقد لا تكون صادقة تماماً اذ قد يوجد في طيمائوس ما يناقضها . على كون العناصر - دون كون الكيف التى تتناب العناصر . - على الاستحالة ولا على النمو - يعنى النوعين الآخرين للحركة .

§ ٢ - ما عدا ديمقريطس - مدح ديمقريطس هذا يمكن أن يظهر عظيماً جداً بعد ذلك الانتقاد السابق الموجه الى أفلاطون . - كل المسائل - ليست عبارة النص في هذا القدر من الضبط . - التى بها تحدث الاشياء - هذا ليس تمام الوضوح ، ولكن عبارة النص أدق من ترجمتنا ، وللاشك في أن أرسطو يريد أن يقول أن ديمقريطس موافق لنا فيما يتعلق بكون الاشياء ولكنه يخالفه في كيفية حدوث هذه الظاهرة . في ايضاح النمو - لا يرى أن أرسطو نفسه قد سد هذا النقص ( ر . الطبيعة ك ٦ ب ١٦ ه ٥ من ترجمتنا ٢٠ ) .

§ ٣ - ومع ذلك فلم يدرس أيضا بعد مسألة الاختلاط ولا أية واحدة من المسائل التي من هذا القبيل ولا مثلا مسألة معرفة كيف تفعل الأشياء وتنفعل وكيف ان شيئاً بعينه يفعل الاحداث الطبيعية وآخر بعينه ينفعل بها .

§ ٤ - لما لم يهتم ديمقريطس ولوكيبس الا بصور العناصر استخرجها منها استحالة الاشياء وكونها . وعلى هذا فمن انقسام الذرات ومن اتحادهما يأتي الكون والفساد ومن ترتيب الذرات ووضعها تأتي الاستحالة . ولكن لما كان هؤلاء الفلاسفة يحسبون الحقيقة في مجرد الظاهر وكانت الظواهر متضادة ولا متناهية بالعدد مما اضطروا أن يجعلوا أشكال الذرات لا متناهية أيضا بحيث ان الشيء الواحد يمكن أن يظهر ضد ما هو لنظر هذا الراى أو ذلك تبعا لتغيرات وضعه وبظهر متغير الصورة بمجرد أن تختلط به أو تزداد عليه أصغر جزئية أجنبية . ويظهر أنه صار غير ذاته جملة بتغير موضع جزء واحد من أجزائه . ذلك كما انه يمكن أن تستخدم الحروف بعينها لتأليف مأساة أو فكاهة حسبما يختار .

§ ٥ - ولكن لما كان كل الناس من غير استثناء تقريبا يعتقد بوجه العموم أن كون الأشياء واستحالتها هما ظاهرتان مختلفتان جدا ، وان الأشياء لتكون أو لتفسد يجب أن تتحد أو تنفصل في حين انها تستحيل بتغيرات في خواصها ، وجب علينا من أجل ذلك أن نقف على هذه المسائل التي يعرض منها في الواقع صعوبات حقيقية متعددة . اذا لم يجعل كون

٣ - ومع ذلك فلم يدرس أيضا - بعض هذه المسائل قد درس أمافي كتاب الطبيعة واما في الكتاب الرابع من الميتولوجيا ( الآثار العلوية ) ولكن لا أعرف اذا كان أرسطو قد تعمق في البحث فيها الى أبعد مما فعل أسلافه .

§ ٤ - لما لم يهتم ديمقريطس ولوكيبس الا بصور العناصر - ليست عبارة النص على هذا القدر من الضبط . وهذا المعنى هو معنى فيلوبون وقد يمكن ترجمته هكذا : « بعد أن تخيل ديمقريطس ولوكيبس صور العناصر » . - الذرات - أضفت هذه الكلمة لان مذهب ديمقريطس معلوم تماما ومذهب الذرات لا يقبل في الحقيقة الا القسمة والاتحاد والترتيب والوضع عللا لجميع الظواهر . - يحسبون الحقيقة في مجرد الظاهر - هذا هو المذهب الذي اعتنقه بعد ذلك السفسطائيون وطالما حارب سسقراط ( ر . فروطاغوراس لالاطون ) . - أشكال الذرات - أضفت أيضا هاتين الكلمتين . - تبعا لتغيرات وضعه - مثل فيلوبون لذلك بطرق الحماة فانه تبعا لمسقط الضوء وموضع الراى يتلون نالون المختلفة .

- جزء واحد من أجزائه - ليست عبارة النص على هذا القدر من الضبط . - تستخدم الحروف بعينها - أو عبارة أصرح « حروف الهجاء » .  
§ ٥ - كل الناس - يشمل أنكساغوراس وأمبيدقل . - كون الأشياء واستحالتها - من الصعب في الواقع خلط الظاهرتين وجعل احدهما الأخرى . وان عبارة النص في التمييز جلية غاية الجلاء . - وجب علينا أن نقف - سيكون ذلك موضوع هذا الباب والابواب التالية . - طائفة من النتائج غير القابلة للتأييد - هذا مهم .

الاشياء ، مثلا ، الا اتحادا فان لهذه النظرية طائفة من النتائج غير القابلة للتأييد . ولكن هناك براهين أخرى قاطعة على صحة المعنى المضاد ، ومن الصعب جدا نقضها ، تثبت أن كون الاشياء لا يمكن أن يكون شيئا آخر الا مجرد اتحاد وانه اذا كان الكون ليس اتحادا فمن ثم لا يوجد كون أصلا وانه ليس الا استحالة . لذلك يجب أن نعالج حل هذه التصعوبات مهما كانت خطورتها .

§ ٦ - النقطة الأصلية في ابتداء هذه المناقشة هي معرفة ما اذا كانت الاشياء تكون وتستحيل وتنمو أو تعاني الظواهر المضادة لهذه الظواهر بسبب وجود ذرات أعني أعظاما أولية غير قابلة للقسمة أو ما اذا كان لا يوجد أصلا أعظام غير قابلة للقسمة . هذه النظرية هي من الخطورة بالمكان الاعلى . ومن جهة أخرى يفرض وجود الذرات يمكن أن يتساءل أيضا عما اذا كانت - كما يريد ديمقريطس ولوكيبس هذه الاعظام غير المنقسمة هي أجساما أو ما اذا كانت مجرد سطوح كما ذكر في طيماوس .

§ ٧ - ولكن من غير المعقول ، كما بينا في غير هذا الموضع ، أن نجاوز بتحليل الاجسام الى حد تصييرها سطوحا . وعلى ذلك يكون أقرب الى المعقول القول بأن الذرات هي أجسام . على انى لا اعترف أن هذا الرأى هو ايضا قليل الشبه بالمعقول . ومع ذلك يمكن في هذا المذهب كما قد قيل أن تفسر استحالة الاشياء وكونها بتبدل الجسم الواحد تبعا لدورانه أو لتماسه أو تبعا لاختلاف اشكاله . ذلك ما يفعل ديمقريطس وهذا هو الذى أدى به الى انكار حقيقة اللون ما دام اللون في عرفة انما يكون من حركة الاجسام حول مركزها . ولكن الذين يقبلون قسمة الاجسام الى سطوح أولئك لا يمكنهم بعد ذلك أن يدركوا اللون . لانه بجمع السطوح ذرات السعة بعضها مع بعض يمكن الوصول فقط الى تكوين جوامد ولكن لا يمكن الوصول الى ايجاد أى كيف جسمانى .

§ ٦ - هي معرفة - ما اذا كان يوجد ذرات أو لا يوجد . - تكون وتستحيل وتنمو - تلك هي الانواع الثلاثة للحركات التى الاشياء قابلة لها . - الظواهر المضادة لهذه - يعنى الفساد والاستحالة الى كيف مضاد والنقص . - أعني - أضفت هذه الكلمة . - هذه النظرية هي من الخطورة بالمكان الاعلى - لذلك عاد أرسطو الى الكلام عليها مرات عدة - كما ذكر في طيماوس - ر كتاب السماء ك ٣ ب ٧ ف ١٤ .

§ ٧ - في غير هذا الموضع - في كتاب السماء ك ٣ كما يقول أيضا فيلوبون . - الى حد تصييرها سطوحا - هذا الرأى ليس هو رأى أفلاطون في طيماوس الى حد ما يظهر على أرسطو أنه يذهب اليه هنا . - على انى لا اعترف - عبارة النص أقل وضوحا من هذا . - كما قد قيل - يرى فيلوبون أن الالفاظ التى يستعملها أرسطو في هذا الموضع على قول ديمقريطس هي الفاظ مأخوذة على الاخضر من لهجة أبدير . - دورانه . . .

تماسه - هذا التعبيران ليسا بالفرنسية أكثر ضبطا في أداء المعنى من نظريتهما باليونانية . الذين يقبلون قسمة الاجسام الى سطوح - مثل أفلاطون أو فلاسفة آخريين . - أن يدركوا اللون - أو أى كيف آخر للجسمان . - عبارة النص أقل ضبطا من هذه .

§ ٨ - والسبب الذى جعل هؤلاء الفلاسفة يرون ، أقل من الآخرين ،  
الظواهر التى هى محل وفاق بين الناس جميعا هو عدم المشاهدة . وعلى  
خمد ذلك الذين استزادوا من فحص الطبيعة ، أولئك أحسن حالا فى  
استكشاف هذه المبادئ التى يمكن أن تنسحب بعد على حوادث ما أكثر  
عددها . ولكن هؤلاء الذين هم تائهون فى نظريات معقدة لا يلاحظون  
الاحداث الواقعة وليست أعينهم موجهة الا الى عدد قليل من الظواهر وهم  
يحكمون بسهولة كبرى .

§ ٩ - ها هنا أيضا يمكن أن يرى كل الفرق الذى يفرق بين  
الدراسة الحقة للطبيعة وبين دراسة منطقية محضة . لان هؤلاء الفلاسفة  
من أجل أن يبينوا مثلا انه يوجد ذرات أو أعظام غير قابلة للقسمة يدعون  
انه اذا لم تكن تلك الذرات فان المثلث نفسه ، المثلث الاعلى للمثلث ،  
يكون مؤلفا مع أن ديمقريطس فى هذه المسألة يظهر انه لم يعول فى حلها  
الا على دراسات خصوصية وطبيعية محضة . ومع ذلك فان ما سبيل من  
هذه المناقشة سيبين لنا ما نريد أن نقول بأوضح من ذلك .

§ ١٠ - من الصعوبة الكبرى افتراض أن الجسم يوجد وانه عظم  
قابل للقسمة الى ما لا نهاية وانه من الممكن تحقيق هذه القسمة . فماذا  
يبقى فى الواقع فى الجسم الذى يمكن أن يخلص من قسمة كهذه ؟ فاذ  
افتراض أن شيئا قابلا للقسمة مطلقا وانه يمكن حقيقة قسمته هكذا فلا

§ ٨ - محل وفاق بين الناس جميعا - عبارة النص مبهمه قليلا فلست واقفا من  
أنى حصلت المعنى جيدا . عدم المشاهدة - يوصى أرسطو هنا بمشاهدة الاحداث كما  
يوصى به دائما ولكنه لم يكن فى موضع آخر مبينا وجازما كما هو فى هذا الموضع . ر .  
مقدمة ترجمتى للميتولوجيا ص ٤٢ وما يليها . - التى يمكن ان تنسحب بسد - أو  
بعبارة فيلوبون وهى « التى يمكن أن تشمل عددا من الحوادث ما أكثره » . والفرق  
بين العبارتين عديم القيمة . - تائهون فى نظريات معقدة - عبارة النص تفيد أيضا لكن  
هؤلاء الذين هم بعيدون عن الافكار العامة ... الخ » . - بسهولة كبرى - وبخفة  
أكثر .

§ ٩ - الدراسة الحقة - أضفت هذه الكلمة الأخيرة . - هؤلاء الفلاسفة - يعنى أفلاطون  
ومدرسته . - اذا لم تكن تلك الذرات - أضفت هذه الكلمات التى يظهر أنها ضرورية . -  
المثلث نفسه المثل الاعلى للمثلث - هذه الكلمات الأخيرة ليست الا تفسيرها لما سبقها . فان  
المثلث نفسه فى لغة مذهب أفلاطون هو المثل الاعلى للمثلث . - مؤلفا - أى قابلا للقسمة  
وهذا يناقض تماما نظرية المثل . - ما يلى من هذه المناقشة سيبين لنا ... وأوضح من  
ذلك - يشعر أرسطو نفسه بأنه لم يقل هنا قدر الكفاية ليكون بيننا تماما . يدافع  
فيلوبون عن أفلاطون ضد أرسطو الذى لم يحصل جيدا فكرة استاذة . ويظن فيلوبون  
أن هذه النظرية قد يمكن أنها موجودة على الأكثر فى مذاهب أفلاطون غير المكتتوبة .

§ ١٠ - من الصعوبة الكبرى - كل المعنى فى هذه الفقرة غامض . واليكها بإسفل  
عبارة : « من الصعب ان يفهم أن الجسم يمكن أن يقبل القسمة الى ما لا نهاية وان لا توجد فيه  
الاجزاء التى لا تنجز » لان هذه القسمة تفنى الجسم من أخسره ولا يبقى منه شيء =

يكون من المحال فى شىء أنه أمكن قسمته مطلقا مع أنه لم يقسم فى الواقع ولا أنه قد قسم فعلا . والأمـر كذلك اذا فيما اذا يقسم الشىء بالنصف . وعلى العموم لو أن شيئا قابلا بالطبع للقسمة الى اللانهاية قد قسم لما كان ذلك محالا البتة . كما لا يكون محالا أن يفترض امكان قسمته عشرة آلاف مرة مضروبة فى عشرة آلاف مع أنه لا أحد يستطيع المجاوزة بالقسمة الى هذا الحد .

§ ١١ - ما دام الجسم معتبرا انه حائز لهذه الخاصة فلننسلـم انه يمكن قسمته مطلقا على هذا النحو . ولكن اذا ماذا يبقى بعد هذه التقاسيم ؟ هل سيكون عظما ؟ لكن ذلك غير ممكن لانه اذا يوجد شىء فر من عملية التقسيم وكان الفرض ، على الضد ، أن الجسم قابل للقسمة من غير أى حد ومطلقا . ولكنه اذا لم يبق جسم ولا عظم وظلت القسمة مستمرة فاما أن القسمة لا تقع الا على نقط واذا تصير العناصر التى تتركب الجسم عديمة العظم واما ألا يبقى هناك شىء أصلا .

§ ١٢ - ينتج من ذلك انه سواء أكان الجسم يأتى من لا شىء أم يؤلف من أجزاء فالأمر على الحالين تصيير الكل الى ألا يكون الا ظاهرا . حتى مع التسليم بأن الجسم يمكن أن يأتى من نقط فلا يكون هناك أيضاكم . وفى الواقع لو أن هذه النقط كانت تتماس لتؤلف عظما واحدا وان العظم كان واحدا وانها كلها فيه فان جميع هذه النقط المجتمعة ما كانت لتجعل الكل أكبر لان الكل بانقسامه الى نقطتين أو عدة لا يكون

= وبذلك يوصل الى أن الجسم مؤلف من مجرد نقط ليس لها ابعاد أصلا . - وأنه من الممكن تحقيق هذه القسمة - عبارة النص أقل من ذلك ضبطا . - الذى يمكن أن يخلص من قسمة كهذه - لانها ستقدم نهائيا كل ما تتركب منه الجسم . - فلا يكون من المحال - هذا فرض يمكن دائما فرضه ولا يلزم عليه شىء من المحال . - اذا يقسم الشىء بالنصف - يعنى اذا قسم دائما الى اثنين كل ما يبقى من الشىء فى التقسيم المتتابع أو اذا قسم الى أجزاء غير متساوية ، بكلتا الطريقتين يوصل الى اعداده كله بهذا التقسيم غير المتناهى . - المجاوزة بالقسمة الى هذا الحد - لعدم كفاية الآلات التى يستعملها الانسان .

§ ١١ - معتبرا أنه حائز لهذه الخاصة - عبارة النص أقل ضبطا من هذا التعبير . - ماذا يبقى - تكرار للمسألة الموضوعة فى الفقرة الماضية . - بعد هذه التقاسيم - زدت هذه الكلمات لبيان الفكرة قليلا . عظما - يكون أيضا قابلا للقسمة . - من غيرأى حد - ومطلقا - ليس فى النص الا كلمة واحدة . - عديمة العظم لان النقط الرياضية مفروضة انها لا عظم لها البتة .

§ ١٢ - يأتى من لاشىء - أعنى من نقط ليس لها أى امتداد . - ألا يكون الا ظاهرا - تلك هى النتيجة التى استنتجها السفسطائيون من ملهـم ديقريطس . - بأن الجسم - يمكن أن يأتى من نقط - النص ليس بهذه الصراحة . - كم - لان النقط لا تمثل كمية ما . - لا أكبر ولا أصغر من ذى قبل - مهما كان عدد نقط القسمة . - عظم حقيقى - أضفت لفظ حقيقى .

لا أكبر ولا أصغر من ذى قبل ، بحيث انه مهما جمّمع من تلك النقاط فلا يمكن الوصول أبدا الى تأليف عظم حقيقى منها .

§ ١٣ - اذا قيل انه يوصل بالقسمة الى ألا يحصل منها الا كمنشأة الجسم فحتى على هذا الفرض لا بد من ان الجسم يأتى من عظم ايا كان ، وتبقى المسألة كما كانت وهى كيف أن هذا الجسم الاخير قابل للقسمة فى دوره . فاذا قيل ان ما انفصل ليس جسما بل هو صورة ما قابلة للانفصال أو خاصة ما فينتج من ذلك أن العظم يتحول الى نقط والى تماسات محولة بهذه الطريقة . واذا يكون من غير المعقول الاعتقاد بأن العظم يمكن أبدا أن يأتى من أشياء ليست أعظاما .

§ ١٤ - ولكن فوق ذلك فى أى مكان تكون هذه النقاط سعواء افترضت عديمة الحركة أم افترضت متحركة ؟ انه لا يوجد أبدا الا تماس واحد بين شيئين فلا بد أيضا من افتراض انه يوجد شيء ليس هو التماس ولا القسمة ولا النقطة .

لو قيل اذا أن كل جسم ايا كان مهما كان امتداده يمكن دائما أن يقبل القسمة مطلقا لكانت تلك هى النتائج التى يوصل اليها :

§ ١٣ - كمنشأة الجسم - عبارة الاصل دقيقة ويظهر أن الفكرة غامضة ولو أنها فى الحقيقة واضحة . فان أرسطو يفرض أنه يراد اثبات وجود الذرات وان قسمة الجسم لا يمكن أن تمتد الى الا نهاية . فاذا وصل بالتقسيم الممكن غاية الامكان الى تصوير الجسم مسحوقا كمنشأة الخشب عند قطعه ولكن قطع المنشأة مهما دق حجمها فان لها امتدادا وترجع المسألة بالنسبة لهذه الاجسام الصغيرة الى ما كانت عليه بالنسبة للجسم الذى كانت تؤلفه باجتماعها من قبل . - عظم ايا كان - فان قطع المنشأة مهما صغر حجمها لها دائما عظم قابل للتقدير . - فى دوره - زدت هاتين الكلمتين . - ان ما انفصل - أى بالقسمة بالبلغة اقصى حد لها . - قابلة للانفصال - قال فيلوبون ان فى هذا رواية أخرى وان فى بعض النسخ المخطوطة عبارة « غير قابلة للانفصال » بدل عبارة « قابلة للانفصال » . وليسيان يقتضى على الظاهر أوفقية العبارة الأخيرة . ومع ذلك فان فيلوبون يفضل معنى عبارة « غير قابلة للانفصال » لان الصورة فى الواقع غير قابلة للانفصال عن الجسم بمعنى أنها تنعدم بانعدامه ولا يمكن أن تكون شيئا بدونه . ولقد أثبت فى ترجمتى عبارة الرواية المشهورة ولكن الأخرى هى مناسبة أيضا . - الى نقط والى تماسات - نظريات أبطلت آنفا . - أشياء ليست أعظاما - ما دام أن النقاط والتماسات لا يمكن ان يكون لهما على ما هو المفروض أى امتداد الى أية جهة ما .

§ ١٤ - فى أى مكان - . - معنى : « فى أى جزء من الجسم ؟ » - افترضت متحركة - كما يفعل الرياضيون اذ يسلمون بأن النقطة متى تحركت أحدثت خطا كما أن الخط يحدث السطح والسطح الجسم . وقد نبه فيلوبون الى أنه يمكن اعطاء هذه الجملة صورة الاستفهام أو صورة الإيجاب على السواء . - أنه يوجد شيء - يعنى الجزئين الماديين اللذين يتماسان أو أنهما متقاسمان فى نقطة تفصلهما . - لو قبل اذا - ر . ما سبق ف ١٠ هذا هو ملخص القسم الأول من كل هذه المناقشة . فانه اذا لم تقبل الذرات وقبل القول بأن كل جسم قابل للقسمة مطلقا فتلك هى النتائج غير المعقولة التى تؤدى اليها هذه النظرية . فيستنتج من هذا مع ديمقريطس حقيقة نظرية الذرات . ومع ذلك فان هذا المخلص يمكن أن يظهر أنه سابق لوقته .



١٥ - من جهة أخرى اذا أمكننى بعد انقسمة أن أركب الخشب الذى نشرته أو أية مادة أخرى بأن أعيد إليها وحدتها الاولى وأن أجعلها مثل ماكانت تماما فمن الواضح أنى أستطيع أن أفعل ذلك فى أية نقطة يلتفتها فى كسرى الخشب . اذا فبالقوة الجسم قابل دائما للقسمة مطلقا وبدون حد . ماذا يوجد اذا ها هنا خارجا عن القسمة وبمعزل عنها اذا قيل انها خاصة للجسم ؟ يمكن دائما أن يسأل كيف الجسم يتحلل الى خواص من هذا القبيل وكيف يمكن أن يتألف منها وكيف أن هذه الخواص يمكن أن تنفصل عن الجسم .

§ ١٦ - اذا كان اذا محالا أن الاعظام تتكون من مجرد تماسات أو خقط فانه يلزم ضرورة أن يوجد أجسام وأعظام لا تتجزأ . ولكن هذا الافتراض عينه للذرات يخلق محالا لا يمكن تخطيه ولو أن هذه المسألة قد فحصت فى غير هذا الموضع الا انه يلزم أن يحاول حلها هنا أيضا .  
بوالوصول الى ذلك يلزم أخذها من جديد بتمامها من البداية .

§ ١٧ - نقول اذا بادىء بدء انه ليس من غير المعقول فى شيء تقرير أن كل جسم محسوس هو معا قابل للقسمة وغير قابل للقسمة فى نقطة ما ما دام انه يمكن أن يكون قابلا للقسمة بالقوة المجردة وغير قابل

§ ١٥ - من جهة أخرى - برهان جديد لايضاح وجود الذرات . - مثل ما كانت تماما يظهر أن هذا مناقض لما قيل سابقا ف ١٣ - فى أية نقطة يلتفتها فى كسرى الخشب = - وعدد النقط يمكن ألا يتناهى ما دامت النقط مفروضا أنها عديمة الامتداد . فبالقوة - أن لم يكن بالفعل لعة واحدة هي عدم كفاية الآلات التى يستخدمها الانسان . - خارجا عن القسمة وبمعزل عنها - لا يوجد فى النص الا كلمة واحدة لهذا المعنى . - الى خواص من هذا القبيل - تكرير لما قيل آنفا ف ١٣ .  
§ ١٦ - اذا كان اذا - تلخيص لتأييد نظرية ديمقريطس . - أجسام وأعظام لا تتجزأ - أو بعبارة أخرى ذرات كما كان يقرره ديمقريطس . للذرات - أضلت هذه الكلمة لزيادة البيان . - غير هذا الموضع - ر . كتاب السماء ك ٣ ب ٤ ف ه وراجع كتاب الطبيعة فى مواطن عدة حيث نظرية الذرات ملع إليها الماعا لا مبينة بيانا وضعيا . ويستشهد فيلوبون على الاخص بكتاب السابع من الطبيعة حيث لا احد فيه انا شيئا من هذا القبيل . ويستشهد أيضا برسالة الخطوط غير المنقسمة التى يسبها الى تيوفراست بدلا من أرسطو اتباعا لراى بعض المؤلفين .

§ ١٧ - معا قابل للقسمة وغير قابل لها - بالفعل هذا محال ولكن يمكن أن أحدهما .امكان مجرد والاخرى قسمة بالفعل . واذا فالجسم فى الذهن قابل للقسمة الى الا نهائية . ولكن فى الخارج تقف القسمة عند حد بسرعة . - قابل للقسمة بالقوة المجردة وغير قابل لها بالفعل - عبارة النص اقل ضبطا . - يكون قابلا للقسمة «غير قابل لها معا بالقوة» يعنى منقسما وغير منقسم فى آن واحد بالقوة . وعلى رغم تفسير فيلوبون ومجهوداتى فان هذه النقطة فيها من الغموض ما لم استطع ان ازيله بالمرة . وأليك ألبان الذى يمكن فهمها به : « إن جسما لا يمكن أن يكون معا قابلا وغير قابل للقسمة حتى بمجرد القوة لانه اذا كان كذلك بالقوة كان كذلك أيضا بالفعل . وهاتان القابليتان فى الخارج لا يجتمعان مطلقا . فكل الذى يمكن حقيقة هو أن الجسم يكون قابلا للقسمة فى نقطة ما . وهاد لا =

للقسمة بالفعل • ولكن الذى يظهر انه محال تماما هو أن جسما يكون .  
قابلا للقسمة وغير قابل لها معا بالقوة لانه اذا كان ذلك ممكنا فلا يكون .  
أبدا بهذا الوجه أن الجسم يجمع بين الخاصيتين بأن يكون غير قابل .  
للقسمة وقابلا لها معا بالفعل • بل انه يكون فقط قابلا للقسمة بالفعل .  
فى نقطة ما • واذا لا يبقى منه شيء مطلقا ويتحول الجسم الى شيء غير  
جسمانى • ومع التسليم بأنه يمكنه أن يكون ثانية اما بأن يأتى من .  
النقط أو أن لا يأتى من شيء أبدا على الاطلاق فكيف يصير كون الجسم من .  
جديد ممكنا •

§ ١٨ - اما ما هو بين فهو أن الجسم ينقسم بالفعل الى أجزاء  
متميزة ومنفصلة والى أعظام أصغر فأصغر دائما تتباعد بعضها عن بعض .  
وتعزل • ولكن من المحقق أيضا أن هذه التجزئة البعضية لا يمكن أن  
يجاوز بها الى اللانهاية وانه ليس من الممكن أيضا قسمة الجسم فى أية  
نقطة ما لان هذه القسمة غير المحدودة ليست ممكنة الاجراء ولا يمكن أن  
تتمشى الى حد معين •

§ ١٩ - يلزم اذا أن توجد ذرات أو أعظام لا تتجزأ خصوصا اذا  
سلم أن كون الاشياء وفسادها يحصلان أحدهما بالتفريق والآخر بالاجتماع .  
ذلك هو الاستدلال الذى يظهر انه يبين ضرورة وجود الاعظام غير القابلة  
للقسمة أو الذرات • ونحن نتكفل باثبات أن هذا الاستدلال يرتكز من .  
حيث لا يشعر على سفسطة مستتورة يستار سنكتشفه اعنها •

= يفيد أنه قابل للقسمة مطلقا لانه حينئذ لا يبقى بعد القسمة شيء أصلا ويتحول الجسم .  
اذا الى شيء غير جسمانى • - الجسم ••• غير جسمانى - هذا التقابل موجود بلفظه  
فى النص • - من اللقط - التى هى ليست محسوسة ما دامت مفروضة عديمة الامتداد •  
- من شيء - أبدا على الاطلاق - أو ربما كان « من العدم » من لا شيء • - كون الجسم  
من جديد - عبارة النص ليست بهذا الضبط •  
§ ١٨ - ينقسم بالفعل - أضفت هذه الكلمة الأخيرة لبيان المعنى تماما • - أصغر  
فأصغر دائما - على حسب المادة التى هى موضوع القسمة والآلات التى تستخدم لذلك •  
- تتباعد - هذه عبارة النص وربما كانت غير مناسبة • - وتعزل بعد عملية  
القسمة • - التجزئة - أو التصغير أى تصنيف الشيء الى أجزاء دقيقة ثم الى أدق منها؛  
وهكذا • - الى حد معين - فى الخارج مع أنها فى الذهن ممكنة الى ما لانهاية •

§ ١٩ - يلزم اذا - حيثما لا يؤخذ الا بالظواهر المحسوسة القابلة للمشاهدة يكون  
مذهب الذرات مذهبا حقا جدا • لان التجزئة فى الواقع يجب أن تقف عاجلا ثم تصادف  
على ما يظهر عقبة كؤودا فى الجزئيات التى لا تستطیع أن تنالها التجزئة - بالتفريق  
لعناصر لا تقبل النقص ولا الزوال • بالاجتماع - بين هذه العناصر بعينها • - الذرات -  
أضفت هذه الكلمة لان الذرات غير قابلة للقسمة كما يدل عليه اسمها ورفق ذلك فانها  
غير قابلة للقسمة بالنسبة لنا بسبب دقتها • - ونحن نتكفل - عبارة النص أقل ضبطا  
من هذا؛ ولكنى أردت بهذا التعبير تأدية معنى الحدة التى استعمالها المؤلف فى عبارته • -  
سنكتشفه عنها - ان البيان الآتى قد يبين عليه عدم مطابقته تمام المطابقة لهذا النوع •

§ ٢٠ - كما أن النقطة لا تتصل بالنقطة فقابلية القسمة المطلقة تكون من جهة متعلقة بالاعظام ومن جهة أخرى غير متعلقة بها . ومن يسلم بهذه النظرية يظهر أنه يسلم أيضا بأنه لا يوجد بعد الا النقطة التي هي في كل مكان وفي كل اتجاه . وبنتيجة ضرورية فان العظم بالتجزئة يصير لا شيء لان النقطة ما دامت في كل مكان فالجسم لا يمكن أن يتركب الا من التماسات أو من النقط .

§ ٢١ - وحينئذ فمعنى هذا هو الرجوع الى القول بأن الجسم قابل للقسمة مطلقا ما دام يوجد في كل محل نقطة ما وأن كل النقط مجتمعة هي ككل واحدة منها على حدة وانه في الواقع لا يوجد أكثر من واحدة لان النقط ليست متتابعة بعضها لبعض . وانبتيحة أيضا أن الجسم ليس قابلا للقسمة مطلقا . لانه اذا كان الجسم قابلا للقسمة في وسطه فانه يكون قابلا لها في النقطة التي تتصل بهذا الوسط . ولكن الآن غير متصل بالآن كما أن النقطة لا تتصل بالنقطة . على أنه في هذا تنحصر قسمة الاجسام وتركيبها بحيث انه يوجد أيضا اجتماع وافتراق للاجزاء . ولكن الجسم مع ذلك لا يتحول الى ذرات وانه لا يأتي من ذرات . تلك النظرية التي تشمل صعوبات عديدة لا يمكن حلها . كذلك لا يمكن أن يتركب الجسم بطريقة بها تكون التجزئة ممكنة لا الى حد ما . فاذا كانت النقطة تتبع في الواقع النقطة كان الامر كذلك ولكن الجسم ينحل الى أجزاء متدرجة في الصغر وأن الاتحاد حصل بين أصغر الاجزاء .

§ ٢٠ - لا تتصل بالنقطة - ما دامت النقط معتبرا أن ليس لها اهل امتداد . - ومن يسلم بهذه النظرية - التي هي أن الجسم قابل للقسمة مطلقا . - بالتجزئة - في النقط التي يقال انه مركب منها . - الا من التماسات أو النقط - و ما سبق ف ١٦

§ ٢١ - بأن الجسم قابل للقسمة مطلقا - هذا هو المعنى الذي اتخذه فيلويون وهو مع ذلك يجد أن المعنى ليس واضحا على قدر الكفاية . وان هذه المناقشة كلها هي في غاية الاضطراب ومن الصعب الوقوف فيها على الفكرة الحقيقية للمؤلف . - يوجد في كل محل نقطة ما - يعني أن التجزئة يمكن أن تحصل في أي نقطة كيفما اتفق . - لا يوجد أكثر من واحدة - في الواقع انه يوجد من النقطة بقدر ما يراد ولكنها كلها متشابهة فلا يمكن أبدا أن يؤخذ منها في الدفعة الواحدة الا نقطة واحدة . والنتيجة أيضا - النص ليس كذلك من حيث ضبط العبارة ولكن اضطررت الى زيادة الضبط لافق بينه وبين الترديد المذكور في الفقرة السابقة . - الآن . . . . . النقطة - الكلمتان المابلتان لهما في النص اليوناني أكثر تقربا بينهما من الكلمتين اللتين اضطررت لاستعملهما في الترجمة . - للاجزاء - أضفتها من عندي . - صعوبات عديدة لا يمكن حلها - عرض بعضها في الكلام السابق . - ممكنة لا الى حد ما - وذلك يهدم مذهب الذرات . على هذا يكون أرسطو يرفض الكل ويقبل هذا المذهب لانه يجد من كل ناحية صعوبات لا يمكن التغلب عليها . - فاذا كانت النقطة تتبع في الواقع النقطة - هذا يظهر عليه انه تذييل دسه في النص بعض المفسرين

٢٢ - الكون المطلق الكامل للأشياء لا يقصر كما زعموا على اجتماع العناصر وتفرقها كما أن الاستحالة ليست مجرد تغير في الكتلة . بل ذلك خطأ تام يقع فيه كل الناس . ونكرر مرة أخرى انه لا يوجد كون وفساد مطلقان للأشياء باجتماع العناصر وافتراقها . انما يوجدان فقط متى يتغير شيء بأكمله عند ما يأتي من شيء آخر بعينه .

§ ٢٣ - وقد يظن أيضا أن الاستحالة هي تغير ما من هذا انقبيل ولكن ها هنا فرقا عظيما . فان في الموضوع جزءا يرجع الى الكنه وجزءا يرجع الى المادة فمتى فقط حصل التغير في هذين الامرين فهناك حقا كون وفساد . ولا يكون الا مجرد استحالة متى حصل التغير في الخواص والكيوف العارضة للشيء .

§ ٢٤ - فما هو الا بافتراق الاشياء واجتماعها انها تصير قابلة للفساد بسهولة مثال ذلك متى تجزأ الماء الى نقيطات صغيرات تتحول بأسرع ما يكون الى هواء ، في حين أنها اذا بقيت كتلة تصير هواء بأبطأ من ذلك .

§ ٢٥ - على أن هذا سيتضح فيما يلي . ولكن ها هنا أردنا فقط اثبات أن من المحال أن يكون كون الأشياء مجرد تأليف كما زعم بعض الفلاسفة .

---

§ ٢٢ الكون - كل آخر هذا الباب هو استطراد يبعد المؤلف به شيئا فشيئا عن الفكرة التي كان يظهر عليه أول الامر متباعدة القول فيها . - اجتماع العناصر وتفرقها - لان العنصر حينئذ هو أسبق من المركب الذي يتركب منها . - عندما يأتي من شيء آخر بعينه - عبارة النص ليست محكمة فان هناك أيضا لا يوجد كون بالمعنى الخاص .

§ ٢٣ - الاستحالة - الاستطراد مستمر . عظيما - أضفت هذه الكلمة . - في الموضوع أو في الشيء . - الى الكنه - الحلد والماهية . - هذين الشيئين - أضفت علامة التثنية وصيغة النص صيغة جمع . - حقا - أضفت هذه الكلمة .

§ ٢٤ - فما هو الا بافتراق الاشياء واجتماعها . د ما سبق في آخر الفقرة ٢٢ - متى تجزأ الماء - المشاهدة صحيحة وقد حصلت من زمان بعيد لان هذه الظاهرة تقع تحت النظر في غالب الاحيان ( الميتولوجيا ك ٢ ب ٢ ف ١٨ من ترجمتي ) . - تتحول بأسرع ما يكون الى هواء - اي بعبارة أخرى تتغير .

§ ٢٥ - على أن هذا سيتضح فيما يلي - ذلك بأن المؤلف نفسه أحس أنه لم يكن دائما مبينا بقدر ما يطلب منه . - مجرد تأليف - سواء أكان اجتماعا أم افتراقا . - راجع ما سبق في ١٩

## الباب الثالث

في الكون المطلق وفي فساد الأشياء - صعوبة هذه المسألة - الكون والفساد الإضافيان - النمط الذي يتخذ في هذا البحث - شواهد من كتاب الحركة - أبدية الكائنات وتعاقبها المستمر - تبادل الكون والفساد - تمييز لفظي مهم - استشهاد بـ «ميتيه» - الفرق بين الكون المطلق والكون الإضافي - فروق الفساد باعتبار هذين الوصفين - الرأي العامي في هذا الموضوع في أن شهادة الحواس تعطي أكثر مما تستحق - توضيحات مختلفة - طريقة فهم أبدية الظواهر .

١ - متى تقرر هذا يلزم البحث أولاً فيما إذا كان يوجد في الواقع شيء يولد ويموت بطريقة مطلقة أو ما إذا كان لا يوجد شيء يولد ويموت بالمعنى الخاص . وفي هذه الحالة يلزم فحص ما إذا كان أي شيء مالا يأتي دائماً من شيء آخر هو يخرج منه : مثال ذلك من المريض يأتي الصحيح ومن الصحيح يأتي المريض أو كالصغير يأتي من الكبير والكبير يأتي من الصغير وكل الأشياء بلا استثناء «تكون» بهذه الطريقة عينها . إذا سلم بكون مطلق يلزم حينئذ أن الموجود يأتي مطلقاً من اللاموجود أي من العدم بحيث يحق التأكيد بأن العدم يتعلق ببعض الموجودات . والكون الإضافي يمكن أن يأتي من لا موجود إضافي . ومثال ذلك الأبيض يمكن أن يأتي من اللا أبيض أو الحميل يأتي من اللاحميل . لكن الكون المطلق يجب أن يأتي من اللاوجود المطلق .

٢ - حينئذ المطلق ها هنا يندلج اما على الاولى في كل مقولة للموجود

§ ١ - بطريقة مطلقة - أعني من غير أن يوجد شيء يسبقه ومنه يمكن أن يخرج - بالمعنى الخاص - يعني بالمعنى المطلق للكلمة . وفي هذه الحالة - يعني في حالة افتراض أن لا يوجد كون مطلق . وأن الموجود الكائن يخرج دائماً من موجود سابق عليه . وقد قطعت الجملة لأنها في النص قلنا طالت أكثر مما يلزم ، من المريض يأتي الصحيح - يعني أن الموجود المريض يرجع صحيحاً . أو بالعكس يصير الصحيح مريضاً . فالموجود إذا لا يكون بالمعنى الخاص . بل هو فقط يتغير حاله وبمر بكييفيات مختلفة . ولكنه كائن أولاً ومن قبل أن يلحقه التغير . - يكون مطلق - يعني أن الشيء الذي لم يكن من قبل قد وجد وهو يخرج من العدم حيث كان فيه قبل الوجود . - من اللاموجود من العدم - ليس في النص الكلمة واحدة وعلى هذا المعنى يقال عن شيء ما أنه مشور من العدم . وأن «العدم» يتعلق ببعض الموجودات « كما » هي عبارة النص . ولقد يظهر على العبارة صورة التناقض على أنها صادقة . - الأبيض يمكن أن يأتي من اللا أبيض - أعني أن شيئاً لم يكن أبيض يمكن أن يصير أبيض . وليس ذلك هو الكون بالمعنى الخاص بل هو مجرد تغير أو مجرد استحالة . - الكون المطلق يأتي من اللاوجود المطلق - يعني أن شيئاً يكون بعد أن لم يكن ، خارجاً من العدم الذي كان فيه .

§ ٢ - حينئذ المطلق هاهنا يدلج اما على الاولى - المطلق يظهر انه لا يمكن استعماله في هذا المعنى الضيق ولكن هذا هنا هو مجرد تمييز لفظي كله تحكم . في كل مقولة للموجود - يعني في جميع المقولات الا في مقولة الجوهر فإن الاولى هو الحد الاعلى وعلى ذلك =

وأما على الكل أعني الذي يشمل ويحوى كل شيء . فإذا كان الأول هو مدلول المطلق فهناك كون للمجهورات مما هو ليس بجوهر . ولكن ما ليس له جوهرية وما ليس البتة شيئا معينا بذاته لا يمكنه بالبداية أن يكون لاي واحدة أخرى من المقولات كالكيف والكم والاي . الخ لانه حينئذ يكون معناة التسليم بأن كيوف الجواهر يمكن ان تنفصل عنها . فإذا كان اللاموجود هو بصورة عامة مدلول المطلق فذلك هو النفي الكلي لجميع الاشياء وعلى ذلك فما يولد وما يكون يلزم ضرورة أن يولد من لا شيء .

٣ - على اننا قد تكلمنا على هذا الموضوع في موضع آخر وبحثناسه بأطول من ذلك ولكننا نلخص هاهنا فكرتنا ونقول في قليل من الكلمات ان من وجه يمكن أن يوجد كون مطلق لشيء آت من اعدام الوجود . ومن وجه آخر لا شيء يمكن ابد أن يأتي الا مما هو موجود . ذلك في الحق ان ماهو بمجرد القوة وليس بالفعل يجب أن « يكون » أولا وبالضرورة على الوجهين اللذين بينهما أنفا ولكنه لابد مع ذلك من العناية الكبرى في فحص هذه المسألة التي يمكن أن صعوبتها تدهشنا حتى بعد الايضاحات التي أسلفناها . وتلك المسألة هي كيف أن الكون المطلق يحصل سواء كان يأتي مما هو بالقوة أم يأتي بأى وجه آخر .

٤ - يمكن البحث في الحق فيما اذا كان يوجد فقط كون للجوهر ولشيء معين بالفعل أو ما اذا كان لا يوجد أيضا كون للكيف وللكم وللإي

= ففي مقولة الكيف ليس المقصود واحدة من الكيف الخاصة بل هو الكيف نفسه . - وأما على الكل - يعنى الجوهر والى هذا المعنى ينصرف عادة لفظ المطلق . - يشمل ويحوى كل شيء - ليس فى النص : لا كلمة واحدة . ومعنى ذلك أنه يلزم أولا أن يوجد الشيء حتى يمكن بعد أن يوصف بأى كيف اتفق . - فإذا كان الأول هو مدلول المطلق - أضفت لكلمات الثلاثة الأخيرة لجعل الفكرة أكثر ضبطا وجسدا . - فهناك كون للجوهر - التعبير لا يظهر أنه على ما ينبغي . فان المقصود ليس هو الجوهر بالضبط بل هو مجرد وجود مكيف تبعا لكل مقولة فان شيئا يصير أبيض بعد أن لم يكن أبيض من قبل . - الخ - وضعت هذه الكلمة للدلالة على أن جميع المقولات ليست مذكورة هنا . - كيوف - عبارة النص أعراض . مدلول المطلق - رأيت من الواجب تكرير هذه العبارة لتكميل النص . - النفي الكلي لجميع الاشياء - ولعل أحسن من ذلك أن يقال : « النفي الكلي لجميع المقولات » بما فيها مقولة الجوهر . - ما يولد وما يكون - ليس فى النص الا أحد الفعلين .

§ ٢ فى موضع آخر - يعنى فى الكتاب الاول من الطبيعة ب ٨ ف ١ وما يليها ص ٤٧٣ من ترجمتنا كما نبه اليه فيلوبون . - آت من العدم من الوجود - ليس فى النص : لا كلمة واحدة . - لاشئ يمكن أبدا أن يأتي - ليست عبارة النص بهذا التاثير من لبيان . - ماهو بمجرد القوة - الممكن ليس موجودا على التحقيق ولكنه يكفى امكان وجوده لاجل أن يكون له وجود بنوع ما . - على الوجهين اللذين بينهما - زدت هاتين الكلمتين الأخيرتين ، وبعبارة أخرى الممكن كائن وغير كائن معا .

§ ٤ - اذا كان يوجد فقط - أضفت الكلمة الأخيرة . - كون للجوهر - ويمكن ترجمتها بهذه العبارة « اذا كان الكون يتعلق بالجوهر » . - بالنسبة الى الفساد - الذى =

... الخ . وهذه الاسئلة عينها توجه على انسواء بالنسبة الى الفساد .  
وانه اذا كان بالفعل شيء يكون أو يولد فمن الواضح انه يجب وجود  
جوهر ما بالقوة على الاقل ان لم يكن بالفعل وبالكمال منه يخرج كون  
الشيء وفيه يتغير بالضرورة متى فسد .

٥ - هل من الممكن أن واحدة من المقولات الاخرى التي هي بالفعل.  
وبالكمال المحض تتعلق بهذا الوجود بالقوة ؟ أو بعبارة أخرى هل يمكن  
تطبيق معاني النكيف وانكم والايين على هذا الذي ليس شيئاً الا بالقوة  
وبالقوة فقط بدون أن يكون شيئاً بذاته بطريقة مطلقة حتى ولا أن يكون.  
مطلقاً أبداً ؟ لانه اذا كان هذا الوجود ليس أى شيء بالفعل ولكنه كل  
الاشياء بالقوة فإن الوجود المفهوم على هذا النحو يمكن أن يكون ذا  
وجود منفصل وحينئذ يوصل الى هذه النتيجة التي هابها الفلاسفة الاولون  
أكثر من كل شيء وهي ايجاد الاشياء من العدم المحض ولكنه اذا لم يسلم  
أن هذا يكون موجوداً حقيقياً أو جوهرًا وأنه شيء آخر من المقولات المذكورة  
فحينئذ يفرض كما قلنا آنفاً أن الكيفيات والاعراض يمكن أن تكون  
منفصلة عن الجواهر .

٦ ٥ - تلك هي النظريات التي يلزم مناقشتها هنا بالقدر المناسب.  
كما انه يلزمنا البحث عما هي العلة التي تجعل كون الموجودات أبدية سواء  
الكون المطلق أو الكون البعضى . مادام لا يوجد على رأينا الا علة واحدة أوحد  
منها ينبعث مبدأ الحركة وما دام لا يوجد أيضاً الا مادة واحدة أوحد يلزم  
ايضاح ما هي هذه العلة .

= هو ضد الكون . أفلا يوجد كون وفساد ؟ لا في مقولة الجوهر ؟ أو يوجد أن أيضاً في المقولات.  
الاخرى . - بالفعل - زدت هذه الكلمة . - جوهر ما - كلمة جوهر بمعناها موجودة في  
النص ولكن يظهر أن الجوهر يجب دائماً أن يكون بالفعل لا أن يكون ممكن مجرد إمكان .  
- بالفعل وبالكمال - ليس في النص الا كلمة واحدة .

٥ ٥ واحدة من المقولات الاخرى - يعني احدى المقولات الاخرى غير مقولة الجوهر . -  
بهذا الوجود بالقوة - النص ليس بهذا الوضوح . - والايين - أو أى مقولة أخرى . -  
ذا وجود منفصل - وهذا تناقض . - التي هابها الفلاسفة أكثر من كل شيء - الفلاسفة  
الذين لم يستطيعوا أبداً أن يقبلوا بأية صورة معنى العدم . من العدم المحض - عبارة  
النص بالضبط هي « من العدم السابق لوجود » . - كائن حقيقي - يمكن أن يضاف  
« متميز » فإذا كان الممكن ليس جوهرًا فيقال أنه وحدة أخرى من المقولات . - المذكورة  
- آنفاً - كما قلنا آنفاً - ر ف ٢ .

٦ ٥ - بالقدر المناسب - لهذا الموضوع الخاص الذي ندرسه في هذا الكتاب . -  
العلة التي تجعل كل الموجودات أبدية - ليس هذا شيئاً آخر الا الإسناد إلى الله الذي  
هو خالق الاشياء وحافظها كما هو مبين بعد . - سواء الكون المطلق - يعني الذي يخرج  
الاشياء من العدم . - أو الكون البعضى - يعني كون الكيفيات المتعاقبة على الاشياء . - علة  
واحدة أوحد - هي المحرك الذي لا يتحرك . - مادة واحدة أوحد - - فيها يفعل المحرك  
الاول . ما هي هذه العلة - ها هنا عبارة النص ينقصها قليل من الجلاء ، لان السياق  
يقتضى علتين لا علة واحدة وهما علة فاعلة وعلة مادية .

§ ٧ - ولكننا سبق بنا أن تكلمنا عليها في كتابنا «الحركة» أذ قررنا فيه أنه يوجد من جهة شيء غير متحرك طول الابد كله ومن جهة أخرى شيء على ضد ذلك واقع في حركة أبدية . فدراسة المبدأ غير المتحرك للأشياء تتعلق بفلسفة أخرى عليا . وأما المحرك اندى يحرك كل البقية ، لانه هو نفسه قد حرك بحركة مستمرة ، فأننا سنتكلم عليه فيما بعد عندما نوضح ما هي علة كل واحدة من الظواهر الخاصة : وهنا نقتصر على علاج هذه العلة التي تظهر بصورة مادة والتي تجعل أن كون الاشياء وفسادها لا يتخلفان في الطبيعة . ولكن هذه المناقشة قد تجلو أيضا الشك الذى أثارناه آنفا وسيرى كيف ينبغى أن يعنى أيضا بالفساد المطلق وبمطلق كون الاشياء .

§ ٨ - ومع ذلك فإنها مسألة محيرة أن يعرف ماذا عسى أن تكون العلة التى تدبر وتسلسل تناسل الاشياء اذا فرضنا أن ما يفسد يرجع الى العدم وان اللاوجود ليس شيئا لان ما ليس موجودا ليس جوهرًا ولا كيفًا ولا كما ولا أين الخ لانه حينئذ مادام فى كل آن واحد من الكائنات يبيد وينعدم كيف يتأتى أن العالم بتمامه لم يكن قد فنى منذ زمان طويل ألف مرة اذا كان المنبع الذى يأتى منه كل واحد من هذه الكائنات محدودًا ومتناهيًا؟ فى الحق اذا كان هذا التوارث الابدى لا ينقطع البتة فليس ذلك بأن الينبوع الذى تصدر منه الكائنات يكون غير متناه لان ذلك محال

§ ٧ - فى كتابنا « الحركة » هذا العنوان يدل على كتاب الطبيعة . - اذا قررنا فيه - ر . الطبيعة ك ٨ ب ٣ ف ٢ من ترجمتنا . ر . أيضا أوائل كتاب الطبيعة والتحقيق الخاص للعنوانات المختلفة لهذا الكتاب . - بفلسفة أخرى عليا - يعنى ما بعد الطبيعة . ر . الكتاب السابع من ترجمة كوزن . - سنتكلم عليه فيما بعد - ر . - الباب العاشر من الكتاب الثانى من هذا المؤلف . - الظواهر - أو الكائنات . - العلة التى تظهر بصورة مادة يعنى العلة للمادة . - لا يتخلفان - هذا هو التعاقب الابدى للكائنات . ولكن فى مذهب أرسطو لما أن العالم ليس له أول ولا ينبغى ان يكون له آخر فتعاقب الكائنات يجب أن يستمر كما ترى . وهذه المسألة قد بحثت أيضا فى الكتاب الثامن من الطبيعة ب ٧ ف ٤ وفى الكتاب الثالث ب ٥ ف ٤ - بالفساد المطلق وبمطلق كون الاشياء . - يعنى امكان أن شيئا يجيء من العدم ويرجع اليه .

§ ٨ - التى تدبر وتسلسل - ليس فى النص الا كلمة واحدة . - يرجع الى العدم - أو « يذهب الى العدم » . - ليس جوهرًا ولا كيفًا - - أعنى فى أى مقول من المقولات . - ولا أين - ليس هنا الا أربعة مقولات معدودة عوضًا عن عشرة . لذلك وضمت لفظ ... الخ . - العالم بتمامه - عبارة النص بالضبط « الكل » . - محدودًا ومتناهيًا - ليس فى النص الا كلمة واحدة . هذا التوارث الابدى - عبارة النص ليست بهذا الموضح . - وقد وضعنا - ر . الطبيعة نظرية الانهائية ك ٣ ب ٥ ف ٤ . وب ٢ ف ٥ . - أضعف فأضعف - ذلك فى الحق هو نظرية أرسطو فى الطبيعة . ولكن يظهر أنه يمكن أن يكون نمو الاشياء غير متناه وكذلك قسمتها بما دام الموضوع من كل وجه تخيلية مضطربة . بهذا السبب رحلته أن فساد شيء - هذا الفرض عينه موجود فى كتاب الطبيعة ك ٣ ب ١٢ ف ٢ من ترجمتنا .



تماما ما دام أنه في الواقع لا شيء غير متناه • وأنه انما يكون فقط بالقوة أن شيئا يمكن أن يكون غير متناه في القسمة • وقد وضحنا ان القسمة هي وحدها محل عدم الانقطاع وعدم الفوات لانه يمكن دائما الحصول على كمية أضعف فأضعف • ولكننا هنا لا نرى وجهًا للمشابهة • أفلا تصير أبدية التعافب ضرورية بهذا السبب وحده أن فساد شيء هو كون شيء آخر وان العكس بالعكس كون هذا موت ذلك أو فساده ؟ •

٩ - وبهذا تلغى علة يمكنها أن تكفى لتوضيح كل شيء بالنسبة لكون الاشياء وفسادها ، هاهنا في عمومها وهناك في كل فرد من الكائنات بخصوصه • على أنه مع هذا يلزم البحث في أنه لماذا عند الكلام على بعض الاشياء يقال بطريقة مطلقة انها تكون وتهلك في حين انه عند الكلام على بعض أشياء أخرى لا يقال ذلك على إطلاقه ، اذا كان حقا أن كون موجود بعينه هو عين فساد آخر واذا كان العكس بالعكس فستاد هذا هو كون لذلك •

١٠ § - هذا التباين في التعبير يقتضى أيضا أن يفسر ما دام اننا نقول عن كائن في حالة بعينه انه فسد مطلقا لا انه فسد من وجه بعينه فقط وما دمنا نصرف الكون الى معنى مطلق كما نصرف الفساد سواء بسواء • على ذلك فشيء بعينه يصير شيئا آخر بعينه ولكنه لا يصير على الإطلاق • أنظر مثلا كيف نقول عن شخص يتعلم انه يصير عالما ولكننا لا نقول من أجل ذلك انه يصير ويكون على الإطلاق • وبإدراك ما قلناه غالبا من أن بعض الاسماء تدل على جوهر حقيقي والبعض الآخر لا يدل عليه يمكن معرفة من أين تأتي المسألة المطروحة هاهنا • لأنه يهم كثيرا أن يعين فيم يتغير الشيء الذي يتغير ، مثال ذلك تحول الشيء الذي يصير نارا يمكن أن يسمى كونا مطلقا ولكن أيضا فسادا لشيء للأرض مثلا • وكذلك كون الأرض هو بلا شك أيضا كون ، ولكنه ليس كونا مطلقا مع انه فساد مطلق ومثلا فساد النار •

§ ٩ - هاهنا في عمومها - النص ليس بهذه الصراحة • - بطريقة مطلقة - من غير تحديد ولا تقييد من أي نوع •

§ ١٠ - هذا التباين في التعبير - عبارة النص هي : وهذا فقط • - انه فسد مطلقا - . يعني أنه يمر من الوجود الى الوجود بوجه تام وينقطع عن الوجود بعد أن يبقى فيه زمنا ما • - من وجه بعينه فقط - يعني مثلا أن شيئا يصير أبيض بعد أن كان أسود لانه لا ينقطع بذلك عن أنه كائن مطلقا ، وفقط انه انقطع عن كونه أبيض ، وانه فسد من حيث أنه أبيض دون أن يفسد حقيقة • - عن شخص يتعلم - وانه على ذلك لم يكن بعد عالما ثم يصير ، اذا عالما • ولكن لا يمكن أن يقال بوجه مطلق أنه يصير كمالا لو انه ومنه مثلا انه يصير ويكون - ليس في النص الا كلمة واحدة • ما قلناه غالبا - يمكن أن يراجع كتاب المقولات بـ ١٠ • - بعض الاسماء عبارة النص غير محدودة • - جوهر حقيقي بعبارة

§ ١١ - بهذا المعنى كأن برمينيد لا يعترف الا بشئين في الدنيا  
الموجود والا موجود وهما عنده النار والارض . على انه ليس من المهم  
افتراض هذه العناصر أو عناصر أخرى مشابهة لها لاننا لا نبحث الا في  
الطريقة التي بها تحصل الظواهر لاف موضوعها . اذا التغيير الذي يوصل  
الاشياء الى الوجود المطلق انما هو فساد مطلق وبالعكس ما يوصلها  
مطلقا الى الوجود هو كون مطلق . ولكن مهما كانت الجوهر التي يعتبر  
فيها الكون والفساد سواء النار أو الارض أو أى عنصر آخر مشابه فان  
الكون والفساد لا يزالان أحدهما للموجود والاخر للا وجود .

§ ١٢ - هذا اذا هو فرق أول شئ التعبير يمكن تقريره بين الكون  
وانفساد المطلقين وبين الكون والفساد اللذين ليسا مطلقين . و فرق آخر  
يمكن أن يميزها وهو المادة التي يحصلان فيها أيا كانت هذه المادة فالتى  
تدل فصولها دلالة أكثر على هذه الحقيقة بعينها أو تلك هى أيضا ادخل في  
الجوهرية والتي تدل فصولها دلالة أكثر على العدم هى ادخل في الوجود .  
وعلى ذلك فالحرارة مقولة ما ونوع حقيقى وعلى الضد البرودة فانها ليست  
الا عدما . وبهذه الفصول بعينها تتميز الارض والنار .

§ ١٣ - عند العامى ، انما يقرر الفرق على الاختص بين الكون وبين

النص بالضبط « شئ » « معين » . فساد الشئ للارض مثلا - يعنى أن الارض يجب أن  
تفسد لتصبحنا ر مع التسليم بان هذا التحول ممكن كما يفترضه برمينيد . - فساد النار  
- الملاحظة بعينها .

§ ١١ - الموجود واللاموجود على كتاب الطبيعة كتاب ٦١ هو الماردو الحار والموجود  
واللا موجود اللذان اعتبرهما برمينيد العنصرين الاولين . ومع ذلك فان الجار والحر هما  
حرارهما أيضا فى ذلك الكتاب للارض والنار . على أنه ليس من المهم - يحس أرسطو هاهنا  
أن تحول الارض الى نار أو النار الى ارض فرض غريب في بابه . - لافى موضوعها - يعنى  
الموضوع الذى فيه تتحقق الظواهر والذي يمكن أن يكون على السواء الارض أو النار أو أى  
جسم آخر كيفما اتفق . فان الجوهر يمكن ان يتغير ولكن الظاهرة هى دائماً بعينها . ومع  
ذلك فان أرسطو قد بين عبارته بياناً وضعياً فيما يلى .

- التغير الذى يوصل - ليس النص بهذه الصراحة - سواء النار أو الارض - كما يريد  
برمينيد . - أحدهما للوجود - وهو الكون أو التولد . - والاخر للوجود - وهو الفساد أو  
التلف .

§ ١٢ - فرق اول في التعبير - ليست عبارة نص على هذا الضبط . - التى يحصلان  
فيها - أضلت هذه الكلمات لايضاح الفكرة . - هذه الحقيقة بعينها أو تلك - عبارة النص  
هى بالبساطة « شئ » بعينه . - وعلى ذلك فالحرارة مقولة - قد لا يكون هذا المثل مختاراً  
اختياراً حسناً . فاذا كان البرد هو عدم الحرارة فقد يمكن القول أيضاً بان الحرارة عدم  
البرودة . فان الحرارة والبرودة هما على السواء بيان أحدهما ضد للاخر . - تتميز الارض  
والنار - ر . الفقرة السابقة . وعلى حسب تفسير فيلوبون ان النار ادخل في الجوهرية من  
الارض . فانها الايجاب أو الملكة فى حين أن الارض ليست الا العدم . ر . آخر الفقرة  
الآتية :

§ ١٣ - الفرق بين الكون وبين الفساد - الترجمة اضبط من النص . لمضى وجد

الفساد هو أن الواحد مدرك بالحواس وإن الآخر ليس كذلك • فمقي وجود  
تغير في مادة محسوسة قال العامى ان الشيء يولدا ويكون كما يقول انه  
يموت ويفسد حينما يتغير الى مادة غير مرئية • ذلك بأن الناس يعرفون على  
العموم الوجود واللوجود تبعاً لما اذا كانوا يحسون الشيء أو لا يحسونه •  
كما انهم يعتبرون الوجود ما يعرفونه واللاموجود ما يجهلونه • فحينئذ •  
الحس هو الذى يؤدى وظيفة العلم • وكما أن الناس لا يدركون حقيقة  
حياتهم وكونهم الا لانهم يحسسون أو يمكنهم أن يحسوا ، كذلك  
أيضا ادراكهم لوجود الاشياء اذ يبحثون عن حقيقتها وما هم بواجديها  
فيما يقولون •

§ ١٤ - ذلك أن الكون والفساد المطلقين هما متغايران تماما تبعاً  
لاعتبارهما على حسب الرأى العامى أو لاعتبارهما فى حقيقتهما الواقعية •  
اذا الهواء والريح أقل من سواهما فى مراتب الوجود من حيث كونهما  
جسمين اذا كان المرجع فى ذلك الى مجرد شهادة الحواس • ومن أجل ذلك  
يظن أن الاشياء التى فسدت مطلقاً تفسد بالتحول الى هذين العنصرين فى  
حين أنه يعتقد أن الاشياء تولد وتكون متى تحولت الى بعض عناصر  
لمسها أى الى أرض مثلاً ولكن فى الحلق ذاتكم العنصران هما جوهر ونوع  
أكثر من الأرض نفسها •

§ ١٥ - اذا قد وضح ما يدل على أنه يوجد الكون المطلق من حيث  
كونه فساداً لشيء والفساد المطلق من حيث كونه كوناً لشيء أيضاً • وهذا  
تغير - الترجمة اضبط من النص - يولد ويكون • • • يموت ويفسد - ليس فى النص فى  
كلا الطرفين الا كلمة واحدة • ادراكهم لوجود الاشياء • - يعنى على حسب ان الاشياء  
محسوسة أو غير محسوسة أولاً يمكن أن تحس •

§ ١٤ - على حسب الرأى العامى - يمكن ترجمتها أيضاً هكذا : اخذاً يجرى الظاهر -  
أقل من سواهما فى مراتب الوجود من حيث كونهما جسمين - عبارة النص هى بالضبط  
«أقل» فقط - الى مجرد شهادة الحواس - ما دام ان الهواء والريح يحسان أقل من العناصر  
الكثيفة مثل الأرض والماء •  
- الى هذين العنصرين - الهواء والريح • - مثلاً زدت هذا اللفظ لتنام الفكرة • - ونوع -  
أو صورة • وليس لفظ النص بأكثر ضبطاً من اللفظ الذى التزمت استعماله - أكثر من  
الأرض نفسها - ربما كان اللازم بيان علة هذه النظرية التى يظهر لأول وهلة انها مشكلة •  
اما فيلوبيون فيزعم ان الهواء على الحقيقة أكثر جوهرية من الأرض لانه يحيط بها وان له  
خوق ذلك خاصة الحرارة التى تزيد فى تمدده •

§ ١٥ - اذا قد وضح - ليس هذا الايضاح جلياً كالمرغوب • وربما كان هذا الملخص  
الذى اثبت هنا سابقاً لوقته • انه يوجد - يظهر ان الاحسن هو ان يقال : «انه يظن ان  
يوجد» •  
ولكنى لم اجزئ على المخاطرة بهذا التغير • - المأادة - عبارة النص هى غير معينة ايضاً كاللفظ  
الذى استعملته فى الترجمة فانه يمكن أن يتساءل : مادة أى شيء هى ؟ • - الواحدة - يعنى  
من هذين الشئيين •

يتعلق ، في الواقع ، بأن المادة مختلفة إما لأن الواحدة جوهر في حين أن الأخرى ليست جوهرًا وإما لأن الواحدة هي أكثر وأن الأخرى أقل وإما لأن المادة التي يأتي منها الشيء والتي يذهب إليها هي أقل أو أكثر حسية . ويقال على الأشياء تارة أنها تولد وتصير بالاطلاق وتارة يقال بالتعيين أنها تصير هذا الشيء بعينه أو ذاك من غير أن يأتي واحد من الآخر . بالتكافؤ على النحو الذي نعينه هاهنا . ونحن نقصر في الواقع الآن على إيضاح لماذا - ما دام أن كل كون هو فساد لشيء آخر وأن كل فساد هو كون لشيء آخر أيضا - نحن لا نسند على هذا الوجه عينه الكون والفساد إلى الأشياء التي تتغير بعضها في البعض الآخر .

§ ١٦ - على أن هذا لا يحل المسألة التي كنا وضعناها لانفسنا حلا نهائيا . بل هو يوضح لماذا يقال عن واحد يتعلم انه يصير عالما لا أنه يصير مطلقا في حين أنه بالنسبة لشيء ينشأ طبيعيا يقال بطريقة عامة انه يولد ويصير . تلك هي التعاليم أي المقولات المختلفة التي بعضها يدل على الموجود الحقيقي والجزئي والآخر يدل على الكيف والآخر على الكم . وبالتالي لا يقال البتة على كل الأشياء التي لا تدل على جوهر انها تصير بطريقة مطلقة بل انها تصير كذا أو كذا من الأشياء . ومع ذلك فإن الكون في كل الاحوال على السواء لا ينطبق انطباقا صريحا الا على الأشياء الداخلة في إحدى المجموعتين . مثلا في مقولة الجوهر يقال ان الشيء يصير اذا تكون نار . ولا يقال ذلك اذا كان الذي يكون هو أرضا . وفي مقولة الكيف يقال عن الشيء انه يصير اذا صار الكائن عالما لا اذا صار جاهلا .

= - جوهر - يعلى شيئا شخصيا وخصوصا . - هي أكثر - أو بعبارة أخرى « الواحدة لها وجود أكثر بروز وللأخرى وجود أقل حسية » . - تولد وتصير - لا يوجد الا كلمة واحدة في النص الاغريقي - بالتعيين - أو فقط . - الذي نعينه هاهنا - اذا نفول أن التولد المطلق هو فساد شيء آخر وأن الفساد المطلق هو أيضا تولد . - نحن لا نسند على هذا الوجه عينه - كل هذه القيود دقيقة وغامضة . - إلى الأشياء التي تتغير بعضها في البعض الآخر - تلك هي الاحوال المختلفة التي بها يمر جسم بعينه كما يفهم من سياق الكلام الاتي . وليس هذا بالمعنى الخاص لفساد الكيف أو كونا له بل هو مجرد تعاقب .

§ ١٦ - التي كنا وضعناها لانفسنا حلا نهائيا - على الروابط الحقيقية بين الكون المطلق وبين الفساد المطلق . - أنه يصير عالما - اذا أن جهله ينقلب علما كما أن علمه يمكن أن ينقلب جهلا اذا نسي ما حفظه . - ينشأ طبيعيا - كلمة النص يظهر لنا ان لها ما لهذا اللفظ الذي استخدمته في الترجمة من القوة . - انه يولد ويصير - لا يوجد في النص الا كلمة واحدة . - بعضها . . . الموجود الحقيقي والجزئي وهو مقولة الجوهر . والنص اقل ضابطا من ذلك . - والآخر على الكم - لا يوجد هاهنا الا ثلاث مقولات على التعداد مع أن المقولات عشرة . راجع كتاب المقولات بدء ص ٥٨ من ترجمتنا . - انها تصير كذا أو كذا من الأشياء يعني انها تتغير بالكيف أو بالوضع ما دام المفروض ضرورة ان الجوهر هو ثابت تحت جميع

§ ١٧ - اذا فانظر كيف نوضح لماذا بعض الاشياء يكون بطريقة مطلقة وكيف أن البعض الآخر لا يكون لا بطريقة مطلقة ولا أصلا حتى في الجواهر أعيانها . وقد قلنا أيضا لماذا الموضوع من حيث هو مادة هو علة الكون المستمر الابدى للاشياء نظرا الى أنه يمكن على السواء أن يتغير في الاضداد وأنه بالنسبة للجواهر كون ظاهرة هو دائما فساد لاخرى وبالتكافؤ أن فساد هذه كون لتلك .

§ ١٨ - على أنه لم يبق محل لان يتساءل لماذا إن هذا الفساد الدائم للموجودات هو الذى يجعلنا نشئنا يمكن ان يكون . لانه كما يقال ان شيئاً هو فاسد مطلقا حينما يمر الى اللامحسوس وإلى اللاموجود كذلك يمكن أن يقال انه يكون ويأتى من اللاموجود متى أتى من اللامحسوس . والنتيجة أنه سواء أكان هناك موضوع أولا أم لم يكن فإن الشيء يأتى دائما من العدم بحيث أن الشيء في آن واحد حين يكون يأتى من اللاموجود وحين يفسد يعود الى اللاموجود أيضا . وهذا هو الفاعل فى أنه ليس يوجد انقطاع ولا خلوة لان الكون هو فساد اللاموجود والفساد هو كون العدم .

§ ١٩ ولكن قد يتساءل عما اذا كان هذا اللاموجود المطلق هو ثانى

المغولات . فى احدى المجموعتين - اللتى احدهما موجب والاخرى سلبية . ومع ذلك فانما الى كسل بايضاح هذه الفكرة وان كانت الحدود التى اتخذت امثلة ربما لا يكون قد توافر فيها حسن الاختيار . اذا تكون نار - لان النار معتبرة حدا ايجابيا فى حين ان الارض معتبرة حد سلبيا . اذا كان الذى يكون هو ارضا - ما سبق فـ ١٤ - اذا صار الكائن عالما - هذا هو الحد الايجابى فى حين ان الجاهل حد سلبى ولكن فى الحالة الاولى والاخرى يقال ايضا انه يصير عالما او يصير جاهلا . وكل هذا هو غاية فى الدقة .

§ ١٧ - حتى فى الجواهر أعيانها - يعنى فى حالة ما اذا كان شيء مع كونه موجودا اقل فى مرتبة الوجود من آخر لانه تابع له . ر . ما سبق فـ ١٥ . الموضوع من حيث هو مادة - الموضوع يبقى لانه ماديا محل الاضداد التى تحل فيه وتتعاقب عليه . فالموضوع يبقى مع تغيره . المستمر الابدى - لا يوجد فى النص الا كلمة واحدة . كون ظاهرة او بعبارة اخرى تغير الكيفيات . فان كون الاسود هو فساد للابيض وكون الابيض هو فساد للاسود . والموضوع الذى يصير على التناوب اسود وابيض لا يزال باقيا .

§ ١٨ - ان هذا الفساد الدائم للموجودات - ليس النص على هذا القدر من الصراحة فى كل هذا الوطن . حينما يمر الى اللامحسوس - ر . ما سبق فـ ١٣ - فان الشيء يأتى دائما من العدم - قد اتخذت عبارة كهجاءة النص فى انها عامة غامضة . وبعبارة اخرى سواء كان هناك مجرد تغير فى الكيف فالظاهرة ثابته دائما مما لم يكن . الانقطاع والخلوة ليس فى النص الا كلمة واحدة . ومع ذلك فمن فرط التعقيد أو بالحري من الاسراف اللغوى أنه يمكن التكلم عن كون العدم أو فساد .

§ ١٩ - هو ثانى الضدين - الذى ليس كائنا بالفعل ولكنه يمكن ان يكون بان يشغل محل الضد الذى هو كائن . لما ان الارض وكل ما هو ثقيل هو اللاموجود ضد الرأى

الضدين • ومنلا لما ان الارض وكل ما هو ثقيل هو اللاموجود اذا كانت النار وكل ما هو خفيف هي أو ليست هي الموجود • ولكن يمكن أن يقال أيضا ان الارض هي الموجود وان اللاموجود هو مادة الارض كما أنه هو مادة النار على السواء • ولكن هل مادة أحد هذين العنصرين ومادة الآخر هي اذا مختلفة ؟ وهل من المحال أن يأتي أحدهما من الآخر كما هو الحال في الاضداد • لأن النار والارض والماء والهواء لها أضداد أو هل أن مادتهما هي واحدة من وجه وهل ليست مختلفة الا من وجه آخر ؟ لأن ما هو موضوع من وجه ومن آخر هو واحد ولكن شكل الوجود هو وحده الذي ليس واحدا • على اننا نقف عندما قلناه في هذا الموضوع •

---

العامى الذى يسند الى الارض وجودا أكثر من وجود الهواء والنار بحجة ان الخواص تدركها أكثر • ما سبق فـ ١٣ •

— ان الارض هي الموجود — يظهر فى الحق انه من الصعب انكار ذلك • — وان اللاموجود هو مادة الارض — لا يظهر ان اللاموجود يمكن أن يكون مادة لاي شيء ما الا أن يعرف ذلك الى المعنى المجرد المحض حيث كان القول فيما مر • — وهل من المحال أن يأتي أحدهما من الآخر — هذا ما يشبه أن لا يعتمد الا على شهادة الخواص • — لها أضداد — قد يكون مضطرب من ذلك بيانا ان يقال انها بعضها لبعض ضد • ما هو موضوع — يعنى المادة مأخوذة على معناها المجرد لا على المعنى الحقيقى بالفعل • — شكل الوجود هو وحده — هذا = — تمييز من لازمات أرسطو وهو فى الغالب غاية فى الصحة والضبط • — نقف — لا يظهر مع ذلك أن الموضوع قد انتهى ولا انه على الخصوص قد وضح بقدر الكفاية من الايضاحات التى سبقت •

## الباب الرابع

فصول الكون والاستحالة - تمييز الموضوع ومحمول - الموضوع حد الاستحالة - امثلة مختلفة - حد الكون المطلق وامثلة متنوعة - آخر المقارنة بين الكون والاستحالة .

§ ١ - يجب الآن توضيح بماذا يختلف الكون والاستحالة لاننا نرى أن هذين التغيرين للاشياء هما متميزان تماما احدهما من الآخر نظرا الى أن الموضوع الذى هو كائن حقيقى والتكييف الذى هو طبعا محمول على الموضوع هما فى غاية الاختلاف وانه يجوز أن يقع التغير بأحدهما وبالأخر .

§ ٢ - توجد استحالة متى كان الموضوع ، وهو باق بعينه وهو دائما محسوس ، يلحقه تغير فى خواصه المخصوصة التى يمكن أن تكون مع ذلك أضدادا أو أوساطا . على ذلك مثلا الجسم هو صحيح ثم هو مريض مع بقاءه هو بذاته . وكذلك أيضا النحاس هو تارة مستديرة وتارة ذو زوايا مع بقاءه جوهريا هو بعينه .

§ ٣ ولكن حينما الموجود يلحقه التغير بكليته دون أن يبقى منه شيء محسوس من جهة أنه موضوع واحد وبحد ذاته الدم مثلا يتكون بأن ياتى

§ ١ ب ٤ ف ١ - الكون والاستحالة - الكون أو التولد هو الحركة فى الجوهر يعنى الحركة التى تسير مما ليس موجودا الى ما هو موجود أى من اللا وجود الى الوجود . واما الاستحالة فهى الحركة التى تغير فى الموضوع كقياته وتعقبها اغتلاذا . ر . الطبيعة ك ٣ ب ٣ ف ٨ وك ٧ ب ٤ ف ٣ من ترجمتنا .

- التغير باحدهما وبالأخر - لفظ تغير مصروف هنا الى معنى الحركة .

§ ٢ - توجد استحالة - حد الاستحالة هذا لا يبعد فى شيء عن الحد الذى أعطى فى كتاب الطبيعة .

- وهو دائما محسوس - او بمباراة اخرى : حقيقة متميزة وشخصية يمكن ان تدركها حواسنا اضدادا أو أوساطا - مثلا الجسم وهو يسر من الاسود الى الابيض أو وهو يسر بجميع الألوان المتوسطة التى بين ذلك اللونين - مع بقاءه هو بذاته - من حيث الجوهر . وهذا هو الشرط الاساسى وبدونه لا يمكن ان تقع الاستحالة . - جوهريا - اختلفت هذه الكلمة لزيادة بيان المعنى .

§ ٣ - ولكن حينما الموجود يلحقه التغير - حد للكون أو لصيرورة الاشياء - بكليته هذا هو الشرط الاساسى للتولد والا فلا يكون التغير الاستحالة . - الدم يتكون بأن ياتى من كل النطفة -

الامن على المكس النطفة هى التى تأتى من الدم الا اذا كان لفظ «النطفة» هنا له معنى خاص .  
- كون اللواحد وفساد لآخر - اختلفت تعابير مبهمة كتعابير النسي . بالمقارنة - زدت هذه الكلمة .

من كل النطفة وأث الهواء يأتي من كل الماء أو بالعكس الماء من كل الهواء .  
حينئذ يوجد في هذه الحالة كون للواحد وفساد للآخر . وهذا حق على  
الخصوص متى كان اتغير يمر من اللاه محسوس الى المحسوس سواء بالنسبة  
لحاسة اللمس أو بالنسبة لجميع الحواس الاخرى مثلا حينما يوجد كون  
الماء أو حينما يوجد تحلل الماء الى هواء لا الهوا، هر بالمقارنة غير محسوس  
تقريبا .

§ ٤ - ولكن في هذه الاشياء اذا بقي لحدى التقابل كيف ما متماثل  
في الموجود الذي يتولد وفي الذي يفسد واذا كان مثلا حينما يتكون الماء  
بأن يأتي من الهواء وهذان العنصران هما على السواء شفاخان وباردان فاذا  
لا يلزم بعد أن أحد هذين الكيفين فقط يتعلق بالجسم الذي فيه يحدث  
التغير ومتى لم يكن الامر كذلك فلا يكون الا مجرد استحالة . مثلا في  
حالة ما الرجل الموسيقى ينعدم والرجل غير الموسيقى يكون ويظهر ، ولكن  
الرجل لا يزال دائما هو بعينه . وحينئذ اذا لم تكن أصلا خاصة هذا  
الموجود أو كيفه الا المهارة في فن الموسيقى أو الجهل به فاذا يوجد كون  
لاحدى الظاهرتين وفساد للآخرى . من ذلك يرى لماذا أن تلك ليست الا  
كيفيات للرجل في حين أن هذا هو كون وفساد للرجل الذي هو موسيقى  
والرجل الذي لا يعرف الموسيقى فليس هناك الا تكيف للموضوع الذي  
هو ثابت وهذا هو بالضبط ما يسمى استحالة .

§ ٤ - ولكن هذه الاشياء اذا - يرى مفسرو جادة « كويمبر » بحق أن المعنى في  
هذه المقرة مغلق وتوضيحات فيلوبون لا تحلو عموضه . ويظهر ان ارسطو يقصد الرد على  
اعتراض لم يبينه بالضبط . « في الكون بتولد الكائن بكتبه والتغير بلحمه بكتبه » أما في  
الاستحالة فالكيفيات وحدها هي التي تكون محلا للتغير واذا من وقع كون عنصر جديد يمكن  
ان يسأل اذا كانت كيفيات الاول يجب ان تزول هي ايضا جميعها معه . « يجب ارسطو  
بالسلب متى كن الكف متبعا بين الكائن الذي يزول وبين الكائن الذي يتولد بالتغير .  
وعلى ذلك فالقاء مع انه يأتي من الهواء الذي انه م له حواس الهواء من جهة انه متله شفاف  
بارد . هذا هو تفسير المفسرين نقله هنا . وقد كان من المرغوب فيه أن يكون النص أكثر  
توسعا . فقط - زدت هذه الكلمة - ومنى لم يكن الامر كذلك - يعنى منى لم يكن للنص  
الكائنات الكيفيات عيها الى الشيء العاسد . - فلا يكون الا مجرد استحالة - عبارة النص  
أقل ضبطا . الاستحالة مجرد تغير في الكيف وليس تغيرا جوهريا . - في حالة ما الرجل  
الموسيقى ينعدم . حفظت أسلوبه عبارة النص مع أنه في اللغة اليونانية ساذ كما تراه في  
الفرنساوية . ولكن الرجل - معنى الموجود الجوهرى الذي هو تارة موسيقى واخرى -  
موسيقى . - خاصة ٠٠٠ أو كيفه - ليس في النص الا كلمة واحدة . - الا المهارة في فن  
الموسيقى أو الجهل به - النص في عادة من الإيجاز لم تبدعه عبارتي في الترجمة .

- كون ٠٠٠ وفساد - كما في الجواهر - كيفيات - أو تغيرات . - للرجل - الذي يبقى كما  
هو مع هذه التغيرات المختلفة . - للرجل الذي هو موسيقى - والذي ليس بعد مجرد رجل على  
المعنى المطلق والجوهرى .



§ ٥ - وإذا حينما يكون تغير حد ضد لآخر حادثا في الكم فتلك زيادة ونقص . ومتى كان ذلك في الاين فتلك هي نقلة . ومتى كان في الملكية الخاصة والكيف فتلك استحالة بالمعنى الخاص . ولكن متى لم يبق شيء مطلقا من الموضوع الذي أحد أضداده هو تغير أو عرض فذلك انه يوجد كون من وجه وفساد من وجه آخر .

§ ٦ - وحينئذ فالمادة التي هي على جهة الأولوية والافضلية الموضوع القابل للكون والفساد . وبوجه ما هي أيضا التي تعاني أنواع التغيرات الأخرى لان كل الموضوعات مهما كانت فهي قابلة لتقابلات ما بالأضداد . على أنا نقف هنا فيما كنا نريد ان نقول على انكون والفساد وعلى الاستحالة أيضا لنوضح ما اذا هي تكون أو لا تكون وكيف تكون .

§ ٥ - حد ضد الآخر - عبارة النص الضدية ر . المقولات ب ١٠ ١١ ص ١١٦ . من نرجعتنا لتعرف الفرق بين المتقابلات والأضداد . فتلك زيادة ونقص - فان الموجود بتغير اذا في الكم . فتلك هي نقلة - فان الموجود اذا يغير فقط في المكان . في الملكية الخاصة او في الاعمال . بالمعنى الخاص - اضرب هاتين الكامتين لضبط المعنى .

§ ٦ - المادة - مأخوذة على وجه غير معين ؛ لئنه كما هو في الكتاب الاول من الطبيعة ب ٨ ص ٤٧٣ من ترجمتي . على جهة الأولوية - أو «على الخصوص» . للكون والفساد - تبعاً لانها تكون أولا تكون . وبوجه ما - بطريقة ملبوسة لا بالطريقة الخاصة . أنواع التغيرات الأخرى - الزيادة والنقص والتغلة والاستحالة ، وقد لاحظت بحق فيلوبون أن أرسطو لم يكن بيانه في أي موضع آخر اجلي منه في هذا الموضع فيما يتعلق بحد المادة الذي هو دائماً من الصعب إمكان .

## الباب الخامس

نظرية النمو - الفروق بينه وبين الكون والاستحالة سواء في موضوع النمو أو في الكيفية التي يحصل بها النمو - نقلة الشيء النامي غير المحسوسة - صعوبة إحداهما من أين يأتي النمو في الجسم - كل أجزاء الجسم تنمو دفعة واحدة - الشروط الأصلية للنمو هي ثلاثة - المقارنة بين النمو والاستحالة - نظرية جديدة للنمو - تميز ما بالفعل من ما بالقوة - يلزم أن ما بالقوة يتحقق حتى يوجد النمو - علاقة العنصر الجسدي الذي يحدث نمو الجسم بالجسم النامي .

§ ١ - علينا أيضا أن نتكلم على النمو وأن نقول فيما إذا يختلف النمو عن الكون وعن الاستحالة وكيف يمكن الأشياء التي تنمو أن تنمو والتي تنقص أن تنقص .

§ ٢ - يلزم إذا أولا أن نفحص ما إذا كان الفرق بين هذه الظواهر بعضها والبعض الآخر ينحصر فقط في الموضوع الذي تتعلق به . أن تغيرا يقع من موجود إلى موجود آخر ، مثلا من الجوهر بمجرد القوة إلى الجوهر بالفعل وبالكمال هل هو كون وتولد ؟ والتغير الذي يقع في العظم هل هو نمو ونقص ؟ أو ذلك الذي يحصل في الكيف هل هو استحالة ؟ ولكن الظاهرتين الأخيرتين اللتين ذكرناهما ليستا دائما تغايرين أشياء تمر من القوة إلى الفعل والكمال ؟ أو أيضا أليست طريقة التغير هي التي تختلف ؟ وحينئذ الشيء الذي يستحيل بمنزلة الشيء الذي يتولد ويصير لا يظهر أنه يجب لهما التغير بالمكان لزوما . ولكن الذي ينمو والذي يذبل يجب أن يتغير بالحيز تغيرا مخالفا لتغير الشيء الذي يتحرك في الأين .

§ ب هـ ١ - النمو - على تقدير وعلى النقص الذي هو ضد النمو كما أنه تكلم على الفساد بعد الكون . وليس هناك حد يقابل الاستحالة لأنها يمكن أن تقع على الوجهين . وآخر هذه الفقرة يثبت مع ذلك أن أرسطو يتصدى للكلام على النقص كما يتصدى للكلام على النمو .

§ ٢ - في الموضوع الذي تتعلق به هذه العبارة غامضة قليلا كعبارة النص، ويمكن ترجمة عبارة النص أيضا هكذا : في الموضوع الذي تحصل فيه . من الجوهر بمجرد القوة إلى الجوهر الذي ليس موجودا إلى جوهر حقيقي موجود بالفعل كما يخرج حيوان من حيوان بلده . هل هو كون وتولد - ليس في النص إلا كلمة واحدة . الذي يقع في العظم - على وجه أو على وجه آخر . الظاهرتين الأخيرتين - زدت لفظ «الأخيرتين» زيادة في البيان . - إلى الفعل والكمال - ليس في النص إلا كلمة واحدة . وإن الكلمتين اللتين ذكرتهما ليست حدهما إلا ترجمة للأخرى .

- التي تختلف - من الكون ومن الاستحالة إلى النمو وإلى النقص - يتولد ويصير - ليس في النص إلا كلمة واحدة . - يجب لهما التغير بالمكان - بأن يأخذ أكثر أو أقل من الحيز تبعاً لحال النمو والنقص .

- الذي يتحرك في الأين - أو «الذي تلحقه نقلة» .

§ ٣ - لأنه الشيء المتحرك في الاين يغير مكانه بكلية في حين أن  
الذى ينمو لا يتغير الا كشيء ينزلق ويمتد . والموضوع وهو باق في مكانه  
أجزاؤه وحدها تغير مكانها . ولكن هذا ليس كحال أجزاء الكرة الدائرة على  
نفسها لأن هذه الأجزاء تغير محل جسم الكرة كله مع بقائه في الحيز بعينه .  
وعلى الضد من ذلك أجزاء الجسم النامي تشغل حيزا أكثر فأكثر كما أن  
أجزاء الجسم الذابل تشغل حيزا أقل فأقل .

§ ٤ - يرى حينئذ أن التغير في شيء يتولد وفي الذي يستحيل وفي  
الذى ينمو هو يختلف لا بالشيء الذي يقبل التغير فحسب بل ايضا  
بالطريقة التي يحصل بها التغير . ولكن أما من حيث الشيء ذاته الذي  
يلحقه تغير النمو وتغير الذبول - من جهة أن النمو والذبول يظهر أنهما  
لا ينطبقان الا على عظم - كيف ينبغي ادراك انه ينمو ؟ هل يجب أن يفهم  
انه يتكون في هذه الحالة جسم وعظم فعلى ما ليس هو جسما ولا عظما الا  
بمجرد القوة والذي هو بالفعل وبالكمال ليس له جسم ولا عظم حقيقي ؟  
غير أن هذا الايضاح نفسه يمكن أن يحمل على معنى مزدوج ويمكن ايضا  
أن يتساءل على أى الوجهين يجب أن يحصل النمو ؟ هل هو يأتي من  
المادة التي تكون منعزلة ومنفصلة في ذاتها ؟ أم هل يأتي من المادة التي  
تكون في جسم آخر ؟ ولكن هذين الوجهين لفهم النمو أليسا هما مستحيلان  
على السواء ؟ فانه اذا كانت في الواقع مادة النمو منعزلة فاما ألا تشغل أى

§ ٣ - مكانه بكلية - يميز المفسرون هاهنا حالين . إما أن الجسم ينتقل بكلية ما  
من مكان الى آخر وإما أن أجزاءه هي التي تغير مكانها كحال كرة تدور على نفسها دون  
أن تغير مكانها كما هو مذكور بعد .

- ينزلق ويمتد - ليس في النص الا كلمة واحدة ليست على هذا القدر من الضبط . - أجزاءه  
وحدها - أضفت الكلمة الأخيرة - الدائرة على نفسها - . ر . الطبعة ك ٨ ب ١٤ ف ١  
ص ٥٥٤ من ترجمتنا .

- الكرة - زدت هذا اللفظ . - حيزا أكثر فأكثر - دون أن تغير مكانها .

§ ٤ - في شيء يتولد . . والذي يستحيل . . والذي ينمو - تلك هي الانسواع  
العلائية الممكنة للتغير . بالطريقة التي يحصل بها التغير - كما بينا هذا في الفقرة السابقة  
أما من حيث الشيء ذاته - أضفت هذه الكلمة الأخيرة . - أنه ينمو - أضفت هذه العبارة  
لأنه ظهر لي أنها ضرورية لتكميل الفكرة . وربما يلزم أن يزداد أيضا «ويدبل» كما فعل ذلك  
عدة من المفسرين . بالفعل وبالكمال .

ليس في النص الا كلمة واحدة . - يحمل على معنى مزدوج - هذا التحليل ربما كان  
مجاورا الى حد أبعد مما يلزم ويظهر عليه أنه دقيق بضمير الشيء . - منعزلة ومنفصلة ليس  
في النص الا كلمة واحدة ومع ذلك لا يرى كيف أن المادة يمكن أن تمنزل وتنفصل دون أن  
تؤلف جسما . - لفهم النمو - أضفت هذا لتكميل الفكرة . - أى جزء في الاين - أو «أى حيز»  
لا يمكن أن تكون موجودة - ليس النص على هذه الصراحة . - في أين ما - ليس النص على  
هذه الصراحة . - ما يأتي : منها - التعبير مبهم ولكن النص ليس أقل إبهاما . - بحيث أن  
هذا الجسم - أو بالأولى : «هذه المادة» المنعزلة التي منها يجب أن يخرج الجسم الحقيقي =

جزء في الاين واما أن تكون كنقطة أو ألا تكون الا من اخلو وتكون جسما لاتدركه حواسنا • ففي أحد هذين الفرضين لا يمكن أن تكون موجودة • وفي الثاني يجب أن توجد ضرورة في أين لانه ما يأتي منها يجب ان يكون في أين ما بحيث ان هذا الجسم يكون فيه أيضا اما بنفسه او بالواسطة •

§ ٥ - ولكن اذا فرض ان المادة هي في جسم وانها انفصلت عنه بحيث انها لا تؤلف البتة جزءا من هذا الجسم لا بداتها ولا بالعرض فينتج من هذا الفرض طائفة من المستحيلات البينة • وتوضيحه : مثلا اذا تكون هواء آت من الماء فذلك ليس لان الماء يتغير بل لان مادة الهواء تكون محوية في الماء الذي يكونه كما لو كانت في آنية ما لانه لا شيء يمنع من أن تكون المواد غير متناهية في العدد بحيث يمكنها أيضا أن تكون بالفعل وبالحقيقة يلزم أن يضاف زيادة على هذا انه ليس كذلك ان الهواء يظهر انه يأتي من الماء كما لو انه كان يخرج من جسم يبقى دائما على ما كان عليه • يحسن حينئذ افتراض أن المادة هي غير قابلة للانفصال في جميع الأجسام وهي واحدة ومتماثلة عدديا ولو أنها ليست واحدة ولا متماثلة في نظر العقل •

§ ٦ - وبالاسباب عينها لا ينبغي افتراض أن مادة الجسم ليست الا

= أو بالواسطة - عبارة النص بالضبط «أو بالعرض» ويلزم دائما أن يذكر ان المقصود - هنا هو مادة النمو لا المادة على العموم •

§ ٥ - في جسم - عبارة النص غير معنوية وهي «في شيء» ومع ذلك فانه يجب تفدير ان المادة هي في جسم ينمو كما يدل عليه المثل الاتي الذي فيه الهواء يكون بخروجه من الماء •• لان الماء يتغير - وهذا هو التفسير العامي والعطبي • كما لو كانت في آنية ما - ليس عليها الا أن تخرج منها جاهزة دون أن تعاني تأثرا جديدا - المواد - التي يمكنها أن تفعل النمو • - عبر متناهية في العدد - أو فقط غير متناهية «كعبارة النص • - بالفعل وبالحقيقة - ليس في النص الا كلمة واحدة • أن الهواء يظهر أنه بائي من الماء - يعني انه يوجد تغير فعل بصير الماء هواء وان الهواء لا يخرج تماما من الماء •

••• المادة - أي مادة النمو • - فمن جميع الاجسام - ربما يكون الاحسن فسر الفكرة والقول «في الجسمين المذكورين» • - عدديا •• في نظر العقل - هذه من التمايز التي اعتادها ومنظر •

§ ٦ - ليست الا نقطا أو خطوطا - وهذا ما يؤول به الى لا يكون له حقيقة فعلية أكثر من حقيقة الموجودات الرياضية • نهايات - لان الخط نقط الخطة والخطوط نهايات للسلوك • بدون خاصية ما-تصيره مدركا بحواسنا وتجعل منه جسما حقيقيا ••• ولابدون ضرورة اسهل للادراك من مجرد خاصية • - نسبا - أو كاثاء •• كما سبق بيانه في غير هذا الموضع - يحيل فيلوبون على الكتاب الاو من الطبيعة حيث درس هذا الموضوع كما يقول وفي الحق انه يوجد في الطبيعة كتابا ٨ف٩ص ٧٨؛ من ترجمنا مناقشة مسابيه لهذه • - بالفعل وبالكمال - ليس في النص الا كلمة واحدة • من صورته - او «من نوعه» •• من مجرد كيف الصلب - ليس النص هكذا صريحا • فان الصلابة تخص بجسم حقيقي ولا يمكنها بداتها أن تنتج شيئا • - مشتركا •• كالمثل الذي قال بها افلاطون فانها مشتركة

نقطاً أو خطوطاً لأن المادة هي بالضبط ما تكون النقط والخطوط نهايات لها . فهي لا يمكنها أبداً أن تقوم بدون خاصية ما ولا بدون صورة . وعلى ذلك حينئذ فان شيئاً يأتي دائماً من شيء آخر مطلقاً كما سبق بيانه في غير هذا الموضع . وهو يأتي من شيء موجود بالفعل وبالكمال اما من جنسه أو من صورته . مثال ذلك النار هي تكون بالنار والرجل هو يكون بالرجل أعنى بحقيقة ، بكمال ، لان الصلب لا يمكن أن يأتي من مجرد كيف الصلب . والمادة هي المادة لجوهر جسماني أعنى مادة جسم خاص معين مادام الجسم لا يمكن أبداً ان يكون شيئاً مشتركاً . وهي هي ذاتها سواء في العظم أو في كيف العظم قابلة للانفصال في نظر العقل ولكن غير قابلة للانفصال في الالين الا ان يفترض أن الخواص يمكنها ان تنفصل عن الاجسام الحائزة لها .

§ ٧ - بين حينئذ على حسب هذه المناقشة أن النمو في الاشياء ليس تغيراً يأتي من عظم بالقوة المحضة دون ان يكون له امتداد ما بالفعل وبالكمال لان الكيف المشترك حينئذ يكون قابلاً للانفصال . وقد سبق فيما تقدم في غير هذا الموضع أن هذا كان شيئاً محالاً . وفوق ذلك فان تعبيراً من هذا القبيل ينطبق على الخصوص لا على البدو بل على الكون . لان النمو ليس الا ازدياداً في عظم موجود من قبل كما أن الذبول ليس الا انتقاصاً له . فأنظر لماذا يلزم أن يكون أولاً للجسم الذي ينمو عظم ما . وبالنتيجة لا يمكن أن النمو الذي يمر الى واقعية العظم يأتي من مادة مجردة من كل عظم لان هذا أولى به أن يكون كوناً لا ان يكون نمواً حقاً .

بين جميع الكائنات التي نستترك فيها - الا أن بعنرض - كما نزع ارسطو أن افلاطون ادرسه في نظريته في المثل - الخواص - أو الكروف .

§ ٧ - من عظم بالقوة المحضة - ر . ما سبق في آخر الفقرة الثانية . - الكيف المشترك - لاحظ فيلويون انه يوجد هاهنا رواية اخرى وان في بعض النسخ الخطية تحريفاً في حرف واحد به يكون اللفظ دالاً على « المثل » بدل « الكيف المشترك » . وقد حاول فيلويون أن يبرر استقامته التعبيرين جميعاً . ولكن التعبير الذي اتخذته يظهر لي أنه الافضل . و « الكيف المشترك » هاهنا يجب أن يصرف إلى المثل . والتعبير الثاني يمكن أن يستند الى آخر الفقرة الآتية . - في غير هذا الموضع - على رأى فيلويون في الكتاب الرابع من الطبيعة . ولكن لم أجد في ذلك الكتاب الرابع هذا المعنى ، بل يوجد في الكتاب الاول منه . من هذا القبيل ر . ب ٥ ف ١٢ ص ٤٦٠ من ترجمتنا . - تغيراً من هذا القبيل - يعني يمر من القوة الى الفصل . من الامكان المحض الى الوجود الحقيقي . وفي الحق أن هذا يكون كوناً لا نمواً . فان الشيء يولد لا انه ينمو . - أولاً - أضفت هذه الكلمة لتكميل الفكرة . - واقعية العظم - يعني الذي يدفع عظم الشيء الى ابدن ما يمكن أن يبلغه في النظام الطبيعي للاشياء . - أولى به أن يكون كوناً - تكرير لما قيل آنفاً .

g ٨ - فالأفضل حينئذ أن نأخذ بهذا البحث من جديد كما لو كنا في البداية تماما وأن نبحث ثانيا عما يمكن أن تكون هي أسباب نمو الأشياء ونقصها بعد أن أثبتنا ماذا يعنى بنمو أو نقص . فى شيء ينمو يظهر إذا ان جميع الاجزاء بلا استثناء تنمو . كما انه فى النقص جميع اجزاء الشيء يظهر أنها تصبح أكثر فأكثر صغيرة . وفوق ذلك فان النمو يظهر أنه يحصل بأن شيئا ينضم الى الجسم والاضمحلال بأن شيئا يخرج منه . ولكن النمو لا يمكن أن يحصل بالضرورة الا بشيء مالا جسمانى أو جسمانى فإذا كان باللاجسمانى فالجزء المشترك يكون قابلا للانفصال ومن المحال أن توجد مادة منفصلة عن كل عظم كما قيل آنفا . وإذا كان بشيء ما جسمانى حصل النمو فينتج عنه أن هناك جسمين فى حيز واحد بزمينه أى حيز الذى ينمو وحيز الذى يفعل النمو وذلك هو أيضا محال .

g ٩ - بل لا يمكن أن يقال ان نمو الأشياء ونقصها يمكن حصولهما بالطريقة عينها التى يأتى الهواء من الماء مثلا مادامت حينئذ كتلة الهواء

g ٨ - فالأفضل حينئذ - يظهر ان المناقشة كانت الى الآن من الجد بحيث لا محل لاعادتها بل يكفى الاستمرار فيها . - بعد أن أثبتنا ماذا يعنى - النص ليس على هذا القدر من الصراحة ولكن الترجمة التى أعطيها نستند الى شرح فيلوبون . - يظهر إذا - سبب العبارة يؤيد تفسير المفسر الاغريقى للفقرة السابقة . - الجزء المشترك - ر . ما سبق فى الفقرة السابقة وما سبب فى الفقرة التاسعة . فان الجزء المشترك لا يمكن هاهنا ان يدل الا على الیهیولی مجردة عن كل صورة ومشارك بالنتيجة لجميع الاجسام . وهذا تجريد محض . وفى هذا الموضع أيضا يوجد فى بعض النسخ الخطية تحريف فى حرف واحد فيقرأ « الحلو » بدلا من « الجزء المشترك » وقد عولت على هذه العبارة الأخيرة كما سبق . ويحاول فيلوبون ان يؤول العبارتين كلتيهما مع أن الاصل الذى تحت نظره يظهر انه يوجد فيها لفظ « الحلو » لا « الجزء المشترك » . - كما قيل آنفا - فى الفقرة السابقة . وهذا التفصيل يظهر أنه يؤيد التعبير الذى اخترته - جسمين فى حيز واحد بزمينه - مبدأ قرره ارسطو مرارا فى الطبيعة . وقد احتفظ به علم الطبيعة الجديد فى نظرية عدم قبول الاجسام للمداخلة .

g ٩ - التى بها يأتى الهواء من الماء - يعنى متى أخذ الماء لای سبب ما أن يتبخر ويتغير الى هواء . ر . الميتورولوجيا ك ١ ب ٩ ف ٢ ص ٥٥ من ترجمتنا . - كتلة الهواء - المشاهدة مضبوطة ولكن لا يظهر لم أن القدماء كان عهدهم طريقة ما لتحقيقها . - لجسم جديد - لبس النص على هذا القدر من الضبط . - الهباء . - لأن الماء مفروض ضد الهواء . - لهذا الذى هو مشترك - هذا يؤيد ترجمتنا للجزء المشترك فى الفقرتين ٧ و ٨ . - هذا الجزء المشترك - زدت قليلا على عبارة النص ايضاحا لها . - فلا الماء ٠٠٠ ٠٠٠ نما - لانه فى الواقع قد باد لينقلب الى هواء .

- يلزم أن يكون هناك جسم - وهو اذا « الجزء المشترك » أى الیهیولی التى ليست مع ذلك جسما فعليا .

قد صارت أعظم مقدارا . اذا ليس في هذا مجرد نمو للماء بل هذا هو كون  
الجسم جديد فيه تغير الجسم الاول وهذا هو فساد لفسده . وليس ذلك  
نموا لا لاحدها ولا للآخر . ولكن اما أن ليس هذا نموا لشيء واما انه  
نمو لهذا الذي هو مشترك بين الشيئين الذي كان والذي فسد على السواء  
وهذا الجزء المشترك هو جسم أيضا . فلا الماء ولا الهواء نما فقط  
أحدهما باد وانعدم في حين أن الآخر كان ويلزم ان يكون هناك جسم  
ما دام انه وجد نمو .

§ ١٠ - ولكن هناك أيضا محال جديد لانه يلزم عقلا حفظ الشروط  
الضرورية التي يكونها لا يمكن ادراك الجسم الذي ينمو أو الذي ينقص  
وهي ثلاثة أحدها هو ان كل جزء ما يصير أكبر في عظم ينمو ، مثلا اذا  
كان من اللحم فان جزءا ما من اللحم ينمو . والشرط الثاني هو ان النمو  
يحصل بانضمام ما الى الجسم . وثالثا وأخيرا يلزم أنه الشيء ينمو وان  
يبقى معا ، وفي الواقع حينما شيء يكون أو يبيد مطلقا فهو لا يبقى البتة .  
ولكن حين يعاني استحالة أو نموا أو نقصا فان هذا الشيء مع أنه ينمو  
أو يستحيل يمتد ويبقى هو بعينه . لهذا هنا إنما هو كيف الشيء وحده  
هو الذي لا يبقى بعد هو هو . وهناك إنما هو العظم نفسه الذي لا يبقى  
هو بعينه . وحينئذ اذا كان النمو هو بحق ما قد زعم فان الشيء النامي  
يمكن اذا ان ينمو بدون أن شيئا يأتي وينضم اليه وبدون أن هذا الشيء  
يبقى كما انه قد يمكن أن يفنى بدون أن شيئا يخرج منه وبدون أن  
الشيء النامي يبقى . ولكن يلزم مطلقا حفظ هذه الشروط مادام انه  
افتراض أن النمو هو في الواقع كما قد ذكر .

§ ١١ - وقد يمكن أيضا أن يسأل ما هو بالضبط هذا الذي ينمو ؟

§ ١٠ - محال جديد - أضفت هذه الكلمة الأخيرة ما دام أنه قد نبه أننا الى  
محالات أخرى . - عقلا - عبارة النص بالضبط هي : « بالعقل في نظر العقل » .  
- الشروط الضرورية - عبارة النص ليست بهذا الضبط تماما . - الجسم الذي ينمو  
- عبارة النص أدخل في باب عدم التعيين لانه يقول : « هذا الذي ينمو » . - وهي  
ثلاثة - وهذه الثلاثة للشروط هي حقيقية جدا ولا يكاد يمكن اليوم أن يقال أحسن من  
هذا . - وأن يبقى - يعني أن يستلحق هو ما هو كما كان من قبل الا من حيث  
امتداداته فانها تكبر أو تضمر . - يكون أو يبيد - تلك هي حركة الكون والفساد  
أعنى المرور من الوجود الى الوجود أو من الوجود الى اللاوجود . - يمتد ويبقى -  
ليس في النص الا كلمة واحدة . - حفظ هذه الشروط - التكرار ليس في النص  
على هذا القدر من التمام .

§ ١١ - ما هو بالضبط هذا الذي ينمو - يظهر ماهنا انه لا محل للشك وانه  
هو الجسم بعينه الذي ينمو بتمثله هذا الذي يأتي وينقسم اليه . - في جسم انسان -

هل هو الجسم الذى اليه يأتى وينضم شئ؟ مثلاً متى فعل سبب بعينه  
نمو الفخذ فى جسم انسان فهل الفخذ نفسه هو الذى يصير أسمن؟  
ولماذا هذا الذى يسمن الفخذ أعنى الغذاء لا ينمو هو أيضاً؟ وفى الواقع  
لماذا أن الاثنين لا يتموان معا؟ لأن هذا الذى ينمو وهذا الذى ينمو يكونان  
أعظم كما هى الحال عند مزج الماء والنيبيذ فإن كمية كليهما تصير أعظم من  
السواء . أليس يمكن أن يقال أن هذا يرجع الى أن الجوهر فى حالة يمكث  
ويبقى فى حين أنه فى الحالة الأخرى الجوهر ، وهو هاهنا ، جوهر الغذاء  
يبعد؟ وها هنا أيضاً إنما العنصر الغالب هو الذى يعطى اسمه للمزيج  
كما هى الحال حين يقال على المزيج أنه من النيبيذ لأن المزيج كله يفعل. نعل  
النيبيذ لا فعل الماء .

١٢ - والامر كذلك أيضاً بالنسبة للاستحالة فإذا ، مثلاً ، بقى  
اللحم ومكث دائماً ما هو وإذا طرأ على اللحم كيف أصلى لم يكن من قبل

== استفت هذه الكلمات == - لا بهو هو أيضاً - قد يمكن : لا يعطى هذا الجزء من الطبقة  
شوره الاستعظام فيقال . فى حين أن هذا الذى يسمن الفخذ لا ينمو . - يكونان  
أعظم - العبارة منه لأن المزيج من الاثنين هو فى الحق أكبر من كليهما على حدة . ولكن  
كليهما على حدة لم تكبر إلا أن يكون المقصود هو ذلك المسمى المنزوى فى المثال الآتى - كمية  
كليهما هذا ليس صحيحاً فإن كمية النيبيذ وكمية الماء يبقيان كملاً كذلك . ولكن مزيجهما  
وحده هو الأعظم فإذا قبل أنه يوجد من الماء أكثر أم من النيبيذ أكثر فليس ذلك إلا  
تجاوزاً فى اللفظ . - العنصر الغالب هو الذى يعطى اسمه للمزيج - وهذا أيضاً ليس  
من الصحة يمكن أن يقال للمزيج أنه من الماء أو من النيبيذ بل يقال أنه ما ، دمج .

١٢ - والامر كذلك أيضاً بالنسبة للاستحالة - يعنى أن فى ظاهرة الاستحالة  
توجد أيضاً الشروط يعينها كما فى ظاهرة النمو . - بالأساطة قد استحالة - هذا هو  
المسمى الحق للاستحالة . فإن الكيف وحده قد تغير ولكن الجسم بهى هو بعينه . - فى  
جوهره الخاص الذى لم يستحل - هذه الجملة لا توجد فى بعض النسخ الخطية . وليست  
أيضاً فى شرح فيلوبون . ولكن يظهر لى أنه يمكن قبول المعنى الذى أعطيه فى ترجمتى  
هذه . - هذا الذى يحيل - أو عبارة أخرى أكثر شبيهاً - علة الاستحالة . - سانه  
كشأن مبدأ الحركة - الذى يفعل أن الشئ ينمو ويذبل . - فى الشئ التامى وفى الشئ  
المستحيل - هذا تطابق أيضاً بين النمو وبين الاستحالة . - المبدأ المحرك - هنا  
للكركة وهناك للاستحالة . ولم يقبل التراجع الاغريق هذه النظرية بشأها . فعل رأى  
فيلوبون أن الاسكتندر الاثروديزى كان ينازع فى أن مبدأ الاستحالة والنمو موجود دائماً  
فى الجسم الذى يستحيل أو الذى ينمو . وهذا المبدأ هو غالباً فى الجسم الغريب الذى  
يجلب للأشياء النمو أو الاستحالة . - يصير فيه هوا - هذا موجز أكثر مما يلزم ولا  
يزال غامضاً . وكان يلزم أن نزيد عليه أن الماء بصبروته هوا متلاً بنسبته وها دام  
أنه صار أعظم لقد انقطع عما كان هو ما هو من قبل . - وهو يعانى هذا التغير -  
ليكون المعنى أبين من ذلك كان يلزم إيراد مثال خاص ما كان ليترك أقل شك . -  
والمبدأ المحرك لا يكون فيه بعد - فانه فى ذلك الجسم الذى يسبب التغير . لنقى يعاناه .



فالحجم حينئذ بالبساطة قد استحال ولكن أحيانا هذا الذي يحيل الشيء  
أما أنه لا يعاني شيئا هو نفسه في جوهره الخاض الذي لم يستحل واما  
أحيانا انه يستحيل هو أيضا . ولكن هذا الذي يحيل شأنه كشأن مبدأ  
الحركة هو في الشيء النامي وفي الشيء المستحيل لأنه فيهما يوجد المبدأ  
المحرك . وقد يمكن أيضا أن هذا الذي يدخل في الجسم يصير فيه أعظم  
كالجسم الذي يقبله ويستفيد منه سواء بسواء مثلا إذا كان العنصر الذي  
يدخل يصير فيه هواء . ولكنه وهو يعاني هذا التغير يفسد والمبدأ المحرك  
لا يكون فيه بعد .

§ ١٣ - بعد أن بلغنا الكفاية من بسط هذه الصعوبات يازم محاولة  
استكشاف حل هذه النظرية مع التسليم بالشروط الآتية دائما :  
ان النمو ليس مكننا الا بأن يمتك الجسم النامي ويبقى وانه لا شيء  
يمكنه أن ينمو بدون أن شيئا ينضم اليه ولا أن ينقص بدون أن شيئا  
يخرج منه . وانه فوق ذلك كل نقطة محسوسة حيثما اتفق من الجسم  
النامي او الناقص تصير أكبر أو اصغر . وأن الجسم ليس خلوا وان  
جسمين لا يمكن البتة أن يشغلا حيزا واحدا بعينه وأخيرا أن الجسم  
الذي يحصل فيه النمو لا يمكنه أن ينمو بالاجساماني .

§ ١٤ - ونستصل الى الحل المطلوب بقبولنا بادئ بدء ان الاجسام

§ ١٣ - بعد أن بلغنا الكفاية من بسط هذه الصعوبات - يرى فيلوبون أن أرسطو  
لم يبسط الى الآن الا الآراء العامة في علل النمو والذبول وانه يتبع منذ الآن في بسط  
مذهبه الخاص . استكشاف حل هذه النظرية على ما بهما أرسطو . - الشروط  
الآتية - ليست عبارة النص على هذا المقدار من الصراحة . ومع ذلك فان هذه الشروط  
قد سبق عدنا ألفا ف ١٠ . - محسوسة - يعني مادية . وقد ألح فيلوبون في أهمية  
هذه الكلمة التي بدونها على رآيه لا يستقيم المعنى . ان الجسم ليس خلوا - لا يظهر أن  
ههنا روايات أخرى كما كان فيما سبق في الفقرة السابقة . ان جسمين لا يمكن  
البتة ان يشغلا حيزا واحدا بعينه - ذلك ما نسميه الآن عدم مداخله الاجسام . -  
بالاجساماني - قد حافظت على عموم اللفظ الاغريقي وهو مفهوم .

§ ١٤ - الاجسام ذات الاجزاء غير المتشابهة - يمثل لها الشراح الاغريق بالوجه  
واليد . . . الخ . التي تنمو بنمو اللحم والدم والعظم التي هي اجسام متشابهة الاجزاء  
لا انها تنمو بأن وحدها او بدا نائي فتقسم اليها . ما يلى ف ١٥ . ر لأن الاولى  
ليست الا مركبة من الثانية - معلوم أن هذا هو مذهب أركساغوراس في « متشابهات  
الاجزاء » ويمكن الاطلاع أيضا على أول « تاريخ الحيوانات » . فان الاجسام المتجانسة  
الاجزاء هي التي فيها الاجزاء دائما هي بعينها والتي هي متشابهة للكل . على ذلك  
جزئية من الدم هي دائما دم . وجزء من العظم هو عظم دائما . ولكن جزء اليد ليس  
بدا جزء الوجه ليس وجهها . لذلك ترى لماذا ان هذه الاجسام مكونة من اجزاء غير  
متجانسة . - بمعنى مزدوج سيوضح فيما بعد فانه يمكن أن يعني بها على السواء أن  
المادة هي التي تنمو او انها الصورة فقط . - نوعها وصورتها - ليس في النص « لا »

ذوات الاجزاء غير المتشابهة يمكن أن تنمو لانه انما هي الاجسام ذات الاجزاء المتشابهة هي التي تنمو لان الاولى ليست الا مركبة من الثانية ويلزم بعد هذا التنبيه الى انه متى ذكر اللحم والعظم وأى جزء آخر مشابه لهما من الاجسام فذلك يمكن أن يؤخذ بمعنى مزدوج كما هي الحال بالنسبة لجميع الاشياء الاخرى التي لها نوعها ولها صورتها في المادة ، لان المادة والصورة هما مسميان على السواء لحما وعظما . فالقول بأن كل جزء كيفما اتفق من جسم ينمو وبأن عنصرا جديدا يأتي وينضم اليه فذلك بيان ممكن باعتبار الصورة ولكنسه ليس كذلك باعتبار المادة . ويجب أن يرى أن الحال هاهنا كالحال حينما يقاس الماء بمقياس يبقى هو بعينه فان الماء الذى يجيء بعد هو آخر ودائما آخر . كذلك بهذه المثابة تنمو مادة اللحم ولا يوجد ضم الى كل جزء كيفما اتفق . ولكن الجزء الغلاني يسيل والجزء الغلاني ينضم . فليس يوجد ضم ولا يحصل الضم الا الى كل جزء كيفما اتفق من الشكل ومن النوع .

§ ١٥ - ولكن بالنسبة للاجسام المركبة من اجزاء غير متشابهة مثلا بالنسبة لليد فمن الاشد وضوحا أن كلها ينمو بحالة متناسبة لانه في هذه الحالة ما دامت مادة النوع مختلفة فهي أسهل تميزا عما يكون بالنسبة للحم وبالنسبة للاجسام ذات الاجزاء المتشابهة . من أجل ذلك حتى على ميت يظهر انه لايزال يعرف اللحم والعظم بأكثر سهولة من أن يميز فيه اليد والزراع وحينئذ فمن وجه يمكن أن يقال ان كل جزء كيفما

= كلمة واحدة . - المادة والصورة هما مسميان على السواء - يظهر ان المادة اول بهذه التسمية من الصورة . - باعتبار الصورة - في الحق أن الصورة النوعية تبقى ولكن يلزم ايضا ان المادة تنمو . - باعتبار المادة - هذا يظهر عليه اثر الدقة أكثر من اثر الصحة . - بمقياس يبقى هو بعينه - فان الماء الذى يمر على التعاقب من هذا المقياس يمكن ان يختلف ولكن صورة المقياس لا تختلف وهذا حق ولكن المثل لم يوجد حسم . اختياري لان المقياس لا يمكن أن ينمو القول وأرد بعدد ايضاح النمو . - الماء الذى يجيء - عبارة للنسبة الذى يجيء ، فقط . فأردت تحرير الفكرة برفع بعض الشيء من عموم العبارة . - كلمو مادة اللحم - يظهر أن هذا يناقض ما أثبت سابقا وهى أن النمو لا يقع الا باعتبار الصورة لا باعتبار المادة . - لا يوجد ضم الى كل جزء كيفما اتفق - على رغم ما يعتقد العامة . - الجزء الغلاني يسيل - والواقع ان الاجسام الحية هي في سيلان دائم للجزئيات التي تفقد منها وللمناصر الجديدة التي تقبلها بلا انقطاع . - لا الى كل جزء كيفما اتفق من الشكل - وضعت لفظ « شكل » لا لفظ « صورة » لان تعبير النص يختلف أيضا .

§ ١٥ - المركبة من اجزاء غير متشابهة - المثل الممثل في النص كاف في البيان فان اليد لا تتركب من ايد كما يتركب الدم من الجزئيات النوعية . - بحالة متناسبة - هذا ليس من الضبط على الغاية . - مادة النوع - أو مادة « الصورة » . مادة اليد =

اتفق من اللحم ينمو ومن وجه آخر لا يمكن انّا يقال ان كل جزء ينمو .  
فبحسب الصورة قد انضم شيء ما لكل جزء كيفما اتفق ولكن لا بحسب  
المادة . ومع ذلك فان الكل صار أعظم لان شيئاً جاء وانضم اليه . وهذا  
الشيء يسمى الغذاء ويسمى أيضا الضد . ولكن هذه الشيء لا يزيد على ان  
يتغير في النوع بعينه كمثال ما يأتي الرطب ينضم الى الياضس وبانضمامه  
اليه يتغير بانّا يصير هو نفسه يابسا . وفي الواقع يمكن معا ان الشبيه  
ينمو بالشبيه وبجهة أخرى ان يكون ذلك بالاشبيه .

§ ١٦ - وقد يمكن ايضا ان يتساءل عما هو بالضبط ذلك الشيء.

- منضاعة التركيب . جلد أوتار ودم وعظم وأربعة دحضلات الخ - فهي أسهل تميزا  
- ليس النص على هذا القدر من الصراحة . - اليد والذراع - ( عبارة مشابهة لهذه  
في كتاب النفس ك ٢ ب ١ ص ٩٦ من ترجمتنا ) لان اليد والذراع هما عضوا  
معل فتمت تعطلا عن العمل فكانهما غير موجودين . - ولكن لا بحسب المادة - بنفس  
السبب الذي ذكر فيما سبق في آخر الفقرة ١٤ . - الكل - مركب معا من صورة  
ومادة . - الضد - هذا التعبير ليس واضحا جدا . والاولى ان تنمو الاجسام بالمشابه  
كما سيحي . - ما يأتي الرطب ينضم الى الياضس - مثال ذلك ان يسقط الماء على سطح  
جاف ويتبخر عليه . - ان الشبيه ينمو بالشبيه - تكاد هذه ان تكون قاعدة في الفلسفة  
لتقديمه . ولكن هذا العموم مبهم قليلا . ومع ان الاجسام في الحق تنمو بتمثل العناصر  
الجديدة فان هذا الايضاح ليس كافيا لتعبير ظاهرة النمو المتقدمة .

§ ١٦ - الشيء - تعبير النص هو ايضا أقل تمييزا من ذلك . وان ما ينمو  
الجسم يجب ان يكون له صفة خاصة بها يمكن ان يتمثل في الجسم وينقلب الى جوهره .  
- هذا العنصر الجديد - ليس النص على هذا القدر من الضبط . - الجسم بالقوة -  
يعنى بعبارة أخرى انه يمكن ان يصير الجسم بتمثله فيه . - اذا كان اللحم هو الذي  
ينمو - كالاغذية التي نأخذها فتتحول الى دم ولحم لتقويم حياتنا والماء جسمنا . -  
بالفعل وبالكمال - ليس في النص الا كلمة واحدة . - ان يقصد - أو « يلقى » .  
كذلك الحيز الذي نطمه هو بالقوة دم ولحم . ولكنه في حقيقته الخاصة لم يكن يحسد  
أحدهما ولا الآخر - يحصل كون - أو « تولد » - في ذلك الشيء - هذه هي عبارة  
الاصل بنصها ويظهر ان فيها مبالغة لانه لا يمكن ان يقال ان اللحم هو في الحيز ولو  
ان الحيز بعملية الهضم يتغير جوهريا ويصير دما . ومع ذلك زدت كلمة « بالضبط » .  
- بهذا العنصر الجديد - عبارة النص ليست على هذا القدر من الصراحة . - اعلى  
اختلاطا - اضطرت هنا الى ان ازيد النص بيانا . - يمكن ان يبقى نبذا - ذلك  
ممكن في الواقع اذا كانت كمية الماء المصسوب قليلة بحيث لا تغير طبيعة المزيج تفسيراً  
محسوسا . - أم - كلمة النص « و » . - كما ان النار تحرق - المقارنة غاية في  
الصحة على أكثر مما كان يعتقده أرسطو . ان الفسيولوجيا في أيامنا هذه قد وجدت في  
تمثيل الاغذية نوعا من الاحتراق فان القوى الحيوية هي نوع من النار يحيل الاغذية التي  
تدخل في أجسامنا . - بالفعل وبالكمال - ليس في النص الا كلمة واحدة . - الجوهر  
الباطن الذي له قوة الانماء - عبارة النص مبهم جدا وقد اضطرت الى زيادة ضبطها  
في الترجمة - بالفعل وبالكمال - هنا ايضا ليس في النص الا كلمة واحدة .

الذى يحدث النمو . واضح ان هذا العنصر الجديد يجب أن يكون الجسم بالقوة . مثلا اذا كان اللحم هو الذى ينمى يجب ان يكون لحما بالقوة مع انه بالفعل وبالكمال شئ آخر . وهذا الشئ الآخر وجب أن يفسر ليصير لحما . على ذلك حينئذ ليس هو فى ذاته ما يصير اليه . لانه اذا ينحصل كون لا مجرد نمو . ولكن الشئ الذى ينمو هو بالضبط فى ذلك الشئ فماذا لقي الجسم بهذا العنصر الجديد حتى انه نما هكذا ؟ اعانى اختلاطا كما يصب الماء فى النبيذ بحيث ان المزيج كله يمكن ان يبقى نبيذا ؟ ام كما ان النار تحرق حتى تلامس شيئا قابلا للاحتراق ، كذلك الامر فى الجسم الذى ينمو والذى هو لحم بالفعل وبالكمال ، الجوهر الباطن الذى له قوة الانماء هل يفعل لحما حقيقيا بالفعل وبالكمال من اللحم بالقوة الذى اقتررب منه ؟ يلزم اذا ان يكون هذا العنصر الجديد مع الآخر ومقترنا به فى الوجود لانه لو كان منفزلا لحصل كون حقيقى . وعلى هذا النحو يمكن ايجاد نار من النار الموجودة من قبل بالقاء الخشب فوقها . وهذا بهذه الطريقة ليس الا نموا فى حين انه متى كان الخشب نفسه يحترق فهناك كون حقيقى .

g. ١٧ - لكن الكم مأخوذا على معناه الكلى لا يكون هاهنا الا كما قد يمكن أن يكون الحيوان الذى لا هو انسان ولا أى حيوان خاص . وبالفعل الحال هاهنا بالنسبة الى الكم كالحال هنالك بالنسبة الى الكلى . فحينئذ اللحم والعظم أو اليد أو الاعصاب والاجزاء المتشابهة من هذه الاعضاء

= هذا العنصر الجديد - ليس النص على هذا قدر من الضبط . - مع الآخر ومقترنا به - قد زدت على الاصل بل فصلت الجملة لان النص هنا غابة فى الابهاز . ولكنى لا ارى المعنى جليا تماما . فان « الملح والافران » قد يفهم بحسب المكان بل وحسب الطهر وعلى هذا المعنى الاخير يكون مجرد تمتل - كون حقيقى - أضفت هذه الكلمة الاخيرة . - من النار الموجودة من قبل . - ليس النص على هذا القدر من التوسع . - متى كان الخشب نفسه يحترق - ليس التعبير واضحا قدر الكفاية لان الخشب لا يحترق بنفسه بل يلزم دائما تقربه من النار . - فهنا هما كون حقيقى - زدت أيضا هذه الكلمة الاخيرة . فان هذا الكون انما هو كون ظاهرة جديدة .

g. ١٦ - مأخوذا على معناه الكلى - عبارة النص أقل تعيينا . ومن الصعب جدا تحصيل ذلك القرب الدقيق ويمكن ترجمته أيضا هكذا : ولكن ليس الكلى هو الذى يصير هنا كلمة «الحيوان» - على طريق العموم لا الخصوص . فان الحيوان بوصف انه مفهوم كلى لا يوجد ولكن الذى يوجد هو هذا الحيوان الفلانى الخاص او ذاك الذى فيه يتحقق المعنى الكلى للحيوان . - الى الكم - بالمعنى الكلى . - الى الكلى - بمعنى «المال» . فان الكم مفهوم على المعنى لكلى لا يوجد الا كما يوجد الحيوان بالمعنى المجرد . - الاجزاء المتشابهة - أى الاجزاء المعنوية التى لا تفتقر بعضها عن بعض والنسبة هى جميعا متشابهة . - كلمة ما من مائة - كل هذه التمايزات يمكن ان تظهر دقيقة بل غاية فى الدقة ولكنها صحيحة والظواهر نفسها من الدقة بحيث يلزم الا بدعش من صعوبة وصفها وتقريرها - كمية مقدرة - أضفت هذه

تنمو لأن كمية ما من مادة تأتي فتتضمم إليها بلا شك ولكن بدون أن تكون هذه المادة كمية مقدرة من لحم ، فمن جهة أنه العنصر الجديد هو الواحد والاخر بالقوة ومثلا كمية معينة من لحم بهذا المعنى فهذا العنصر على هذا الوجه ينمى الجسم لانه يلزم أن يصير من اللحم ، ومن اللحم بكمية معينة . ولكن فقط من جهة أن العنصر المضاف هو من اللحم انه يمكنه تغذية الجسم . وبذلك كان الغذاء والنمو يختلفان أحدهما عن الآخر عقلا . من أجل ذلك أيضا الجسم هو مغذى كل الزمن الذي يعيشه ويمكنه بل الزمن الذي يفناه ولكنه لا ينمو بلا انقطاع . في الحق أنا التغذية هي مماثلة للنمو وتشتبه به ولكن كونهما مختلف . على ذلك حيثنظرا بما أن العنصر الذي يأتي فينضم هو بالقوة فكمية ما من اللحم يمكنها أن تنمى اللحم . ولكن فقط من جهة أنه لحم بالقوة يمكنه أن يكون غذاء .

§ ١٨ - وهذه الصورة أو هذا النوع بلا مادة هو في المادة كقوة لا مادية . ولكن اذا تجيء فتتضمم الى الجسم مادة ما هي لا مادية بالقوة

= الكلمة الاخيرة لبيان الفكرة . وبتطبيق هذا على الاغذية التي نتغذى بها نجد في الحق أن الحيز هو كمية تأتي فتضاف الى لحمنا . ولكن في الحق أيضا انه لم يكن بعد من اللحم تماما العنصر الجديد - ليس النص على هذا القدر من الضبط . الواحد والاخر بالقوة - يعنى أخذا بشرح فيلوبون ، من اللحم بالقوة بطريقة عامة وأيضا كمية ما من اللحم بالقوة أيضا او بمباراة اخرى يلزم ان العنصر الجديد يمكن ان يصير مما لحساوكمية ما من اللحم بانضمامها الى الجسم يمكنها ان تعطيه النمو الذي يأخذه . العنصر المضاف - ليس النص على هذا القدر من الصراحة . يمكنه تغذية الجسم - عبارة النص هي «انه يندى» . عقلا وربما «بحديهما» . - الذي يفناه - ويمكن ترجمته أيضا هكذا : «بل الى أن يفسد» . - في الحق - أضفت هاتين الكلمتين . ولكن كونهما مختلف - تمييز معروف وغالب الاستعمال في منسب ارسطو . - على ذلك حيثنظ - تلخيص للنظرية السابقة التي يظهر انها دقيقة جدا وصحيحة جدا معا .

§ ١٨ - هذه الفقرة كلها غامضة جد الفحوض . ومن المحتمل أن النص فيها محرف فيما يظهر . على انه وارد في النسخة التي شرحها فيلوبون فيما يظهر على ما هي عندنا اليوم وانه لم يجد فيها صعوبة ما غير أن شرحه لم يأتنا ببيان خاص يجلو غوامضها . - بلا مادة . . . في المادة . . . لا مادية - كل هذه التكاير موجودة في الاصل . - الكم . . . هذه النقط التي وضعتها هنا تقليدا لبعض الناشرين من شأنها ان تدل على احتمال وجود بياض في الاصل ولكن الواقع : انه ليس لدينا الا مجرد ظن لم يقم عليه دليل ما . - فهذه الاجسام اللامادية - في النص انسم اشارة لجمع مذكر يظهر أنه لا يتعلق بشئ مذكور ويشير في النفس الظن بوجود النص الذي أشرت اليه . وقد افترض مفسرو جامعة كويمبر وجود رواية أخرى تنحصر في علامة على حرف متحرك . ولكن هذه الرواية الاخرى لا تكاد تجلو غموض النص . فلي رأيه ان القصص هنا هو التمثيل بالزمان حيث يمكن تمييز الصورة زيادة على المادة كما في كل آلة اخرى . وهذا الفرص لا يترك حجاب الظلام عن هذه الجملة ويجب تركها كما هي مع الاعتراف بانها لا يمكن تصحيحها . -

مع أن لها أيضا بالقوة الكم ٠٠٠ ، فهذه الاجسام اللامادية تستكون اذا أعظم ٠ ولكن اذا كانت هذه المادة المضافة تصل الى حد ألا تستطيع أن تكون شيئا واذا كان الماء كذلك بامتزاجه أكثر فأكثر بالنبيد يصل الى أن يصيره أكثر مائيا والى أن يحيله أخيرا تماما الى ماء، فحينئذ يمكنه أن يجر الى فساد الكمية ولكن الصورة والنوع يبقيان كما كانا ٠

---

= هذه المادة المضافة - عبارة النص غاية في عدم التعيين وقد ظننت أن من الواجب أن تكون أكثر تحميينا وضبطا في الترجمة ٠ - تكون شيئا - هاهنا حافظت على عبارة النص في كل عمومها لاني خفت أن أحرقها اذا حاولت أن أجعلها أقل عموما ٠ فان لا تكون شيئا تفيد من غير شك ان المادة المضافة لن يسكنها ان تتمثل في جوهر الجسم الذي تضاف اليه - فساد الكمية - يظهر أن الاولى ان يقال «فساد الكيفية» ولكن ليس هنا رواية اخرى ٠ الصورة والنوع - ليس في النص الا كلمة واحدة ٠ - يبقيان كما كانا - يظهر على ضوء ذلك تبعا لنفس المثل الذي اوردته المصنف ان الصورة والنوع يفتيان ما دام النبيذ ينقلب نهائيا الى ماء باضافة السوائل التي صبب فيه ٠

## الباب السادس

الفعل التكافى للعناصر بعضها في بعض - في اختلاطها - رأى ديوجين الابلوني -  
لأجل ادراك أن العناصر تفعل أو تنفعل بعضها ببعض يلزم توضيح ما يعنى بتماسها -  
الأماني المختلفة لهذه الكلمة - الفرق بين الحركة والفعل - المحرك غير المتحرك لا حاجة به  
خبروة إلى مس الشيء الذى يحركه - الشيء المحرك يمكن ألا يمس شيئاً هو ايضاً في  
نوبته - آخر نظرية التماس .

§ ١ - لما انه يلزم عند دراسة المادة وبالنتيجة العناصر أن يقال بادیء  
بدء ما إذا هى تكون أو لا تكون وإذا كان كل واحد منها أزلياً أو إذا كانت  
مخلوقة بأى وجه ما . ومع أنها مخلوقة إذا كان يمكنها كلها أن تتكون  
بطريقة واحدة أو إذا كان أحدها هو أسبق من الآخر فينتج من ذلك أن من  
الضرورى أن تعين جيداً بادیء الامر الاشياء التى لم يتكلم عنها حتى هذه  
الساعة الا بطريقة جد مبهمه وغير كافية جداً .

§ ٢ - وفى الحق كل أولئك الذين يقبلون الخلق للعناصر أنفسهم  
كما يقبلونه بالنسبة للمركبات التى تنتج عنها يقتصرون فى ايضاح كل  
شيء على الاجتماع والافتراق وعلى الانفعالية وعلى الفعل . ولكن الاجتماع  
ليس الا اختلاطاً ولم يحد لنا جلياً ما يجب علينا أن نعنى باختلاط  
الاجسام . ومن جهة أخرى ليس من الممكن كذلك أن تحصل استحالة  
ولا افتراق أو اجتماع بدون موضوع يفعل وينفعل . لان أولئك الذين  
يقبلون تعدد العناصر يجعلونها تولد من الفعل والانفعال المتكافئين بين  
العناصر بعضها والبعض الآخر .

§ ١ - لما انه يلزم - قد حافظت على اسلوب الجملة فى النص الاغريقى كما هى مع  
أنها طويلة فى الترجمة فيما يظهر . - إذا كانت مخلوقة - أو تكون . - التى لم يتكلم  
عنها - يحتمل ان يكون المقصود بهذه العبارة فلاسفة من اسلافه وان ارسطو لم يقصد الكلام  
عن نظرياته الخاصة . - جد مبهمه وغير كافية جداً - ليس فى النص الا كلمة واحدة .

§ ٢ - يقبلون الخلق - عبارة النص هى « الذين يخلقون » الذين يولدون ، الذين  
يكونون .

يقتصرون فى ايضاح كل شيء - ليس النص صريحاً بهذا القدر . - على الانفعالية - لكيلا  
أقول « الانفعال » - ليس الا اختلاطاً - ربما لا يكون المعنى محكماً . - لم يحد لنا جلياً - عبارة  
النص اشد ابهاماً قليلاً . - بدون موضوع يفعل وينفعل - هذا الموضوع هو ذلك الذى من  
غير أن ينقطع كونه يمكنه على التماثل أن يقبل الاضداد كما سيجرى بيانه فى الفقرة الثالثة .

§ ٣ - ومع ذلك يلزم دائما الوصول الى القول بأن كل فعل يأتي من مبدأ واحد أحد . فانظر كيف أن ديوجين كان عنده الحق اذ يقرر انه اذا كانت كل العناصر لم تكن تأتي من واحد فلا يمكنها أن يكون بينها لافعل ولا قابلية للفعل على طريق التكافؤ وان الحار مثلا قد لا يمكن أن يبرد ولا البارد أن يسخن من جديد . وكان يقول ليست الحرارة ولا البرودة هي التي تتغير احدها في الاخرى بل من البين بذاته أن الموضوع هو الذي يعاني التغير . وبالنتيجة كان يستنتج ديوجين أن في الاجسام التي فيها يمكن وجود فعل وانفعال يلزم بالضرورة أن يكون لها طبيعة واحدة هي موضوع لهاتين الظاهرتين . ولا شك في أن تقرير أن جميع الاشياء هي في هذه الحالة قد لا يكون تقريراً صحيحاً فان هذا لا يلاحظ في الواقع الا في الاجسام التابعة بعضها لبعض .

§ ٤ - لكن اذا أريد استيضاح الفعل والانفعال والاختلاط بجلاء لزم بالضرورة أيضاً دراسة ماهو التماس بين الاشياء . ان الاشياء لا يمكنها حقيقة الفعل والانفعال احدها بالآخر حين لا يمكنها التماس على التبادل . واذا لم تكن قد تلامست سابقاً بأحد وجهيها فلا يمكنها أبداً أن تختلط احدها بالآخر . فيلزم اذاً أولاً حد هذه الظواهر الثلاث التماس والاختلاط والفعل .

§ ٥ - فلنصدر عن هذا المبدأ : وهو أنه بالنسبة لجميع الاشياء

§ ٣ - كل فعل - عبارة النص غير محددة ولكن اضطرت كما فعل المصنف الى أن اكرر الكلمة عينا التي استعملت آنفاً . - ديوجين - على تقدير الابولوني . - كل العناصر لم تكن تأتي من واحد - عبارة النص تستخدم بالبساطة فغير جمع فالتزمنا زيادة البيان في الترجمة . - لا فعل ولا قابلية للفعل - يعني فعل بعضها في بعض بالتكافؤ هذه . تحتل الفعل التي تفعله تلك . - وكان يقول - أضفت هذه الكلمات لان أسلوب النص يسمح باضافتها . - الموضوع - يعني الجسم بعينه الذي يكون بالتناوب بارداً أو حاراً والذي مع بقائه يمكن ان تتغير حاله وكيفية وجوده . - كان يستنتج ديوجين - أضفت هذه الكلمات للسبب السابق . - موضوع لهاتين الظاهرتين - ليس النص على هذا التوسع . - التابعة بعضها لبعض - بمعنى أنها يمكنها ان يفعل بعضها في بعض . وربما امكن ترجمة العبارة هكذا : « في الاشياء التي يوجد فيها تكافؤ بين بعضها والبعض الآخر » .

§ ٤ - بجلاء - أضفت الكلمة المفهومة بالسهولة من السياق والتي تهم الفكرة . - بين الاشياء . - أضفت هاتين الكلمتين . - هذه الظواهر الثلاث - قد يمكن ترجمتها هكذا : « هذه الكلمات الثلاث » فان عبارة النص غير محددة تماماً .

§ ٥ - بالمعنى الخاص - معنى هذا في شرح فلوپون أن المقصود هنا هو التماس المادى . - التماس وقد يقال ان تسمية تماس الذي وجهت اليه ولكن هذا التماس هو معنى محض =



التي فيها الاختلاط يلزم مطلقا انها يمكنها أن تتلاصق بينها • وإذا كان الواحد يفعل والآخر ينفعل بالمعنى الخاص فيلزم أيضا أن يكون ههنا التماس ممكنا • هذا هو سببنا في الكلام بادىء بدء على التماس •

§ ٦ - لكن كما أن أكثر الكلمات الأخرى هي مأخوذة على عدة معان تارة بطريق التواطؤ وتارة بالاشتقاق من كلمات أخرى سابقة عليها كذلك يقع هذا التنوع في الإطلاق اللفظي بالنسبة للفظ التماس • ومع ذلك فإن التماس بالمعنى الخاص لا يمكن أن ينطبق الا على الأشياء التي لها وضع ولا وضع الا للأشياء التي لها مكان لانه يلزم أن يعنى بالتماس وبالمكان كما يعنى الرياضيون سواء أكانا أى المكان والتماس منفصلين عن الأشياء أم كانا يوجدان بأى وجه ما • وحينئذ إذا كان كما بين سابقا أن تماس هو أن تجتمع النهايات فيمكن أن يقال ان هذه الأشياء تتلامس على التي ، وهي ذات أعظام وأوضاع معينة ، نهاياتها مجتمعة معا •

§ ٧ - ولكن لما كان الوضع خاصا بالأشياء التي لها أيضا أين وكان الفصل الاول للآين هو الفوق والتحت مع المقابلات الأخرى من هذا القبيل، ينتج منه أن جميع الأشياء التي تتلامس يجب أن يكون لها ثقل أو خفة

= وليس هذا هو المعنى الذى يقصده ارسطو من التماس اذ يطبقه على الأشياء • ما سيجى ١٠٠ - أن يكون هذا التماس ممكنا - عبارة النص بالبساطة هي : وبالنسبة لهذه الأشياء يلزم ان يكون الامر كذلك ، فأنرت زيادة البيان •

§ ٦ - تارة بطريق : لتواطؤ - ر • اول المقولات ب ١٠ ص ٥٣ من ترجمتى • - بالاشتقاق هذا هو ما يسمى بالمشتقة اسمائها ر • المقولات ب ١٠ ص ٥٤ - سابقة عليها - يعنى أبسط وأعم وقد يمكن حمل هذا المعنى على مجرد التقدم بالزمان • فان اصل الكلمة متقدم على المشتق الذى يخرج منه • - هذا التنوع في الإطلاق اللفظي - ليس الاصل صريحا هكذا كما يعنى الرياضيون - كان حق هذا ان يوضع وكان يلزم ان يقال بالضبط كيف يفهم : الرياضيون التماس والمكان • - المكان والتماس - اضيفت هاتين الكلمتين ليكون البيان أبسط أكانا منفصلين عن الأشياء - يرى فيلوبون أن هذا كان مذهب فيثاغورث الذى اتخذ افلاطون مذهبا له اذا صدقت ، لانتقادات التى وجهها ارسطو الى نظرية المثل • - أم كالا يوجدان بأى وجه ما - مثلا في الأشياء التى لا تكون منفصلة عنها جوهريا • - كما بين سابقا • - الطبيعة ك ١٤ ص ٣٠٠ و ٣٠٤ من ترجمتنا • - ان تجتمع النهايات - عبارة النص هي : «معاً وهذه الكلمة تطلق على الاجتماع في المكان كما تطلق عليه في الزمان • - نهاياتها مجتمعة معا - الشأن في هذه الجملة كما هو في التنبيه السابق •»

§ ٧ - الفصل الاول - يعنى الفصل الاظهر والذى يقرع الحواس بادىء الامر • ر • الطبيعة ك ١٤ ص ٣٠٠ من ترجمتنا • - مع المقابلات الأخرى من هذا القبيل - يعنى اليمين واليسار والامام والخلف الخ • - ينتج منه - هذه النتيجة ليست حتمية فيما يظهر ولكن في نظريات ارسطو لما أن الحركة الى الفوق تستدعى الخفة والحركة الى التحت تستدعى الثقل فالجسم لا يمكن ان يكون له مكان الا اذا كان ثقيل او خفيفا • - او هاتان الخاصتان =

أو هاتان الخاصتان معا أو على الأقل إحدى الاثنين . وهذه الأشياء من هذا النوع إنما هي القابلة للفعل وللانفعال فبين إذا بذاته أنه يجب استنتاج أن تلك الأشياء تتلامس بالطبع وإنما بما هي أعظام منفصلة ومتمايزة فنهاياتها واقعة طرفا لطرف ويمكنها أحدها أن يحرك والاخر أن يتحرك على التكافؤ أحدهما بالآخر . ولكن لما أن المحرك لا يحرك بالطريقة عينها التي بها الشيء المحرك يحرك في دوره وإن هذا الأخير لا يمكن أن يحرك إلا بما هو واقع في الحركة هو نفسه في حين أن الآخر يمكنه أن يحرك مع بقاءه هو نفسه غير متحرك فمن البين أنه يمكننا تطبيق هذه التمايزات عينها على الجسم الذي يفعل لأنه حتى في اللغة العامة يقال أيضا على السواء أن الذي يحرك يفعل وإن الذي يفعل يحرك .

§ ٨ - ومع ذلك يوجد هنا فصل ما : فينبغي التمييز : ذلك أن كل ما يحرك لا يمكنه دائما أن يفعل كما سنرى بالمقابلة بين ما يفعل وبين .

= معا - هذا غير مفهوم إلا على طريق المقارنة ، فإن جسما هو ثقيل بالنسبة لجسم معين وخفيف بالنسبة لآخر . - إحدى الاثنين - على هذا في نظريات أرسطو أن الأرض ليس لها إلا الثقل والناز ليس لها إلا الخفة . وأما الهواء والماء فلهما في آن واحد الخفة والثقل فبما للمقارنتهما بهذين المنصرين الآخرين اللذين هما طرفان - طرفا لطرف - عبارة النص هي «معا» كما سبق . - أحدها أن يحرك والاخر أن يتحرك - عبارة النص على هذا الإيجاز وليست أكثر وضوحا . - مع بقاءه هو نفسه غير متحرك - ر . كل نظرية المحرك الأول غير المتحرك في الطبيعة كـ ٧ب/٨ص ٥٠٧ وما بعدها من ترجمتنا . ر . أيضا ما بعد الطبيعة كـ ٧ب/٨ص ٢٠٣ ترجمة كوزان . - هذه التمايزات عينها على الجسم الذي يفعل - ليس النص . صريحا بهذا القدر . - وإن الذي يفعل يحرك - هذا الخلط بين الفعل وبين الحركة لا يفهم جد الفهم إلا إذا أدركت أنواع الحركة الثلاثة التي قررهما أرسطو وهي الثقل والاستحالة والنمو . وبين أنه يوجد فعل في الثلاثة جميعا . ومع ذلك فإن أرسطو في الفقرة التالية قد بين فرقا بين فعل وبين حرك .

§ ٨ - التمييز - أو أيضا « أن يكون الحد مع التمييز » هذا هو معنى التعبير الإغريقي في قوله . - بالمقابلة - المعنى هاهنا ليس واضحا جدا . وماكه أكثر تفصيلا وبيانا : الفعل والتحريك ليسا حدين متساويين ومتكافئين فيلزم تمييزهما . ولأجل أن يفهم جيدا الفصل الذي يفصلهما يلزم مقارنة حدين آخرين : الفعل والانعزال . - كما سنرى . . . فإن جسما لا يتفعل - عبارة النص غير محددة فلزم أن تكون الترجمة أكثر ضيقا . - تأثرا أو شهوة - ليس في النص إلا كلمة واحدة . - مجرد استحالة - يعني بدون أن يكون هناك ثقل ولا قبح في المظم بالزيادة أو بالنقص . - في حالة ما يصير حارا - النص أقل صراحة . فإن الجسم يكون في مجرد استحالة متى صار حارا بعد أن كان باردا أو أبيض بعد أن كان أسود . - له من السعة أكثر - فإن الحركة يمكن أن تكون بالثقل أو الاستحالة أو النمو وأما الفعل فلا ينطبق إلا على الاستحالة وحدها . - وحينئذ من البين - هذه النتيجة ليست من البيان على ما يظن المؤلف فيما يظهر ولا تنتج بوضوح مما تقدم .

ما ينفعل فان جسماً لا ينفعل الا في الاحوال التي فيها تكون الحركة  
تأثراً أو شهوة • ولا توجد شهوة الا في حالة ما يكون بالجسم مجرد  
استحالة ، مثلاً في حالة ما يصير حاراً أو يصير أبيض • ولكن معنى  
التحرك له من السعة أكثر مما لمعنى الفعل • وحينئذ من البين أن  
المحركت أحياناً يجب أن تلامس الاشياء التي تحركها وأحياناً لا تلامسها •

§ ٩ - حد التماس مأخوذاً على أعم معناه ينطبق على الاجسام التي  
لها وضع بما أن أحد الجسمين في التماس يمكن أن يحرك وبما أن الآخر  
يمكن أن يتحرك وبما أن المحرك والمتحرك ليس بينهما نسبة إلا نسبية  
الفعل والانفعال •

§ ١٠ - في الاحوال الأكثر عادية الشيء الذي لمس يلمس الشيء  
الذي لمسه لان كل الاشياء تقريباً التي يمكننا مشاهدتها هي واقعة في  
الحركة قبل أن تحرك أيضاً في دورها • وفي كل الاحوال يظهر أن هناك  
ضرورة الى أن الشيء الذي لمس يلمس الشيء الذي يلمسه • ولكننا نقول  
انه قد يجوز أحياناً أيضاً أن المحرك وحده يلمس الشيء الذي يعطيه

§ ٩ - مأخوذاً على اعم معناه - وفي الوقت عينه على معناه الخاص - ينطبق على  
الاجسام التي لها وضع - وما سبق فـ ٦ - احد الجسمين في التماس - النص ليس  
صريحاً هكذا • - الانسبة الفعل والانفعال - عبارة ، نص هي : في الاشياء التي بينها فعل  
والفعل •

§ ١٠ في الاحوال الأكثر عادية - يظهر ان كل هذه الفقرة : استطراد لا يتصل لزوماً  
بما تقدم • - التي يمكننا مشاهدتها - أو « التي أمامنا » • قبل أن تحرك أيضاً في دورها -  
ليس ؛ النص صريحاً هكذا ولكن المعنى لا ريب فيه • - لا يلمس الآخر هذا ممكن معنوها  
كما يشبهه ثلث الوارد في آخر الفقرة ولكن من الجهة المادية يتلامس الشيئان بالتبادل •  
ومن المحال ان شيئاً يلمس آخر من غير ان يلمسه هذا الآخر • وان الفعل قد يأتي من  
جهة واحدة دون ان يقابل بمثلها ولكن التماس كما يدل عليه لفظه هو دائماً متكافئ • وان  
مثل : المحرك غير المتحرك ليس قاطعاً لان اتصال الحركة يمكن ان يقع على مسافة ومن غير  
تماس حقيقي الاجسام المتجانسة - هذا التعبير مبهم قليلاً • وقد فسر فيلوبون بأن فهم  
أن المقصود هو الاجسام المركبة من مادة واحدة بعينها لانها بذلك تستطيع أن تزد الفعل  
الذي تقبله ر • ما سيأتي في الباب السابع فـ ٥ • - فيما يظهر - ربما كان الواجب ان  
يكون التعبير أكثر تأكيداً • - فيلزم ان يمس - ان نظرية : المحرك غير المتحرك قد بسطت  
باسمها في الطبيعة كـ ٨ وفي ما بعد الطبيعة كـ ١٢ بـ ٨ • لان المحرك غير المتحرك يعنى : الله  
ينقل الحركة التي يخلقها بطريقة مغايرة لما تنتقل به الحركة للاشياء التي تتركها مشاهدتها  
في هذه الدنيا وليس من المحتمل بهذا المعنى أن الله يمس الكائنات كما تلامس الكائنات بعضها  
بعضاً • - يمسنا - هذا التعبير الذي اضطرت الى أن أستعمله لا يظهر أنه مناسب تماماً  
في لغتنا وإن كان أكثر مناسبة في اللغة الاغريقية • ولكن ليس الا على طريق المجاز فان  
هذا المسن المعنوى لا دخل له في التماس المادى الذي هو موضوع البحث في هذا الباب كله -

الحركة ، وان الشيء الملموس لا يلمس الاخر الذى يلمسه . ولما أن  
الاجسام المتجانسة لا تحرك الا متى حركت هى نفسها فيلزم فيما يظهر  
أن جسما ملموسا يلمس هو أيضا . وبالنتيجة اذا كان محرك ما ، مع  
كونه هو نفسه غير متحرك ، يؤتى الحركة ، فيلزم أن يمس الشيء الذى  
يحركه دون أن يمس هو نفسه شيء . وعلى ذلك فى الواقع نقول أحيانا  
على الشخص الذى يؤذينا انه يستنا من غير أن نمسه نحن أنفسنا .

§ ١١ - ذلك ما كنا نبغى أن نقول على التماس معتبرا فى الاشياء  
الطبيعية .

---

§ ١١ - ذلك ما كنا نبغى ان نقوله - يمكن تقريب هذه النظرية كلها بالفكرات التى  
ذكرت ولكن باختصار فى الطبيعة كـ هـ فـ ١٣ وكـ ٦٦ بـ ٢ فان المذهب فى الموضعين واحد .  
- فى الاشياء الطبيعية - لافى الاشياء المجردة والرياضية .

## الباب السابع

نظرية الفعل والانفعال - آراء الفلاسفة - ديمقريطس هو الذى اجاد فهم هذا الموضوع سبب خطأ الفلاسفة - التشبيه لا يمكن أن يقبل أى فعل من التشبيه - العلاقة الضرورية بين الفاعل والمنفعل - التشبيه والفرق بينهما - توفيق رأيين متعارضين فى تمييز لفظي التشابه بين الحركة وبين ظاهرتي الفعل والانفعال - المحرك الاول يمكن ان يكون غير متحرك - الفاعل الاول يمكن ان يكون كذلك لا منفعلا - ختام نظرية الفعل والانفعال .

§ ١ - تعقيباً لما تقدم نوضح ماذا ينبغي أن يعنى بفعل وانفعال . ولقد تلقينا من الفلاسفة السابقين لنا نظريات متخالفات بينها فى هذا الموضوع . ومع ذلك فانهم متفقون باجماع على أن التشبيه لا يمكن أن يقبل شيئاً من التشبيه لأن الواحد منهما ليس أشد فاعلية ولا انفعالية من الآخر . وإن الاشباه لها كميّاتها متماثلة مطلقاً . ثم يزداد أن الاجسام غير المتشابهة والاجسام المختلفة انما هى التى لها فعل وانفعال على طريق التكافؤ بعضها فى بعض . مثال ذلك حينما تطفأ نار بنار أكبر منها يزعم فلاسفتنا أن النار التى هى أقل انفعلت فى الواقع بمقتضى مقابلة الاضداد بما أن كثيراً هو ضد قليل .

§ ٢ - ديمقريطس هو الوحيد ، خلافاً لجميع الآخرين ، الذى قدم

§ ١ - بفعل وانفعال - لم يمكن ان اجزم فى لغتنا عبارات تجعل كلمات النص أكثر وضوحاً . وقد يمكن ان يترجم ايضاً هكذا : «ان يكون فاعلاً وقابلاً» . يفعل وينفعل هما القولتان الاخيرتان للمقولات العشر . - المقولات ١٢ و ١٣ من ترجمتنا . - تلقينا من الفلاسفة السابقين لنا - يلاحظ فيلوبون ان ارسطو يبقى على عهد طريقته العادية من بسط النظريات السابقة قبل بسط نظريته الخاصة . - ان التشبيه لا يمكن ان يقبل شيئاً من التشبيه - ذلك هو أحد المبادئ التى قد يوجد منها عدد عظيم فى الفلسفة القديمة لا تستند الى مشاهدات واقية وليست الا نتائج سابقة لاوانها ومنطقية محضة . - غير المتشابهة والاجسام المختلفة - هذا التكرير هو فى النص . - فعل وانفعال . ام انما هى الفاعلة والقابلة . - بنار اكبر - يظهر انه ليس هنا اختلاف حقيقي . فان النار الاقل هى تماماً مشابهة للنار الاقوى من جهة كونها نيراناً ولقط احداهما التهمت الاخرى . ولكنه لا ينبغي التشدد فى طلب الضبط الى علم ذلك الزمان . - بما ان كثيراً هو ضد قليل - هذا حق ولكنه لا ينتج منه ان نارا صغيرة تكون ضد نار كبيرة . ومع ذلك هذا ما كان يجب ان يكون ليصير المثل صحيحاً وحقيقاً بالانطباق .

§ ٢ - ديمقريطس هو الوحيد - يظهر ان ارسطو لى جميع مؤلفاته يفصل كثيراً بديمقريطس ونظرياته وهنا يعطيه الحق على الاقل بالجزء ضد جميع الفلاسفة السابقين . - رأياً خاصاً - كلمة النص ليس لها معنى محدود بهذا المقدار . وربما افادت ان ديمقريطس قرر رأياً صواباً من بعض الوجوه ومعارضاً للنظريات السابقة . - من المشابهة والمتماثلة - ليس فى النص الا كلمة واحدة .

في هذا رأيا خاصا • فهو يقرر ان هذا الذي يفعل وهذا الذي يقبل هو في الحقيقة مماثل ومماثلة لانه لا يوافق على أن أشياء مختلفة ومتغايرة تماما يمكنها أن تقبل أيا ما بعضها من بعض • وإذا كان بعض الأشياء ، مع كونها متغايرة بينها ، لها بعضها على بعض فعل ما متكافئ فهذه الظاهرة ، على رأيه ، تقع فيها لا بما هي متخالفة بل بما هي على الضد من ذلك لها نقطة ما من المشابهة والمماثلة •

§ ٣ - تلك هي اذا الآراء التي قررت قبلنا • ولكن الفلاسفة الذين قرروها قد يظهر أنهم تناقضوا فيما بينهم ، والسبب في اختلافهم في هذا الصدد هو انه في مسألة يلزم فيها اعتبار مجموع الموضوع لم يعتبروا فيه هؤلاء وهؤلاء الا جزءا واحدا •

§ ٤ - وفي الحق أن ما هو شبيه تماما ولا يغير مطلقا بأي وجه ما لا يمكنه مطلقا أن يحتل شيئا ولا أن يقبل شيئا من قبل شبيهه • لماذا ، في الحق ، ان أحد الشئيين يفعل دون الآخر ا فاذا كان ممكنا أن الشيء يقبل بأي طريقة من شبيهه اذا يمكنه أن يقبل أيضا من ذاته • وحينئذ مع التسليم بهذا فينتج منه أن لا شيء في الدنيا يكون غير قابل

§ ٣ - تلك هي اذا الآراء - قد يرى أن بسط الآراء السابقة موجز بعض الشيء ، ولكن يجب علينا في هذا الصدد ان نثق بصدق ارسطو الذي ما سعى البتة في الحط من اقدار اسلافه على رغم التهمة التي اتهم بها باكون • - مجموع الموضوع - ليس النص على هذا القدر من الضبط • ومع ذلك فان الفكرة التي يعبر عنها ارسطو هي عريضة في الصحة • وذلك يرجع الى القول بان هذه المذاهب على العموم اولى بها ان تكون غير تامة من ان تكون باطلة •

§ ٤ - أن يحتل شيئا ولا أن يقبل شيئا - ليس في النص الا كلمة واحدة • ولكن لما أنه يوجد فيه أداة نفي أردت أن أوفيه القوة بالفعلين ولو أن المعنى واحد تقريبا - من قبل شبيهه - يعني مما هو على جهة الاطلاق والتماثل مشابه له • - أحد الشئيين - زدت هاتين الكلمتين • - يفعل ماو يفعل • - يمكنه ان يقبل ايضا من ذاته - يعني يحتل فعلا يحدثه هو نفسه في نفسه ، وهذه النظرية دقيقة فيما يظهر • - مع التسليم بهذا أو بعبارة أخرى اذا افترض ان التشبيه يفعل في الشبيه وان شيئا يفعل مباشرة في نفسه • - غير قابل للفناء ولا غير متحرك - قد قرر ارسطو دائما انه يوجد في الدليله اشياء غير قابلة للفناء وانه بالاقول المحرك الاول هو غير متحرك • - يمكنه ان يعطى الحركة لنفسه - ليس : لنص على هذا الضبط ويمكن ترجمته ايضا هكذا : «لنفسه وان ما هو مغاير له تماما وليس له معه ادنى تماثل يمكنه ان يعطيه لنفسه على السواء » • وقد ظهر لي ان المعنى الآخر افضل من جهة النحو • - وفي الواقع - لا يظهر ان ارتباط الخاطئ هنا واضح • - البياض الامثلة لا يظهر انها قد احسن اختيارها • - من قبل غلط - او بالادنى سطح كما يسمونه فيلويون • - بالعرض والواسطة - ليس في النص الا كلمة واحدة • - الحط او السطح عفوا من تلقاء انفسنا - ربما صحت ترجمتها أيضا «بالتبادل» •

للفناء ولا غير متحرك اذا فرض أن الشبيه بما هو شبيه يمكنه أن يفعل ما دام حينئذ كل موجود أيا كان يمكنه أن يعطى الحركة لنفسه ويعطيها أيضا على السواء للموجود المفاير تماما والذي ليس له به تماثل ما . وفى الواقع أن البياض لا يمكنه أن يقبل أى فعل من قبل خط ولا أن خطأ يفعل بشئ من قبل البياض الا ما ربما يكون بالعرض والواسطة : مثلا فى حالة ما اذا كان الخط بالمصادفة أبيض أو أسود . لان الاشياء لا يمكنها أن تغير طبيعتها عفوا من تلقاء أنفسها متى لم تكن أضدادا بعضها لبعض أو غير آتية من أضداد .

§ ٥ - ولكن لما أن فعل وانفعل ليسا بالطبع خاصية أى جسم اتفق. وأخذ بالمصادفة وانهما لا يكونان الا فى الاشياء الاضداد بعضها لبعض أو التى بينها تضاد ما فينتج من ذلك ضرورة أن الفاعل والقابل يجب أن يكونا شبيهين ومتحدين بجنسهما بالاقبل وأن يكونا غير متشابهين ومتضادين بنوعهما على هذا تريد الطبيعة ان الجسم يقبل فعل الجسم والطعم يقبل فعل الطعم واللون فعل اللون ، وعلى جملة من القول أن شيئا مجانسا يمكن أن يقبل فعلا من قبل الشئ المجانس . والسبب فيه أن جميع الاضداد هى فى جنس واحد ، وان الاضداد تفعل بعضها فى بعض وتقبل بعضها من قبل البعض الآخر . اذا يلزم ضرورة أن ، من وجه ، الفاعل والقابل يكونان متشابهين وفى الحين عينه يلزم أيضا أن يكونا غير متشابهين ومتفايرين بينهما .

§ ٦ - ما دام اذا يلزم أن يكون الفاعل والقابل هما متحدين

§ ٥ - أى جسم اتفق وأخذ بالمصادفة - ليس فى النص الا كلمة واحدة - تضاد ما ليس النص على هذه الصراحة - بجنسهما . بنوعهما - هذا التمييز سيصلح فيما بعد للتوفيق بين الآراء المتعارضة للفلاسفة السابقين - يقبل فعل - أو عبارة اخرى مماثلة لعبارة النص : « يقبل من الجسم » وهذا التعبير مع ذلك مبهم وكان الاولى ايضا حله - مجانسا - او من الجنس بعينه . ما سبق ب١٠٠ - اذا يلزم ضرورة - تكرير لما سبق آنفا بالحرف تقريبا .

§ ٦ - ما دام اذا ١٠٠ الفاعل والقابل - تكرير آخر مساعد مع ذلك على إيضاح الفكرة أكثر منه على اطالها . - نسب الاضداد - ر . المقولات ب ١١ ف ٦ ص ١٢٢ من ترجمتنا . - مطلقا - أو على العموم - ان النار تسخن - ربما كان التعبير عاما جدا وربما كان يلزم ذكر مفعول كان يقال مثلا : « تسخن الجسم الذى تفعل فيه » . وان البرد يبرد هذا التكرير غير المفيد موجود كذلك بالنص - يعيىل الى ذاته - هاهنا ايضا العبارة قليلة الطبع ولو أن المعنى صحيح جدا - تحول الشئ الى ضده - النص غاية فى الإيجاز قاضطرت الى بسطه - الذى يتفعل يتغير بهذا الذى يفعله - قد يكون فى العبارة بعض التجاوز لان الشئ الذى يسخن لا يتقلب نارا - مفض الى الفسه - النص يستخدم تعبيراً يشعر بنوع من الحركة . وهذا الذى حاولت تحصيله فى ترجمتى .

ومتشابهين في الجنس ولا متشابهين في النوع وإن هذه هي نسب الاضداد  
 فينتج من هذا جليا أن الاضداد والاضداد تقبل على طريق التكافؤ  
 بعضها ازاء البعض الآخر . فإن فيها مطلقا يحصل فساد الاشياء وكونها .  
 لذلك فبسيط جدا أن النار تسخن وأن البرد يبرد وعلى جملة من القول  
 أن الشيء الذي يفعل يحيل الى ذاته الشيء الذي يقبل فعله . ما دام ان  
 هذا الذي يفعل وهذا الذي يقبل هما ضدان ، وإن الكون هو على التحقيق  
 تحول الشيء الى ضده . ينتج منه أن بالضرورة الذي ينفعل يتغير بهذا  
 الذي يفعل . وعلى هذا النحو فقط يحصل كون مفض الى الضد .

٧ - هذا هو الذي يوضح جيدا كيف أن فلاسفتنا من غير أن  
 يكرروا صراحة الاقوال أعينها يمكنهم مع ذلك على الوجهين أن يصلوا الى  
 استكشاف الطبع والحق . وعلى هذا نقول تارة انه الموضوع نفسه هو  
 الذي ينفعل متى قلنا ان فلانا يبرأ وانه يسدأ وانه يبرد وانه يعانى  
 انفعالات من هذا القبيل . وتارة أيضا نقول مثلا ان البرودة هي التي  
 يصير ساخنة أو ان المرض هو الذي يصير الصحة وعلى الوجهين العبارة  
 صادقة .

٨ § - والامر كذلك أيضا فيما يخص الفاعل فأننا نقول احيانا  
 انه هو فلان الذي يسخن الشيء الفلاني ومرة أيضا ان الحرارة هي التي  
 تسخن . لانه تارة هي المادة التي تقبل الفعل وتارة أيضا الضد هو  
 الذي يقبل . على ذلك فانه بنظر الاشياء من هذه الجهة زعم بعضهم أن

٧ § - فلاسفتنا - عبارة النص اقل ضبطا - الطبع والحق - ليس في النص الاكلمة واحدة  
 - انه الموضوع - يعنى الموجود الذي له الكيف المعنى لان يتغير وكيف مضاد - البرودة  
 يعنى الكيف ذاته . وقد لا يكون التمايز بينا في النص ولانه على هذا التمايز يعتمد في التليل  
 فكان الاكلم ان يكون التعبير اظهر من هذا . وقد اجاد فيليبون ايضاح هذه الفقرة كلها ولو  
 أنه اطل في الايضاح . هي التي تصير ساخنة - هي هذا التعبير شيء من الغرابة في  
 النص وفي ترجمتي أيضا - وعلى الوجهين العبارة صادقة - يعنى سواء قصد الى الموضوع  
 او قصد الى الكيفية نفسها التي تتغير .

٨ § - والامر كذلك - يعنى انه يمكن ان يجرى هذا التمايز بالتسمية للفاعل والقابل  
 اللذين هما محددان بالجنس ومختلفان بالنوع . فلان الذي يسخن الشيء الفلاني - ليس  
 النص على هذا القدر من البيان . ان الحرارة هي التي تسخن - من جهة أنه هو الموضوع  
 ومن جهة أخرى انها هي الكيفية أو كما سيجيء بعد في النص من جهة المادة ومن جهة  
 أخرى الضد . من هذه الجهة - يعنى بالنظر الى المادة التي هي مقولة بالاشتراك على  
 الفاعل والقابل معا . من جهة مخالفة - يعنى بالنظر الى الكيفيات المتضادة التي احداها  
 تتغير الى الأخرى . ان الامر على الضد من ذلك تماما - ما سبق بيانه في آخر الفقرة  
 الثالثة حيث يعيب أرسطو على كلتا النظريتين انها لم تعتبر الا جزءا من الموضوع الذي  
 كان يجب فحصه في مجموعه .



الموجود الذى يفعل والذى ينفعل يجب أن يكون بينهما شيء من التماثل -  
وان الآخرين ينظرهم الاشياء من جهة مخالفة زعموا أن الامر على الضد  
من ذلك تماما .

§ ٩ - ولكن التدليل الذى يمكن عمله لايضاح ما هو يفعل وينفعل  
هو نفسه الذى به يوضح ما هو يحرك ويتحرك . وعلى ذلك بفظ المحرك  
يحمل أيضا على معنيين . فأولا الشيء الذى فيه يوجد مبدأ الحركة يشبه  
أن يكون المحرك ما دام المبدأ هو أول العلل وثانياً إنما هو الحد الاخير  
بالإضافة الى الشيء الذى هو محرك والى كون الشيء .

§ ١٠ - وتنطبق الملاحظة نفسها على الفاعل ، وعلى هذا النحو نقول  
على السواء انه الطبيب هو الذى يبرىء أو هو النبيذ السذى أمر به  
للمريض . وحينئذ لا شيء يمنع من أن المحرك الاول فى الحركة التى  
يعطيها يبقى هو نفسه غير متحرك . بل أحيانا قد تكون هناك ضرورة الى  
أن يكونه ولكن الحد الاخير يجب دائماً لاجل أن يحرك أن يكون أولاً قد  
حرك هو نفسه .

§ ١١ - وفى الفعل أيضا الحد الاول ليس متأثراً ولا قابلاً ولكن

§ ٩ - التدليل الذى يمكن عمله - الجملة قلقة بعض الشيء فى الترجمة كما هى كذلك  
فى النص . ولكن المعنى بين . فان يفعل وينفعل يستوضح معناها كما يستوضح معنى  
يحرك ويتحرك . لفظ المحرك يحمل أيضا على معنيين - تبعاً لما اذا كان القصد المحرك الاول  
والمحرك الابتدائى - أو المحرك التابع الذى يمكن أن يكون الاخير والاقرىء بالنسبة للمتحرك  
أى الشيء المحرك . - الشيء - اخترت التعبير بهذا اللفظ إليهم مجازة للنص . - يشبه  
أن يكون المحرك - أو « يشبه أن يحرك » - المبدأ هو أول العلل - بتعريف كلمتى المبدأ  
والعلة يتبدى الكتاب الخامس من كتاب ما بعد الطبيعة . - الحد الاخير - يعنى المحرك  
الثانوى الذى هو الاقرب الى المتحرك . - الشيء - زدت هذا المضاف اليه ويمكن أن توضع  
بدله « الظاهرة » .

§ ١٠ - الملاحظة نفسها - النص اشد ابهاماً . وبعبارة أخرى « أن لفظ الفاعل يمكن  
أن يحمل على معنى مزدوج مثل لفظ المحرك » - الذى أمر به للمريض - زدت هذه  
الكلمات التى ظهرت فيها ضرورة لتمام الفكرة . فان الطبيب هو المحرك الاول والعلة الاولى للشفاء  
والنبيذ الذى أمر به للمريض هو المحرك الثانوى والعلة التبعية للصحة المستردة . - فى  
الحركة التى يعطيها - هنا رواية أخرى عديمة الاهمية استحبها بعض الناصرين ولكنها  
لا تصدق الرواية التى أثبتناها فى القية . - تكون هناك ضرورة - راجع نظرية المحرك  
الاول غير المتحرك فى كتاب الطبيعة ك ٨ ب ٦ و ٧ و ١٥ من ترجمتنا . الحد الاخير -  
« للمحرك الاخير » .

§ ١١ - وفى الفعل أيضا - كما فى الحركة . - الحد الاول - عبارة النص غير محدودة  
أصلاً . ويمكن ترجمتها أيضا « العلة الاولى » - ليس متأثراً ولا قابلاً - ليس فى النص  
الا كلمة واحدة . - ليتمكن أن يفعل - زدت هذه الكلمات . - بادية بدء - زدتها =

يلزم أن الحد الاخير ، ليتمكنه أن يفعل ، يفعل أيضا هو ذاته بفعل مابادىء بدمه . كل الاشياء التى ليست من مادة واحدة بعينها تفعل دون أن تقبل هى أعيانها وأن تظل غير قابلة . مثال ذلك صناعة الطب فانها مع فعلها الصحة لا تقبل أى فعل من قبل الجسم الذى تشفيه . ولكن الغذاء مع فعله الصحة يقبل ويلقى هو نفسه أيضا تأثرا ما لانه إما أن يسخن أو يبرد أو يعانى انفعالا آخر كيفما اتفق فى حين انه يفعل . ذلك لانه من جهة الطب هو ها هنا ، بنحو ما ، كالمبدأ فى حين أن الغذاء ، ينحو آخر ، هو الحد الاخير الذى يمس العضو الذى يفعل فيه . على ذلك حينئذ كل الاشياء الفاعلة التى ليس لها صورتها فى المادة تبقى غير قابلة ، وكل التى لها صورتها فى المادة يمكن أن تقبل فعلا ما ، ونقول أيضا ان المادة هى واحدة على السواء بعينها بالنسبة لى واحد ما من الحدين المتقابلين ونعتبرها انها بالنسبة لهما جنسهما المشترك . ولكن ما يمكنه أن يصير سائنا يجب ضرورة أن يسخن حينما الشيء الذى يسخن يكون حاضرا وقريبا منه . فانظر لماذا أن بين الاشياء التى تفعل بعضها ، كما قلت آنفا ، هو غير قابل والاخر على ضد ذلك يمكن أن يقبل وكيف ان الامر واحد بعينه بالنسبة للفواعل كما هو بالنسبة للحركة ، فان هناك فى الواقع المحرك الاولى هو غير متحرك وهنا بين الفواعل انما الفاعل الاول هو غير القابل وبمعزل عن كل انفعال .

§ ١٢ - ولكن اذا كان الفاعل علة كما هى حال المحرك سواء بسواء

= أيضا . - التى ليست من مادة واحدة بعينها - هى والاشياء التى تفعل فيها . - لا تقبل أى فعل - عبارة النص « لا تقبل شيئا » . - يقبل ويلقى - ليس فى النص الا كلمة واحدة . - تأثرا ما - عبارة : النص غير محدودة . - يسخن . . . يبرد - فى ظاهرة الهضم . التى بها الجهاز الهضمي يتمثل . - كالمبدأ - أو بوجه ما المحرك الاول والمبدئى . - هو الحد الاخير - هنا أيضا ليس النص على هذا القدر من الصراحة . - التى ليس لها صورتها فى المادة - يعنى التى هى والقابل التى تفعل ليه ليست من مادة واحدة . هذا الاسلوب كثير التكرار عند أرسطو ولكنه هنا غير محل للشك بحسب شرح فيلويون . فان القرينة تسوغ تفسير الشارح . - يمكن أن تقبل فعلا ما - فى حين أنها تحدث فعلا فى الشيء ، الواقع تحت تأثيرها . - من الحدين المتقابلين - أو بعبارة أخرى « بالنسبة للفاعل وبالنسبة للقابل » . - جنسهما المشترك - زدت الكلمة الاخيرة . ر . ما سبق فى الفقرة الخامسة . - الشيء الذى يسخن - عبارة النص غير محددة . - كما قلت آنفا - فى أول الفقرة السابقة . - المحرك الاولى - يعنى العلة ايا كانت : التى هى أول ما يعين الحركة . واطن أنه يلزم أن يخص اسم المحرك الاول ببدا الحركة الكلية ، فانه لا يراد هنا الا حركة جزئية تقوم بها محركات عديدة بعضها توابع بعض . هنا - زدت هذه الكلمة لتكون المتقابلة المظهر . - غير القابل وبمعزل عن كل انفعال - ليس فى النص الا كلمة واحدة .

§ - ١٢ الفاية التى من أجلها يحدث كل الباقي - أو : « اللهم » كما هى عبارة النص . - الصحة ليست لفاعلا - لانها الفاية التى يتشدها الطبيب والمريض ، فالطبيب هو المحرك

فمن اين يجيء ان مبدأ الحركة ، اى الغاية التى من اجلها يحدث كل  
الباقى ، لا يحدث هو نفسه فعلا ؟ مثال ذلك الصحة ليست فاعلا ولا يمكن  
تسميتها كذلك الا بالمجاز المحض . ومنذ يوجد الفاعل ينتج منه ان القابل  
الذى يقبل الفعل يصير شيئا ما ، ولكن متى تكون الكيفيات حاصلة تماما  
وحاضرة فليس للفاعل أن يصير فانه قد كان كل ما يجب أن يكونه . ان  
صور الاشياء وغاياتها يمكن أن يقال انها كيفيات وعادات فى حين أن المادة  
انما هى التى بما هى مادة قابلة تماما . على هذا حينئذ النار لها حرارتها  
فى المادة واذا كانت الحرارة شيئا ما قابلا للانفصال عن مادة النار فلا  
يمكنها أن تقبل شيئا ولا أن تتأثر . ولكنه محال من غير شك أن الحرارة  
تكون منفصلة عن النار التى تسخن واذا كان ثم أشياء منفصلة بهذه  
المثابة فان ما قلناه آنفا لا يكون صادقا الا بالنسبة لتلك .

§ ١٣ - وعلى الجملة نقف عند حد الاعتبارات المتقدمة فى ايضاح  
ماهية فعل وانفعل لتبين بأى الاشياء يتعلق أحدهما والاخر وبأى طريقة  
يكون الفعل والانفعال وكيف يكونان .

الاول . والادوية التى يأمر بها تفعل تحت مؤمره لبلوغ الغاية التى هى الشفاء والصحة .  
- القابل الذى يقبل الفعل - ليس النص على هذه الصراحة . - يصير شيئا ما - يعنى  
يكسب كيفا جديدا يعطيه اياه الفعل الواقع عليه . - حاصلة تطاما وحاضرة - ليس فى  
النص الا كلمة واحدة . - كل ما يجب أن يكونه - أضفت هذه الكلمات اتماما للمعنى .  
- صور - أو « انواع » . فان صور الاشياء هى طبيعتها الخاص والنهاى . - كيفيات وعادات  
- فى النص كلمة واحدة . لان الكيفيات والعادات لما أنها أشياء مكتسبة ودائمة فليست محلا  
للتغير . فان الشيء هو ما هو . فليس يصير شيئا آخر بأن يكسب كيفية جديدة مخالفة .  
- قابلة تماما - من حيث انها هى المادة التى تقبل على التعاقب الاضداد التى تتناوب عليها  
بالدور . - لها حرارتها فى المادة - التعبير مغلق قليلا على رغم الايضاحات التى تقدمت .  
- من مادة النار - أضفت هذه الكلمات تكميلا للمعنى . - أن تقبل شيئا ولا أن تتأثر  
- ليس فى النص الا كلمة واحدة . - عن النار التى تسخن - أضفت هذه الكلمات .  
- ما قلناه آنفا - أو بمباراة أخرى « هذه الاشياء تكون غير قابلة البقاء ولا يمكنها أن  
تخضع لفعل أى كان » . ر . هذه النظرية نظرية الجوهر والصورة فى الطبيعة ك ١ ب ٨  
ص ٤٧٣ وما بعدها من مرجعتنا .

§ ١٣ - وعلى الجملة - النص ليس صريحا حكما . ولكن هذه الفقرة هى فى الواقع  
محصل كل ما سبق . - وبأى طريقة . . . وكيف - هذا الجزء الخاص من المسألة سيحلل  
ايضا فى الباب الذى يلى بطريقة أخص وأوسع مما ها هنا .

## الباب الثامن

نقض النظرية التي تفرض أن الفعل والانفعال يحدثان في الجوهر المادية بالمسام - رأى الفلاسفة القدماء - استشهاده من أمبيدقل - لوكيس وديمقريطس هما أقرب إلى الحق - وحدة الوجود محال وكذلك ثباته - غرائب ضلالات الفلاسفة القدماء - عرض نظرية لوكيس - عرض نظرية أمبيدقل - مواطن الاتفاق والاختلاف بينهما وبين نظرية لوكيس - استشهاده من طيموس أفلاطون - مقارنة بين أفلاطون ولوكيس - اعتراضات على نظرية أفلاطون وعلى نظرية الوحدة ونظرية الذرات - استعانة قبول وجود الذرات رفهم من أين جاءت الحركة - الرؤية من خلال الأوساط تصبح غير قابلة للإيضاح - خاتمة نقض النظرية التي تفسر بواسطة المسام الفعل والانفعال في الأشياء .

§ ١ - لنعرض مرة أخرى كيف أن ظاهرتي الفعل والانفعال ممكنتان . من الفلاسفة من يرى أنه حينما يعاني شيء أثرا ما على جهة الانفعال ، فذلك أن الفاعل الذي يفعل الاثر نهائيا وبطريق الاصلية ينفذ في ذلك الشيء بواسطة مسام أو قنوات . يقولون أننا كذلك نرى وأننا نسمع وأننا ندرك جميع الإدراكات الأخرى للحواس . وفوق ذلك إذا أمكن أن ترى الأشياء من خلال الهواء والماء والأجسام الشفافة فذلك بأن هذه الأجسام لها مسام غير مدركة بالبصر لسبب صغرها ولكنها مع ذلك شديدة الانضمام مرصوفة بنظام وترتيب ، وكلما تكون الأجسام أكثر شفافية كان لها من هذه المسام عدد أكثر .

§ ٢ - وعلى هذا النحو استبان بعض الفلاسفة الأشياء كما فعل أمبيدقل مثلا . ولكن لم تقصر هذه النظرية على الفعل وعلى الانفعال بل زعم أن الاجتباب لا تختلط الا متى كانت مستأما متناسبة المقياس على

§ ١ ب ٨ ف ١ - مرة أخرى - ويمكن أيضا ترجمتها : « من جهة نظر أخرى » - ظاهرتي الفعل والانفعال - ليس النص واضحا هكذا وقد اردت أن أجعله أبين خصوصا في ابتداء باب ١٠ - من الفلاسفة من - يقصد الى أمبيدقل كما تبدل عليه الفقرة التالية . - يثاني شيء أثرا ما على جهة الانفعال - النص أكثر إيجازا . - نهائيا - راجع ما سبق ب ٧ ف ١٠ و ١١ . - وبطريق الاصلية - لأنه يفعل بتماس مباشر وبلا واسطة . - مسام أو قنوات - ليس في النص الا كلمة واحدة . - ندرك . . . - تكرار الكلمات هذا في النص . - هذه الاجسام - أو هذه العناصر لان عبارة النص غير مألوفة . - نظام وترتيب - ليس في النص الا كلمة واحدة .

§ ٢ - كما فعل أمبيدقل مثلا - وهو الذي يلزم أن ينسب اليه : « رأى المعروض في الفقرة السابقة دون أن يذكر صاحبه » - على الفعل وعلى الانفعال - عبارة النص بالضببط هي « الفاعلات والمنفعلات » أي الأشياء التي تفعل والتي تقبل الفعل . -

طريق التكافؤ . وقد اختط لوكيبس وديمقريطس بأحسن من غيرهما الطريق الحق ووضحا كلا بكلمة واحدة بأن صدرا عن نقطة الابتداء الحقيقية انتهى يعنيها الطبع . وفي الواقع ان بعض القدماء قد ظن ان الموجود هو بالضرورة واحد وغير متحرك فعلى رأيهم الخلو لا يوجد . وأنه لا يمكن أن توجد حركة في العالم مادام انه لا يوجد خلو منفصل عن الاشياء . وكانوا يزيدون على ذلك انه لا يمكن ايضا ان يوجد تعدد مادام أنه لا يوجد خلو يقسم الاشياء ويعزلها . على أن دعوى ان العالم ليس متصلا لكن الموجودات التي تؤلفه متحاسة مهما كانت منفصلة فذلك يرجع الى القول بأن الموجود متعدد وليس هو واحدا وإن الخلو موجود . وأنه اذا كان الموجود هو مطلقا قابلا للقسمة في جميع الاتجاهات فمن ثم لا توجد بعد وحدة لاي ما كان بحيث انه لا يوجد أيضا تعدد . وإن الكل هو خلو كله ، يقولون ، انه اذا فرض أن العالم شطره على نحو وشطره على آخر فذلك ايضا حاشبه ما يكون بفرض مجازف

= متناسبة المقياس على طريق التكافؤ - يعني أن الجسمين يمكن أن يدخل أحدهما في الآخر بحيث يتحصل منهما مزيج حقيقي . وقد مثل فيلوبون بالنبيذ والماء فان مسامهما متناسبة القياس في رأيهم ما دام أن هذين السائلين يمتزجان . وعلى ضد ذلك مسام النار ومسام الخشب فانها لما كانت غير متناسبة القياس كانت النار تفسد الخشب ولا تختلط به . - بأحسن من غيرهما - استخلص هذا المعنى من شرح فيلوبون . - نقطة الابتداء الحقيقة التي يعنيها الطبع - ليس للنص على هذا الضبط تماما . - بعض القدماء - يقصد برمينيد ومدرسة ايليا كما يقول فيلوبون . - فعل رأيهم - أضفت هذه العبارة التي مضمونها تمتش مع سياق النص وكل ما هو وارد الى آخر هذه الفقرة خاص برأى برمينيد ومدرسة ايليا ذلك الرأي الذي هو مبسوط بطريقة قلقة وغامضة . راجع مناقشة مشابهة لهذه وابطالا للمذهب برمينيد وميليسوس في الطبيعة ك ١ ب ٢ وما بعده ص ٤٣٣ من ترجمتنا . - وأنه لا يمكن أن توجد حركة - هذه النظرية على علاقات الخلو والحركة هي منسوبة بالصرحة الى ميليسوس في كتاب الطبيعة ك ٤ ب ٨ ف ٥ ص ١٨٩ من ترجمتنا . - منفصل عن الاشياء - أضفت الكلمتين الاخيرتين . - وكانوا يزيدون على ذلك - هذه الكلمات ليست صريحة في النص ولكن هذا المعنى يفهم من سياق الجملة . - أنه لا يوجد خلو - ليس النص على هذه الصراحة ، - يقسم ، ويعزلها - ليس في النص الا كلمة واحدة . - ليس متصلا - واحدا كما كانت تزعمه مدرسة ايليا . - مهما كانت منفصلة - ليس النص على هذا الوضوح . - اذا كان الموجود هو مطلقا قابلا للقسمة - واذا يؤول أمره الى لا شيء بالقسمة نفسها التي ذهب بها الى اللانهاية . - فمن ثم لا توجد بعد وحدة لاي ما كان - أو بعبارة أخرى وحدة الاشخاص تنعدم مع الاشخاص أعيانها ولما انه لا يوجد بعد من ثم تعدد ممكن فالكل يكون خلوا . - شطره على نحو - يعني أن الاتصال يكون في شطر العالم والخلو في الشطر الآخر . - يقولون أضفت هذه الكلمة للدلالة على أن ذلك بقية معارضا برمينيد وأصحابه . - على رأيهم - أضفتها للفرض المتقدم . - لا يوجد حركة في العالم - وهذا هو المبدأ الاساسي لمدرسة ايليا وهو أن الموجود واحد وغير متحرك . راجع نقض هذه النظرية في الطبيعة ك ١ ب ٢ وما يليه ص ٤٣٣ من ترجمتنا .

فيه لانه حينئذ الى أى نقطة ولماذا الجزء الفلانى من العالم يكون كذلك وعلميتنا فى حين أن الجزء الفلانى الآخر مقسوم ؟ وبهذه الطريقة يوصل أيضا على رأيهم الى تأييد انه بالضرورة لا يوجد حركة فى العالم .

٣ - بالصدور عن هذه النظريات وبمعاندة شهادة الحواس والاستهانة بها بحجة أنه ينبغي اتباع العقل فقط انتهى بعض الفلاسفة الى التصديق بأن العالم واحد غير متحرك وغير متناسه لانه ان لم يكن كذلك فان الحد بحسبهم لا يمكن الا أن يحاد الخلو .

٤ - تلك هى اذا نظريات هؤلاء الفلاسفة وتلك هى الاسباب التى دفعتهم الى فهم الحق على هذا النحو ، ولا شك فى أنه اذا استتمسك بالتدليل العقلية المحضة فذلك يشبه ان يكونا مقبولا ولكن اذا أريد اعتبار الحوادث الواقعية فيوشك ان يكون من الجنون تأييد آراء كهذه . لانه لا يوجد مجنون ذهب الى هذه النقطة من الضلال ان يجد أن النار والثلج هما شئ واحد بعينه . ولكن خلط الاشياء الجميلة لذاتها بالتى لا تظهر لنا كذلك الا بالاستعمال من غير أن يرى فيها مع ذلك أى فرق ما بينهما ، ذلك لا يمكن أن يكون الا نتيجة لتيه حقيقى للعقل .

٥ - فأما لوكيس فانه كان يظنه محيطا علما بالنظريات التى ، مع كونها متفقة مع الحوادث الواقعية المدركة بالحواس ، لم تكن ، بحسب

§ ٣ - بمعاندة شهادة الحواس والاستهانة بها - يلزم الانتباه الى هذه العبارات الشديدة التى توصى بقوة باتخاذ نهج المشاهدة دون النظريات المنطقية المحضة . راجع أيضا الفقرة السابقة . - بعض الفلاسفة - برمينيه وعلى العموم مدرسة ايليا . - ان لم يكن كذلك ... بحسبهم - أضلت هذه الكلمات التى ظهر لى انها ضرورية لبیان الفكرة . ومع ذلك فان الفقرة لا تزال غامضة ولم أر فيلويون يفسرها فى شرحه لانه بلا شك لم يكن ليجد فيها أدنى صعوبة .

§ ٤ - الحق - ربما كان أحسن أن يقال « الحقيقة » التدليل العقلية المحضة - ليس النص على هذا القدر من التأكيد . - فذلك يشبه أن يكون مقبولا - أو أيضا : « ان الاشياء تشبه أن تمضى على هذا الوجه » . - اذا أريد اعتبار الحوادث الواقعية - راجع مقدمتى لكتاب الميتودولوجيا على نمط المشاهدة عند القدماء وعلى الاخص عند أرسطو ص ٤٦ وما بعدها . - يوشك أن يكون من الجنون - من الصعب أن تصاب نظريات مدرسة ايليا العقلية المحضة بأكثر من هذه الشدة . - الاشياء الجميلة لذاتها - هذه النقطة لم يشرحها أيضا فيلويون وفيها خلل . فان كلمة النص التى ترجمتها « الجميلة لذاتها » فيها ابهام وهى تدل على الاشياء الطيبة كما تدل على الجميلة . وقد يكون المعنى أن أرسطو يعيب على مدرسة ايليا انها تقصد قاعدة الاخلاق بخلطها بين الخير والشر . وهذا المعنى هو الذى ارتأته بعض الشراح المتأخرين .

§ ٥ - فأما لوكيس - راجع عن آراء لوكيس وديمقريطس فى الخلو كتاب الطبيعة ٤ ب ٨ ص ٣ وما بعدها ص ١٨٧ من ترجمتنا . ومع ذلك فان أرسطو يبين =

مذهبه ، لتعرض للكون ولا للفساد ولا للحركة ولا للتعدد في الموجودات .  
ولكن بعد هذا التسامح الذي أسداه الى حقيقة الظواهر قد أسدى غيره الى  
اولئك الذين يقبلون وحدة الموجود بحجة انه لا يوجد حركة ممكنة بلون  
الخلو . ويقبل القول بان الخلو هو اللاموجود وان اللاموجود ليس هو شيئا  
مما هو موجود . واذا ، على رايه ، الموجود بالمعنى الخاص هو متعدد للغاية .  
والموجود على هذا المعنى لا يمكن أن يكون واحدا . وعلى العكس أن هذه  
العناصر تكون غير متناهية في العدد وتكون فقط غير مرئية بسبب لطافة  
حجمها للغاية . ويزيد على ذلك لو كيبس أن هذه الجزيئات تتحرك في الخلو  
لانه يقبل الخلو ، وأنها باجتماعها تسبب كون الاشياء وبانحلالها تسبب  
فسادها ، وأن الاشياء تفعل أو تنفعل تبعاً لما أنها تتماس على طريق التكافؤ  
وأنها على ذلك ليست هي شيئا واحدا بعينه ، وأنها بتركبها واشتباكها  
بعضها ببعض تكون العالم كله . ويستنتج لو كيبس من هذا أن التعدد لم  
يكن ليخرج البتة من الوحدة الحقة كما أن الوحدة لا يمكن أن تأتي أيضا  
من التعدد الحق وأن كل هذا هو محال على الاطلاق من جهة ومن أخرى .  
وأخيرا كما أن أمبيدقل وبعض الفلاسفة الآخرين يزعمون أن في الاشياء  
الفعل الذي تقبله وتعانيه هو يحصل فيها بواسطة المستام فكذلك يرى  
لو كيبس أيضا أن كل استحالة للاشياء وكل أنفعال لها إنما يحصل  
على هذا النحو نفسه وأن الانحلال والفساد يكونان بواسطة الخلو ، والنمو  
حاصل كذلك بواسطة الجزيئات الجامدة التي تدخل في الاشياء .

= عليه هنا شدة الاهتمام بلوكيبس أكثر منه في كتاب الطبيعة حيث يقول عنه وعن استاذة  
« انهما لم يطا عتبة المسألة » . - بحسب مذهب - ذات هذه العبارة لاتمام الفكرة  
- ولا للحركة ولا للتعدد - وبالجمل كمال ما تشهد لنا لحواس بأنها حقائق بينة . -

الذي أسداه الى حقيقة الظواهر - ليس النص على هذه الصراحة . - الا موجود  
ليس هو شيئا مما هو موجود - يظهر أن هذا هو تكرير مضى ولكنه وارد في النص . -  
على رايه - أضفت هاتين الكلمتين . - متعدد للغاية - أظن ان هذا هو الرواية الحقة  
وهي متفقة مع سبك النص وفي بعض النسخ « ملء للغاية » ملء بالتام » وليس بين  
الروايين الا تغيير حرف واحد . - هذه العناصر - التزمت هنا أن أوضح التعبير الذي  
جملة النص غير محدد . - لطافة حجمها للغاية - تلك هي الفلزات المقبولة أيضا عند  
ديمقريطس استاذ لو كيبس . - ويزيد على ذلك لو كيبس - ليس النص على هذا الضبط  
ولكن المعنى الذي أعطيه يستفاد من أسلوب الجملة الاغريقية نفسها . - شيئا واحدا  
بعينه - ليس في النص الا كلمة واحدة . - العالم كله - أضفت هذه العبارة لكيلا أكرر  
ما قيل آنفا . - ويستنتج لو كيبس من هذا - ليس النص على هذه الصراحة . - الذي  
تقبله وتعانيه - ليس في النص الا كلمة واحدة . - بواسطة المسام - ر . - ما سبق  
« ا . - بواسطة الخلو - فكريير لما قيل آنفا في هذه الفقرة نفسها . - التي تدخل  
- أو التي « تتولج » .

٦ - وأما أمبيدقل فينبغي ضرورة أن يقول قول لوكيبس تقريبا  
لانه يقول بأنه يجب أن يوجد جزئيات جامدة وغير قابلة للتجزئة اذا كانت  
المسام ليست متصلة مطلقا . ولما أن هذا الاتصال للمسام محال لانه حينئذ  
لا يمكن وجود شيء جامد ، الا أن يكون هو المسام ، والكل بلا استثناء  
لا يكون بعد الا خلوا ، فحينئذ يلزم على رأى أمبيدقل أن الجزئيات التى  
تنماس تكون غير قابلة للتجزئة وأن المسافات وحدها التى تفصلها تكون  
خلوات ، وهذا هو مايسميه المسام . وهذه الآراء هى أيضا آراء لوكيبس  
فى الفعل والانفعال فى الاشياء .

٧ - تلك هى الايضاحات التى أعطوها عن الوجه الذى تكون به الاشياء  
تارة فاعلة وتارة منفعة . وحينئذ يرى مبلغ ما عليه فى الحقيقة هؤلاء  
الفلاسفة وكيف يعبرون آراءهم فى هذا الصدد مؤيدين مذاهب تكاد تكون  
مطابقة للحوادث .

٨ - ولكن فى نظريات فلاسفة آخرين كأمبيدقل يلمح ، بجلاء أقل ،  
كيف يدرك كون الاشياء وفسادها واستحالتها والطريقة التى بها تقع  
هذه الظواهر . فعلى رأى البعض أن العناصر الأولية للأجسام هى غير

§ ٦ - وأما أمبيدقل - ر . ما سبق ف ٢ حيث يظهر أن أمبيدقل أنزل من أجل  
هذه النظرية فى منزلة أدنى من ديمقريطس ولوكيبس . - جزئيات جامدة وغير قابلة  
للتجزئة - وفى هذا المعنى يقرب أمبيدقل من مذهب اللوات . - ليست متصلة مطلقا  
- يعنى تلامس مباشرة بعضها بعضا . ولكن فكرة المسام عنها تستلزم ضرورة حواجز  
جامدة تفصلها وتعزلها بعضها عن بعض . - هذا الاتصال للمسام . النص ليس على هذا  
القدر من الصراحة وعبارة غير محددة . ولكن المعنى مع ذلك لا يمكن أن يكون «حلالاشك»  
الا أن يكون هو المسام - وربما كان أحسن « بجانب المسام » . - على رأى أمبيدقل -  
زدت هذه الكلمات . - التى تنماس - وتكون بنوع ما حواجز للمسام . - وحدها هذه  
الكلمة ليست فى النص ولكن ظهرت لى مفيدة فى اتمام الفكرة . - هى أيضا آراء لوكيبس  
- نتيجة وتكرير لما قيل فى أول هذه الفقرة .

§ ٧ - تارة فاعلة وتارة منفعة - أو أيضا « تفعل وتنفعل » . - هؤلاء الفلاسفة  
- هذا ينطبق بالخاص على لوكيبس وديمقريطس . - تكاد تكون مطابقة للحوادث - ر .  
ما سبق ف ٤ .

§ ٨ - كأمبيدقل - هذا يشبه أنه مناقض لما قيل فى ف ٦ حيث آراء أمبيدقل  
معثرة لصيقة بآراء لوكيبس التى ووفق عليها . - فعل رأى البعض - يعنى الفلاسفة  
الآخرين ما عدا أمبيدقل . - غير قابلة للتجزئة - هى الجواهر الفردة . - تتركب  
الأجسام فى البداية - تكرير لما سبق . - العظم - مهما كان . - يعنى غير متناه فى  
الصغر مادام الامر خاصا بالذرات . - ان النار ذاتها عنصر حر . - فيما سياتى ك ٢ ٣  
ف ٦ رأى أمبيدقل فى النار التى هى على رايه خليط وبالنسبة ليست عنصرا حقيقيا . -  
وقد أيد افلاطون النظرية عنها - النص أقل صراحة . - فى طيمائوس - ر . ترجمة  
كوزان ص ١٦٦ و ١٦٧ وما بعدها . - الا سطوحها - ربما لم يقل افلاطون ذلك صراحة



قابلة للتجزئة ولا تختلف بينها الا بالصور ، ومن هذه العناصر تتركب الاجسام فى البداية وانها تتحلل فى النهاية . ولكن من جهة أمبيدقل فقد يرى على كفاية الوضوح أنه يبلغ بكون الاشياء وفسادها الى العناصر . على أنه كيف يمكن أن يكون وأن يفسد العظم الملتك لهذه العناصر ؟ هذا هو ما ليس بينا البتة فى مذهبه . بل زيادة على ذلك أن هذا مالا يستطيع تمييزه مادام أنه ينكر أن النار ذاتها عنصر كما ينكر أيضاً على السواء وجود جميع العناصر الاخرى . وقد أيد أفلاطون النظرية عينها فى طيمائوس لانه فضلا على أن أفلاطون يعبر فى هذه النقطة مثل لوكيبس فإن أحدهما يقبل أن التى لا تتجزأ هى جوامد والاخر أنها ليست الا سطوحا ، وأن أحدهما يقرر أن جميع الجوامد التى لا تتجزأ هى محدودة بأشكال عددها غير متناه والاخر أن لها أشكالا متناهية ومضبوطة . والنقطة الواحدة التى فيها يتفق الاثنان جميعا أنهما يقبلان وجود التى لا تتجزأ وتحديدها بأشكال .

٩ - اذا كان حقا أن من ذلك فى الواقع تأتى أكوان الاشياء وفساداتها فمن ثم يوجد عند لوكيبس لادراكها طريقتان الخلو والتماس . وعلى هذا النحو ، على رأيه ، أن كل شيء قد يكون متميزا ومنقسما . ولكن عند أفلاطون الامر على الضد ليس الا التماس وحده مادام أنه يرفض وجود الخلو . وقد تكلمنا فى بحوثنا السابقة على مذهب السطوح التى لا تتجزأ ، وأما الجوامد التى لا تتجزأ فليس هاهنا محل لفحص أطول من ذلك عن نتائج هذه النظرية التى ندعها الآن الى جانب .

١٠ - ولكن اذا نحن استطرنا بعض الشيء نقول انه ضرورة فى هذه المذاهب كل مالا يتجزأ فهو يجب أن يكون غير منفعل لانه لا يمكن

= ولكن هذا هو النتيجة الضرورية لنظرياته . - متناهية ومضبوطة - ليس فى النص الا كلمة واحدة . - والنقطة الواحدة التى فيها يتفق الاثنان - ليس النص على هذه الصراحة . - وجود التى لا تتجزأ - لا يظهر أن أفلاطون يقبل مذهب الجواهر الفردة تماما على النحو الذى يظهر أن أرسطو يقوله هنا .

٩ § - فساداتها - أو « انفصالاتها » وكلمة النص ليست أكثر من ذلك ضبطا . على رأيه - زدت هذه العبارة - قد يكون متميزا ومنقسما - وضعت هاتين الكلمتين لاولى قوة كلمة النص الواحدة . - الا التماس وحده - يعنى أن السطوح بتلاصها تنتهى بأن تتركب الاجسام . ولا أدري هل هذا هو لى الحق معنى نظرية أفلاطون . - فى بحوثنا السابقة - ر . كتاب السماء ك ٣ ب ١ ف ١٤ وخصوصا ب ٧ و٨ حيث نظرية أفلاطون منقوضة بالتطويل . - السطوح لا تتجزأ - هذا هو مذهب أفلاطون . - أما الجوامد التى لا تتجزأ - هذا هو مذهب الجواهر الفردة الذى هو مذهب لوكيبس . - نتائج هذه النظرية - ليس النص بينا هكذا .

§ ١٠ - فى هذه المذاهب . - أضفت هذه الكلمات التى ظهرت لى ضرورة لاتمام =

أن يكون منفعلا وقابلا أى فعل ما الا بالخلو الذى هو غير مقبول عندهم . وهو كذلك لا يمكنه ان يحدث أى فعل ما فى أى شىء اتفق مادام أنه لا يمكن أن يكون لا صلبا ولا باردا مثلا . وفى الحسب أنه من السخف الاقتصاد على تخصيص الحرارة بالشكل الكرى وحده فقط لانه من ثم يكون بالضرورة كيف المضاد ، أعنى البرودة ، يتعلق بشكل آخر غير الكرة . ولكن اذا كان هذان الكيفان يوجدان فى الاشياء ، أعنى الحرارة والبرودة ، فيكون من السخف الاعتقاد بأن الحفة والثقل والصلابة والرخاوة لا يمكن أن تكون فيها أيضا . وائى أعترف بأن ديمقريطس يزعم أن كل مالا يتجزأ يمكن أن يكون أكثر ثقلا اذا كان أكبر حجما بحيث انه ، بالبينه بذاته أيضا ، يمكن أن يكون أكثر حرارة .

١١ - ولكنه من المحال ، متى كان الامر على ما يقال ، أن تلك التى لاتتجزأ لا تقبل تأثيرا ما بعضها من قبل البعض الآخر ، وأن ماهو متوسط الحرارة مثلا لا يقبل تأثيرا من قبل ما له حرارة أكثر منه للغاية . ولكن اذا كان الصلب يقبل تأثيرا فالرخو أيضا يجب أن يقبل تأثيرا لانه لا يقال على شىء انه رخو الا مع الاستحضار الذهني لفعل يمكنه احتماله مادام الجسم الرخو هو بالضبط هذا الذى يطاوع الضغط بسهولة .

١٢ - ومع ذلك ليس أقل سخفا ألا يقبل فى الاشياء مطلقا شىء الا الصورة واذا تقبل الصورة فمن السخف ألا يفترض فيها الا واحدة املا

= الفكرة التى يجهزها تفسير فيلوپون . - الذى هو غير مقبول عندهم - أضفتها للسبب المتقدم . - من السخف - هذا التعبير القاسى قد كرر عدة مرات فى هذه الفقرة ولكنه وارد فى النص كما هو فى الترجمة . - الشكل الكرى وحده فقط . - ر . طيباوس أفلاطون ترجمة كوزان ص ١٥٣ و ١٦٧ وما بعدها . وربما لا تكون عبارة طيباوس من التاكيد على ما يزعم ارسطو . - اذا كان ابر حجما - النص هنا بين الدقة لما به من الايجاز . ويظهر مع ذلك أن كل الذرات قد يجب أن تكون متساوية بينها وان احدها لا يبقى أن تكون أكثر ثقلا من الاخرى .

§ ١١ - على ما يقال - لنص أقل بيانا . - لا تقبل تأثيرا - أولا تنفعل . - ما هو متوسط الحرارة - هذا هو الواقع المعلوم الذى هو توازن الحرارة . فان شئين غير متساويى الحرارة يصيران متساويين بأن يفعل أحدهما فى الآخر . - ولكن اذا كان الصلب يقبل - ليس النص على هذه السعة . - يطاوع الضغط بسهولة - ر . الميتولوجيا ك ٤ ب ٤ ف ٦ وما بعدها ص ٢٩٨ من ترجمتى .

§ ١٢ - ومع ذلك ليس أقل سخفا - هذا الانتقاد موجه على الاخص بغير شك إلى أفلاطون . - الصورة - هذا التعبير محمول هنا على معنى مهم ما دامت الفريضة تعين أن معنى الصورة أيضا الخاصية . وفى الواقع أن النار والبارد خاصيتان وليست صورتين بالمعنى الخاص . - لهاتين الظاهرتين المتقابلتين - أضفت الكلمة الاخيرة .

مثلا البرودة واما الحرارة لانه لا يمكن أن يوجد طبع واحد بعينه .  
الظاهرتين المتقابلتين .

١٣ - وفي الحق اذا من المحال أيضا على سواء أن يفترض أن الموجود مع بقائه واحدا يمكن أن تكون له عدة صور لانه بما هو لا يتجزأ قد يعاني تباينه المختلفة في النقطة عينها . وبالنتيجة فعينا ينفصل ، فيبرد مثلا ، وبهذا عينه يحدث أيضا فعلا آخر أو بل يقبل أى تأثير آخر اتفق .

١٤ - يمكن استخدام هذه التنبيهات أنفسها بالنسبة لجميع التباين الأخرى لانه سواء قبل القول بجوامد لا تتجزأ أو قبل القول بسطوح لا تتجزأ فالنتائج تكون هي أنفسها مادام ليس ممكنا أن اللامتجزئة تكون تارة أكثر تخلخلا وتارة أكثر كثافة اذا لم يوجد خلو في اللامتجزئة .

١٥ - وكذلك من السخف على السواء تماما افتراض أن أجساما صفارا هي غير قابلة للتجزئة وأن أجساما كبارا لا تكونه . ففي الحالة الحاضرة للأشياء يفهم العقل في الواقع أن الاجسام الكبرى يمكن أن تتفتت بأسهل جدا من الصغرى مادام أنها تتحلل بدون عناء لانه كبيرة وأنها تتلامس وتتصادم في كثير من النقط . ولكن لماذا اللامتجزئة قد توجد مطلقا في صفار الاجسام بالاولى من أن توجد في الكبار ؟

§ ١٣ - مع بقائه واحدا - ليس النص على هذه الصراحة . - تباينه المختلفة - زدت الكلمة الأخيرة . - في النقطة عينها - الكلمة التي استعملت في النص غير محددة فاضطرت الى زيادة الضبط . - يحدث أيضا فعلا آخر - المعنى ليس جليا وكان يقتضى موسعا في التعبير . - أى تأثير آخر اتفق - هنا أيضا ترجمتى أكثر تبسيطاً من النص .

§ ١٤ - بجوامد لا تتجزأ - هذا هو مذهب لوكييس وديمقريطس . - بسطوح لا تتجزأ . هذا هو مذهب أفلاطون . ر . ما سبق فـ ٩ - أن اللامتجزئة - عبارة النص ليست محدودة تماما . - في اللامتجزئة - هذه هي عبارة النص بعينها .

§ ١٥ - أجساما صفارا - الجواهر الفردة مفروض أنها على نهاية ما يمكن من الدقة بحيث تعزب عن مشاهداتنا . وقد استنتج أنها غير قابلة للقسمة لانها أصغر من أن تقسم .

- ففي الحالة الحاضرة للأشياء - عبارة النص هي : « الآن » . - تتحلل - قد يكون أولى « تتجزأ » . - وانها تتلامس وتتصادم في كثير من النقط - ليس في النص الا كلمة واحدة . - مطلقا - ليس في النص الاغريقي الا هذه الكلمة وحدها والتعبير اوجز مما ينبغي وكان يلزم التوسع فيه لجعل المعنى أبين من ذلك . لماذا كانت الجواهر الفردة غير قابلة للتجزئة بطبيعتها فصغرها وكبرها لا دخل له فسواء كانت كبيرة أم صغيرة فانها تظل غير قابلة للتجزئة وعلى ما جبلها الطبع .

١٦ - وفوق ذلك كل هذه الجوامد هل هى من طبع واحد بعينه أم هل هى تختلف بعضها عن بعض بما أن بعضها من النار والآخر من الأرض بحسب كتلتها ؟ فإذا لم يكن إلا طبع واحد بعينه لجميعها فمأذا عسى أن تكون العلة التى قسمتها ؟ بل لماذا بتماسها لا تجتمع كلها بالتماس فى كتلة واحدة بعينها كالماء حينما يلامس الماء ؟ فإن الماء الأخير المضاف لا يختلف فى شيء عن الماء الذى كان يتقدمه . ولكن إذا كانت هذه التى لا تتجزأ يختلف بعضها عن بعض فحينئذ ماذا تكون ؟ بين بذاته أنه يلزم التسليم أن هذه هى مبادئ الظواهر وعللها أولى من أن تكون مجرد أشكال لها ، ومن جهة أخرى إذا قيل أنها مختلفة الطبع فحينئذ يمكنها بتلاصها المتبادل أن تفعل أو تنفعل بعضها بالآخر .

١٧ - أكثر من ذلك ، ماذا سيكون المحرك الذى يوقعها فى الحركة ؟

§ ١٦ - وفوق ذلك - رد آخر بعد الردود السابقة . - كل هذه الجوامد - المتبعة أنها جواهر فردة أو ذرات غير قابلة للقسم . - بما أن بعضها من النار - عسى حسب ما يظهر أنه ينتج على الخصوص من النظريات المقررة فى طيمارس . - التى قسمتها - أو « فصلت بعضها عن بعض » : وهنا القسمة أو الفصل يشبه أنها ترجع أيضا إلى مجرد عدم المشابهة . - بتماسها - أو « بعد أن تلامست على طريق التبادل » . - فى كتلة واحدة بعينها - عبارة النص غير محددة . - كالماء - الفصل على الأقل واضح جدا لأن الماء ينضم إلى الماء بلا أدنى عناء . وإن الدرات يجب أن تجتمع بعضها مع بعض على هذا النحو بسبب تماثلها الطيبى . - الماء الأخير - هذه هى عبارة النص بعينها . - المضاف - هذه الكلمة ليست فى النص - فحينئذ ماذا تكون ؟ - هذا سؤال موجه إلى مذهب أفلاطون ومذهب لوكيبس الذى يريد أرسطو بلا شك أن يعيب عليه أنه لم يلج فى هذه النقطة قدر الكفاية . - مجرد أشكال لها - المسلم بها فى نظريات أفلاطون ونظريات لوكيبس . - إذا قيل - ليس النص على هذه الصراحة . - تفعل أو تنفعل - فى حين أنه فى المذاهب التى يطن فيها أرسطو تعتبر الجواهر الفردة غير قابلة للانفعال . ر . ما سبق ف ١٠

§ ١٧ - ماذا سيكون المحرك الذى يوقعها فى الحركة ؟ ليس النص على هذه المسألة . - مخالفا لها - يعنى أجنبيا عنها وخارجا عنها . - ما لا يتجزأ قابلا - وهو فى النص أيضا بصيغة المفرد ولكن الجمع ربما كان أولى ما دام المقصود هو الجواهر الفردة . - فإن ما لا يتجزأ يصير قابلا بما هو يقبل ويغنى الحركة التى يوصلها إليه المحرك . - إذا كان كل مالا يتجزأ يحرك نفسه - من غير أن ينلقى الحركة من الخارج . - محرك فى جزءه ومحرك فى جزء آخر - قد وضح فى « الطبيعة » أن المحرك الذى يعطى الحركة الذاتية لنفسه يجب أن يفهم على أن له جزأين أحدهما ينلقى الحركة التى يعطيها له الآخر ، مع أنه يبقى بأكمله غير متحرك . ر . الطبيعة ك ٨ ب ٦ ف ٥ ص ٦٠١ من ترجمتنا . - فى الشيء بعينه - وهو محال لأن الضدين لا يجتمعان على آن واحد فى شيء واحد بل يجب أن يتعاقبا عليه . - بالعدم - أو بالشخص . - بل بالقوة أيضا - يعنى أنها يمكن أن تنفعل بالفسدين معا . وكلمة بالقوة هنا ليس لها معناها العادى .

إذا كان هذا المحرك مخالفا لها فحينئذ يكون مالا يتجزأ قابلا . وإذا كان كل مالا يتجزأ يحرك نفسه فأما أن يصير قابلا للتجزئة بما هو محرك في جزء ومحرك في جزء آخر وأما أن يجتمع النقيضان في الشيء بعينه معا . وحينئذ تكون المادة واحدة لا بالعدد فقط بل بالقوة أيضا .

١٨ - وحينئذ هؤلاء الذين يزعمون أنه التغيرات التي تقبلها الاجسام تكون بحركة المسام يجب عليهم أن ينتبهوا ، لانهم اذا سلموا بأن الظاهرة تقع حتى لو كانت المسام مليئة لاستعاروا حينئذ للمسام وظيفة غير مفيدة قطعاً مادام أنه اذا انفعل الجسم في هذه الحالة بالطريقة عينها يمكن افتراض أنه ، بدون أن يكون له مسام وبما هو نفسه متصل ، قد يمكنه أيضا أن يقبل بالتمام كل ما يقبل .

١٩ - ولكن كيف يمكن أن يحصل النظر بالطريقة التي يفسر بها في هذا المذهب ؟ نيس أكثر امكانا في الواقع أن يمر بالتماسات من خلال الاشياء الشفافة منه في خلال المسام اذا كانت المستعام كلها مليئة . فأن يكون الفرق اذا بين أن يكون لها مسام وبين ألا يكون لها البتة مادام أن الكل سيكون مليئا على السواء ؟ بل اذا كانت هذه المسام ذاتها مفترضة خالية واذا كان فيها أجسام فحينئذ تعود الصعوبات أنفسها . ولكن اذا افترض ان المسام ذات امتدادات صغيرة بحيث لا تستطيع بعد أن تقبل

§ ١٨ - يجب عليهم أن ينتبهوا - ليس النص على هذا القدر من الضبط فظننت واجبا على أن أقسم الجملة والفكرة لاجعلها أكثر بيانا . - حتى لو كانت المسام مليئة - أو « مملوءة » بالمواد التي يمكن أن تتجاوزها لتفعل في الاجسام وتغيرها بأية طريقة كانت . - انفعل . . . بالطريقة عينها - وبما في الفعل الذي قد يعاينه بدون أن يكون له مسام أو اذا كانت المسام خالية . - كل ما يقبل - أضفنا هذه الكلمات .

§ ١٩ - النظر - من خلال الاوساط وكما قيل آنفا « من خلال الاجسام الشفافة » التي هي مفترضة ذات مسام يمر منها الضوء . - بالتماسات - حفظت عبارة النص في حالها مع كونها غامضة . ولم يك شرح فيلويون ليزيل هذا الغموض . وقد ينبغي أن يفهم أن الضوء انما يلامس سطوح الاجسام الشفافة وينفذ فيها هكذا . - اذا كانت المسام كلها مليئة - بجسم يكون الضوء مضطرا لطرده أمامه ليأخذ مكانه ويجتاز الجسم الشفاف . - بين أن يكون لها مسام وبين ألا يكون لها البتة - ليس في النص هذا التردد الذي ظهر لي ضروريا لتبيين الفكرة . - ما دام أن الكل سيكون مليئا على السواء ؟ - أما باتصال الجسم نفسه وأما بامتلاء المسام . - هذه المسام - النص غير محدود تماما . - الصعوبات أنفسها - التي جيء على بيانها . ويقال في الجزئيات الموجودة في المسام ما كان يقال أولا في المسام أنفسها . - أن الصغير خال - حفظت ببناء جملة النص على ما هو عليه . والمراد بالصغير هنا الجسم القليل الامتداد . - أن الملو هو شيء آخر غير مكان الجسم - الفكرة غامضة قليلا ولم أجد في شرح فيلويون شيئا يوضحها على قدر الكفاية .

أى جسم اتفق فإن من سغه الرأى أن يتصور ان الصغير خال وان الكبير ليس كذلك مهما كانت سعته وأن يتمشى بالاعتقاد الى أن الخلو هو شيء آخر غير مكان الجسم بحيث انه ، كما هو بين بذاته ، يلزم أن يكون الخلو دائما على مقدار مساو للجسم نفسه .

٢٠ - وعلى جملة من القول فانه غير مفيد افتراض مسام . فاذا كان جسم . لا يفعل فى آخر بمسه فلن يفعل أيضا بأن يخترق مسام . واذا كان انما يفعل بالمس فحينئذ ، حتى بدون مسام ، تفعل الاجسام أو تقبل الفعل كلما وضعها الطبع أحدها تلقاء الآخر فى علاقة من هذا القبيل .

٢١ - والحاصل أنه يرى من كل ما تقدم أن تصور مسام على الوجه الذى فهمها به بعض الفلاسفة انما هو خطأ كامل أو فرض باطل . فان الاجسام بما هي قابلة للتجزئة مطلقا فى كل جهة فمن السخرية افتراض مسام مادام أن الاجسام بما هي قابلة للتجزئة يمكنها دائما أن تنفصل .

---

§ ٢٠ - وعلى جملة من القول - هذا هو محصل المناقشة السابقة . وقد أستنتج: أرسطو أن نظرية الفعل والانفعال لا حاجة بها الى فرض المسام الذى تخيله بعض الفلاسفة . - فى آخر - أضفت هاتين الكلمتين . - وإذا كان انما يفعل بالمس - يعنى بأن يلمس مباشرة الشيء الذى يقع عليه فعله . - كلما وضعها الطبع - ليس النص على هذا القول من الضبط .

§ ٢١ - انما هو خطأ - ملخص كل هذه المناقشة . - قابلة للتجزئة مطلقا فهو كل جهة - ليس فى النص الا كلمة واحدة . - أن تنفصل - وتعمل لانفسها مسام كما فسره فيلوبون .

## الباب التاسع

تفاصيل جديدة على نظرية كون الاشياء وعلى خواصها الفاعلة والفاعلة - الانفعال - التي تحصل عند التماس وعلى يعد - توضيح ويمليطس غير السكلى - تحول اشكال الاجسام اذ تتغير بالحوال دون ان تتغير بالمكان - حاتمة نظرية الفعل والانفعال .

§ ١ - أما نحن فاننا صاعدين الى المبدأ الذى طالما قررناه نعيد ايضا الطريقة التى بها الكون والفعل والانفعال تقع فى الاجسام . فى الواقع اذا كان شىء له الخاصة الفلانية تارة بالقوة المحضة وتارة بالفعل وبالكمال واذا كان يمكنه بالطبع ان ينفع فى واحد معين من اجزائه ولا ينفع فى الآخر ولكن فى مجموعه ينفع بنسبة ماله من هذه الخاصة . فمن البين انه سينفع أكثر أو أقل تبعاً لما ان هذه الخاصة فيه أكثر شدة او أقل . على هذا الوجه على الاخصر قد يمكن بالكثير سهولة التسليم بوجود المسام ، وتكون حالها على ذلك فى الاجسام كما هو الحال فى المعادن تمتد أحيانا عروق متصلة من المادة القابلة لانفعال ما .

§ ٢ - على ذلك كلما كان الشىء متجانسا وكان واحدا كان غير

ب ٩ ف ١ - المبدأ الذى طالما قررناه - وهو التمييز بين ما هو بالقوة وما هو بالفعل كما سيرد فى السطور الآتية . - بالقوة المحضة - أضحت كلمة « المحضة » - بالفعل وبالكمال - ليس فى النص الا كلمة واحدة . فان التمييز بين ما هو بالقوة وما هو بالفعل هو أحد المبادئ الأساسية للمذهب المشائين . ولكن قد يرى ان تطبيقه هنا ليس واضحا جدا بل ولا قاطعا جدا لايفضاح نظرية المسام ، - واذا كان يمكنه بالطبع . . . - قد تركت للجملة اليونانية طولها كله لكيلا تغير تأكيدها فى النص . - قد يمكن بالكثير سهولة التسليم - عبارة النص ليست على هذا القدر من البيان ولو أن عبارتي فى الترجمة ليست على ما كنت أريد أن تكون من الجلاء - وتكون حالها على ذلك فى الاجسام - فى الحق أنها لا تكون بعد مسام بل تكون فقط بعض أجزاء من مادة الجسم أكثر قابلية من غيرها لقبول ثلاثى الفلانى أو الفلانى . - كما هو الحال فى المعادن - المشاهدة مع ذلك حقة . وليس ولا واحد الا شاهدها . - القابلة لانفعال ما ، - ليس النص على هذا القدر من البيان .

§ ٢ - كلما كان الشىء متجانسا وكان واحدا - أو بعبارة أخرى الا يكون مستجمعا للشرائط المطلوبة لينفع أو ليحدث فعلا ما دام أن الشىء لا يمكن ان يفعل فى نفسه وكان الشىء لا يفعل فى الشىء ولا يقتل منه . - كان غير قابل - بعزل عن كل فعل وكل الفعل آت من ذاته . - لا تتلامس بينها - بلا واسطة . - أولا تتلامس أحيانا - تصلح إذا كوسيط للوصول الى الشىء الذى يقع عليه الفعل . - أن يفعل - بأن ينقل الى الجسم الحرارة التى تلقاها . - وينفع - بأن يقبل مباشرة حرارة النار التى يجبه أن يتلقاها .

قابل . ويجرى هذا المجرى أيضاً متى كانت الاشياء لا تتلامس بينها أو لا تلامس أغياراً يمكنها بطبعها أن تفعل أو تنفعل أعني مثلاً انه ليس فقط النار تسخن بالتماس ولكنها تسخن ايضاً على مسافة لان النار تسخن الهواء والهواء يسخن الجسم لان الهواء بطبعه يمكن أن يفعل وينفعل معا .

§ ٣ - ولكن متى يقال ان شيئاً يمكن أن ينفعل في واحد من أجزائه ويمكنه ألا ينفعل في آخر فينبغي ايضاح ماذا يعنى بذلك بعد الحد المعطى في المبدأ ، فإذا كان في الواقع العظم ليس هو مطلقاً قابلاً للتجزئة في جميع الجهات لكن فيه شيئاً ما جسماً كان او سطحاً يكون غير قابل للتجزئة فيه فقد ينتج من ذلك أنه لا يوجد بعد من عظم يمكن أن يكون بأكمله قابلاً ، بل قد لا يكون بعد من شيء أمكن أن يكون متصلاً . وحينئذ اذا كن ذلك خطأ وكان كل جسم قابلاً للتجزئة دائماً فلا يهم بعد أن يكون الجسم مقسوماً فعلاً وبهذه الصفة قابلاً للتماسات أو يكون بالبساطة قابلاً للتجزئة لانه ما دام يمكن أن يكون مقسوماً في نقط التماس ، كما هو المدعى ، يمكن اعتباره كأنه مقسوم حتى قبل أن يكونه ويكون قابلاً للقسمه ما دام أنه لا شيء مما هو محال يكون أبداً .

§ ٣ متى يقال - يمكن ترجمتها ايضاً « متى أقول » فان الفرق بينهما غير بين في النص . بعد الحد المعطى في المبدأ - فربت الترجمة من النص بقدر ما استطعت ولكن الفكرة لا تزال غامضة ولم يفن شرح فيلوبون في جلائها شيئاً . فقد ينتج من ذلك - عبارة النص ليست مضبوطة ولكن هذا المعنى يظهر أنه ينتج لزوماً مما يلي . - يمكن أن يكون بأكمله قابلاً - ر . الفقرة السابقة . - أمكن أن يكون متصلاً - لان الذرات منعزلة بعضها عن بعض وما دامت منفصلة هكذا لا يمكن أن يكون لها الإتصال الذي هو ضروري لتأليف جسم . - وكان كل جسم قابلاً للتجزئة - هذه هي نظرية أرسطو المبسطة مراراً في « الطبيعة » . - مقسوماً . قابلاً للتجزئة - هذا هو ما بالفعل وما بالقوة . - في نقط التماس - عبارة النص هي : « بحسب التماسات » . - لا شئ . مما هو محال يكون أبداً - هذا المبدأ يديهي للغاية ولكن لا يرى وجه اتصاله بما سبق . وقد افرغت جهدى في استجلاء هذه الفقرة فلم أجد : لشرح بفاهيم سسان توماس قد نجحوا في ذلك أيضاً . وهاك تفسيراً يساعد بالاقول على تسلسل المعاني : « لكي تفسر ماهية الفعل والانفعال في الاشياء يلزم التسليم بأنه من المحال أن شيئاً يقبل فعلاً ما » في واحد من أجزائه ولا يفعله في الجسم الآخر ، فالشيء أما أن يكون بأكمله قابلاً وأما أن يسكون بأكمله فاعلاً . فإذا سلم بالذرات فحينئذ يمكن ألا يكون الشيء بعد قابلاً بكلية ولكن بذلك أيضاً ينقطع عن أن يكون متصلاً . وإذا فمذهب الذرات باطل . وكل عظم هودائماً وعلى الإطلاق قابل للقسمه دون أن يمكن الوصول الى جزئيات لا تتجزأ . ويكاد لا يهم ما اذا كانت القسمة واقعة مادياً أو ممكنة امكاناً مجرداً على وجه ذهني صرف . وبكفي أمكان حصولها ليكون الجسم أخرج منها له دائماً وحدته وأن يكون بالنتيجة في مجموعها اما فاعلاً واما قابلاً » .



§ ٤ - وان ما يجعل سخيفا تماما تقرير ان الفعل والانفعال يحصلان على هذا النحو بشق الاجتهاد هو ان هذه النظرية تمحو الاستحالة وتفسدها . وعلى هذا نحن نرى ان جسما بعينه دون ان ينقطع عن ان يكون متصلا هو تارة سائل وتارة متجمد دون ان يقبل هذا التحول لا بقسمة اجزائه ولا باتحادها ولا بنقلتها ولا بتماسها كما يزعم ديمقريطس . لان الجسم ما كان ليغير وضعه ولا ليغير مكانه ولا ليغير طبعه ليصير متجمدا بعد ان كان سائلا . وليس يرى أيضا أن الاشياء المتصلبة والمتجمدة تكون حالا غير قابلة للقسمة في كتلتها. بل الجسم ب كله يكون على السواء سائلا و احيانا يصير ب كله صلبا ويتجمد .

§ ٥ - وأخيرا ، في هذا المذهب قد لا يمكن بعد وجود نمو الاشياء ولا اضمحلالها لانه لا جسم يمكن ان يصير أكبر اذا لم يكن هناك الا مجرد اضافة واذا لم يتغير ب كله على أثر اختلاط بشئ اجنبي او على أثر تغير ما يحصل فيه .

§ ٤ - الفعل والانفعال - النص غير محدد تماما ولكني أحدد المعنى اعتمادا على تفسير فيلوبون . - على هذا النحو - يعني بواسطة المسام التي افترضها بعض الفلاسفة . بشق الاجسام - حفظت عبارة النص بمعناها ، فان الجسم هو بحو ما مشقة بالمسام التي تتخللها . - تمحو . . . . . وتفسدها - ليس في النص الا كلمة واحدة . - الاستحالة - معنى أن في هذا المذهب لا يمكن ادراك ظاهرة الاستحالة . - دون أن ينقطع عن أن يكون متصلا - ليس النص على هذا القدر من الصراحة . - تارة متجمد يضرب فيلوبون مثلا لذلك اللين الذي هو تارة سائل وتارة متجمد . وقد يمكن الظن كمع الشراح أن المقصود أيضا هو الماء فانه تارة سائل وتارة جليد . - بتماسها - على تقدير باجسام أخرى . - كما يزعم ديمقريطس - وفي الحق هذه هي كل ما ينسبه ديمقريطس الى الذرات من الخواص . - متجمدا - او جليدا . - حالا - اي في النظام الحالي للطبع . - غير قابلة للقسمة في كتلتها - يفهم سان توماس من هذا انه لا حاجة بأن تتجمد الاشياء او تتجلد الى أن تدخلها ذرات غير قابلة للقسمة بل هي تكابد هذا التغير في جوهرها الذاتي على السواء - أي في جميع اجزائه بدون أن بعضها يعانى التغير الذي تقاومه الأخرى .

§ ٥ - في هذا المذهب - أضفت هذه الكلمات لتبيين الفكرة . - قد لا يمكن بعد وجود - معنى أنه لا يمكن توضيح ما هو نمو الاشياء أو اضمحلالها . - الا مجرد اضافة - بأن تأتي الذرات فتضم الى الجسم لتنمية وتزيد حجمه أو انها تنسحب منه لتقصه أو لتهلكه - بشئ اجنبي - أضفت الكلمة الأخيرة . - يحصل فيه - النص ليس على هذا القدر من الضبط .

§ ٦ - ونحن نقصر على ما أتينا به من القول فيما يتعلق بكون الاشياء  
وقوعها وتناسلها وتحولاتها المتكافئة • وهذا يكفي على سواء ليفهم على أي  
النواحي هذه النظريات تكون ممكنة وكيف لا تكونه بحسب الايضاحات  
التي أعطيت عنها أحيانا •

---

§ ٦ - نقصر - هذا ملخص مضبوط لكل هذا الباب والابواب السابقة من أول الباب  
السابع • وإن ارسطو يمد أن فسح مكانا لتوضيح المذاهب الأخرى لم يكن يفسح المذهب  
الخاص من الايضاح ما كان يستدعيه من البيان والاطناب •

## الباب العاشر

نظرية الاختلاط - من الفلاسفة من انكر ان الاشياء امكنها ان تختلط فيما بينها -  
ابطال هذه النظرية - المعنى العام لشروط الاختلاط - الطبع المختلف للاجسام المختلطة -  
الفرق بين الاجتماع وبين الاختلاط الحق - لكن يوجد اختلاط بين الاشياء يلزم ان يوجد  
بينها تجانس بل نبيء من التناسب - النقطة من التبيد في كمية من الماء - سهولة الاختلاط  
او صعوبة تبعاً للتخالف في طبع الاشياء وصورتها - خاتمة نظرية الاختلاط .

§ ١ - بقي علينا أن ندرس ما هو اختلاط الاشياء . وسنتبع هاهنا  
النمط عينه كما فيما سبق لان هذا هو ثالث الموضوعات التي تصدينا  
لفحصها في بداية هذه البحوث . يلزم اذا أن ننظر ما هو الاختلاط وما هو  
الشيء القابل لان يخلط وما هي الاشياء التي يمكن أن يقع الاختلاط بينها  
وكيف تتحقق هذه الظاهرة .

§ ٢ - ومن جهة أخرى يمكن أيضاً ان يتساءل عما اذا كان يوجد  
حقيقة بالفعل اختلاط للاشياء او ان هذا ليس الا ضلالاً . لانه يمكن ان  
يظن ان شيئاً لا ينبغي البتة أن يختلط بآخر كما يزعم بعض الفلاسفة .  
يقولون أنه في الواقع حيثما الاشياء التي اختلطت تبقى بعد أيضاً ولم تكن  
لستحيل لا يمكن أن يقال انها الآن أكثر اختلاطاً مما كانت من قبل ،  
ولكنها دائماً في الحال بعينها . فاذا أخذ أحد الشئيين ان يبيد في الاختلاط  
لا يمكن بعد أن يقال أنهما اختلطا ولكن فقط أن احدهما يوجد وأن الآخر لا  
يوجد بعد ، في حين ان الاختلاط لا يمكن في الحق ان يقع الا بين شئيين

§ ب ١٠١ - ثالث الموضوعات - أي مع الكون والفساد ومع الفعل والانفعال - في  
بداية هذه البحوث - فيما سبق ب ١٠١ لم يتكلم أرسطو الا على الكون والنمو والاستحالة .  
وكان يظهر أن هذه الثلاثة الموضوعات التي عول على الاشتغال بها . ولست أرى انه  
قبة في أي موطن آخر على نظرية الاختلاط . - ماهو الاختلاط - الاسئلة الموضوعات  
الاختلاط هي مماثلة للاسئلة التي وضعت فيما سبق على الكون ب ١ وعلى الفعل ب ٧ .  
ومن هذه الجهة فان المؤلف مصيب في قوله انه يتبع النمط الذي اتبعه من قبل .

§ ٢ - ومن جهة أخرى - من المذاهب ما ينكر ان اختلاط الاشياء ممكن البتة . وتلك  
المذاهب هي على ما يظهر تلك النظريات التي يلزم مناقشتها بادى بدء لانها تلحق الى حد  
هؤلاء الفلاسفة بالضببط . - يقولون - اخذت هذه الكلمة التي تفهم من السيقاق ما فهم  
تلك المسئلة والقضاء عليها . بعض الفلاسفة - لا شيء يعين في هذا الباب من هم  
ان الذي سيمدد فيما يلي الباء هي الادلة على نفي امكان الاختلاط . - يزيدون . . . على ذلك  
اخذت هذه الكلمات للسبب المتقدم .

يوجدان على السواء • ويزيدون ، أخيرا ، على ذلك انه لا يوجد بعدد  
اختلاط ، بهذا السبب عينه ، اذا كان الشيطان اللذان يجتمعان يفسدان  
كلاهما بالاختلاط لانه من المحال قطعا ان اشياء لم تكن بعد البتة يمكنها  
ان تختلط •

§ ٣ - هذه النظرية ، كما يرى ، الفرض منها أن يتعين فيماذا يختلف  
اختلاط الاشياء عن كونها وعن فسادها • وأيضا في اى شيء يختلف الشيء  
المختلط عن الشيء الكائن وعن الشيء الفاسد ، لانه من البين أنه ينبغي  
أن يكون الاختلاط مغايرا بافتراض انه واقع بالفعل • ومتى وضحت هذه  
المسائل تحل المسائل التي وضعناها لانفسنا من قبل •

§ ٤ - ذلك هو السبب في أنه لا يمكن أن يقال أن المادة اختلطت  
بالنار التي أحرقتها حتى ولا انها تختلط بها وقت ما تحرقها ، كما انه قد  
لا يمكن ان يقال انها تختلط بنفسها في اجزاء النار كما لا تختلط بالنار  
نفسها • بل يقال ببساطة أن النار تكونت وان المادة القابلة للاحتراق قد  
فسدت • كما انه لا يمكن أيضا ان يقال لا عن الغذاء ولا عن صورة الحاتم  
ان الاولى باختلاطها بالجسم والثانية باختلاطها بالشمع قد أعطتنا شكلا ما  
للكتلة بتمامها • ينبغي الاعتراف أيضا بأنه لا الجسم ولا البياض ولا  
بالاختصار ، كصفات الاجسام وتغايرها يمكنها أن تختلط بالاشياء مادام  
انه يرى على الضد من ذلك ان الاثنين يبقيان • كذلك أيضا البياض والعلم

§ ٢ - عن كونها وعن فسادها - • مما سبق با وما يليه • ومتى وضحت هذه  
المسائل - تلك هي أدلة الفلاسفة الذين ينكرون الاختلاط • تحل المسائل التي وضعناها  
لانفسنا من قبل - في بداية هذا الباب هيته •

§ ٤ - ذلك هو السبب • - هذا فرق بين الاختلاط وبين الكون أو الفساد • المادف  
حصلت كلمة النص يعينها ، ولكن المادة هنا معناها الجسم القابل للاحتراق : الخشب أو أية  
مادة اخرى تغلى النار • انها تختلط بنفسها - يعنى ان الخشب يختلط بالخشب • في  
أجزاء النار - أضفت الكلمة الأخيرة • - كما لا تختلط بالنار نفسها - قد أتيت بقدر ما  
استطعت التكرير الموجود في النص واعتمدت في ايضاح هذه الفقرة كلها على تفسير فيلوبون  
تكونت • • فسدت - حصل فيه كون لاحدهما وفساد للآخر ولكنه لم يحصل فيه  
اختلاط • - كما أنه لا يمكن أيضا أن يقال - هذا فرق بين الاختلاط وبين الزيادة  
- صورة الحاتم - أضفت الكلمة الأخيرة التي يدل عليها السياق فيما يلي • • وربما كن اختبار  
المثلين غير حسن لان الغذاء يمكن أن يعتبر كأنه مختلط بالجسم الذي ينميه • ولكن بالديهيية  
طابع الحاتم لا يختلط به • - لا الجسم ولا البياض - حفظت عبارة النص على ايجازها •  
فان البياض والجسم الذي هو أبيض لا يختلطان ولكن البياض هو في الجسم • - كصفات  
الاجسام وتغايرها - التي هي في الاشياء ولكن بدون ان تختلط بها • ان الاثنين يبقيان  
عبارة للنص أكثر ايهاما ، ويجب أن يعنى بالاثنتين الجسم والكيفيات التي تكيفه • البياض  
والعلم - يعنى كيتين عوضا عن جسم وكيف • - الكيفيات أو الخواص النص غير محسده  
البتة • التي ليست قابلة للانفصال - على تقدير «عن الموضوعات التي هي فيها» وكل هذه  
الفترة مثقلة جدا بل ربما كانت دقيقة فيما يظهر •

فى الواقع لا يمكنها أن يركبا خليطا ولا أيضا أى واحد من الكيفيات أو  
الحواص التى ليست قابلة للانفصال .

§ ٥ - وأيضا يحدد نفسه من يقرر ان الاشياء جميعها كانت سابقا  
مندمجة وان السلل قد وجد مختلطا لان كلا لا يمكن البتة ان يختلط بكل  
على السواء . يلزم دائما ان كلا الشئيين اللذين يختلطان يمكن ان يبقى  
على حدة . وحينئذ فان كيفيات الاشياء لا يمكنها ان تكون منفصلة عنها  
ابدا . ولكن لما ان من بين الاشياء بعضها تكون بالقوة المحضة والاخر  
بالفعل المحض فينتج من ذلك ان الاشياء التى تختلط يمكنها من جهة ان  
تبقى بعد ومن جهة اخرى الاتبقى . فاذا كان فى الواقع الخليط الحاصل  
من الاختلاط هو شيئا مخالفا فانه يكون كذلك دائما بالقوة للشئيين  
اللذين كانا يوجدان قبل أن يختلطا وقبل ان ينعدهما فى اخليط . وهذا  
انما هو على التحقيق الجواب على المسألة التى أثارها النظرية التى تكلمنا  
عليها آنفا . ويظهر ان الاخلاط تتألف من اشياء كانت من قبل منفصلة  
ويمكن ان تكون ايضا من جديد . وعلى ذلك الاشياء المختلطة لا تبقى  
بالفعل كما يمكن ويبقى الجسم والبياض الذى يشخصه . وليست هى  
كذلك تكون فاسدة ، سيان احد الاثنين على حياله والاثنان جميعا معا ما  
دامت قوتهم محفوظة دائما .

٦ ٨ - ولكن لنعد هذا الى ناحية ولننتقل الى المسألة الآتية التى

§ ٥ - وأيضا يحدد نفسه - هذا نقد موجه الى الكساغوراس الذى كان يرى ان جميع  
الاشياء فى الاصل كانت مختلطة فى العماء قبل ان يأتى العقل ويرتب العالم . ر - الطبيعية  
كأبدها حيث تنقض نظرية الكساغوراس ص ٥٥ من ترجمتنا . - كيفيات الاشياء -  
ر - الفقرة السابقة . - بالقوة المحضة . . . بالفعل المحض - اضلعت الصفتين . - شيئا مخالفا  
للشئيين اللذين يكوئان الخليط . - فى الخليط - اضلعت هاتين الكلمتين - الجواب على  
المسألة - ليس النص على هذا القدر من الضبط . - التى تكلمنا عليها آنفا - فى أول هذا  
الباب . - ايضا من جديد - بعد ان حصل الخلط . - الذى يشخصه - اضلعت هاتين الكلمتين  
قوتهم . - يعنى امكان رجوعهما الى ما كان عليهما قبل الاختلاط .

§ ٦ - المسألة الآتية - يعنى التى ترتبط بالمسائل التى تقدمتها والتى هى بقية لها  
بمكن حواسنا ان ندركه وربما كانت المسألة على هذا الوجه غير موضوعة وضما حسنا فان  
الاختلاط هو دائما قابل لان ندركه حواسنا ولكن حواسنا تارة تميز العناصر التى تتركب  
منها الخليط وتارة لا تميزها . - مثال ذلك - ليس النص واضحا هكذا - بوجه مجسوس  
او «بحوسنا» - هل يوجد فيها حينئذ اختلاط او لا يوجد ؟ - هذا هو أول انواع الاختلاط  
فان الحواس لا يمكنها بعد أن تميز العناصر التى ركبته . - ولكن ليس ممكنا ايضا - أحببت  
أن أصوغ هذه الجملة فى صيغة الإستفهام حتى تكون مقابلة للجملة التى سبقتها . وهذا هو  
التعبير الثانى للاختلاط فان الشئيين يبقيان باعتبار أن أجزاءهما انما اجتمعت بعضها الى  
بعض . - التبرر مختلط بالمحب - المثل فى غاية الوضوح وهذا المثل ليس القبة كمزج الماء  
والنبيذ اذ أن فيه أحد السائلين لا يمكن مطلقا تمييزه عن الآخر كما كان ذلك مفرغيا فى  
الايضاح الاول .

تنحصر في معرفة ما اذا كان الاختلاط هو شيئاً يمكن حراسنا أن تدركه .  
 مثال ذلك حينما الاشياء المختلطة تكون مقسومة الى اجزاء من الصغر  
 بمكان وتكون موضوعة على قرب بعضها عند بعض حتى لا يعود احدها  
 متغيراً من الآخر بوجه محسوس فهل يوجد فيها حينئذ اختلاط أو لا يوجد؟  
 ولكن أليس ممكناً أيضاً أن في الخلط الأشياء كيفما اتفقت تكون موضوعة  
 أجزاء أجزاء بعضها بجانب الأخرى ؟ لان هذا يسمى أيضاً اختلاطاً وعلى هذا  
 النحو يقال ان التبني مختلط بالحلب حينما يكون موضوعاً بجانب كل حبة  
 تبنة .

§ ٧ - اذا كان جسم هو قابلاً للتجزئة واذا كان جسم متى كان  
 مختلطاً بجسم آخر يجب أن يكون مجانساً له فقد يلزم أن كل جزء اتفق  
 من الخليط ينضم الى جزء آخر اتفق . ولكن بما ان الجسم لا يمكن البتة  
 أن يكون مقسوماً الى أجزائه الصغرى وبما أن الانضمام ليس هو البتة  
 الاختلاط بل هو شيء آخر تماماً فبالبين لا يمكن أن يقال بعد ان الاشياء  
 اختلطت متى حفظت ذواتها على ما كانت في جزئيات صغيرة . حينئذ يكون  
 الضم ولكن لا يكون لا خلط ولا مزج ، وحد جزء من الخليط لا يمكن بعد  
 أن يكون هو الحد الذي قد يعطى للخليط بتمامه . أما نحن فنقول انه  
 لكي يوجد اختلاط حقيقى يلزم أن الشيء الخليط يكون مركباً من أجزاء  
 متجانسة ، وكما أن جزءاً من الماء هو ماء كذلك أيضاً يجب أن يكون أى  
 جزء اتفق من الخليط . ولكن اذا لم يكن الاختلاط الا انضمام جزئيات  
 الى جزئيات فليس يوجد ولا واحد من الاحداث التى أتينا على تحليلها .  
 وانما يكون فقط في نظر الاعين أن الشئ يظهر انه متخلطان . وكذلك  
 الشئ عينه يظهر مخلوطاً للرأى فلان الذى ليس له نظر نفاذ في حين ان  
 « لينسيه » يجد أن ليس هناك اختلاط .

§ ٨ - ان التجزئة لا تفسر الاختلاط كما لا يفسره اجتماع جزء

§ ٧ - اذا كان جسم هو قابلاً للتجزئة - يظهر ان هذا هو رد من ارسطو على النظرية  
 السابقتين . وعلى هذا الوجه فهم فيلوبون وسان توماس هذه الفقرة . ولكن المعارضة ليست  
 بينا في النص الذى بقى غامضاً على رغم جهدى في استجلائه ولم استطع ان اجعل الترجمة  
 أبجل منه بكثير . - ان أجزائه الصغرى - يعنى أن القسمة لا يمكن أن تصل الى جواهر فردة  
 وانها لاى القسمة ممكنة دائماً كما يقرره ارسطو بالاقول في الذهن ان لم تكنها في الخارج  
 - الانضمام - يمكن ترجمتها أيضاً بالتأليف . - في جزئيات صغيرة - كالحب والتبن اللذين  
 من الكلمتين اللتين استعملتهما في الترجمة . - اختلاط حقيقى - أضفتم كلمة حقيقى زيادة  
 في بيان الفكرة . - الشئ الخليط - يعنى الناتج المتحصل من الاختلاط . - جزئيات -  
 الى جزئيات - ليس النص على هذه الصراحة . ولا واحد من الاحداث التى أتينا على تحليلها  
 ليس النص على هذه الصراحة . - في نظر الاعين - لافى الموقف .  
 § ٨ - ان التجزئة لا تفسر الاختلاط ، النص غير محدد ، وقد اخترت المعنى الذى

١٠- تتفق بجزء آخر ما دامت التجزئة لا يستطيع حصولها بهذه الطريقة .  
وحينئذ اما ألا يكون اختلاط ممكنا وأما انه يلزم اتخاذ نحو آخر  
من النظر لكي ييسر كيف يمكن أن تقع هذه الظاهرة . ولندكر بديا أن  
من بين الاشياء ، كما قلنا ، بعضها فاعلة والاخرى قابلة لفعل تلك ،  
بعضها له تأثير مكافئ وهي تلك التي مادتها واحدة بما هي مستطبعة ان  
تفعل بعضها في الاخرى او تنفعل بعضها بالاخرى على السواء . واخرى  
تفعل مع بقائها غير قابلة للانفعال وتلك هي التي مادتها ليست واحدة .  
وهذه ليس فيها اختلاط ممكن . من هذا يرى كيف ان الطب لا يختلط  
بالاجسام ليفعل الصحة وثاذا الصحة لا تختلط به أيضا .

§ ٦ - بل من بين الاشياء التي يمكنها أن تفعل وتنفعل على طريقة  
التكافؤ كل تلك التي تكون سهلة التجزئة ، حينما يختلط منها عدد عظيم  
بعدد قليل من أشياء آخر وكمية عظيمة بكمية أقل عظما لا تنتج على  
التحقيق اختلاطا بل غوا للعنصر الغالب . وحينئذ أحد الشئيين المختلطين يتغير  
في الذي هو غالب . على ذلك نقطة من النبيذ لا تمتزج بكمية من الماء تكون  
عشرة آلاف ضعف . لانه في هذه الحالة النوع يتحلل ويتغير بتلاشي في  
كتلة الماء كلها . ولكن متى كانت الكميتان متساويتين تقريبا فحينئذ  
كل عنصر يفقد من طبعه ليأخذ من طبع العنصر الذي هو أغلب . فالمزيج  
لا يصير واحدا منهما مطلقا بل يصير شيئا وسطا ومشتريكا .

§ ١٠ - فبين اذا أنه لا يكون اختلاط الا حينما تكون الاشياء التي  
تفعل لها مقابلة ما بينها لانها اذا يمكن أن تقبل تأثيرا ما بعضها من بعض .  
ومن الاشياء الصغيرة ما يزيد اختلاطها بالاشياء الصغيرة باقترابها منها  
لانها حينئذ تتدخل بأسرع وبأسهل بعضها في بعض . ولكن كمية كبيرة  
تحت فعل كمية كبيرة أيضا لا تنتج هذه النتيجة الا مع الطولى .

= عيبه فيلويون . كما لا يفسره اجتماع - الشأن هنا كما في الملاحظة السابقة - ما دامت  
التجزئة لا يستطيع حصولها - يعنى أنها تقف عند حد اللوات لم الاجزاء التي لا تجزئة  
التي لم يقبلها أرسطو البتة . - اتخاذ نحو آخر من النظر - ليس في النص الا كلمة  
واحدة مبهمه وقد ظننت أنه يجب حل تحديد المعنى . - ولندكر بديا أضفت هذه الكلمات  
التي تدل القرينة على مفهومها . - كما قلنا - ر . ما سبق في الباب السابع . - الطب  
- يظهر لي أن في اختيار المثل شيئا من الغرابة وقد لبه فيلويون مثل هذا التنبيه .  
§ ٩ - التي تكون سهلة التجزئة - كنقطة من الماء في كمية من النبيذ . - نمو -  
- مهما كان ضميلا مع ذلك بنسبة الاشياء المختلطة . - للعنصر الغالب - في المزيج النهائي .  
- فالمزيج لا يصير - ليس النص على هذا القدر من القبط . - مطلقا - أضفت هذه  
الكلمة .

§ ١٠ - مقابلة ما - عبارة النص هي « تضاد » . - يمكن أن تقبل تأثيرا ما - في  
حين أنها تحدث فعلا ما . يزيد - أعنى بأكثر سهولة وبأسرع ما يكون كما يدل عليه  
الكلام الآتي . - لا تتج هذه النتيجة - أو «الاختلاط» .

§ ١١ - على ذلك بين الأشياء القابلة للتجزئة والمنفصلة الأشياء التي تتحدد بسهولة يمكنها أن تختلط . لأن هذه الأشياء تنقسم بلا عناء إلى أجزاء صغيرة . وهذا إنما هو بالتحقيق ما يعنى بقولنا تتحدد بسهولة . مثال ذلك السوائل من بين جميع الأجسام هي الأكثر قابلية للمزج لأن السائل من بين الأشياء القابلة للتجزئة هو الذي يتعين ويتحدد بأسهل ما يكون بشرط ألا يكون دبقا . فإن الأجسام الدبقة لا تزيد على أن تصير جملة الحجم أضخم وأعظم ولكن حينما يكون أحد الشئيين المختلطين هو وحده المنفصل أو أنه يكون كثيرا وأن الآخر يكون قليلا جدا فالخليط الناتج من الاثنين إما ألا يكون أعظم البتة أو ألا يكاد يكون . وهذا هو ما يقع بالنسبة للقصدير المختلط بالنحاس لأنه يوجد بعض أجسام حائرة . بعضها بالنسبة للبعض الآخر وهي تكون من طبع مشكل . فيمكن أن يلاحظ أن تلك الأجسام لا تختلط الا اختلاطا ناقصا وإلى حد معين . فقد يقال إن أحدهما هو مجرد مأوى في حين أن الآخر هو الصورة . وهذا على التحقيق هو ما يحصل بالنسبة لهذين الجسمين اللذين سميا آنفا . لأن القصدير الذي هو كمجرد تغير للنحاس بدون مادة يكاد يتلاشى بالتمام وينعدم بالخليط الذي لا يعطيه الا لونا ما . وتحصل الظاهرة عينها أيضا بالنسبة لأجسام أخرى .

§ ١١ - القابلة للتجزئة والمنفصلة - يعنى التي يمكن بسهولة أن تنقسم وأن تقبل فعلا ما بعضها من قبل البعض الآخر . وربما كان يلزم أن يقال « فاعلة » بدل « قابلة للقسمة » . ولكن ليس ولا نسخة واحدة تعطى هذا التصحيح . - التي تتحدد بسهولة - مثل السائل الذي غرب فيما يلى يوضح تماما ماذا يعنى بهذا . - يتعين ويتحدد - ليس فى النص الا كلمة واحدة - الأجسام الدبقة - عبارة النص غير محددة ولكن المعنى الذي اتخذته هو الذي اتخذ فيلوبون . وبدل من الأجسام الدبقة قد يمكن أن يفهم أن المقصود هو السوائل على العموم التي بامتزاجها تصير الكمية الكلية أكثر عظما . - ولكن حينما يكون أحد الشئيين المختلطين - ليس النص على هذا القدر من البيان . - هو وحده المنفصل - على تقدير « فى المزيج » . ولكن العبارة غير جلية ويجب أن يفهم أن أحد الجسمين الممزجين يفعل بشدة فى الآخر ويتلفه بحيث يلاشى . - ألا يكون أعظم البتة - لأن أحدهما يتلاشى بالتمام بوجه التقريب فى المزج . - حائرة - النص هنا يتخذ عبارة مجازية محضة فانه يقول : « رتى » ولم أجد ما يقابلها فى لغتنا . وذلك مجاز جرىء ويظهر أن فيلوبون ذهش له أيضا ، على أن المثل المضروب لذلك يفهم معنى هذه النقطة . - الا اختلاطا ناقصا - وحينئذ لا يكون هذا اختلاطا حقيقيا ما دام أن أحد الجسمين يتلاشى بالكلية تقريبا . - هو الصورة - أو النوع . - اللذين سميا - زدت هاتين الكلمتين لاتمام المعنى . - كمجرد تغير بدون مادة - يعنى الصورة أو النوع التي تكيف الخليط من غير أن تغير مادته . مطلقا وهذا يظهر أنه غاية فى الدقة والخفاء . - لونا ما - الذي ليس هو لون القصدير والذي لا يحوّل لون النحاس الا بعض الشئ .



§ ١٢ - فيرى اذا بحسب جميع التفاصيل المتقدمة أن الاختلاط ممكن وأنه هو ما هو ويرى كيف يكون وما هي الاشياء التي بينها يمكن أن يحصل وهي تلك التي يمكنها أن تقبل فعلا بعضها من قبل البعض الآخر والتي هي قابلة للتحديد بسهولة وقابلة للتجزئة بسهولة . وأن الجواهر من هذا القبيل ليست تفسد ضرورة في الاختلاط ولكنها لا تبقى فيه بعد مطلقا بأعيانها ، فإن اختلاطها ليس مجرد ضم وأن الجسمين لا يكونان بعد مدركين بالحواس . ولكن يقال على شيء انه مختلط متى كان وهو مستطيع ان يتحدد بسهولة يمكنه ان يفعل وينفعل معا وانه يختلط بشيء له أيضا هذه الخواص أعيانها لان الشيء المختلط لا يكونه البتة الا بالإضافة الى شيء يكون وإياه من المتفقة أسماؤها (هو مونيم) . والحاصل أن الاختلاط هو اجتماع الاشياء المختلطة مع استحالة لها .

---

§ ١٢ - فيرى اذا - محصل مضبوط لكل نظرية الاختلاط . - أن الاختلاط ممكن - . ما سبق ف ٢ - هو ما هو بحسب النظريات الخصوصية لارسطو . هذا هو موضوع كل هذا الباب . - قابلة للتحديد بسهولة وقابلة للتجزئة بسهولة - كالتسائل - - ليست تفسد ضرورة - لانها تبقى فيه بالقوة .  
 وأن الجسمين لا يكونان بعد مدركين بالحواس - ليس النص على هذا القدر من الضبط . ولكن المعنى الذي اتخذته ينتج مما قيل سابقا في الفقرة السابقة . فإن الشيء والحب ليسا مختلطين بالمعنى الخاص ولكنهما منضمان . - يقال على شيء انه مختلط - هالك التعريف الحقيقي للاختلاط على رأى أرسطو . - يكون وإياه من المتفقة أسماؤها ( هو مونيم ) - وبعض ناشرى الكتاب يقول « ميانسا له » ( هو مجين » وهذه ربما كانت أحسن ويظهر أن سان توماس اخذها . - والحاصل - البص ليس في هذا التعريف من الصراحة .

## الكتاب الثاني

### الباب الأول

نظرية عناصر الاجسام - عددها - شاهد من أميباقل - المادة ليست منفصلة عن الاجسام كما هو في طيمائوس افلاطون فيما يظهر - نفخ هذه النظرية - انها حقة بجزئها. باطلة بالجزء الاخر - شاهد من المؤلفات المختلفة السابقة - نظرية جديدة على المبادئ. المنصرفة للاجسام - طبعها وعددها .

§ ف ١ - سبق الكلام على الاختلاط وعلى التماس وعلى الفعل وعلى الانفعال ووضح كيف ان هذه الظواهر تقع في الاشياء التي تكابد تغيرات طبيعية . وقد عولج زيادة على ذلك كون الاشياء وفسادها المطلقان وبين. يأتى طريقة وفي اى الاحوال ولماذا هما يحدثان . وقد درست على السواء الاستحالة وحالة الوجود المستحيل . وفي النهاية قد بينت فصول كل واحدة من هذه الظواهر . والآن يبقى علينا ان ندرس ما يسمى عناصر الاجسام لان الكون والفساد في كل الجواهر التي تركبها الطبيعة لا يمكن ان يظهر ا بدون الاجسام التي تدركها حواسنا .

§ ٢ - من الفلاسفة من يزعمون ان جميع العناصر مكونة من مادة واحدة بالحقيقة والعدد ويفترضون انها هي الهواء او النار او جسم ما

§ ك ٢ ب ١ ف ١ - سبق الكلام على الاختلاط - تلخيص لكل ما سبق في الكتاب الاول فان نظرية الاختلاط قد عرضت في الباب العاشر منه . وعلى التماس - لم يكن ذكر التماس الا عرضا لانه لم يفرد للتماس نظرية خاصة . ر ١ ك ١ ب ٦ . وعلى الفعل وعلى الانفعال - ر ١ ك ١ ب ٦ و ٧ وما يليها - التي تكابد تغيرات طبيعية - يصرف النظر على التغيرات التي تحدثها الصناعة او ارادة الانسان . ر ١ ما سبق ك ١ ب ٦ ف ١ - كون الاشياء وفسادها المطلقان - ر ١ ك ١ ب ١ و ٣ وما بعدها . الاستحالة وحالة الوجود المستحيل - ر ١ ك ١ ب ٤ - فصول كل واحدة من هذه الظواهر - في اثناء بيان كل واحدة من تلك النظريات الخاصة قد بينت الفصول التي تفصل كل واحدة من الظواهر التي كانت على التعاقب موضع الدرس .

§ ٢ - هي الهواء - كما كان يعتقد ديوجين الابلوني والتكسين . او النار كما كان يعتقد هيرقليطس الايفزوسى وهيباس كما روى فيلوبون . - جسم ما وسط. كان هذا مذهب اكسيمندروس الذي كان يفترض عنصرا خامسا اخذا من طبع الاربع الاخرى وهو مع ذلك متميز عنها . - جاعلين هذه المادة - ليس النص على هذا القدر من القسرة . - هؤلاء النار والارض - كما هو مذهب برمينيد . - وأولئك الهواء ثالثا . =

وسط بينهما جاعلين هذه المادة جسما جوهريا متميزا تماما ومنصداً .  
 وآخرون يرون انه يوجد أكثر من عنصر واحد ويقبلون حينئذ على السواء :  
 هؤلاء النار والارض ، وأولئك الهواء ثالثا مع العنصرين المتقدمين . وآخرون  
 مثل أمبيدقل يزيدون الماء كعنصر رابع . وفي هذه المذاهب المختلفة  
 انما هو باجتماع هذه العناصر وافتراقها أو استحالتها يعزل كون الاشياء  
 وفسادها .

§ ٣ - فلنسلم بلا أدنى صعوبة أن هذه الاوليات للاشياء يمكن  
 بغاية الموافقة ان تسمى مبادئ وعناصر وانه انما بتغيرها بتجزئة أو تركيب  
 متكافئ أو أى نوع اخر من التغيير الذى تعانیه يأتي كون الاشياء وفسادها .  
 ولكن يخدع المرء نفسه بالتسليم بأنه يوجد مادة واحدة بعينها خارج جميع  
 العناصر وجعلها منفصلة وجسمانية . لان من المحال أن هذا الجسم اذا كان  
 مدركا بحواسنا يمكن ان يوجد من غير ان يعرض اضدادا ما . ويلزم  
 ضرورة أن هذا اللاتناهي الذى اتخذه بعض الفلاسفة مبدأ لهم يكون خفيفا  
 أو ثقيلًا باردا أو حارا .

§ ٤ - ولكن الطريقة التى شرح بها هذا المبدأ فى « طيماوس » ليس  
 فيها شيء من الضبط لانه لم يقل على وجه جلى ما اذا كان هذا الاصل  
 لجميع الاشياء متميزا ومنفصلا عن العناصر . والمحقق هو ان طيماوس لم  
 يرجع فى واحد منها الى هذا المبدأ ولو انه قال مع ذلك انه الموضوع  
 السابق لكل ما يسمى بالعناصر كما أن الذهب هو على الاسبقية موضوع

= مع المنصرين - ذلك كان مذهب يون الشيزوى اذا صدق تفسير فيلوبون . - مثل  
 أمبيدقل - انما هو دائما أمبيدقل الذى ينسب اليه الوسطى نظرية العناصر الاربعة .  
 أيضا الطبيعة ك ٣ ب ٧ ف ٩ وما بعدها من ترجمتنا .

§ ٣ - هذه الاوليات للاشياء - حفظت عبارة النص بذاتها . - أى نوع آخر من  
 التغيير مثلا لا يمكن الا الاستحالة عند المذاهب التى لا تقبل ألا عنصرا واحدا لانه يتغير  
 هذا العنصر الوحيد الى ما لا نهاية له تتكون جميع الظواهر الاخرى . - وجسمانية -  
 هذه هى ترجمة الكلمة الواردة فى النص بالضبط . - اذا كان مدركا بحواسنا - ويجب  
 أن يكونه ما دام أنه جوهري ومنفصل عن جميع الآخر . - من غير أن يعرض اضدادا  
 ما - عبارة النص هى « بلا تضاد » . - هذا اللاتناهي - أو « هذا غير المحدود » .  
 § ٤ هذا الاصل لجميع الاشياء - ر . ترجمة طيماوس أفلاطون لكوزان ص ١٥٢ .

- متميزا ومنفصلا عن العناصر - النقد حق ان لم يكن مبنا جدا . - على الاسبقية  
 أضفت هاتين الكلمتين . - موضوع المصنوعات الذهبية ر . طيماوس ص ١٥٤ من  
 ترجمة كوزان . - على الصورة التى التى بها الينا - وفى الواقع ان طيماوس لا يتكلم  
 الا على التصانير المتعاقبة لسبيكة الذهب ولا يتكلم البتة على كونها الاصل . ان تسمى  
 الاشياء - التعبير ليس واضح البيان ، وهو يعينه الذى استخدمه طيماوس فى هذا =

المصنوعات الذهبية . ومع ذلك فان هذا الايضاح ليس حسنا على الصورة التي القى بها الينا . فانه يجوز تماما انطباقه على الحالات التي يوجد فيها استحالة بسيطة ، ولكن بالنسبة للحالات التي فيها كون وفساد يكون محالا أن تسمى الاشياء بالتي تأتي . صدق طيماوس اذ يقول انه لا دخل في باب الحق أن يقرر أن كل مصنوع من الذهب هو ذهب لكن مع ان عناصر الاشياء تكون جامدة فانه يجاوز بتحليلها الى حد السطوح . ومحال أن سطوحا تكون المادة الاولى التي يكلموننا عنها § ٥ - نحن أيضا نعترف انه يوجد مادة ما للجسام التي تدركها حواسنا ولكن هذه المادة التي منها يأتي ما يسمى بالعناصر ليست منعزلة البتة بل هي توجد دائما مع اضداد . على أن هذا الموضوع قد درس في موطن آخر بأوسع من ذلك وأضبط § ٦ - على أنه لما أن الاجسام الاول يمكن أيضا بهذه الطريقة أن تأتي من المادة فيلزم التكلم على هذه الاجسام مع التسليم بأن المادة هي المبدأ والمبدأ الاول للاشياء ولكنها غير منفصلة عنها وانها موضوع الاضداد . فان الحار مثلا ليس هو مادة البارد كما أن البارد ليس مادة الحار . ولكن المادة هي موضوع الاثنين .

= الموضوع . فانه يمكن أن يقال على الشيء المصنوع من سبيكة الذهب انه ذهب ولكن بالنسبة للشيء الذي يتكون والذي يتولد من لا شيء لا يمكن أن يعطى اسم الشيء الذي خرج منه ما دام أنه لم يأت من شيء آخر . - نلتى منها تأتي - اذا كان الامر بصدد الكون « والتي اليها تعلم » اذا كان الامر بصدد الفساد . - صدق طيماوس - ليس النص على هذه الصراحة . لا دخل في باب الحق أن يقرر - ر . طيماوس لافلاطون ص ١٥٤ ترجمة كوزان . - الى حد السطوح - ز . كتاب السماء ك ٣ ب ٧ وما بعده . فان افلاطون لما حلل الاجسام الى سطوح قد نزع منها كل حقيقة . وان التحليل :للبالغ الى هذا الحد البعيد قد أفسدها - يكلموننا عنها - أضفت هذه الكلمات .

§ ٥ - نحن أيضا نعترف - ليس النص على هذا القدر من الضبط . - منها يأتي ما يسمى بالعناصر - هذه الفكرة لا تظهر أنها عريضة في الصحة . - وأن المراد بالمادة هنا انما هو حال منطقية للاجسام أكثر منه حالا حقيقية . فقد يمكن حينئذ أن هذه الجملة لم تكن الا تذييلا أضافه الى النص بعض المفسرين . ومع ذلك فان هذه الجملة موجودة في نص فيلوبون . - ليست منعزلة البتة وباقية على طريق الاستقلال عن الاجسام كالمادة التي أخطأ افلاطون ، على رأى أرسطو ، في قبولها . - مع اضداد - فان المادة لها دائما كيف يميزها لا انفكاك لها عنه - في موطن آخر - في الطبيعة ك ١ ب ٨ خصوصا ف ٢٠ س ٤٨٤ من ترجمتنا . وفي كتاب السماء ك ٣ . - بأوسع من ذلك وأضبط - ليس في النص الا كلمة واحدة .

§ ٦ الاجسام الاول - حفظت للنص عبارته بتمامها ، ولكن المراد هنا هو العناصر مع جميع الاجسام الخاصة التي تركيبها على حسب نظريات أرسطو التي هي أيضا مثلا - أضفت هذه الكلمة . - ليس هو مادة - بل هو الضد وتحت الضدين الموضوع الذي يكيفانه على طريق التناوب .

§ ٧ - حينئذ بادىء بدء الجسم الذى هو مدرك بالقوة باحساسنا هذا هو المبدأ ثم بعد ذلك تأتى الاضداد كالحار والبارد مثلا . وفى المقام الثالث النار والماء والعناصر الاخرى المشابهة . هذه الاجسام كلها تتغير تغيرا بعضها الى بعض ولكن لا بالطريقة التى يقول بها أمبيدقل وفلاسفة آخرون ، لانه بحسب نظرياتهم قد لا يكون بعد حتى ولا الاستحالة ، وانما هى المقابلات بالاضداد هى التى لا تتغير بعضها الى بعض . على انه لما كانت تلك هى مبادئ الاجسام فلا بد مع ذلك من دراسة كيفياتها وعددها لان الفلاسفة الآخرين استخدموا ذلك فى مذاهبهم بعد أن قبلوها على طريق الفرض ولكنهم لا يقولون لماذا هذه الاضداد لها الطبع الفلانى وأنها فى العدد الذى نراها عليه .

---

§ ٧ - الجسم الذى هو مدرك - هو المادة الملهومة على المعنى المتلقى أى المحسوسة بالقوة ولكنها ليست مدركة الا على شكل واحد من الاثنين . - النار والماء - يعنى الازمنة والعناصر مع جميع الاجسام الخاصة التى تركيبها على حسب نظريات أرسطو التى هى أيضا نظريات الاقدمين . - الطريقة التى يقول بها أمبيدقل وفلاسفة آخرون - المعنى ليس يبقا وقد جعله الايجاز فى التعبير غامضا . فان أمبيدقل وفلاسفة آخرين يرون العناصر غير قابلة للتغير مطلقا ومن ثم لا يمكن أن يفهم مع عدم قابلية التغير نظرية الاستحالة ههما كانت مسلما بها . - وانما هى المقابلات ب ليس النص على هذا القدر من الصراحة . - فى مذاهبهم . - أضفت هاتين الكلمتين .

## الباب الثانى

حد الجسم كما تعرفه لنا حاسة اللمس - تعديد الاضداد الاصلية التى يعرفها  
الجسم المحسوس باللمس - فصول هذه الاضداد - الفعل المتباين للبارد والبارد والجاف  
والسائل - علاقة جميع الفصول الاخرى بهذه الفصول الاربعة الاصلية .

§ ١ - ما دمنا نبحث فيما هى مبادئ الجسم المدرك بحواسنا أعنى  
الجسم الذى يستطيع اللمس ان يدركه وما دام ان جميعها يعرفنا اياه  
اللمس هو الذى يكون حسه الخاص هو اللمس فينتج بالبداية ان جميع  
المقابلات بالاضداد التى يمكن مشاهدتها فى الجسم لا تؤلف أنواعه ومبادئه  
ولكنها انما هى فقط أنواع ومبادئ الاضداد التى تخص حاسة اللمس .  
ان الاجسام تتميز بأضدادها ، ولكن بأضدادها التى يمكن لللمس ان يبينها  
لنا . لذلك نرى لماذا انه لا البياض ولا السواد ولا الحلاوة ولا المرارة ولا  
أى واحد من الاضداد المحسوسة ليس عنصرا للجسم .

§ ٢ - وهذا لا يمنع ان يكون النظر حاسة أسمى من اللمس  
وبالنسبة أن موضوع النظر هو اسمى أيضا . ولكن النظر ليس عرضا  
للجسم الملموس بما هو ملموس بل هو يرجع الى شئ مغاير تماما يمكن  
ذلك أن يكون متقدما عليه بطبعه .

§ ٢ ب ١ - الجسم المدرك بحواسنا - الجسم المادى والمحسوس . - أعنى  
الجسم الذى يستطيع اللمس أن يدركه - يلاحظ فيلوبون بحق أن أرسطو يشغل أولا  
بحاسة اللمس لان هذه الحاسة أكثر الحواس ادراكا ممكنا . فان من الاجسام التى تخفى  
على نظرنا ما ندرکه بحواسنا . وذلك كالهواء اذ بينما لا يمكننا أن نراه يؤثر احساسنا  
بان يلامسنا . - يعرفنا اياه اللمس - عبارة النص هى : « جسم قابل لللمس » . -  
التى يمكن مشاهدتها فى الجسم - أضفت هذه العبارة لبيان الفكرة تماما . - لا تؤلف  
أنواعه ومبادئه - هذا التفوق الذى لحاسة اللمس يتقدم تمييز الكيفيات الاول والثانى  
للجسم ويذكر به . تلك هى النظرية التى قبلتها بعد ذلك المدرسة الايقوسية . - ليس  
عنصرا للجسم - عبارة النص : « لا تكون عناصر » .

§ ٢ - أن يكون النظر حاسة أسمى - ر . كتاب النفس ك ٢ ب ٧ ص ٢٠٨  
من ترجمتنا فى نظرية الرؤية . - من اللمس - ر . كتاب النفس ب ١١ ص ٢٣٧ .  
أن موضوع النظر هو اسمى أيضا - ز . أول ما يسمه الطبيعة : ك ١ ب ١ ص ١٢١  
من ترجمة كوزان الطبعة الثانية . فان أرسطو يجعل فيها النظر أعلى من جميع  
الحواس كما فعل هنا . - ليس عرضا - أو « كيفا » . - الى شئ مغاير تماما  
سقطت عبارة النص على عدم تحددها . - متقدما عليه بطبعه - أى للشئ الخاص  
بحاسة اللمس .

§ ٣ - حينئذ بالنسبة للملحوسات انفسها يلزم الفحص والتمييز بين الفصول الاولى لها ومقابلاتها الاولى بالاضداد . المقابلات والمضادات التى يبينها لنا اللبس هي الآتية : البارد والحر ، اليابس والرطب ، الثقيل والخفيف ، الصلب واللين ، الدبق والفريك ، الاملس والحشن ، الكثيف والمتخلخل . من بين هذه الاضداد الثقيل والخفيف ليسا لا فاعلين ولا منفعلين لانه ليس لانهما يفعلان أحدهما فى الآخر او لانهما ينفعان أحدهما من الآخر أعطيا الاسم الذى يحملانه . ومع ذلك يلزم أن العناصر يمكن ان تفعل وتنفعل بعضها من بعض على طريق التكافؤ ما دام انها تختلط وتتغير على طريق التكافؤ بعضها الى بعض .

§ ٤ - ولكن الحر والبارد واليابس والرطب هي مسماة كذلك أولاها لانها تفعل والآخرى لانها تنفعل . فان الحر هو الذى يجمع ما بين الجوهر المتجانسة لانه التفريق الذى يقال عن النار انها تفعله انما هو فى حقيقة الامر تركيب الاشياء التى من نوع واحد ما دام أن الذى يحصل اذا هو ان النار تخرج الجوهر الغريبة وتنفيها . والبرد على ضد ذلك يجمع ويركب على السواء الاشياء التى من نوع واحد والتى ليست من نوع واحد ، ويسمى سائلا ما ليس محدودا فى صورته الخاصة ولكنه يمكن مع ذلك ان يقبل بسهولة صورة . واليابس على ضد ذلك هو ما كان بماله من صورة محددة تماما فى حدودها الخاصة لا يقبل صورة جديدة الا بقاء .

§ ٣ - بالنسبة للملحوسات انفسها - حفظت كلمة النص بمعناها التى لا خفاء فى معناها بعد الايضاحات السابقة . فان الملحوسات هي الاجسام التى تعرفها لنا حاسة اللبس فقط . - الفحص والتمييز - ليس فى النص الا كلمة واحدة . ومقابلاتها الاولى بالاضداد - عبارة النص : « التضاد » . - لانها يفعلان أحدهما فى الآخر - عبارة النص ليست على هذا الوضوح . - أعطيا الاسم الذى يحملانه - عبارة النص أكثر ايجازا .

§ ٤ - أولاها لانها تفعل - يظهر أن فعل البارد وفعل الحر متكافئان تماما وانهما يفعلان ويقبلان على السواء . ويعنى بأولاهما الحر والبارد وبآخرهما اليابس والرطب وقد عنى فيلوبون بأن يوضح فى طلبنا لماذا يجعل أرسطو من البارد والحر عنصرين فاعلين ومن اليابس والرطب عنصرين منفعلين . ر . عن هذه النظرية كلها الكتاب الرابع من الميتافيزيقيا ب ١ وما بعده . ص ٢٧٣ من ترجمتنا - هو الذى يجمع - وبهذا المعنى أن الحر يفعل . - الجوهر المتجانسة - هذا يقال خصوصا على الجواهر التى تسبغ وتذوب تحت فعل النار فيكون قوامها اذا كالمسائل . - فى حقيقة الامر - زدت هذه الكلمات - تخرج . . . وتنفى - ليس فى النص الا كلمة واحدة . - البرد على ضد ذلك يجمع - وعلى هذا المعنى فالبرد هو فاعل كالحراة . - والتى ليست من نوع واحد - فان الثلج يجلد ويجمع غالبا الجوهر الأكثر تغاييرا . - ما ليس محدودا فى صورته الخاصة - فان المسائل لم يكن البتة الا صورة الحوى له . أما هو نفسه فليس له صورة فى كتلته . - فى حدودها الخاصة - أو « فى سطحه الظاهر الخاص » . صورة . . . حدود - النص يستخدم للفظ واحدا للدلالة على صورة أو حدود .

§ - ٥ من هذه الفصول الاول انما يأتى المتخلخل والكثيف والدقيق والفريك والصلب واللين والفصول الاخرى المشابهة . اذا فان جسما له خاصة امكان أن يملأ الاين بسهولة يتصل بالسائل لانه غير محدد هو نفسه وانه يخضع من غير أدنى عناء الى فعل الشيء الذى يلمسه تركا ذاته تأخذ صورة ذلك الشيء . كذلك المتخلخل يمكنه أن يملأ الاين على سواء لانه لما لم يكن له الا أجزاء خفيفة وصغيرة كان يجيد الملاء ويلامس تماما وهذه خاصة تميز على الخصوص الجسم المتخلخل . حينئذ بالبدئية المتخلخل يقارب السائل في حين أن الكثيف يقارب اليايس . ومن جهة اخرى الدقيق يتعلق ايضا بالسائل لان الدقيق ليس الا نوعا من السائل مع بعض كفيات كالزيت . ولكن الفريك يتعلق باليايس لان الفريك انما هو النام اليبس . ويمكن القول بأنه لم يتجمد الا لحلوله من كل سائل . ويمكن أنه يقال أيضا ان اللين جزء من السائل لان اللين هو ما يطاوع عند التواءه على نفسه ودون أن ينتقل كما أن السائل يفعل هذا الفعل بالضبط أيضا . تلك هى العلة فى ان السائل لم يسم ليناً فى حين ان اللين يتعلق بصنف السائل وأخيرا فالصلب يتعلق باليايس لان الصلب هو شيء من المتجمد واليايس .

§ ٦ - على أن يابسا وسائلا لفظان يحملان على معان شتى ، فان السائل والمبتل يمكن ان يعتبرا كمقابلين لليابس كما انه اليايس والمتجمد هما مقابلان للسائل . وكل هذه الخواص المختلفة تتعلق بالسائل واليايس

§ ٥ - من هذه الفصول الاول ليس النص على هذا القدر من الصراحة . والفصول الاخرى المشابهة - التى قد لا تكون الا ثانوية بالنسبة للفصول الاول للبارد والحاد واليايس والرطب . - له خاصة امكان أن يملأ الاين - ليس فى النص الا كلمة واحدة . ويمكن أيضا أن يفهم من الاين « الامكنة الفارغة او التجاويف » كما فهم فيلوبون . - يتصل بالسائل - عبارة النص بالضبط : « هو من السائل » أى جزء منه . - خفيفة وصغيرة - هذا غير صحيح تماما وان السطح مهما يكن متخلخلا فانه لا يحسن أن يملأ الاين بحسب الوضع الذى يعطى اياه . - يتعلق أيضا بالسائل - او « من السائل » كما ذكر فى المتخلخل .

— كالزيت - كان يمكن ايجاد مثل أكثر الطباقا . - من كل سائل - او « من كل رطوبة » - ودون أن ينتقل - كحال الماء الذى تنفصل جزئياته فى حين أن الجسم اللين تبقى جزئياته متصلة مع مطاوعتها للضغط الواقع عليها - يتعلق بصنف السائل - او هو من السائل . - من المتجمد - هذا هو لفظ النص بعينه تركته على عومه .

§ ٦ يابسا وسائلا - او « يابسا ورطبا » وقد أثرت كلمة سائل حتى تكون مقابلته أظهر بالمبتل الذى سيأتى ذكره . - اليايس والمتجمد - ربما يمكن أن يقال أيضا ( اليايس والمتجمد ) هذه الخواص المختلفة - ليس النص على هذا القدر من الضبط . - على المعنى الأولى لهاتين الكلمتين - ر . الملاحظة فى ف ٣ - المتفتح - او « المنمورة » - يتصل بالسائل - ر . ملاحظتنا على هذا التعبير فى الفقرة السالفة .



محمولين على المعنى الاولى لهاتين الكلمتين ، لانه من حيث ان اليابس هو مقابل للمبتل وان المبتل هو ما كان به على سطحه سائل غريب في حين ان المتنقع هو ما به السائل الى باطنه . ولما ان اليابس هو على ضد ذلك ما كان خلوا من كل سائل غريب فبين بذاته ان المبتل يتصل بالسائل في حين ان اليابس المقابل له يتصل باليابس الاولى .

§ ٧ - ويجرى هذا المجرى أيضا في السائل والمتجمد فان السائل لما كان ما به رطوبة خاصة وانجمد ما هو خلوا منها يجب أن يستنتج منه أن هذين الكيفين أحدهما يتعلق بصنف السائل والآخر بصنف اليابس .

§ ٨ - فبين حينئذ أن كل الفصول الاخرى يمكن أن يرجع بها الى الاربع الاولى وان هذه لا يمكن أن ينزل عددها الى أقل من ذلك لان الحار ليس هو والرطب أو اليابس شيئا واحدا كما ان الرطب ليس هو لا الحار ولا البارد . كذلك البارد واليابس ليسا تابعين أحدهما للآخر كما أنهما ليسا تابعين للحار ولا للرطب . والحاصل انه لا يوجد ضرورة الا هذه الاربعة الفصول الاصلية .

---

§ ٧ - في السائل ... بصنف السائل - يظهر أن هنا تكرارا في الكلمات لا فائدة منه وقد اضطرت أن أتبع الاصل . ولم يفسر فيلويون هذا الغيب الذي ربما لم يظن له .

§ ٨ - كل الفصول الاخرى - التي ذكرت ووضحت بعد الفصول الاربعة الاولى والاصلية - الى الاربعة الاولى - البارد والحار واليابس والرطب . - الى أقل - يعنى الى اثنين بدل اربعة . - والرطب - أو « السائل » - الاصلية - أضفت هذا الوصف . و الكتاب الرابع من الميتيورولوجيا ب ١ .

## الباب الثالث

تراكيب العناصر بين بعضها والبعض - ليس منها الا اربعة لان الاضداد خارجة عنها - نظريات سابقة على عدد العناصر - برمينيد - افلاطون - امبيدكل - طبع العناصر المختلفة الامكنة المختلفة التي يشغلها في الاين .

§ ١ - لما انه يوجد اربعة عناصر وان التراكيب الممكنة لحدود اربعة هي ستة ، ولكن أيضا لما ان الاضداد لا يمكن أن تزودج بينها ما دام البارد والحر واليابس والرطب لا يمكن البتة أن تندمج في شيء واحد بعينه ، فبين أنه لا يبقى الا اربعة تراكيب للعناصر . فمن جهة ، حار ويابس ، حار ورطب ، ومن جهة أخرى بارد ويابس ، بارد ورطب .

§ ٢ - تلك هي نتيجة طبيعية لوجود الاجسام التي تظهر بأنها بسيطة : النار والهواء والماء والارض ، فالنار حارة ويابسة والهواء حار ورطب ما دام أن الهواء نوع من البخار . والماء بارد وسائل واخيرا الارض ياردة ويابسة . ينتج منه أن توزيع هذه الفصول بين الاجسام الاول يفهم جد الفهم وأن عدد هؤلاء وهؤلاء هو على تمام التناسب .

§ ٣ - وفي الحق ان كل الفلاسفة باعترافهم للاجسام البسيطة بأنها عناصر قبلوا منها تارة واحدا وتارة اثنتين وتارة ثلاثة وتارة اربعة .

§ ٤ - فأما الذين لم يقبلوا منها الا واحدا فمضطرون الى توليد كل الأخرى من تكثيف هذا العنصر او تخفيفه . وبالتبع يقبلون مبدأين

§ ١ - لما انه يوجد اربعة عناصر - هذه هي عبارة النص ولكن الحار والبارد ، واليابس والرطب اولي بها ان تكون خواص للعناصر من أن تكون عناصر بالمعنى الخاص . - أن تزودج بينها - لانها تنفاسد . - أنه لا يبقى الا اربعة تراكيب - ليس النص على هذه الصراحة . - رطب - أخذت اللفظ الأكثر استعمالا عادة ولكن اللفظ الاغريقي يفيد سائلا كما يفيد رطبا .

§ ٢ التي تظهر بأنها بسيطة - أسلوب هذه العبارة لا يدع محالا لقل شك في بساطة العناصر بالاطلاق على حسب نظريات أرسطو . وقوله تظهر بأنها بسيطة يفيد أن بساطة العناصر يمكن أن تحقق بالمعينة . - والماء بارد وسائل - اخترت هنا لفظ سائل بدل رطب لانه أنسب للماء .

§ ٣ - للاجسام البسيطة بأنها عناصر - الظاهر أنه ينتج من هذه الفقرة أنه ولا واحد من الفلاسفة قد قبل أكثر من اربعة عناصر . ومع ذلك لأن أرسطو نفسه في الميتولوجيا قبل قيمة يظهر خامسا وهو الاثير . ر . الميتولوجيا ك ١ ب ٣ ف ٤ ص ٩ من ترجمتنا .

§ ٤ - تكثيف . . . أو تخفيفه - ر . الطبيعة ك ١ ب ٦ ف ١ ص ٤٦١ من ترجمتنا . - هذا العنصر - أضفت هاتين الكلمتين لتعظيم الفكرة . - الفاعل المؤلفة - أو

المتخلخل والكثيف أو الحار والبارد لأنها في هذا المذهب هي الفواعل  
المؤلفة والعنصر الوحيد يكون خاضعا لفعالها بما هو مادة .

§ ٥ - وأما الفلاسفة الذين هم كبرمينيد يقبلون عنصرين النار  
والارض ، فيعتبرون العناصر الوسيطة الهواء والماء مزيجا من ذينكم  
العنصرين . كذلك الحال عند الذين يقبلون عناصر ثلاثة كما فعل افلاطون  
في تقاسيمه لان عنده العنصر الوسط ليس الا مزيجا . وحينئذ الذين  
يقبلون عنصرين والذين يقبلون ثلاثة يوشك أن يكونوا على اتفاق تام لولا  
أن بعضهم يقسم العنصر الوسط الى اثنين وأن الآخرين يتركون له  
وحدته .

§ ٦ - ومنهم كمايبدقل من يصترفون جليا بأربعة عناصر غير انه هو  
أيضا ينزلها الى اثنين لانه يقابل بالنار كل العناصر الاخرى مجتمعة .  
فعلى رأى أمبيدقل يكون لا النار ولا الهواء ولا اى واحد من العناصر  
الاخرى بسيطاً بل ممزوجا . فان الاجسام البسيطة هي جميعها بسيطة

« الصانعة » . - خاضعا لفعالها - ليس النص على هذه الصراحة . - بما هو مادة - اهل  
لان تقبل الاضداد على التماقب .

§ ٥ - كبرمينيد - في الطبيعة ك ١ ب ٦ ف ١ أن المبداين المنسوبين الى برمينيد  
هما المتخلخل والكثيف أو الحار والبارد وليس هما النار والارض مع أن النار يمكن أن  
تخصى بالجار والارض بالبارد . - في تقاسيمه - قد يظهر أن هذا يدل على عنوان  
خاص لمؤلف افلاطون ولكن فيلويون بناء على قول مفسرين سابقين يؤكد أن المؤلف  
المنسوب الى افلاطون تحت هذا الاسم كان منتحلا . ويرى الاسكندر الافروديزي أن  
المقصود هنا هو تلك الآراء غير المكتوبة لافلاطون التي يرويها أرسطر بالصراحة في  
الطبيعة ك ٤ ب ٤ ف ٤ ص ١٥٠ من ترجمتنا . وقد ظن شراح آخرون أن المقصود هو  
التقاسيم المبينة في محاوراة افلاطون المعنونة « السفسطائي » . ويظهر أن تفسير الاسكندر  
هو الاقرب للاحتمال . - ليس الا مزيجا - كما يرى برمينيد . - يوشك أن يكونوا  
على اتفاق تام - ما دام أنه مزيج في عرف الطرفين . - العنصر الوسط الى اثنين - قد  
لا يكون هذا مطابقا تماما لما قيل آنفا فان برمينيد يظهر أنه يقبل عنصرين وسطين لا  
واحدا ولا يمكنه أن يدمج الهواء والماء .

§ ٦ كمايبدقل - ر . ما سبق ب ١ ف ٢ . - كل العناصر الاخرى مجتمعة  
- ليس النص على هذا الضبط . - فعلى رأى أمبيدقل - أضفت هذه العبارة لانه يظهر  
لي أن كل ما سياتي لا يمكن استنباده الا الى أمبيدقل . وهذا تفسير بان توماسر وجامعة  
كوبمبرا . ويظهر أن فيلويون يظن أن هذه هي فكرة أرسطو الخاصة . - بل ممزوجا -  
من الصورة والهيولى كما يقول فيلويون . - الاجسام البسيطة - عبارة للنص غير  
محددة وهي « البسائط » ومن الجائز أن يكون المراد هنا الاربعة العناصر الخاصة الحسان  
والبارد والهائيس والرطب . وعلى الرغم من الجهد الذي بذلته لا تزال هذه الفقرة قلقة  
غامضة . - الجسم المشابه للنار - هو المركب من الحار والهائيس . - ما سبق ف ٢ .  
- ولكنه مع ذلك - ليس النص على هذه الصراحة . - الجسم المشابه للهواء - وهو المركب من

بلا شك ، ولكنها ليست مع ذلك متماثلة • مثلاً الجسم المشابه للنار هو من نوع النار ولكنه مع ذلك ليس بانضبط ناراً • والجسم المشابه للهواء هو من نوع الهواء دون أن يكون هواء • وكذلك الحال في بقية العناصر • ولكن النار هي افراط في الحرارة كما أن الثلج افراط في البرودة لأن التجلد والغليان هما افراطان من جنس ما أحدهما للبارد والثاني للحار • فإذا كان إذا الثلج هو تجلد السائل والبارد ، فالنار تكون أيضاً غليان الحار واليابس • فأنظر لماذا لا يمكن أن يتولد شيء لا من الثلج ولا من النار •

٨ ٧ - الاجسام البسيطة بما هي في عدد الاربعة تتعلق اثنين اثنين بكل واحد من مكاني الاين • فالهواء والنار هما من المكان المائل نحو الحد الأقصى • والارض والماء بالمكان الذي هو نحو المركز وأن العناصر الطرفية والمخالصة أكثر من غيرها هي النار والارض • والعناصر الوسطى والاكثر ممازجة هي الماء والهواء • وفي كل طائفة احد الاثنين هو ضد للآخر لان الماء ضد النار والارض ضد الهواء ما دام أن لها في تركيبها كيفيات متضادة •

الحار والرطب • ر • ما سبق ف ٢ • - التجلد والغليان - من الغريب أن ترى هاتين الظاهرتين متقابلتين في نظريات القدماء • وقد لزم أن تمر قرون عديدة حتى ينتج هذا التقابل نتائج العملية فيؤسس عليه ميزان الحرارة ( الترمومتر ) هذه الآلة العجيبة التي تصلح لتحديد درجة حرارة الاجسام • فأنظر لماذا لا يمكن أن يتولد شيء لا يظهر أن المعاني مرتبطة جد الارتباط بعضها ببعض وقد يمكن أن تكون هذه الجملة ليست لا تديلاً •

٨ ٧ - الاجسام البسيطة - هذه هي عبارة النص بعينها ويظهر أن ارسطو هنا يرجع الى الكلام على مذهبه الخاص وأن ليس المراد هنا :كلام على المذهب الخاصة الامبيدقلى • بكل واحد من مكاني - الفوق والتحت • - الاين - أضفت هذه الكلمة ١٠ سم من المكان المائل نحو الحد الأقصى - عبارة النص غير محددة قليلاً ومع أنى حدودها نوعاً ما فلم أبلغ جعلها أجل بياناً • - الذي هو نحو المركز - نلاحظ هنا الملاحظة السابقة • - العناصر العارضية - يعنى التي هي في النفط الاكثر مقابلة من الاين للمركز وللحيط الاقصى • - والمخالصة أكثر من غيرها - هذا يجب أن يعنى به حركة هذه العناصر الأولى من أن يعنى به تركيبها • وقد يمكن أن يقال « الاظهر » في اتجاهها • - والاكثر ممازجة - هذه هي عبارة النص بعينها ولكنه يلزم أن يفهم أن هذا ينطبق خصوصاً على الحركة • - هو ضد للآخر - في الطائفة الاخرى • - الارض ضد الهواء - التقابل ليس بين الظهور • - كيفيات متضادة - أنظر ما يلي •

§ ٨ - ومع ذلك فعلى القول بالاطلاق الاربعة الاجسام البسيطة  
لا يتعلق كل واحد منها الا بكيف واحد . على ذلك الارض هي من اليابس  
أكثر من أن تكون من البارد والماء هو من البارد أكثر من أن يكون من  
السائل . والهواء هو من السائل أكثر من أن يكون من الحار والنار هي  
من الحار أكثر من أن تكون من اليابس .

---

§ ٨ - فعلى القول بالاطلاق - زدت لفظ « القول » . - الا بكيف واحد - عبسارة  
النص غير محدودة . - أكثر من أن تكون - هذا يناقض قليلا مفهوم قوله «على الاطلاق»  
في أول الجملة . - من البارد أكثر من أن يكون من السائل - يظهر أن الامر على ضد  
ذلك أن الماء سائل أكثر منا، باردا . فهو سائل قبل كل شيء ولكن المذهب الذي وضع  
هنا يقتضى هذا التناظر في الوضع . فقد تركت السيولة للهواء وربما قد يمكن أن يقال  
أيضا بدل السيولة السائلة .

## الباب الرابع

نظرية تبدل العناصر بعضها ببعض - فصول العناصر فيما بينها يمكن أن تكون أكثر أو أقل عددا - سهولة التبدل وصعوبته - أمثلة مختلفة بحسب تجاوز العناصر أو ابتعاد بينها في النظام الذي هي مرتبة به ويحسب توافر كليات العناصر أو ثقلها - خاتمة الجزء الاول لنظرية التبدل المتكافئ بين العناصر .

§ ١ - بعد أن بينا فيما سبق أن الأجسام البسيطة يكون بعضها بعضا على طريق التكافؤ وأن المعاينة الحسية تدلنا على أنها تتكون بهذه الطريقة لانه ان لم يكن كذلك فقد لا توجد استحالة ، ما دامت الاستحالة لا تنطبق الا على كليات الاشياء التي يمكن لمسها ، فيلزمنا أن نقول بأى طريقة يحصل تغير العناصر بعضها الى بعض وما اذا كان ممكنا أن كل عنصر يتولد من كل عنصر أو اذا كان هذا ممكنا فقط بالنسبة للبعض ومحالا بالنسبة للبعض الآخر .

§ ٢ - فإذا كان ثم أمر بديهي فذلك هو أن كلها يمكن بالطبع أن تفسر بعضها الى بعض لأن كون الاشياء يروح الى الاضداد ويحيى من الانسداد . وكل العناصر لها تقابل بعضها بالنسبة الى البعض الآخر لان فصولها أضداد وحيث أن في بعض العناصر الفصلان هما ضدان ومثال ذلك في الماء والذار فان أحدهما يابس وحار في حين أن الآخر سائل وبارد . وبعض العناصر الاخرى ليس لها الا واحد من الفصلين كالهواء والماء فان أحدهما هو سائل وحار والثاني بارد وسائل .

§ ١ - بعد أن بينا فيما سبق - ر . كتاب السماء ك ٣ - ٧ ف ١ من ٢٦٥ من ترجمتنا . ويظهر بناء على هذه الفقرة ان كتاب السماء كان في فكرة المؤلف مرتبطا بهذا الكتاب كما يفسرون اذ وضعوا الكتابين أحدهما تلو الآخر . - المعاينة الحسية - عبارة النص « الحس » . لانه ان لم يكن كذلك فقد لا توجد استحالة بالدليل بسجد البيان ، ان الاستحالة مختلفة عن الكون وانها تقتضيه . فانه يلزم أن يوجد الشيء قبل أن يستحيل ولكن وجود العنصر لشيء لا ينتج منه أن هذا العنصر يأتي من عنصر آخر . - التي يمكن لمسها - ر . ما سبق ب ٢ ف ١ . - تغير العناصر بعضها الى بعض - يمكن مراجعة كتاب السماء وكتاب المتورولوجيا أيضا ك ١ ب ٢ و ٣ من ترجمتنا § ٢ - امر بديهي - بالدليل أكثر منه بالمناهة . - يروح الى الاضداد - حفظت عبارة النص على قرط ايجازها . ومع ذلك فهي مفهومة بسهولة بعد التفاصيل التي تقدمت . فان لشيء يتكونه يذهب من الوجود الى الوجود وعلى ضد ذلك بفساده يذهب من الوجود الى الوجود فهو يجاوز ضدا ليذهب الى الضد الآخر . - لها تقابل - اتخذت لفظا أعم من لفظ النص الذي هو « تضاد » - فصولها أضداد - ر . ما سبق ب ٢ ف ٢ .

§ ٣ - وحينئذ فمن البين أنه على العموم كل عنصر يمكن بالطبع أن يأتي من كل عنصر . وليس من الصعب الاقتناع بهذا بأن يشاهد كيف تحصل الظاهرة بالنسبة لكل عنصر على حدة . لأنه سيروى أن كلها تأتي من كلها . والفرق الوحيد، إنما هو أن التغير يتكون بكثير أو قليل من السرعة وبكثير أو قليل من السهولة . وكلما كان بين العناصر نقط ارتباط تحولت بعضها إلى بعض سراعاً جداً . وما ليس بينها نقط ارتباط تتغير ببطء . وعلّة ذلك أن شيئاً واحداً بمفرده يتغير بأسرع من عدة . وعلى ذلك فالهواء يأتي من النار بتغير أحد الكيفين ليس إلا ، ما دام أن أحدهما يابس وحار والثاني حار وسائل . وينتج منه أنه إذا كان اليابس مغلوباً بالسائل فيتكون الهواء ثم أنه من الهواء يتكون الماء إذا كان الحار هو المغلوب بالبارد لأن أحدهما كان سائلاً وحاراً والثاني كان بارداً وسائلاً فيكفي إذا أن الحرارة وحدها تتغير لاجل أن يتكون الماء .

§ ٤ - وبهذه الطريقة عينها أيضاً أن الأرض تأتي من الماء وإن النار تأتي من الأرض لأن هذين العنصرين أيضاً لهما أحدهما قبل الآخر نقطة جمع ووصل فإن الماء سائل وبارد والأرض هي باردة ويابس بحيث أنه إذا كان السائل هو المغلوب تتكون الأرض . ومن جهة أخرى بما أن النار يابسة وحارة والأرض يابسة وباردة فإذا فسد البارد فمن الأرض تتكون

- فإن أحدهما هو سائل - قد اضطرت للاحتفاظ بلفظ « سائل » المطبق على الهواء كما هو أيضاً في النص .

§ ٣ بان يشاهد - وصية جديدة بدمط المشاهدة . - نقط ارتباط - وبما كان أصح أن يقال « تركيب » ممكن . فإن الحد المسعمل في النص فيه تفاوت لم أسطع تحصيله مباشرة . ر . الفقرة الآتية . - تحولت - أو « مرت من واحد إلى الآخر » . أحد الكيفين - ليس النص على هذا القدر من الصراحة . - كان - قد حافظت على أسلوب النص وهذا يتعلق بالنظريات التي بسطت آنفاً . - يابس وحار . . . حار وسائل . - أي أن كفي الحار يجتمعان ما دما متماثلين . فلا يبقى للتغير إلا اليابس والسائل . - كان سائلاً - حفظت صيغة الماضي الناقص كما هي في الأصل .

§ ٤ - نقطة جمع ووصل - ترجمت هنا بوضوح معنى الكلمة الإغريقية التي هي خاصة بالأشياء التي يمكن جمع أجزائها المؤلف كلا بعد أن فصلت .

- هو المغلوب - بالكيف الآخر الذي هو أقوى منه . لأن السائل المغلوب يتلاشى ولا يبقى من الكيفين إلا البرودة التي هي الكيف المسخض للأرض . - فمن الأرض تتكون النار - كل هذه النظريات تظهر لنا غريبة في هذه الأيام ولكن يجب الرجوع إلى زمن أرسطو . وقد كانت هذه النظريات مقبولة بلا نزاع إلى القرن السادس عشر . والعناصر التي تنعاقب - ليس في النص إلا كلمة واحدة غاية في عدم التحديد ، فإن العناصر المتعاقبة هي التي لها كيفيات مشتركة . - جمع ووصل - ر . ما سبق في أول هذه الفقرة .

النار • فيرى حينئذ أن كون الاجسام البسيطة يحصل بالدور وطريقة التغير هذه هي أسهل الطرق لان العناصر التي تتعاقب لها دائما بينها نقط جمع ووصل •

§ ٥ - والماء يمكن أيضا ان يأتي من النار والارض من الهواء وبالعكس يمكن ان يأتي أيضا الهواء والنار من الماء ومن الارض • ولكن هذا التحول هو أصعب لان موضوع التغير أشياء أكثر عددا • وفي الواقع لاجل أن تأتي النار من الماء يلزم أن يفسد أولا البارد والسائل وكذلك لاجل أن يأتي الهواء من الارض يلزم أن البارد واليابس يفسدان • وهذا اللزوم واجب أيضا لاجل أن الماء والارض يأتیان من النار ومن الهواء لانه يلزم حينئذ أن يكابد الكيفان التغير •

§ ٦ - وأيضا الكون الذي يحصل بهذه الطريقة هو ابطأ • ولكن اذا فسد احد كفي كل واحد من الاثنين فيكون التحول أسهل غير أن هذا التحول لا يحصل بعد حينئذ من الواحد الى الآخر على طريق التكافؤ • غير أنه من النار ومن الماء تأتي الارض والهواء ، ومن الهواء ومن الارض تأتي النار والماء • وفي الواقع اذا فسد بارد الماء ويابس النار يتكون الهواء لانه لا يبقى بعد الا حار أحدهما وسائل الآخر • ولكن اذا فسد حار النار وسائل الماء تتكون الارض لانه لا يبقى حينئذ الا يابس أحدهما وبارد الآخر •

§ ٧ - وكما هو الامر في الهواء والارض يكون في تكون النار

§ ٥ - والماء يمكن أيضا أن يأتي من النار - ليس بين الماء والنار نقطة مشتركة ما فلاجل أن يتغير أحدهما الى الآخر لا بد من الوسطاء • لوها هنا الهواء هو الذي له نقط مشتركة بينه وبين الماء من جهة وبينه وبين النار من جهة أخرى • - هذا التحول - عبارة النص أشد ابهاما • - البارد وسائل - اللذان هما كيفا الماء • - البارد واليابس - كيفا لارض الخاضعان • - الكيفان - لفظ النص غير محدد •

§ ٦ - الكون - كون العنصر الجديد الناتج من تحول العناصر الاخرى • - لا يحصل بعد حينئذ من الواحد الى الآخر - وحينئذ يوجد جسم ثالث مكون من الكيوف الباقية • بنازع فيلوبون في صحة هذه النظرية التي هي مع ذلك كما يقول هو كانت مقبولة عند الاسكندر الافروديزي •

- غير أنه من النار ومن الماء - لا يظهر أن للمعاني متعاقبة تماما • - يتكون الهواء عنصر مخالف للنار والماء اللذين أنتجاه • - تتكون الارض - الملاحظة عينها • - يابس • • • وبارد - اللذان هما كيفا الارض •

§ ٧ - وسائل أحدهما - للسائل يظهر أن استعماله خاص بالماء دون سواء • ولكن في هذه النظريات يلزم قبوله أيضا بالنسبة للهواء لان لفظ رطب يظهر أنه أحسن استعمالا =



والماء لانه اذا فسد حار الهواء مع يابس الارض يتكون الماء مادام أنه سيبقى سائل أحدهما وبارد الآخر . ولكن حينما يكون المنعقد هو سائل الماء وبارد الارض تتكون النار لانه يبقى حار أحدهما ويابس الآخر وهما الكيفان الخاصان بالنار .

§ ٨ - وهذا الايضاح لكون النار يتفق جدا مع الحوادث التي يشهد بها الحس لانه انما هو اللهب الذي هو على الاخص نار واللهب ليس الا الدخان المحترق والدخان يتركب من هواء ارض .

§ ٩ - في العناصر التي تتوالى وتتعاقب ليس ممكنا متى كان أحد الكيفين قد فسد في واحد أو في الآخر أن يحصل مرور وتحول للعناصر الى اى جسم آخر لانه البواقي التي تبقى في الاثنين هي اما متماثلة أو متضادة . وحينئذ لا من بعضها ولا من الآخر يمكن أن يتحصل جسم . مثال ذلك اذا فسد يابس النار واذا فسد أيضا سائل الهواء لا توجد نتيجة ممكنة مادامت الحرارة هي التي تبقى من طرف ومن آخر . وكذلك الحال فيما اذا كانت هي الحرارة التي تنعدم من الاثنين فإنه لا يبقى بعد الاضدان وهما اليابس والسائل ، ويجرى هذا المجرى في جميع الاحوال الاخرى ما دام أنه في الاحوال التي من هذا القبيل يبقى دائما تارة الكيف المسائل وتارة الكيف المضاد ، وعلى هذا فمن البين حينئذ انه لاجل تكوين العناصر مارة

---

= في بعض الاحوال . ويمكن أيضا أن تستعمل كلمة « لطيف » للهواء ولكن هذه الكلمة لا توافق تماما كلمة النص . وهما الكيفان الخاصان بالنار - ر . ما سبق ب ٣ ف ٣

§ ٨ - وهذا الايضاح لكون النار - ليس النص على هذه الصراحة . - يتفق جدا مع الحوادث - لا يظهر ان هذا الاتفاق تام كما يظن المؤلف ولكن هذا لا يمنع من أن النمط الذي يوصى باتباعه وحق ولو انه لم يحسن تطبيقه . - الدخان يتركب من هواء ارض - لان الدخان على رأى أرسطو هو تبخر الخشب . ر المتورولوجيا ك ٩ ب ف ٤٢ ص ٣٣٩ من ترجمتنا .

§ ٩ التي تتوالى وتتعاقب - مثال ذلك الهواء بعد النار والماء بعد الهواء والارض بعد الماء ما دامت العناصر الاربعة مرتبة على هذا النظم . - مرور وتحول - ليس في النص الا كلمة واحدة .

- البواقي التي تبقى في الاثنين - ليس النص على هذه الصراحة . - نتيجة ممكنة - يعنى جسما ثالثا مغالفا للجسمين الدين انتجناه . - الحرارة هي التي تبقى - وفي هذه الحالة هي النار . - ضدان - يترافعان ولا يمكنهما أن يجتمعا ما دام أنهما يفسدان على التكافؤ . مارة ومتغيرة - ليس في النص الا كلمة واحدة . - من واحد الى واحد

ومتغيرة من واحد الى واحد يكفي أن كيفاً واحداً يفسد . ولكن بالنسبة  
للعناصر التي تمر من اثنين الى واحد فقط . هنالك يحتاج الى فساد  
عدة كيفيات .

§ ١٠ - وعلى جملة من القول فإنه قد وضع ان كل عنصر يتولد  
من كل عنصر وقد بين بأية طريقة يحصل تحول بعضها الى بعض .

---

- التعبير ليس بهذا جدا ولم أزد على أن حصلته بعينه . - كيفاً واحداً - الكيف المضاد .  
والص لبس على هذا القدر من الضبط . - عدة كيفيات - كلمة النص في غاية الإبهام .  
§ ١٠ - وعلى جملة من القول - عبارة النص هي بالبساطة : « حينئذ » .

## الباب الخامس

بقية نظرية تبدل العناصر - من المحال ألا يوجد إلا عنصر واحد منه تأتي كل العناصر الأخرى - في هذا الافتراض قد تحصل استعجالة العنصر الوحيد ولكن لا يحصل البتة كون حقيقى للعناصر المختلفة - تساعد من طيموثس لافلاطون - عرض جديد للطريقة التى بها تتغير العناصر بعضها الى بعض - يحصل التبدل بسرعة متناسبة مع وجود كيف مشترك - نسبة العناصر الاطراف بعضها الى بعض ونسبة العنصر الاوسط - الحدود الضرورية لهذا التحول - لا يمكن التمهنى الى الانهائية فى أى واحدة من الجهتين - البيان الحرفى لهذا المبدأ .

§ ١ - التفاصيل السابقة لا تمنعنا تقدير هذه المسائل على ضوء آخر . فإذا كانت مادة الاجسام الطبيعية هى . كما يرى بعض الفلاسفة الماء والهواء أو عناصر من هذا القبيل فيلزم ان تكون واحدا أو اثنين أو عدة من هذه العناصر . وفى الحق لا يمكن ألا تكون جميع الانشياء إلا عنصرا واحدا أحدا . مثلا أن الكل لا يكون إلا هواء أو ماء أو ناراً أو أرضاً مادام التغير يحصل فى الاضداد . وفى الواقع لنفرض أن الكل هو من الهواء وان الهواء يبقى فى جميع التغيرات فسيحصل من ثم مجرد استحالة ولن يحصل بعد كون .

§ ٢ - ولكن فى هذا الافتراض عينه ليس ممكنا ، فيما يظهر ، أن يكون الماء فى آن واحد هواء أو أى عنصر آخر مشابه . فسيوجد دائما بين الكيفيات تقابل وخلاف حيث لا يكون للنار الا واحدا من الطرفين الحرارة مثلا . ولكن النار لن يمكنها البتة أن تكون بالبساطة هواء حارا لأن هذا انما هو استحالة . ولا يظهر أن الامور تقع على هذا النحو . ومن جهة أخرى اذا فرض على العكس ان الهواء يأتى من النار فهذا التغير لا

§ - التفاصيل السابقة - ليس النص على هذه الصراحة . - على ضوء آخر - عبارة النص بالضبط هى : « هكذا » معنى « بالطريقة الآتية » . - فإذا كانت مادة الاجسام الطبيعية - يجب أن يعنى ها هنا بالاجسام الطبيعية أولا بعض العناصر ثم بعد ذلك جميع الاجسام التى تؤلفها العناصر الأولية بمرآكبيها . كما يرى بعض الفلاسفة وعلى الاخص فلاسفة مدرسة يونيا . - عنصرا واحدا أحدا - ليس فى النص إلا كلمة واحدة . - ما دام التغير يحصل فى الاضداد - وان تقبل واقعية التغير المدرك بحواسنا - فى جميع التغيرات أضفت هذه الكلمات لبيان الفكرة .

§ ٢ - أن يكون الماء - بعض الناسرين يثبت النار بدل الماء . واطن أن هذه هى الرواية الحققة لانها هى وحدها التى تتفق مع كل ما على . ويظهر أن فيلوبون أيضا على ذلك . ولكنى لم أجسر على تغيير النص لان هذا التغير لا يستند الى أية نسخة مخطوطة . - بين الكيفيات - أضفت هاتين الكلمتين لتمام المعنى . =

يمكن حصوله الا بالتغير من الحرارة الى ضدها فهذه الكيفية المضادة ستكون اذا في الهواء حينئذ سيكون الهواء شيئا باردا وبالنتيجة من المحال أن تكون النار هواء حارا لانه قد ينتج منه أن العنصر الواحد قد يكون حارا وباردا في آن واحد . وسيوجد حينئذ خلاف هذين العنصرين شيء ما آخر سيبقى ماثلا وهو أية مادة أخرى عامة للثنتين .

§ ٣ - قد يكون التدليل عينه منطبقا في حق كل عنصر آخر غير الهواء ولا يمكن أن يوجد منها واحد قد يكون المنبع الوحيد الذي منه تكون قد خرجت الاخرى كلها . وليس يوجد خلاف هذه العناصر عنصر آخر وسيط ، كان يكون مثلا عنصرا وسطا بين الهواء والماء أو بين الهواء والنار ، أثقل من الهواء والنار وأخف من كل الاخر . لان هذا الوسيط حينئذ يكون بمقابلة الاضداد هواء ونارا معا . ولكن ثاني الضدين هو العدم وبالتبع لا يمكن أن يثبت هذا العنصر الوسيط وحده ، كما يقوله بعض الفلاسفة ، عن اللامتناهي وعن الحاوي . فيلزم اذا اما أن كل واحد من العناصر المعروفة يمكن أن يكون على السواء هو ذلك الوسيط واما الا يمكن ولا واحد منها ان يكونه .

= واحد من الطرفين - هذه هي كلمة النص بعينها أثبتنا وربما قد لا تكون الكلمة المختارة . - الحرارة - بافتراض أن الهواء حار وسائل كما سبق في ف ٢ و ٣ . - الامور تقع على هذا النحو - ليست عبارة النص على هذه الصراحة . - أن الهواء يأتي من النار - كما افترض آناغان أن النار هي التي كانت تأتي من الهواء فيلزم أن الهواء يمكن أن يأتي من النار أيضا ما دام أنه لم يفرض الا عنصر واحد أحد . - من الحرارة - التي هي في النار بالبداية . - الى ضدها - الذي هو البرودة . - هذه الكيفية المضادة - ليس في النص الا اسم اشارة غيرمحدد . - وسيوجد حينئذ - هذه هي النظرية التي سيقت عندها أرسطو فيما يلي . - أية مادة أخرى عامة للثنتين - هي المادة بالقوة المحضة لا بالفعل والتي يمكنها أن تقبل على التناوب صورة كل واحد من الاضداد ونوعه . ر . طيمولوس أفلاطون ترجمة كوزان ص ١٢٢

§ ٣ - في حق كل عنصر آخر غير الهواء - النص مبهم جدا . - قد يكون المنبع الوحيد - النص مبهم جدا أيضا . - عنصر آخر وسيط - كما كان يرى انكسيمندروس على رواية فيلوبون . - هو العدم - ر . الطبيعة ك ١ ب ٨ ف ١٠ ص ٤٨٠ مسن ترجمتنا . فان العدم هو ثاني الضدين بمعنى أن هذا الضد الثاني لا يوجد الا متى انقطع وجود الآخر . - وعن الحاوي - حفظت لفظ النص على ابهامه . ر . على اللامتناهي الطبيعية ك ٣ ب ٦ ف ٤ ص ٩٧ من ترجمتنا . الفلاسفة الذين يشير اليهم هنا أرسطو بلا شك هم أتباع فيثاغورث . ر . كذلك أيضا الطبيعة ف ١٢ ص ١٠٠ . - يمكن أن يكون على السواء هو ذلك الوسيط - ليس النص على هذا الغدر من البيان . ولكن المعنى الذي وفيناه ظاهر من شرح فيلوبون .

§ ٤ - ولكنه اذا لم يكن اجسام محسوسة سابقة على تلك  
العناصر التي نعرفها هي كل هذه الموجودة ، فيلزم حينئذ اما أن تثبت  
العناصر الى الابد كما هي دون أن يتغير بعضها الى بعض واما أن يتغير  
على الدوام . يمكن أن يسلم ايضا امكان تغيرها جميعا أو أن بعضها  
يمكن أن يتغير وأن الاخرى لايمكنها ذلك كما قال افلاطون في طيمائوس  
ولقد وضح فيما سبق انه العناصر تتغير بالضرورة بعضها الى بعض  
ولكنه قد بين ايضا انها لا تتغير بسرعة على السواء تحت هذا التأثير المتبادل  
وأن التغير يحصل أسرع بالنسبة لتتي بينها نقطة صلة أعنى كيفامشتركا  
وابطأ بالنسبة لتلك التي ليس لها من ذلك . فاذا لم يكن اذا الامتالة  
واحدة بالاضداد على حسبها تتغير الاجسام فيلزم بالضرورة حينئذ أن  
يوجد جسمان لان الهيولى انما هي التي تصلح وسطا للضدين غير  
مدرك وغير منفصل ولكن لما انه يوجد بالمعينة عناصر اكثر فان أقل  
ما يمكن أن يوجد من المقابلات انما هو اثنان ومتى وجد اثنان فلا يمكن  
ان يوجد ثلاثة حدود فقط بل يلزم مطلقا أربعة كما قد تدل عليه  
المشاهدة . وهذا انما هو عدد التراكيب اثنين اثنين لانه ولو أنها  
سنة في المجموع الا أن منها اثنين لا يمكن البتة أن يكونا لانها ضدان  
أحدهما للآخر . ومع ذلك فقد عولجت هذه المسائل فيما سبق .

§ ٥ - مع أن العناصر تتغير بعضها الى بعض فان من المحال ان  
يوجد مبدأ التحول لافى أحد الطرفين ولا في الوسط . واليك ما يشبهه  
فأما الطرفان فانه ليس ممكنا ان تكون كل الاشياء من النار كما انها  
لا تكون كلها من الارض ، لان هذا يرجع الى القول بأن الكل يتولد من  
النار أو ان الكل يتولد من الارض . ولكن لا يمكن ان يقال ايضا ،  
كما يريد بعض الفلاسفة ، ان الوسط هو المبدأ وان الهواء ينقلب الى

§ ٤ اجسام محسوسة - عبارة النص غير محددة . فالعناصر التي نعرفها -  
زدت « التي نعرفها » . كما هي - زدتها أيضا . كما قال افلاطون في طيمائوس  
- ر . طيمائوس ترجمة كوزان ص ١٦٦ وما بعدها . فيما سبق - ر . ما سبق ب ٣  
و ٤ . أعنى كيفا مشتركا - زدت هذه العبارة على جملة التذييل - مقابلة واحدة  
بالاضداد ليس في النص الا كلمة واحدة . للضدين - أضفت هذ الجار والمجرور لاتمام  
الفكرة . ر . الطبيعة ك ١ ب ٨ من ترجمتنا . عناصر أكثر - ليس النص على هذه  
العلاقة . فيما سبق - ر . ما سبق ب ٣ ف ١

§ ٥ - مبدأ التحول - عبارة النص هي بالبساطة « مبدأ » . من النار . من النار  
من الارض - بأن النار والارض هما العنصران الطرفان . الهواء ينقلب الى نار - بما  
ان الهواء عنصر وسيط . الماء ينقلب الى هواء - الملاحظة عينها . أكرر - أضفت  
هذه الكلمة . أن يتغير بعضها الى بعض - لان الاطراف هي أضداد تتفاسد ولكنها  
لا تبدل على طريق التكافؤ .

نار والى ماء ولا ان الماء ينقلب الى هواء والى ارض • لاننى أكرر ان الاطراف لا يمكن البتة أن يتغير بعضها الى بعض •

§ ٦ - على ذلك يلزم ايجاد نقطة وقوف ولا يمكن من جهة ولا من اخرى السير الى اللانهاية على خط مستقيم لانه يترتب عليه وجود مقابلات واضداد غير متناهية العدد لعنصر واحد أحد • فلنرمز للارض بحرف ا وللماء بحرف م وللهواء بحرف هـ وللنار بحرف ن • فاذا تغير هـ الى ن والى م فالتقابل يكون بين هـ ، ن • ولنفرض أن هذين الضدين هما البياض والسود • ومن جهة أخرى اذا تغير هـ الى م فسيكون تقابل آخر لان م ، ن ليسا متماثلين ولتكن مقابلة السيولة واييوسه مرموزا للييوسه بحرف ي وللسيولة بحرف س فاذا كان حينئذ الابيض هـ و الذى يمكث ويبقى فيكون الماء سائلا وبيض ، فاذا لم يكن ابيض فيكون أسود مادام ان التغير لا يحصل الا الى الاضداد • فيلزم حينئذ بالضرورة ان يكون الماء اما ابيض واما اسود ويمكن افتراض انه فى الحالة الاولى • وبالطريقة عينها أيضا ي الييوسه يكون لحرف ن وحينئذ ن أعنى النار تتغير كذلك الى ماء لانهما الضدان ، والنار كانت سوداء أولا ثم يابسة بعد ذلك كما كان الماء سائلا أولا ثم ابيض •

§ ٧ - فبين اذا أن كل العناصر يمكن ان يتغير بعضها الى بعض • والكيوف الباقية ستوجه فى ( ١ ) الارض كما يوجد فيها نقطتنا الاجتماع والارتباط الاسود والسائل مادام أن هذين الكيفين لم يتركبا معا بعد بآية طريقة كانت •

§ ٦ - يلزم ايجاد نقطة وقوف - التى هى أحد الطرفين • - الى اللانهاية على خط مستقيم - يعنى من عبر أن يرتد على ععبه ليدهب من جديد من الطرف التالى الى الطرف الاول كما ذهب أولا من الطرف الاول الى الطرف الثانى ومع ذلك فان هذه العكرة ليست بينة بيانا كافيا • - مقابلات وأضداد - لس فى النص الا كلمة واحدة • - فلنرمز للارض بحرف T - ( بالفرنساوية وفد وضع بدلها فى النص العربى حرف ا ) فى النص أخذت حروف الرمز من أوائل أسماء العناصر كما نبه عليه فيابوبن كما فعلت فى الترجمة • ومع ذلك فان هذا الملل الحرفى لم يأت بايضاح كبير • - البياض والسود • به سان توماس بحث الى أن هذه الامثلة ليست مختارة وان هذه ليست هى الكيفيات العادية للعناصر م ، ن ليسا متماثلين - بل هما ضدان بالعرف العام ما دام أنهما الماء والنار • - السيولة - يمكن أن نترجم أيضا « الرطوبة » • - أعنى النار لتغير كذلك الى ماء - كل هذه التغيرات هى بطريه محضة ولا تطابق حقيقته الواقع فى سى • والمؤلف ها هنا ليس متمسكا بنهج المناهدة الذى طالما أوصى به •

§ ٧ - أن كل العناصر - قد يكون من الممكن تخصيص هذه القضية التى هى اعم مما ينبغى بمعى الشئ وقصرها على عنصرى الارض والنار • - الكيوف الباقية - يعنى =

§ ٨ - وهالك البرهان على أنه لا يمكن هاهنا أن يتمشى الى اللانهاية مبدأ اعتمادنا عليه من قبل ان نقرر الايضاح الذى سبق ، وذلك هو أنه اذا فرض ان النار المرموز لها بحرف ن تتغير الى عنصر آخر ولا ترجع الى الورا وانها مثلا تتغير الى ر فمن ثم يكون بين النار وبين ر مقابلة بالاضداد مختلفة عن المقابلات المذكورة آنفا مادام أن ر لا يمكن ان تكون مائلة لاي واحد من العناصر المرموز لها بالحروف ا ، م ، ه ، ن ولنفرض ان الكيف ك هو كيف ن وان الكيف ي هو كيف ر فتكون ك حينئذ لكل العناصر ا ، م ، ه ، ن لان كل هذه العناصر يتغير بعضها الى بعض ولكن مع التسليم بأن هذا لم يوضح بعد فائدا من البين على الاقل انه اذا تغير من جديد الى عنصر آخر فمن ثم يكون تقابل آخر بالاضداد ويكون بين ر و بين النار ن . وتكون الحال كذلك دائما بالنسبة للحد المزيد وأنه يوقع دائما مقابلة مع الحدود السابقة بحيث انه اذا كانت هذه الحدود غير متناهية بالعدد فتكون كذلك مقابلات غير متناهية بالعدد لعنصر واحد أحد . واذا كان هذا ممكنا فمن ثم يكون من المحال ان يعطى أى قول شارح وأن يوضح كون أى عنصر ما مادام انه يلزم ، اذا كان واحد يأتى من الآخر ، أن يجتاز من المقابلات عدد ما ذكرنا بل وأزيد منه

= التى لم يتألف أحدها مع الآخر بعد . - نعطنا الاجتماع والارتباط - يعنى الكيفيات المشتركة للعنصرين التى بها يمكن أن يجتمعا ويتركبا بحيث أن أحدهما يعبر الى الآخر . § ٨ - مبدأ اعتمادنا عليه - ر . ما سبق ف ٦ . - الايضاح الذى سبق - ليس النص على هذا القدر من الصراحة . - ولا ترجع الى الورا - يعنى اذا توالى التغير على خط مستقيم واذا لم تتغير النار على التعاقب الى هواء وماء وأرض لتغير الارض بعد ذلك الى ماء وهواء ونار . - المذلورة انفا - ر . بد ٥ ٦ . - لا يمكن أن تكون مماثلة - يعنى أن « ر » تكون مفروضة عنصرا خامسا خارجا عن النار والهواء والماء والارض . - الكيف ك - عبارة النص هي فقط « ك » . - فتكون « ك » حينئذ لكل العناصر - ما دام أنه للعنصر « ن » بواسطة « ر » ولسائر الاخرى بواسطة « ن » - للحد المزيد - كما زيدت « ر » على اربعة العناصر الاخرى . - اذا كانت هذه الحدود غير متناهية بالعدد - يجب أن يعنى بالحدود العناصر الجديدة التى قد تفترض تلو العنصر الخامس كما افترض الخامس تلو الرابع الاول . - لعنصر واحد أحد - ما دام أن جميع العناصر يمكن أن يتغير بعضها الى بعض على التعاقب . - أى عنصر ما - عبارة النص غير محددة - فلا ذكرنا - ليس النص على هذا القدر من الصراحة . - بل وأزيد منه - هذا غير مفهوم تماما ما دام قد افترض أن عدد الاوساط غير متناه .

- لبعض العناصر - عبارة النص غير محددة ويظهر لى أن هذا يرجع بالضرورة الى العناصر . اذا كانت الاوساط غير متناهية بالعدد - كما افترض سابقا ، فإن الهواء والنار هما مع ذلك عنصران متجاوران كلاهما فاذا لم يكن تغير أحدهما الى الآخر على طريق التكاثر فمن باب أولى العناصر المتباعدة كالنار والارض .

وينتج من ذلك أنه بالنسبة لبعض العناصر لا يكون تغيير ممكن البتة ، مثال ذلك اذا كانت الاوساط غير متناهية بالعدد وهذا لازم اذا كانت العناصر غير متناهية بالعدد هي نفسها ، وعلى ذلك مثلا لا يكون تغيير من هسواء الى نار اذا كانت المقابلات التي تجتاز هي غير متناهية بالعدد .

§ ٩ - وأخيرا كل العناصر أيضا تنتهي الى عنصر واحد لانه يلزم أن تكون كل هذه المقابلات متعلقة اما بالمقابلات من أعلى بالعناصر التي هي أسفل من ن واما بالمقابلات من أسفل بهذه العناصر نفسها بحيث أن الكل ينتهي الى واحد .

---

§ ٩ - وأخيرا - أضفت هذه الكلمة لبيان أن هذا هو تمام كل ما سبق . ومع ذلك فلا يرى قوة هذا البرهان المبني على فرض عنصر خامس وسلسلة متناهية من العناصر حتى لو فرض أنه لا يوجد الا أربعة عناصر فما دام أنها يمكن أن يتغير بعضها الى بعض كما يقرره أرسطو فإنه يظهر أيضا أنه يمكن أيضا أن تنتهي الى واحد . ومع ذلك فاني لست واثقا بأن يكون المراد هنا هو العناصر ما دام أن عبارة النص غير معينة كما في بعض الفقرات الأخرى . ومن الممكن أن تكون جميع الاوساط هي التي تنتهي الى واحد . - كل العناصر أيضا تنتهي الى عنصر واحد - حفظت عدم التعيين الموجود في النص . ومازالت هذه الفقرة منقولة على الرغم من توضيحات فيلوبون الذي يستند مع ذلك الى الاسكندر الافروديزي . والظاهر أن هذا الأخير كان لديه نص أرسطو كما وصل إلينا ، ومن المحتمل أنه لا محل لافتراض أي تحريف ما هنا . وإن الفكرة العامة لهذا الدليل هي مع ذلك جلية وإن كانت التفاصيل ليست دائما كذلك . فعلى رأى أرسطو أن أربعة العناصر يمكن أن يتغير بعضها الى بعض . ولكن هذا التغير لا يصح أن يكون غير متناه و لازم الاستمساك بالأربعة العناصر التي تدركها حواسنا وبالأربع الكيفيات التي تشخصها وتميزها . وقد لفسر سنان توماس هذه الفقرة بالاختصار الذي ليس من عادته . ولم يكن هذا الإيجاز ليساعد على جلاء المعنى .



## الباب السادس

إبطال نظرية أمبيدل على مقارنة العناصر بينها سواء بالنسبة الى الكم أم بالنسبة الى الاثر والتناسب - في مذهب أمبيدل نمو الاشياء يرجع الى مجرد جمع - انه لا يأسر ايضا كون الاشياء ، بل اخضعه لسلطان المصادلة ، ولا علة الحركة الاصلية ولا طبع النفس الحقيقي - شواهد مختلفة من شعر أمبيدل .

§ ١ - حينما يرى أن فلاسفة يقبلون تعدد عناصر الاجسام وينكرون في آن واحد أن العناصر تتغير بعضها الى بعض ، كما يفعل أمبيدل ، قد يمكن أن يسألوا في شيء من الدهش كيف يستطيعون اذا أن يقرروا أن العناصر هي قابلة للمقارنة بعضها ببعض . هذا مع ذلك هو ما يزعمه أمبيدل اذ يقول :

« لان العناصر كلها كانت متساوية فيما بينها »

فاذا كانت المساواة في الكم لزم أن يوجد بين الاشياء المقارنة شيء مشترك يصلح لقياسها ، مثال ذلك اذا كان من كوتيل ( ربع لتر ) واحد من الماء يمكن ايجاد عشرة كوتيلات من الهواء فذلك بأن العنصرين كانا من بعض الوجوه شيئا واحدا ما دام أن قياسهما واحد .

§ ٢ - فاذا كانت الاشياء ليست قابلة للمقارنة هكذا بالنسبة الى الكم أى أن الكمية الفلانية مضاربة الكمية الفلانية فيلزم على الاقل أن تكونه بعلاقة الاثر الذي يمكن أن تحدثه . مثال ذلك : اذا كان كوتيل

§ ب ٦ ف ١ - حينما يرى - ليس النص على هذه الصراحة . - في آن واحد - أضفت هذه الكلمات حتى تكون المقابلة بين المعاني أظهر . - كما يفعل أمبيدل - ر . ما سبق ب ٣ ف ٦ . - قابلة للمقارنة - التعبير مبهم ولم أشأ أن أزيد عليه ما يعينه . وان الامثلة التي سنذكر فيما بعد ستقلل من ابهامه شيئا . - كانت متساوية - هاهنا أيضا قد حصلت عبارة النص على ما فيها من عدم التحين . - فاذا كانت المساواة في الكم - على تقدير المادى ليقابل بكم القوة الذي سيحيى الكلام عليه فيما يلي . - يمكن ايجاد عشرة كوتيلات من الهواء - أو « اذا كان كوتيل من الماء يقابل عشرة كوتيلات من الهواء » وهذا ليس الا مجرد فرض وليس معناه أن أرسطو يظن أن هذه هي في الواقع النسبة بين الهواء والماء .

§ ٢ - الاشياء - أو « العناصر » . - مضاربة - أو « آتية من » . -

من الماء يمكن ان يحدث من البرودة ما تحدثه عشرة كوتيلات من الهواء  
فحينئذ تكون العناصر قابلة أيضا للمقارنة بينها بعلاقة الكمية لا من حيث  
هى بالضبط كمية مادية ولكن من حيث انه يمكنها أن تحدث فعلا ما .

§ ٣ - قد يمكن أيضا مقارنة القوى أو الطاقات ليس فقط بمقياس  
الكمية مباشرة بل أيضا بالتنسيب والتشبيه . على ذلك يمكن أن يقال ان  
الشيء الفلاني حار كما أن الشيء الآخر أبيض . فكاف التشبيه تبين علاقة  
المشابهة اذا كان المعنى هو الكيف ، فان كان المقصود الكم فهي تقيـد  
المساواة . ولكن من السخف ، فيما يظهر ، أن الاجسام التي لا يمكن أن  
تتبدل بعضها ببعض لا تكون قابلة للمقارنة فيما بينها بعلاقة المشابهة وان  
تكون فقط بمقياس قوتها ولأن الكمية الفلانية من النار مثلا يمكن أن  
تكون أيضا حارة وتحدث الحرارة التي تحدثها الكمية الفلانية من الهواء  
التي هي أعظم منها . وفي الواقع أن جوهرا من هذا الطبع اذا كانت  
كميته أعظم يمكنه أن يصير بالتنسيب مكافئا لانه سيكون والاخر من  
جنس واحد .

§ ٤ - أزيد على ذلك انه على حسب مذهب أمبيدقل لا يوجد نمو  
يمكن الا النمو الذي يحصل بالجمع وهكذا هو يفترض أن النار تنمو  
بالنار حين يقول :

« الأرض تنمي الأرض والهواء ذاته ينمي الهواء » .

= - الاثر الذي يمكن أن تحدثه - ليس النص على هذا الوضوح . - يمكن أن يحدث  
من البرودة - كن من حق هذه العبارة أن تكون أوسع مما هي . - مادية - أضفت  
هذا الوصف . - أن تحدث فعلا ما - عبارة النص بالضبط هي : « بما هي مستطاعة  
شئها ما » .

§ ٣ - القول أن الطاقات - ليس في النص الا كلمة واحدة . مباشرة - أضفت  
هذه الكلمة لبان الفكرة . - بالتنسيب والتشبيه - ليس في النص الا كلمة واحدة . -  
فكاف التشبيه - ليس النص على هذا القدر من الضبط . - ولكن من السخف فيما  
يظهر - الرأي الذي نتقده أرسطو هنا يجب أن يكون مستندا أيضا الى أمبيدقل على رغم  
أن هذا التعيين لم يذكر في النص صراحة . - ذبلة للمقارنة فيما بينها - لم يذكر فيما  
سبق أن هذا الرأي هو رأي أمبيدقل . - المشابهة - أو « التنسيب » - معثلا أضف هذه  
الكلمة . - الكمية الفلانية من الهواء التي هي أعظم منها - في نسبة حرارة الهواء الى  
حرارة النار . اما القاعدة فهي مع ذلك صحيحة . فان جسمين مكافئين بكيف واحد يمكن  
أن يوازن بينهما بالزيادة على اضعف الاثنين .

§ ٤ - أزيد على ذلك . . . هو يفترض - ليس النص على هذا القدر من الظهور . -  
حين يقول - أضفت هاتين الكلمتين . - تنمي الأرض - عبارة النص بالضبط : « تنمي  
نوعها الخاص » وقد بنى أرسطو فيما سبق أن نمو الاشياء لا يمكن أن يحصل بمجرد  
الإضافة كـ ١ ب ٥ و ٨ . - ولا يظهر - يحال على المرجع السابق .

حينئذ ليس هذا اذا الا مجرد اضافة ولا يظهر أن الاشياء التي تنمو  
يمكن أن تنمو هكذا .

§ ٥ - ولكنه أعسر أيضا على أمبيدقل أن يوضح كون الموجودات  
في الطبع لأن كل الموجودات التي تولد وتتكون بحسب القوانين الطبيعية  
أو تولد دائما بطريقة منتظمة أو بالاقبل على الغالب بهذه الطريقة ،  
والموجودات التي تتكون على ضد هذا النظام الثابت أزلا أو بالاقبل الأكثر  
في العادة هي ثمرة علة اتفاقية وثمره المصادفة . فما هو الفاعل اذا في  
أن من انسان يولد انسان اما دائما وعلى حسب قاعدة أزلية واما بالاقبل  
بحكم العادة الغالبة ، كما أن من القمح يأتي دائما قمح لا شجرة زيتون ؟  
أم هل العظام لا تتكون أيضا بالطريقة عينها ؟ كلا ان الاشياء لا تكون  
بالمصادفة وبالاتفاق كما يقول أمبيدقل بل هي تتكون بنوع ما من العقل .

§ ٦ - فما هي اذا العلة في كل هذه الظواهر ؟ انها ليست في  
الحق لا الارض ولا النار ، وليست كذلك العشق والتنافر لان أحدهما  
ليس علة الا لتأليف الاشياء والآخر لتفريقها . تلك العلة انما هي أصل  
لكل شيء . وليست فقط كما يقول أمبيدقل :  
« اختلاط وتنافر للاشياء المختلطة »

فهى ليست اذا ما يسمى بالمصادفة وليست هذه بعلة . لانه ممكن  
تماما أن يوجد أحيانا اختلاط اتفاقي ومشوش .

§ ٥ - على أمبيدقل - أضفت هاتين الكلمتين اللتين تفهمان من صوغ النص . -  
في الطبع بصرف النظر عن الاشياء التي توجدنا صناعة الانسان . - علة اتفاقية  
وثمره المصادفة - أن ابطال نظرية المصادفة هذا هو مطابق تمام المطابقة ، حتى في لفظه  
أحيانا للنظرية الواردة في الطبعة ك ٢ ب ٤ ف ٦ ر ٨ ص ٣١ و ٣٢ من ترجمتي وأيضاً  
في الباب الخامس وما بلبه . - أم هل العظام لا تتكون أيضاً - لا يرى حتما لماذا مني  
بالمعظم هنا . وان كان أمبيدقل في الحق يستعمل هذا المثل غالباً . - كما يقول أمبيدقل  
- ر . الطبعة ك ٢ ب ٨ ف ٣ ص ٥٤ وما بعدها من ترجمتنا . - بنوع من العقل -  
أو « بنوع ما من الفطنة » .

§ ٦ - انها ليست في الحق لا الارض ولا النار - هذه الجملة واردة على صيغة  
تهكمية . - العشق والتنافر - المبدأ العظيم عند أمبيدقل . ر . الطبعة ك ٧ ب ١  
ف ٤ ص ٥٥ من ترجمتنا . - انما هي أصل لكل شيء - بمعنى صورته الجوهرية .  
وكان يمكن أرسطو أن يترقى أيضا الى أعلى من ذلك وينسأل الام يجب أن يرجع في  
أصل كل شيء . - وليست هذه بعلة - أو نوعا من التناسب والنظام . وان اللفظ  
المستعمل في النص هو في غاية السعة . - لانه ممكن تماما - يظهر أن فيلوبون لم  
يفهم هذه الجملة الصغيرة لانه لم يفسرها . - اتفاقي ومشوش - لبس في النص الا  
كلمة واحدة .

§ ٧ - اذا ما هو علة لكل واحد من الموجودات الطبيعية انما هو تركيبها ، انما هو الطبع الخاص لكل واحد منها مما لا يقول عنه أمبيدقل كلمة واحدة . بل يمكن التأكيد بأنه لم يدرس الطبع حقيقة ولو ان الطبع هو بالضبط النظام والخير لجميع الاشياء . ولكن أمبيدقل لا يشيد مطلقا الا بذكر الامتزاج والاختلاط ومع ذلك فليس هو التنافر بل هو العشق الذى فصل العناصر وهما على رأيه متقدمان على الله ذاته لان عناصر أمبيدقل هي أيضا آلهة .

§ ٨ - انه لا ينكلم كذلك على الحركة الا بطريقة غاية فى العموم لانه لا يكفى أن يقال ان التنافر والعشق هما المذات يعطيان الحركة اذا لم يعين ان العشق ينحصر فى ان يسبب النوع الفلانى من الحركة والتنافر فى ان يسبب النوع الفلانى منها . وحينئذ كان يجب على أمبيدقل هاهنا اما ان يحد الاشياء بالضبط ، او ان يتصور فرضا ما ، او ان يوضح توضيحا قويا او ضعيفا مع ذلك ، او ان يخلص منه بأية طريقة اخرى .

§ ٩ - رد آخر . ان الاجسام هي تارة متحركة بالقسر وضد الطبع وتارة هي ذات حركة طبيعية . مثال ذلك النار تتجه الى فوق من غير أن يكون ذلك بالقسر ولا تتجه الى تحت الا بالقسر فالحركة الطبيعية هي ضد الحركة القسرية فبالنتيجة كما انه يوجد حركة قسرية يوجد أيضا حركة طبيعية . فهل هو اذا العشق او ليس هو العشق الذى يكون هذه الحركة الاخيرة ؟ متى كان للارض حركة تحملها الى تحت فانما هي حركة

§ ٧ - انما هو تركيبها - والترجمة الحرفية هي : « كونها على ما هي عليه » . ومع ذلك فان هذا غير صحيح جدا فانه لا يمكن أن يقال ان تركيب الموجودات هو علتها الحقيقية . - النظام والخير لجميع الاشياء - على هذا المعنى يمكن القول بان هذا هو علتها الغائية . - الامتزاج والاختلاط - ليس فى النص الا كلمة واحدة . - العشق الذى فصل - لا يظهر ان هذا مطابق تماما لآراء أمبيدقل . وفى الحق أنه لاجل الجمع يلزم أولا التفريق ولكن أمبيدقل انما يسند التفريق الى التنافر . - على رأيه - أضفت هاتين الكلمتين لبيان الفكرة . - الله ذاته - اله أمبيدقل هو « السفوروس » الذى يحيط بكل شيء فتارة يهبط بالتنافر وتارة ينقبض بالعشق . ر . الطبيعة ك ١ ب ٥ ف ٤ فى التعليقات ص ٤٥٥ من ترجمتنا .

§ ٨ - غاية فى العموم - وسيمكن أن يترجم أيضا - : « أبسط مما ينبغى » فان عبارة النص تؤدى المعنيين . - اذا لم يعين - ليس النص على هذه الصراحة . - بالضبط - زدت هذا القيد لتعميم المعنى . - يخلص منه بأية طريقة اخرى - عبارة النص فيها من طابع المؤلف العرفى نحو ما فى العبارة التى ترجمناها بها .

مضادة للائتلاف وتشبه الانفصال • اذا يكون التنافر هو اولى من العشق  
فى ان يكون علة الحركة الطبيعية وبالنتيجة يكون العشق اولى من التنافر  
فى انه مضاد للطبع • فاذا لم يكن لا التنافر ولا العشق يكونان الحركة  
فلا يكون للاجسام اعيانها لا حركة ولا سكون • ولكن هذا انما هو نتيجة  
باطلة •

§ ١٠ - يعترف امبيدقل ان الاجسام بالبدئية فى حال حركة لان التنافر  
هو الذى فصلها • والا يثير قد ارتفع فى الملاء الاعلى لا بواسطة التنافر  
ولكن كما يقول احيانا امبيدقل بضرب من المصادفة :

« الهواء حينئذ يطير هكذا ولكن فى الغالب على خلاف ذلك »

واحيانا يقول امبيدقل ايضا ان النار اضطرت ان تتجه بالطبع الى فوق  
وان الاثير قد جاء •

« يتكئ بقوة على قواعد الارض »

واخيرا يعلمنا امبيدقل ان العالم هو مسير الان بالتنافر كما كان  
سابقا مسيرا بالعشق سواء بسواء •

§ ٩ - رد آخر - ليس النص على هذا القدر من التعمين • بالقصر وضد الطبع -  
ر • الطبيعة ك ٨ ب ٤ ف ٢ ص ٤٨١ من ترجمتنا وما بعدها • كما انه يوجد حركة  
قسرية على تقدير « بحسب نظريات امبيدقل » • هذه الحركة الاخيرة - زدت وصف  
« الاخيرة » ليعين المعنى • تحملها الى تحت - وفى نسخ اخرى ربما كانت هى الاكثر  
عددا « الى فوق » بدلا من « الى تحت » • ولكن هذا لا يتفق مع تقارن النص • فان  
أرسطو يرد بانه حتى لو كانت الارض محمولة الى تحت بحركتها الطبيعية فان الحركة  
اشبه بالتفريق منها بالجمع • ما دأمت الارض أو بعض اجزائها على الافل تتجه الى  
المركز حيث النار يجب ان تلقاها بحركة قسرية لتنضم اليها • فانما هى بحركة  
مضادة - ليس النص مثل الترجمة فى الوضوح • وفى كل هذه الفقرة شيء من  
الحفاء • للائتلاف - زدت هذه الكلمة • الحركة الطبيعية - التى تفرق بين الاشياء  
بدلا من ان تجمعها التى توجه النار الى فوق فى حين انها توجه الارض الى تحت •  
لا التنافر ولا العشق - فى مذهب امبيدقل • نتيجة باطلة يقبل أرسطو كقاعدة لا  
تحتل الجدل ان الحركة موجودة • ر • الطبيعة ك ١ ب ٢ ف ٦ ص ٤٣٦ من ترجمتنا •

§ ١٠ - يعترف امبيدقل - النص لا يذكر هنا امبيدقل وعبارته هى : « الاجسام  
يظهر انها فى حركة » • ولكن هذا بالبدئية يرجع الى مذهب امبيدقل كما تعمينه  
لقرينة • الهواء حينئذ يطير هكذا - هذا البيت بعينه قد استشهد به فى الطبيعة  
ك ٢ ب ٤ ف ٦ ص ٣٢ من ترجمتنا • واخيرا يعلمنا امبيدقل - هذا الاسلوب  
التحكمى موجود فى النص •

§ ١١ فماذا هو اذا على رأيه انتحرك الاول والعلّة الاولى للحركة؟ حقا ليس هو العشق والتنافر ولو ان كليهما مع ذلك يسعيب نوعا ما من الحركة واذا كانا هما المحرك الاول الذى يوجد فيكونان المبدأ الحقيقى للشيء .

§ ١٢ - وأخيرا فليس أقل سخفا أنا يفترض ان النفس تأتى من العناصر أو أنها واحد من العناصر لانه كيف تتكون اذا الاستحالات الخاصة للنفس ! مثال ذلك كيف يفهم أن يكون لها أو لا يكون لها صنعة الموسيقى ! كيف يفهم الذكر والنسيان ! من البين أنه اذا كانت النفس من النار يكون لها بما هي نار جميع الكيفيات التى تتعلق بالنار . واذا كانت النفس مزيجا من العناصر كان لها كيفيات الاجسام وليس ولا واحد من كيفيات النفس بجسمانى . على أن هذه المناقشة تتعلق بدراسة غير هذه قطعا .

§ ١١ - عل رابه - زدت هاتين الكلمتين لانه يظهر لى أن الكلام لا يزال مسوقا الى ابطال مدعب أميدقل . - نوعا ما من الحركة - فان العسق بجمع العناصر والتنافر يفرها وفى هذا نوع مزدوج من الحركة . - واذا كانا هما المحرك الاول - النص ملتبس ويمكن أن يفهم على عدة معان . فأما فيلوبون فلم يوضحه وأما سان نواس فإنه أعطى المعنى الذى اخترته تقريبا .

§ ١٢ - وأخيرا - أصفت هذه الكلمة لآبين فى آن واحد أن هذا هو آخر الانقادات الموجهة الى نظرية أمبيدعل ولاآبين أن هذا الدليل الاخير مغاير للدلة السابقة . - الاستحالات - أو « الكيفيات » ولكنى حصلت لفظ النص بذاته . - الخاصة للنفس - معنى كل المائرث الاخلاقية أو العقلية . - من النار . بما هي نار . بالنار - هذا التكرار هو فى النص . فالعرض الاول انما هو أن النفس هي عنصر النار مثلا . والفرض الثانى انما هو انها مزيج من العناصر . - بدراسة غير هذه قطعا - وفى الحق أن هذه المناقشة موحودة فى كتاب النفس ك ١ ب ٢ ف ٦ ص ١١٢ من ترجمتنا . حست بعجب أرسطو كما بعيب هنا نظرية أمبيدعل الذى استشهد لها بصدّة آيات من الشعر تشتمل عليها .

## الباب السابع

بقية ابطال مذهب أمبيدل - متى انكر ان العناصر يمكن ان تتغير بعضها الى بعض فلا يمكن توضيح تكون الجواهر العضوية المختلفة - شاهد من أمبيدل - صعوبة توضيح تكون الجواهر المختلفة ليست الا عذرا متى سلم باحادية المادة - تعيين نظرية جديدة فيها تكون الافراد هي التي يفعلها المتكفي، تكون جميع جواهر الطبيعة .

§ ١ - نأتى الى ما يختص بالعناصر التي منها الاجسام مركبة . جميع الفلاسفة الذين يقبلون عنصرا مشتركا أو الذين يقبلون أن العناصر تتغير بعضها الى بعض يجب عليهم بالضرورة أن يعترفوا أيضا بأنه اذا تحقق أحد هذين الفرضين تحقق الشئى على السواء . ولكن هؤلاء الذين لا يريدون أن العناصر يمكن ان يتوالد بعضها من بعض ولا ان يأتى كل واحد من كل واحد الا أن يكون كما يحيى اللبن من حائط ، هؤلاء إنما يقررون نظرية باطلة لانه حينئذ كيف يجعل من هذه العناصر العظام أو اللحوم أو أى جوهر آخر مشابه .

§ ٢ - فى الحق أنا هذه الصعوبة تبقى . والى هؤلاء الذين يقبلون ان العناصر تتوالد يمكن أن ترجع اليهم مسألة كيف تبلغ هذه العناصر ان تكون شيئا مغايرا لها أنفسيها ؟ . مثال ذلك اذا كان من النار يأتى الماء واذا كان من الماء تأتى النار فذلك لان بينهما موضوعا مشتركا . ولكن

§ ب ٧ ف ١ - التي منها الاجسام مركبة - ليس المقصود هنا بعد كون العناصر بعضها من بعض بل تركيبها لتؤلف جميع الاجسام الموجودة فى الطبيعة . - عنصرا مشتركا - يعنى المادة التي بالقوة وهي العنصر المشترك لجميع الاجسام . - أحد هذين الفرضين - يعنى ان العناصر لها مادة مشتركة اذا تغير بعضها الى بعض . وانها اذا تغيرت هكذا فذلك ان لها مادة مشتركة يحيى اللبن من حائط - فان اللبن يكون الحائط، بما هي مضاف بعضها الى بعض ولست مركبة ومحددة بعضهما مع بعض . كذلك العناصر تكون مجموعة ولا تتحد لتكون الاجسام التي تدخل هي فى تركيب . أن المقارنة صحيحة ولكن الصارفة ليست من السمة على ما ينبغي وهذا المثل الخشن المضروب لا يخلو من بعض الشذوذ . - أو أى جوهر آخر مشابه - يعنى مدجائس تماما . وفى المذهب الذى نتقدمه أرسطو لا تكون العناصر الا مجموعة بعضها مع بعض وليست مترتبة حقيقة .

§ ٢ ان العناصر تتوالد - هذه هي النظرية المضادة لنظرية أمبيدل الذى كان يعتقد ان العناصر غير قابلة للتغير . - شيئا مغايرا لها أنفسيها - بإفراض أن أربعة العناصر هي اصل لجميع الاجسام التي نشاهدها ون الاحسام هي شديدة التميز عن العناصر

من العناصر يخرج في الحق أيضا اللحم والخضاع فكيف تتكون هذه الجواهر ؟

§ ٣ - بأى وجه يمكنها أن تتكون على حسب نظريات هؤلاء الذين يتبعون مذهب أمبيدقل ؟ بالضرورة ليس بين هذه العناصر الا جمع كما نجمع مواد حائط يتكون من آجر واحجار . فى خليط من هذا القيعيل تبقى العناصر هى ما هى وتوضع أجزاء أجزاء بعضها الى جانب البعض الآخر . وحينئذ على هذا المنوال ، بناء على هذه النظريات ، انمسا يتكون اللحم وسائر الاشياء المشابهة له .

§ ٤ - ولكنه ينتج منه أن النار والماء لا يخرجان البتة من جزء كيفما اتفق من أجزاء اللحم ، كما فى تصاوير الشمع من هذا الجزء . يمكن أن تخرج كرة ومن ذاك يخرج هرم . فكل ما يرى هو ان الواحد والاخر من هذين الشكلين يمكن أن يأتى أيضا على السواء من كل واحد من جزأى الشمع . وعلى هذا النحو حينئذ أن من اللحم يخرج عنصرا النار والماء وانه قد يكونان معا من اى جزء اتفق ولكن مع مبادىء أمبيدقل لا يكون تعبير هذا ممكنا ويلزم ان كل عنصر يأتى من مكان آخر أو من جزء آخر كما فى الحائط فانه من مكان مختلف تأتى الاجرة والحجر .

التى تكونها . وانها لمسئلة أن يعرف كيف يمكنها أن تأتى ملها . - اذا كان من النار بأى الماء - ر . ما سبق به ف٦ - من العناصر - عبارة النص غير معينة .

§ ٣ - الذين يتبعون مذهب أمبيدقل - والذين يعتقدون أن العنصر غير قابلة للتغير دون ان يمكن ان تتغير بعضها الى بعض . - كما تجمع مواد حائط - النص اقل صراحة من آجر واحجار - فان المواد مجبوعة بعضها الى بعض مجرد جمع وليست متحدة معا . - بناء على هذه النظريات - زدت هذه الكلمات لانما الفكرة - وسائر الاشياء المشابهة له يعنى كل الاشياء التى لتجانسها المطلق لا يمكن ان تميز فيها العناصر التى دخلت فى تأليفها . ويمكن أن تصاغ هذه القضية فى صيغة الاستفهام .

§ ٤ - ولكنه ينتج منه - حافظت على لفظ الاصل على تردده . - لا يخرجان البتة على تقدير «معاً» يعنى «ن النار والماء ، مجتمعين مجرد اجتماع ، ليسا البتة مطلقا متحدين فى التراكيب التى يركبانها . - من جزء كيفما اتفق من أجزاء اللحم - حيث تكون متماثلة تمام التماثل . - فى تصاوير الشمع - ليس لنص على هذا القدر من الصراحة . - من كل واحد من جزأى الشمع . - ليس النص على هذا القدر من الصراحة .

- أمبيدقل - زدت هذا الاسم الذى تعينه القرينة . - تعبير هذا ممكنا - ليس النص على هذا القدر من الضبط . - من مكان آخر - التعبير بالمكان معناه «هذا الجزء» ، والمثل الآتى يفهم المعنى تماما ، فان الاجرة موضوعة بجانب الحجر ، وذلك انما هو فى موضع آخر أى فى محل آخر من الحائط .



§ ٥ - كذلك الحال أيضاً بالنسبة للفلاسفة الذين لا يقبلون إلا مادة وحيدة لجميع العناصر فإن شأنهم لا يخلو من الحيرة في إيضاح كيفان جوهراً يمكن أن يتألف من عنصرين مثلاً من الحار والبارد أو من النار والأرض فإذا كان اللحم يتكون من الاثنين وهو ليس مع ذلك لا أحدهما ولا الآخر ولا مجرد جمع لهما العنصرين حافظ لطبعهما الخاص فماذا يبقى إذا ليقبل إلا أن يكون المركب الذي تكون منهما بهذه الطريقة هو المادة المحضة ؟ لأن فساد أحد العنصرين يكون إما العنصر الآخر وإما المادة .

§ ٦ - ولكن من حيث أن الحار والبارد يمكن أن يكونا أقوى أو أضعف فيجب أن يقال أنه متى كان أحدهما بالفعل مطلقاً وبالكمال فلا يكون الثاني بعد إلا بالقوة . ومتى كان الموضوع ليس له مطلقاً أحد الكيفين وكان البارد مثلاً هو نصف حار والحار نصف بارد ، لأن الأفراطين إلى جهة أو إلى أخرى يتماحيان على طريق التكافؤ بالزج ، فحينئذ لا يوجد بالضبط لا مادة محضة ولا واحد أو الآخر من هذين الضدين الموجودين مطلقاً بالفعل وبالكمال ولا يوجد إلا وسيط . ولكن على حسب ما أن أحد الاثنين يمكن أن يكون بالقوة حاراً أكثر منه بارداً أو العكس يكون الجسم في هذه النسبة عينها بالقوة أكثر حرارة أو برودة مرتين أو ثلاث مرات أو على أية نسبة أخرى .

§ ٧ - على ذلك كل الأشياء الأخرى تأتي من مزج الاضداد أو العناصر . والعناصر أنفسها تأتي من هذه الاضداد التي هي بوجه ما العناصر بالقوة لا كما تكونه المادة بل بالطريقة التي ذكرت آنفاً . وبهذه

§ ٥ - الذين لا يقبلون إلا مادة وحيدة - يظهر أن هذه هي نظرية أرسطو الخاصة ، لأنه يقبل أن جميع العناصر يمكن أن تتغير بعضها إلى بعض ولكنه لا يعتقد أن هذه النظرية نفسها بمعزل عن كل انتقاد . - جوهراً - عبارة النص هي « شيئاً ما » - المادة المحضة - أضلت كلمة « المحضة » مع أنها ليست في النص ولكن الفريضة كلها تعين هذا المعنى ، فإن المادة المحضة هي هنا الهيولى أي المادة بالقوة . - أحد العنصرين - النص أقل صراحة . - وإما المادة - على تقدير « بالقوة المحضة » فإن العنصرين يتماحيان في المركب الذي يؤلفانه ولا يبقى إلا مادة الاثنين في حاله الوجود .

§ ٦ - فيجب أن يقال - من الممكن أن تكون الجملة استفهامية أو تقريرية على السواء - بالفعل . . . وبالكمال - ليس في النص إلا كلمة واحدة . - مثلاً - زدت هذه الكلمة - إلى جهة أو إلى أخرى - ليس للنص على هذا القدر من الصراحة .

- مادة محضة - زدت الصفة كما في الفقرة السابقة . - إلا وسيط - ومع ذلك فإن تعيين هذا الوسيط صعب لأنه يتعلق بحساسية كل مساعد . - أحد الاثنين - ليس النص أكثر تمييزاً في العبارة .

الطريقة تكون النتيجة التي تتحصل مزيجا في حين أنها بالطريقة الأخرى  
انما هي المادة المحضة .

§ ٨ - ومع ذلك فالاضداد أيضا هي قابلة على معنى الحد الذي أعطى  
في بحثنا الأولى . مثال ذلك الحار بالفعل هو بارد بالقوة والبارد بالفعل  
هو حار بالقوة أيضا بحيث انهما لولا موازنة تامة لتغير أحدهما إلى الآخر .  
ويجري هذا المجرى في جميع الاضداد الأخرى التي يراد ذكرها . وعلى هذا  
النحو أن العناصر بديا تتغير ثم أن منها بعد ذلك تأتي اللحوم والعظام  
وسائر الجواهر المشابهة فيصير الحار باردا والبارد حارا بمقدار ما تقترب  
من الحد الأوسط . فهناك لا يوجد بعد لا أحد الضدين ولا الآخر .  
فالأوسط متمدد وليس قابلا للتجزئة . كذلك الأمر أيضا في السائل  
واليابس ، وأما العناصر الأخرى من هذا القبيل حينما تكون قد وصلت  
إلى الوسط تكون اللحم والعظام والجواهر المشار إليها .

§ ٧ - كل الانبعاث الأخرى - يعني كل الأجسام المركبة والمختلطة كما نشاهد في  
الطبيعة كلها . - بوجه ما العناصر - زدت كلمة « العناصر » اخذا بشرح فيلوبيون . كما  
تكونه المادة - التي هي ليست شيئا إلا بالقوة وليس لها حقيقة فعلية في حين أن الاضداد  
لها تلك الحقيقة الفعلية . - التي ذكرت آنفا - في الفقرة السابقة . - مزيجا من جوهريين  
بالفعل يؤلفان جوهرًا جديدًا بامتزاجهما . - المادة المحضة . - زدت كلمة المحضة . -  
§ ٨ - في بحثنا الأولى - ر . ما سبق فـ ٦ . - ويظهر فيلوبيون أن المقصود هنا نظرية  
الفعل والافتعال المبسطة في الكتاب الأول ر . ما سبق لك ١٦ ب ٧ ف ٥ . الحار بالفعل  
يمكن ترجمتها أيضا : « الجسم الذي هو حار بالفعل » الخ - البارد بالفعل - أو « الجسم  
الذي هو بالفعل وبالحال بارد » .

- لولا موازنة تامة - عبارة النص هي « أن لم يكونا منساويين » . - لغير أحدهما إلى الآخر  
يعني أن أحدهما يمكن أن يحل محل الآخر على التعاقب بما أن أحد الضدين قد صار كأننا  
وأحال الآخر إلى ألا يكون إلا بالقوة . - التي يراد ذكرها - زدت هذه الكلمات . - لتفريق  
بعضها إلى بعض . - تأتي اللحوم والعظام - في هذه الأيام تمتزج الكيمياء العضوية كذلك  
بأن المركبات تأتي من اتحاد الأجسام البسيطة . غير أن الأجسام البسيطة ليست هي التي  
كان يقبلها القدماء . والعلم يمكنه أن يبين بالتحاليل المضبوطة كيف تتألف التراكيب . -  
بمقدار - لفظ النص هو « جنماء » الخ . - الضدين - أضفت هذا اللفظ . - الأوسط متعدد  
- ر . في هذه النظرية الطبيعية لك ٨ ب ١٦ ف ٩ ص ٥٣٢ من ترجمتنا وأيضا لك ٥ ب ١٢  
ص ٢٨٠ . - وليس قابلا للتجزئة - وذلك ما لا يسمح له بأن يتكيف على التعاقب بكميات  
مضادة . - كذلك الأمر أيضا في السائل واليابس - يظهر أن هذا تكرير لما سبق بيانه  
آنفا على جميع الاضداد الأخرى .

## الباب الثامن

التركيب العام للأجسام المختلطة - يوجد في كلها من الأرض ومن الماء اللذين هما عنصران ضروريان - وفيها أيضا من الهواء، ومن النار وهما ضد العنصرين الأولين - ظاهرة التغذية التي يستشهد بها سنه لهذه النظرية - كيف أن النار هي العنصر الوحيد، من العناصر البسيطة، الذي يفدى نفسه .

§ ١ - كل العناصر المختلطة المنتشرة حول المكان المركزي هي مركبة من جميع عناصر البسيطة . وعلى هذا فإن فيها جميعها من الأرض لأن كل واحد من هذه الأجسام هو الأحسن، وعلى الغالب، في المكان الخاص به . ويوجد أيضا من الماء في كل المختلطة لأنه يلزم أن تكون المركبة محددة وأن الماء من بين الأجسام البسيطة هو الوحيد الذي يتحدد بسهولة . ومن جهة أخرى فإن الأرض لا يمكنها البقاء بدون الرطب الذي يمسها مجتمعة . وإذا خلت تماما من الرطب سقطت ترابا .

§ ٢ - تلك هي العلل في وجود الماء والأرض في جميع الأجسام المختلطة . ولكنه يوجد فيها أيضا هواء ونار . لأن هذين العنصرين هما صدان للأرض وللماء فإن الأرض ضد للهواء والماء ضد للنار بمقدار ما يكون جوهر ضدا لجوهر آخر .

§ ١ ب ١ - حول المكان المركزي - يعنى حول الأرض التي هي في نظريات أرسطو مركز العالم ونحوها نتيجة الأجسام ذات النقل . - فإن فيها جميعها من الأرض - لأن كل الأجسام المختلطة التي نذكر هنا هي ذات نقل . - هو الأحسن وعلى الغالب سقطت عبارة النص على ما هي عليه من عدم التعيين ومعنى ذلك أن ذات النقل تتجه نحو الأرض وتقف بها في سقوطها . - الخاص به - هذا يمكن أن يعنى به «الأرض» أو أي واحد من الأجسام المختلطة . كان توماس وأهل جامعه كويمبرا يفهمون أن المفصود هو الأرض . وأما فيلويون فإنه يعهم على الضد أن المفصود هو المختلطة التي يتحدد مكانها الخاص بمكان الأرض التي هي المركز على السواء . - محددة - أو «أن يكون لها شكل محدود تماما» - الرطب الذي يمسها مجتمعة - وهذا إنما هو ما يسميه العلم الآن بقرة التماسك - سقطت ترابا - زدت هذه الكلمة الأخيرة لنظام الفكرة .

§ ٢ - الماء والأرض في جميع أجسام المختلطة - ليس النص على هذه الصراحة تماما - الأرض ضد للهواء - بوزنها وبكيفيةها الخاصة معا . - بمثابة ما يكون جوهر - و . المقولات ٥ ب ١٨ ص ٦٨ من ترجمتنا .

§ ٣ - على هذا حينئذ مادامت أكوان الاشياء تأتي من الاضداد فيلزم ضرورة أنه متى وجد طرفا اضدين فى الاشياء فان الآخر من- الضدين يوجد فيها على السواء . وبالتنتيجة فى كل مركب تلغى جميع الاجسام البسيطة .

§ ٤ - يظهر ان ظاهرة التغذية معتبرة فى كل واحد من الموجودات تشهد بصحة هذه النظرية . فان كل الموجودات تتغذى بعناصر مماثلة للعناصر التى تركيبها فكلها تتغذى من عدة عناصر بل ان تلك التى يظهر عليها انها تتغذى من عنصر وحيد كالنباتات التى تتغذى بالماء هى تتغذى فى الواقع بعناصر عديدة على السواء ذلك بأن الأرض هى دائما ممتزجة بالماء فتتغذى كيف ان الزراع فى ريههم الزراعى لا يزيدون على ان يمزجوا الماء بالأرض .

§ ٥ - ولكن من حيث ان التغذية تتعلق بالمادة ومن حيث ان الموجود المفتدى على هذا النحو مع أنه مشمول ومظروف فى المادة هو الصورة والنوع فطبيعى أن يظن أنه من بين الاجسام البسيطة النار هى وحدها التى تتغذى . أما سائر الاخرى فهى لا تزيد على أن يكون بعضها بعضا على

§ ٣ - أكوان الاشياء تأتي من الاضداد - ما سبق ك١٣ وما يليه - طرفا الضدين او بعبارة اظهر «الضدان المتطرفان يعنى الأرض والماء» - الآخر من الضدين - الهواء بما انه ضد الأرض والنار بما انها ضد الماء . ومع ذلك فتلك فروض منطقية محضة . ولكن فى الفقرة التالية سيسسند ارسطو بما هو واقع . وبالتنتيجة - لا يبين على النتيجة انها مضبوطة الى حد التحرج . - جميع الاجسام البسيطة - يعنى العناصر الاربعة الأرض والماء والهواء والنار مع اربعة الكيفيات البارد والرطب واليابس والحار .

§ ٤ - ظاهرة التغذية - عبارة النص هى بالبساطة : «التغذية» - تشهد بصحة هذه النظرية - النص أوجز من ذلك - تتغذى بعناصر مماثلة - القضية عامة ولكنها مع ذلك غير كاذبة - تتغذى . . . تتغذى . . . كل هذا التكرار هو فى الاصل - فى ريههم الزراعى - أضلت هذه الكلمة الاخرى التى تدل عليها العريضة - ان يمزجوا الماء بالأرض - عبارة النص ليست على هذه الصراحة .

§ ٥ - تتعلق بالمادة - حفظت نظم النص ولكنه كان اوضح ان يقال ان التغذية هى مادة الموجود المفتدى - الموجود المفتدى . . . هو الصورة والنوع - او بعبارة اخرى «الذات» فى حين أن الغذاء الذى يقوم «ليس الا المادة» - مشمول ومظروف - ليس فى النص الا كلمة واحدة - فطبيعى او «مطابق للعقل» - من بين الاجسام البسيطة - يعنى العناصر الاربعة - وحدها التى تتغذى - به فيلوبون على ان هذا على الاخص إنما هو تعبير شعري - لا تزيد على ان - النص ليس على هذا القدر من الصراحة - القدماء - وهذا هو ايضا رأى ارسطو - التى تمثل الصورة - او «التى تتعلق بالصورة» - نحو الحد - يعنى نحو طرف الجهة العليا - من حيث ان الحد يعين نوع الاشياء وصورتها فعلى ذلك النار ، فيما يظهر ، تتعلق بالصورة اكثر . ومع ذلك يمكن ان يقال ان كل هذه النظريات على جانب عظيم من الدقة - التى تعينها - زدت هذه العبارة .

طريق التكافؤ كما زعم القدماء وذلك بأن النار وحدها هي على الاخص  
التي تمثل الصورة مادام أنها دائما بطبيعتها الخاص متجهة نحو الحد . وكل  
شيء هو بالطبع مسوق نحو المكان الخاص به . ولكن صورة كل الاشياء  
ونوعها توجد دائما في الحدود التي تعينها .

§ ٦ - فيرى اذا بما تقدم ان جميع الاجسام تتركب من جميع العناصر  
البيسيطة .

---

§ ٦ - فيرى اذا - ملخص الباب - بما تقدم - زدت هذه العبارة - جميع  
الاجسام - على تقدير « المختلطة » - من جميع العناصر البيسيطة يعنى الارض والماء والهواء  
والنار . ولا حاجة للإلحاح في بيان الفرق بين هذه النظريات وبين النظريات التي قبلها  
العلم في الوقت الحاضر وأفرها .

## الباب التاسع

الهيولى والصورة - المبادئ الاولى للاشياء - ضرورة مبدأ ثالث وهو انه سلة المحركة  
ابطال نظرية المثل على نحو ما عرضها افلاطون فى الفيدون - ان المثل لا يمكن ان تفسر كون  
الاشياء - انها لا تكون - يرى ان طائفة من الاشياء تكون تحت اعياننا بعلى اخرى - ابطال  
النظرية التى تفسر كون الاشياء بعركة المادة - المادة قابلة لا فاعلة - أمثلة مختلفة مستخرجة  
من طرائق الفن

§ ١ - لما انه توجد اشياء كائنة وقابلة للدور وأن كل ما يتولد  
ويكون يوجده فى المكان الذى يحيط بالمركز فيلزم بديا الكلام على كون  
الاشياء مأخوذا فى كل عمومه وبيان عدد مبادئه ومن اى طبع هى . وبهذه  
الطريقة ندرس بطريقة أسهل الحوادث الجزئية بعد أن نكون قد حصلنا  
على معرفة الحوادث العامة . § ٢ - وتلك المبادئ هى هاهنا من حيث  
العدد والجنس على ما هى عليه المبادئ التى تكتشف فى الموجودات الازلية  
والاول . وأحد هذه المبادئ هو كهيولى والآخر هو كصورة ولكنه يلزم  
منها زيادة على ذلك ثالث ينضم الى هذين الاثنين الآخرين . لان هذين  
الاثنين ليسا أقدر على تكوين شئ هاهنا منها فى الاول . § ٣ - وعلى هذا  
اذا انما هى الهيولى التى فيما يتعلق بالموجودات الكائنة هى العلة فى انها  
يمكن أن توجد وألا توجد . فمن بين الاشياء ما توجد بالواجب ، مثال

§ ٩ ١ - كل ما يتولد ويكون - النص يقول بمباراة أكثر عموما ايضا . « لتولد »  
- يوجد فى المكان الذى يحيط بالمركز - هذا التعبير على جانب من الغرابة . فانه يدل  
فقط على أن الاجسام المختلطة التى يمكن مساهمتها توجد على سطح الارض لعنصره مركز  
العالم . ومع ذلك فان هذه العبارة لم تظهر لفيثوبون على ساء من الصدمه به فلم يشأ  
أن يفسرها . على كون الاشياء - الملاحظات السابقة . الحوادث الجزئية . الحوادث  
العامة - هذا ليس هو النمط العادى لارسطو وانه ليشتمل من الحوادث الجزئية ان الحوادث  
العامة لا من هذه . نرى تلك . وليس النص من الضبط بقدر ما عليه ترجمتى اياه .  
§ ٢ - فى الموجودات الازلية والاول - انما الاجرام السماوية هى المعنوية اربلية وغير  
قابلة للتغير وانها أوائل كل الاجسام - هو كهيولى - حفظت نظم النص ولكن يمكن ترجمته  
هكذا : « يفهم مقام الهيولى . . . مقام الصورة » . ينضم الى هذين الاثنين - زدت هذه  
الكلمات لاحصل كل قوة العبارة الاغريقية . وهذا المبدأ الثالث انما هو العلة المحركة او  
بالاولى العلة الفاعلة . ويلزم ان يقارن بهذه النظريات نظريات الكتساب الاول من الطبيعة  
ب ٨ ص ٤٧٣ من ترجمتنا .

ذلك الجواهر الازلية ، ومنها ما يجب ألا توجد فبالنسبة للاولى من المحال  
ألا توجد ، وبالنسبة للآخرى من المحال أن توجد لانه لا يمكن أن شيئاً  
يكون على خلاف ما يقضى به الواجب . ولكن هناك أشياء أخرى يمكن ان  
توجد والا توجد على السواء . وهذه هي على التحقيق كل ما هو كائن  
وهناك . لان هذه الاشياء تارة توجد وتارة لا توجد . فحينئذ الكون  
والفساد لا يتعلقان الا بما يمكن ان يوجد والا يوجد .

§ ٤ - وذلك بما هو هيولى انما هو علة الاشياء الكدنة . ولكن بما  
هو غرض غائى فالعلة انما هي الصورة والنوع . وهذا هو حد الماهية  
لكل شيء . § ٥ - ولكنه يجب أن يضاف الى هذين المبدأين مبدأ ثالث .  
هذا المبدأ لا يظهر على الفلاسفة انهم لمحوه الا كما فى الحلم ولم يتكلم  
عنه ولا واحد منهم بنوع من الضبط فقد ظن بعضهم كسقراط فى  
«الفيلون» أن طبع المثل قد يكفى لتعبير كون الاشياء . لان سقراط وهو  
يعيب على الآخرين انهم لم يقولوا شيئاً فى هذا الصدد يفترض ان من  
الاشياء التى توجد بعضها هي المثل والآخرى تتلقى هذه المثل التى تشاركها  
وأن كون كل شيء هو مسمى بحسب مثاله ، وان الاشياء تتكون متى تتلقى  
هذا المثل وانها تفسد متى تعدمه . وبالنتيجة اذا كان كل هذا حقاً  
فيكون سقراط يرى ان المثل هي بالضرورة علة كون الاشياء وفسادها .

- ليس أقدر - الهيولى والصورة كلاهما عظيم بدون المبدأ السالب الذى يجيء فيعطيهما  
الفعلية بان يجمعهما . § ٣ - هي العلة فى انها يمكن ان توجد والا توجد - وقد يمكن  
عكس القضية فبقال : « ان مكان الوجود وعدم الوجود هو من حيز المادة علة لوجود  
الكائنة - فمن بين الاشياء - او « من بين الجواهر » او « من بين الموجودات - ار «جواهر  
الازلية يعنى « الاجرام السماوية » - يمكن أن توجد والا توجد على السواء - ار «مادة  
أخرى كل الموجودات الممكنات - كل ما هو كائن - او «ما هو مخلوق» - وهالك كما هو  
اكثر الموجودات الخاضعة لمشاهدتنا .

§ ٤ - الاشياء الكائنة - والهالكة - بما هو غرض غائى - عبارة النص هي بالضبط  
من حيث هو لماذا . - انما هي الصورة والنوع - النوع يحد مع «المثال» كما سبى بعد  
- حد الماهية - او «علة الماهية» .

§ ٥ - ان يضاف . . . مبدأ ثالث هو العلة الفاعلة - الا كما فى الحلم - الانتقاد  
على جانب من الندة والاسنهاء . الكتاب الاول ما بعد الطبيعة ترجمه كوزان . ٢٠٥ وه  
- فى «الفيلون» - ر . فيدون أفلاطون ترجمه كوزان ص ٢٨٢ - طبع المثل - او «الانواع  
لان الكلمة هي بعينها ابرهم لم يقولوا أسياء - هذه العبارة قد تدل على «السواء» اما على أن  
الفلاسفة الذين يطعن عليهم سقراط قد ارموا الصمت أو أنهم لم يقولوا شيئاً يعندهم  
بعضها هي المثل . . . الخ - تلخيص صحيح للفيلون - كون كل شيء هذا هو نظم النص  
بعينه . اذا كان كل هذا حقاً - فى هذا القيد نوع من النفى ومن الانعقاد - وآخرون -  
لم يعمل فيلوبيون من هم هؤلاء الفلاسفة الآخرون وليسكن من المحتمل أن يكون المقصود  
:يمقرطس ومدرسه - على رأيهم زدت هاتين الكلمتين .

وأخرون على الضد قد ظنوا أنهم يرون هذه العلة في المادة نفسها لانه منها على رأيهم تصدر الحركة .

§ ٦ - ولكن ليس الاولون ولا الآخرون على حق ، لانه اذا كانت المثل هي في الحق عللا فلماذا لا تكون دائما بطريقة مستمرة ؟ ولماذا هي تكون تارة ولا تكون تارة أخرى مع أن المثل تبقى دائما هي والاشياء التي يمكن أن تشركها ؟ زد على هذا انه يوجد أشياء يرى جليا ان العلة فيها انما هي شيء آخر غير المثال . فانما الطبيب هو الذي يعمل الصحة ، وانما العالم هو الذي يعمل العلم مع أن الصحة ذاتها والعلم ذاته موجودان هما والكائنات التي يقومان بها . كذلك الحال أيضا في جميع الاشياء المصنوعة بحسب الفن الذي يمكن ان يتمها .

§ ٧ - ومن جهة أخرى حينما يدعى ان المادة هي التي تكون الاشياء بالحركة التي تعطىها ايها فلا شك في ان هذا الرأي هو أكثر موافقة للطبع من نظرية المثل لان ما يحيل الاشياء ويغير أشكالها يمكن ان يظهر أكثر من غيره بمظهر العلة في كونها . وعلى العموم في كل كائنات الطبيعة كما في كل كائنات الفن ينظر عادة الى كل ما يعطيها الحركة كانه هو الفاعل لها .

§ ٨ - ومع ذلك فان هؤلاء الفلاسفة الاخيرين ليسوا على حق لان الانفعال والتحريك انما هما الخاصتان اللتان تتعلقان بالمادة في حين التحريك والفعل يختصان بقوة مغايرة تمام المغايرة . وهذا هو ما يمكن مشاهدته أيضا في كل ما يعمل الفن كما في كل ما يعمل الطبع . اذا فليس الماء نفسه هو الذي يوجد الحيوان الذي يخرج من بطنه (بل هو الطبع) .

§ ٦ - ليس الاولون ولا الآخرون - يعنى لا افلاطون ولا الماديين . - عللا - كذلك عبارة النص مبهمة أيضا . - غير المثال - زدت هاتين الكلمتين . - الذي يعمل الصحة . - ربما كان يلزم أن يزداد على الجسم لتوفيه قوة العبارة الاغريقية - الصحة ذاتها - يعنى مثال الصحة . - العلم ذاته يعنى مثال العلم . - هما والكائنات التي يقومان بها - على ذلك يلزم خلاف مثال الصحة ومثال المريض وجود الطبيب وخلاف مثال العلم والتلميذ يلزم المعلم الكفء لتلقين ما يعلم - بحسب الفن الذي يمكن أن يتمها - ليس النص على هذا القدر من الصراحة .

§ ٧ - ومن جهة أخرى - الى انصار المادة يوجه ارسطو القول هنا بعد ان اجاب على افلاطون . - من نظرية المثل - ليس النص على هذا القدر من التعيين - ما يحيل الاشياء - ربما يلزم أن يحل هذا التعبير على معنى أوسع قليلا من المعنى الذي يعبر به ارسطو عادة .

§ ٨ - الانفعال - او «القبول» بقوة مغايرة تمام المغايرة - هذه هي الفاعل النص بعينها . ويمكن ترجمتها أيضا «بقدرية مغايرة» - الذي يخرج من بطنه - ليس النص على =



كذلك ليس الخشب هو الذى يصنع السرير بل هي الصناعة . ومن ثم يمكن استنتاج أن هؤلاء الفلاسفة لم يحسنوا هم ايضا التعبير . وخطوهم ات من أنهم اغفلوا العلة الاهم من جميع اعلل بحذفهم الماهية والصورة . § ٩ - وينتج منه فوق ذلك أنهم ينسبون الى الاجسام قوى يجعلونها بها تتوالد بحالة ميكانيكية أكثر مما ينبغي بتركهم الى ناحية العلة التى ترجع الى النوع . ولما انه تبعا لقوانين الطبيعة كما يقولون الحار يفرق والبارد يجمد ولما ان كل واحد من العناصر الأخرى يفعل وينفعل على طريقته فان ذلك كاف عندهم فى التقرير بأنه ايضا من هذا او بهذا يكون سائر الاشياء ويفسد . ويظهر لهم أن الأيار نفسها تقبل الحركة وتنفعل .

§ ١٠ - يوشك أن يكون هذا الخطأ هو عينه خطأ من يذهب الى اعتبار المنشار وما أشبهه من الآلات الأخرى العلة الحققة لكل ماتصنع ويرجعه اليها بحجة انه بمجرد ما ينشر يلزم ضرورة أن يقطع الخشب ويجرد مايصقل بالفارة فهناك ضرورة أيضا أن ينصقل اللوح وهلم جرا . وبالنسبة مع أن النار هي أفعلى العناصر وأنها توصل الحركة الاقوى فانهم لا يرون كيف أنها تفعل وأنها أردأ من الآلات العادية .

§ ١١ - أما نحن فلما أننا تكلمنا فيما سبق على العلل على العموم لم نتصدها هنا الا لدرس الهيولى والصورة .

---

= هذا القدر من الضبط . - ( بل هو الطبع ) - وصحت هذه العبارة بين فوسين لانها لا توجد الا فى بعض المخطوطات وليس ضروره . وشرح فيلونون يدل عليها بالانتشاء - الماهية والصورة قد يكون لازما أن يقال « الماهية الدائمة » .

§ ٩ - ميكانيكية أكثر مما ينبغي - هذه عبارة الاصل بحرفها وليست غابة فى البيان . - الفقرة المالية . ويظهر ان هذا الرد يكاد يدخل بشامه فى عضون الرد المتقدم كما تبه اليه أهل جامعة كويمبرا . أما فيلونون فانه بناء على رأى اسكندر الاثروزيى يظن أن هذا الانتقاد موجه على الخصوص الى برمينيد - الحار يفرق - مثلا حيثما يصير بعض الجواهر - والبارد يجمد - هذا حق فى بعض الاحوال ولكنه ليس حقا فى جميعها . فمن العناصر الأخرى - ليس النص على هذا القدر من التعيين - النار نفسها - التى تعتبر أفعلى العناصر تصير منفعة فى هذا المنصب . - تقبل الحركة - او « تنحرك » .

§ ١٠ - يذهب الى اعتبار المنشار - ر . ما سبق فى اول الفقرة التاسعة . فتلك هي المبادئ الميكانيكية التى اليها ينسب الفلاسفة كون الاشياء - ويرجعه اليها - ليس النص على هذا القدر من الصراحة . - فهناك ضرورة أيضا - ليس النص على هذا القدر من الصراحة أردأ - أى بنظام أقل - المادية - زدت هذه الكلمة .

§ ١١ - فما سبق - نظن فيلونون أن المراد هنا كتاب الطبيعة ولكن الاون بالمراد هو الكتاب الاول من ما بعد الطبيعة الذى فيه أرسطو قد درس العلل - لم نتصدها هنا الا لدرس - ليست عبارة النص على هذا القدر من الصراحة .

## الباب العاشر

كون الأشياء وفسادها هما متصلان كالحركة ويتعلقان بالنقلة الدائرية للعالم - ضرورة  
حركتين - النقطة الدائرية المائلة تسد هذه الضرورة - النظام الكون والفساد الطبيعيين -  
المدة الدورية للكانات - فعل الله - القوانين الثابتة التي وضعها في أبدية الأشياء - النظام  
العجيب للعالم - تغير الأجسام إنما هو الذي يحفظ مدتها - المحرك الأول غير المتحرك هو  
البداية الوحيدة للحركة العالمية - اتصال الحركة يتعلق باتصال المتحرك .

§ ١ - يلزم أن يزداد على ذلك اعتبار آخر وهو أنه بما أن حركة النقطة  
أزلية كما سبق بيانه فينتج منه بالضرورة أنه بهذه المثابة يجب أن يكون  
كون الأشياء متصلاً أيضاً على السواء . لأن هذه الحركة تسبب إلى ما لا  
نهاية كون الأشياء بائناً تأتي بالعلة التي يمكنها أن تكون الأشياء ثم تأتي  
بها ثانية . وهذا يبرهن لنا في آن واحد على أن ما قدمناه صحيح وعلى  
أنه كان لنا الحق في أن نجعل النقطة لا الكون هي أول التغيرات . وفي  
الحق أنه أدخل في باب المعقول أن يجعل ما هو موجود علة لتكوين ما لم  
يوجد من أن نجعل ما لم يوجد العلة الفاعلة لتكوين ما هو موجود . وأن  
ما هو خاضع للنقلة موجود في حين أن الشيء الذي يكون ويصير هو غير  
موجود . وذلك ما يجعل أن النقطة متقدمة على الكون .

§ ٢ - بعد أن فرضنا وبيننا أن في الأشياء كونا وفساداً متصلين  
وأن حركة النقطة هي علة تولد الأشياء يجب أن يكون من البين لدينا أنه

§ ١ يلزم أن يزداد على ذلك اعتبار آخر - قد اضطرت إلى التوسع في عبارة النص  
حتى يبتدأ هذا الباب على وجه أليق . - كما سبق بيانه - في الكتاب الثامن من الطبيعة ب ١٠٠  
ص ٥١٨ وما يليها من ترجمتي . - كون الأشياء - عبارة النص «التولد» - هذه الحركة  
تسبب إلى ما لا نهاية - تلك هي فكرة عظمى في ربط كون الأشياء وفسادها بالعلة العامة  
التي تحرك العالم . - تأتي ٠٠٠ ثم تأتي به ثانية - هذه المقابلة هي في النص - ما  
قدمناه - ر. الطبيعة ل ٨ ب ١٠ ص ٥١٨ وما بعدها . حيث أرسطو قد فصل الكلام تفصيلاً  
لا بد أن الحركة الدائرية هي الأولى والأصلية لجميع الحركات . - ما هو موجود ٠٠٠ ما لم  
يوجد - عبارة النص : «الموجود ٠٠٠ واللاموجود» - يكون ويصير - ليس في النص إلا  
كلمة واحدة - متقدمة - أو أعلى .

§ ٢ - فرضنا وبيننا واقع الكون والفساد المتصلين للانداء تشهد لنا به الحواس ،  
ولا محل لفرضه ولا لنبيانه . ولكن فلاسفة معاصرين لأرسطو كانوا يذهبون إلى حداثكار  
الحركة . ر. الكتاب الأول من الطبيعة ب ٣ وما يليه في آن واحد - أضفت هذا القيد لأحصل =

مادامت حركة النقلة وحيدة فمن المحال ان الكونّ والفساد يوجدان جميعا في آن واحد مادام أنهما ضدان لان علة موجودة وباقية هي بعينها وفي الظروف بعينها لا يمكن البتة أن تعمل الا المعمول بعينه على حسب نظام الطبيعة . وبالنتيجة فاما ان الكون هو الازلي واما ان الفساد هو الازلي

§ ٣ - وعلى ذلك يلزم ان يوجد عدة حركات وحركات متضادات اما باتجاهها واما يتفاوتها لان علل الاضداد هي اضداد كذلك . وليست النقلة الاولى اذا على التحقيق هي التي يمكن ان تكون علة كون الاشياء وفسادها . بل النقلة على حسب الدائرة المائلة . فان في هذه النقلة حقا يوجد في آن واحد اتصال لحركة واحدة وامكان لحركتين ، لانه يلزم بالضرورة من اجل ان الكونّ والفساد يمكن ان يكونا متصلين ان تكون الحركة سرمدية حتى لا تتخلف هذه التغيرات نفسها ابدا . ومن جهة اخرى يلزم ان يكون عدد الحركات اثنين لا تكون احدي هاتين الظاهرتين هي التي تبقى وحدها على الدوام .

§ ٤ - وعلى ذلك اذا انما نقلة العالم هي علة الابدية وان ميل الدائرة انما هو الذي ينتج التقريب أو التباعد لانه قد يمكن أن تكون العلة تارة بعيدة وتارة قريبة . وبما ان المسافة غير متساوية والحركة تكون غير متساوية كذلك . وعلى ذلك اذا كانت الحركة بشهادتها وقربها تسبب كون الاشياء فان هذه الحركة نفسها بغيابها وابتعادها تسبب فساد الاشياء . وفوق ذلك فانها اذا كونت باقترابها عدة مرات فانها تفسد بابتعادها عدة مرات ايضا لان علل الاضداد هي اضداد بعضها لبعض .

= كل قوة عبارة النص . فاما ان يكون هو الازلي واما ان الفساد هو الازلي - أو بعبارة أخرى أحد الاثنين لا الاثنان جميعا .

§ ٣ - حركات متضادات - ر . حد الحركة المضادة في الطبعة ١٥ ب ص ٣٢٠ وما بعدها من ترجمتنا - على حسب الدائرة المائلة - بناء على الاساسي وبناء على فيلوبيون يلزم ان يعني بالدائرة المائلة دائرة فلك البروج او دائرة سمت الشمس . وبحسب ما تكون الشمس اقرب منا أو أبعد يحصل كون الاتباء أو فسادها . قد لا تكون نظرية أرسطو صحيحة ولكنها في لحن كبسة للغاية . ان الحركة اللاتممة المتناهية منذ الازل تبقى منطبقة على السماء ولكن الحركة المتفاوتة الخاضع لها العالم الارض هي في الشمس والسارات التي تسيرها اتصال الحركة واحدة وامكان لحركتين - من هنا علما الكون والفساد المعاكبين الابديين للاشياء هاتين . لظاهرتين - ليس النص على هذا القدر من الصراحة .

§ ٤ - نقلة :العالم - يعني حركة النقلة الازلية التي تتسلط على السماء والكواكب الناتجة على منهج أرسطو - ميل الدائرة - زدت المضاد اليه . ان تكون العلة - عبارة النص غير معنية بالمرء فاضطرت الى تعيينها . - شهادتها وفربها - هذا يمكن ان ينطبق على الشمس التي هي ليست فقط اكثر او اقل بعدا من الارض بحسب النصول بل ان نورها هو تارة شاهد وتارة غائب بحسب النهار والليل . =

§ ٥ - يلزم ان يزداد على هذا ان الفساد والكون الطبيعيتين يتحققان في زمان متساو . وهذا هو الفاعل في ان زمن مدة كل كائن وزمن حياته يمكن ان تعبر بالعدد وتتعين بهذه الطريقة . وفي هذا ترتيب ينتظم جميع الكائنات فان المكث والحياة هما دائما مقيسان بمدة ما تمضى . غير ان هذه المدة ليست واحدة بالنسبة للجميع على السواء . بل هي اقصر بالنسبة للبعض واطول بالنسبة للبعض الآخر . وان المدة التي يقاس بها وجود الكائنات هي بالنسبة لهؤلاء سنة وبالنسبة لهؤلاء هي اكثر في حين انه بالنسبة لموجودات اخرى المقدار هو اقل . § ٦ - ان الظواهر المحسوسة لشاهدة بصدق ما نقوله هنا . متى تطلع الشمس يحصل كون . ومتى تغرب يحصل فساد . وهاتان الظاهرتان يتحققان في ازمان متساوية لان زمن الفساد الطبيعى هو مساو لزمن الكون . ولكنه يقع غالبا ان الفساد اسرع بعله تفاعل العناصر بينها . وفى الحق متى كانت المادة غير منظمة ولا واحدة بعينها في كل مكان لزم ايضا ان الاكوان التي تخرج منها تكون غير منظمة مثلها وان يكون بعضها اسرع والاخر ابطا . وحينئذ يمكن ان يصير كون البعض فسادا للبعض الآخر .

§ ٧ - على ان الكون والفساد كما قلنا يجب ان يكونا دائما متصلين ولا ينبغي البتة ان يتخلفا للاسباب التي ذكرناها . ومع ذلك فان هذا

= باقتراحها عدة مرات - حفظت عبارة النص على ما بها من تردد . ومعنى ذلك انه يلزم ان تقرب الشمس او تبعد عدة مرات متوالية لتحدث بعض الآثار . - علل الاضداد - أو الاضداد هي علل للاضداد .

§ ٥ - يتحققان في زمان متساو - لا يلزم ان يؤخذ هذا بتخرج اكثر مما ينبغي . فان ارسطو يريد ان يقول ان الزمان الذي فيه يمكن للشمس ان تفسد هو مساو للزمان الذي فيه يمكنها ان تكون . فان دوربة الفصول متساوية دائما . - وذهن حياته - لان مدة الحياة لكل كائن متغيرة بحسب الاوضاع التي وضعت فيها الطبيعة كما سيقال بعد . ترتيب ينتظم جميع الكائنات - معلوم ان ارسطو كان يعلم دائما مذهب المصادفة والاتفاق . ما سبق ب٦ فـه والطبيعة كـ٢ بـ٤ وما بعده .

§ ٦ - الظواهر المحسوسة - كذلك يوصى ارسطو هنا كما في كل موطن آخر بنمط الملاحظة .

- متى تطلع الشمس - هذا ليس حقا لا بمقدار ما . وانها لمبالغة في فعل الشمس ان يستند اليها كون جميع الاشياء . - في ازمان متساوية - يعنى انه في آخر العام يكون الزمن الذي فيه غابت الشمس مساويا للزمن الذي فيه طلعت . - الفساد الطبيعى - الراجع الى شهادة الشمس او غيبتها . - الفساد اسرع - العلة عينها يمكن ان تفعل في الكون ايضا . - العناصر النص : فل صراحة وعد اضطررت الى جعل الترجمة مضطربة .

§ ٧ - كما قلنا - سواء في هذا الباب ٣ فـ٤ او في الطبيعة كـ٢ بـ٣ فـ٤ من ترجمتي =

مفهوم جدا لان الطبيعة كما نقرر تبحث دائما عن الاحسن في كل الاشياء .  
والوجود هو احسن من العلم ، وقد عددنا في موضع آخر المعنى المختلفة  
لمعنى « وجود » . ولكنه لايمكن ان الوجود يبقى في كل الاشياء مادام  
ان بعضها هي اكثر ابتعادا جدا عن المبدأ . وأخذا بالطريق الوحيد ادى  
يقى نقول ان الله قد كمل الكل بأن جعل التولد متصلا وابديا . فالوجود  
هو اذا ملتك ومتصل بقدر ما يمكن لان كونا ابديا وصيرورة مستمرة  
هما أقرب ما يمكن من الوجود ذاته . وحينئذ فعلة هذا الكون ، كما  
طالما قد قيل ، انما هي النقلة الدائرية لانها هي وحدها التي تكون متصلة .  
§ ٨ - فانظر كيف ان جميع الاشياء التي تتغير بعضها الى بعض ، بحسب  
خواصها القابلة والفاعلة ، كالأجسام البسيطة مثلا ، لا تزيد ايضا على  
ان تقلد هذه النقلة الدائرية التي هذه الاشياء تكررهما . وفي الحق  
انه متى كان الهواء يجيء من الماء والنار تجيء من الهواء ثم الماء يجيء في  
دوره من النار فيمكن القول بأن الكون قد حصل دوريا ما دام أنه رجع  
على نفسه . وعلى هذا اذا فان حركة هذه الظواهر بامتدادها على خط  
مستقيم تقلد الحركة الدائرية وتصير متصلة .

- كما نقرر - هذا هو أحد المبادئ التي أحسن أرسطو في تقريرها وحسن استعمالها  
٥٠. الطبيعة ك٨ ب٧ ف٦ ص ٥١٠ من ترجمتي - في موضع آخر - خصوصا في المقولات  
ب٢ ف٢ ص ٥٤ من ترجمتي . وفي الطبيعة ك١ ب٣ ف١ ص ٤٣٨ من ترجمتي . وفيما  
بعد الطبيعة ك٤ ب٧ ص ١٠١٧ طبعة برلين - الوجود يبقى في كل الاشياء - على تقدير  
الوجود «اللازلي» ولكن اضطررت لاستيفاء التردد الواقع في النص - عن المبدأ - الذي  
كونها والذي يحفظها - أخذ ابا الطريق الوحيد الذي بقي - ربما كان في ذلك تضيق لقدرة  
الله - الله قد كمل الكل - هذه الفقرة تذكر بعض الشيء بنظريات طيماسوس التي ربما  
كانت هي التي أوجتها متصلا وابديا - ليس في النص الا كلمة واحدة - ملتك ومتصل ...  
كونا ابديا وصيرورة مستمرة - التنبية السابق عينه - من الوجود ذاته - على تقدير «اللازلي»  
كما طالما قد قيل - في هذا الباب ذاته وفي الطبيعة ك٨ ب١٢ ف٦ ص ٤٦٣ و١٣ ف٥ ص ٥٥٠  
و٥٥٢ من ترجمتي .

§ ٨ - كالأجسام البسيطة - يعنى العناصر العادية الارض والماء والهواء والنار - لا  
تزيد ايضا على ان تقلد - ليس النص على هذه الصراحة - هذه الاشياء تكررهما - أضفت  
هذه الكلمات . ومع ذلك يمكن أن يرى أن هذه المشابهة بين التغير المتكافئ للعناصر وبين  
الحركة اللازلية التي تحرك السماء هي مشابهة قسرية . ولكنه يلزم تذكر ذلك المركز العظيم  
المستند الى أربعة العناصر في نظريات أرسطو ٥٠. على الأخص الميتورولوجيا ك١ ب٢ و٣  
ص ٤ وما بعدها من ترجمتنا - وفي الحق انه متى كان الهواء يجيء من الماء - على رأى  
أرسطو أن الماء يتبخره يصير هواء - ثم الماء يجيء في دوره من النار لان النار تتغير الى  
هواء والهواء في دوره الى ماء - تقلد هذا التكرير موجود في الاصل .

§ ٩ - وهذا يسمح لنا في آن واحد باستجلاء مسألة يثار ثائرها أحيانا وهي كيف يمكن ، مع أن كل جسم متمكن في المحل الخاص به ، ألا تكون الاجسام المركبة منفصلة ومنحلة أثناء المدة غير المتناهية للآزمان . والسبب في ذلك بسيط - وهو انها تتغير وتتحول بعضها الى بعض . فإذا كان كل واحد منها يبقى في محله الخاص ولم يعدله جاره فتكون من زمان طويل قد انفصلت وانعزلت ، فهذه الاجسام تتغير اذا على أثر حركة نقلة مزدوجة ومن أجل انها تتغير لا يوجد ولا واحد منها يمكن ان يبقى البتة في مكان ثابت ومعين .

§ ١٠ - فيمكن أن يرى اذا بناء على ما تقدم أنه يوجد على الحقيقة كون للأشياء وفساد وما هي العلة فيهما كما أنه يرى ماهو المخلوق والقابل للفساد . ولكن مادام أنه يوجد حركة فيلزم أن يوجد محرك كما بين ذلك في مؤلفات أجري . وإذا كانت الحركة أزلية يلزم أن يكون موجودا شيء ما أزلي أيضا . ولما أن الحركة متصلة فهذا الشيء الذي هو أحد يجب أن يكون هو عينه أبدا غير متحرك ولا مخلوق ولا قابل للاستحالة . حتى مع افتراض أن الحركات الدائرية أمكن أن تكون كثيرة بالعدد فقد يمكن أن تكون عديدة ولكنها جميعها مادامت فانها يجب بالضرورة أن تكون خاضعة لمبدأ واحد أحد . ومن جهة أخرى مادام انزمان متصلا وجب أن تكون الحركة متصلة مثله لانه من المحال أن يوجد زمان بدون حركة . فان الزمان هو اذا العدد لشيء ما متصل أعنى للنقطة الدائرية كما قلنا ذلك بديا .

§ ٩ - يشر ثائرها أحيانا - أو «يثيرها بعض الفلاسفة» - منفصلة ومنحلة ليس في النص الا كلمة واحدة - ويلزم أن يفهم ان المراد هو تحليل الاجسام المختلطة حيث كل واحد من العناصر التي تؤلفها يتجه الى المكان الخاص به فالارض الى تحت والنار الى فوق والهواء والماء الى الاماكن المتوسطة . أثناء المدة غير المتناهية للآزمان - لان هذه التغيرات بطيئة للغاية ويستدعى ازمانا طويلا جدا . - وهو انها تتغير وتتحول - ليس في النص الا كلمة واحدة . - قد انفصلت وانعزلت - التلبية السابق عيه .

- حركة نقلة مزدوجة - ر . ما سبق فـ وهذه الحركة المزدوجة هي التي يحدثها ميل الدائرة الذي هو قارة يبعد الشمس عنا وقارة يقربها منا . وبحسب شرح فيلوبون لما هي الحركة التي تذهب من الشرق الى الغرب والتي ترجع من الغرب الى الشرق . - ومن أجل انها تتغير - وتختلط بعضها ببعض .

١٠ - المخلوق والقابل للفساد - حفظت قصدا عبارة النص على قلة تعيينها - في مؤلفات أخرى - هي الطبعة كـ ٨ ب ١٥ ص ٥٥٨ وما بعدها من ترجمتي ، وما بعد الطبعة كـ ٧ ب ٦ وما بعده ص ١٩٢ من ترجمة كوزان الطبعة الثانية . - أن يكون موجودا شيء ما - قد يكون أكثر بيانا أن يقال : محرك ما أزلي . - كثيرة بالعدد . . . عديدة - هذا التكرار موجود في النص .

§ ١١ - ولكن هل الحركة متصلة لان المتحرك الذى يقبلها هو متصل أيضا ؟ أم هل هي كذلك بعلّة اتصال المكان الذى تقع فيه ، أريد أن أقول الأين ، أوبعلّة اتصال الكيف الذى يكيف الشيء ؟ من البين ان الحركة هي متصلة بسبب أن المتحرك متصل لانه كيف يمكن أن يكون كيف شيء متصلا الا اذا كان ذلك باتصال الشيء نفسه الذى فيه يظهر هذا الكيف ؟ اذا كانت الحركة ليست متصلة الا بسبب المكان الذى هي فيه فهذا لا يمكن حينئذ الا بالاين الذى له وحده خاصية الاحاطة بها لان له عظما ما . ولا يوجد عظم متصل الاعطل الدائرة لان هذا العظم هو دائما متصل بنفسه . وعلى ذلك فالعامل فى اتصال الحركة انما هو الجسم الذى له النقلة الدائرية وانما الحركة فى نوبتها هي العاملة فى أن الزمان يكون متصلا .

---

- مادام الزمان متصلا - ر . على علاقات الزمان بالحركة الكتاب الرابع من الطبيعة ب١٤ وما بعده ص ٢٢٤ من ترجمتى .- بديا- يرى فيلوبون ان المقصود بهذا كتاب الطبيعة الذى هو يتقدم فى ترتيب الدراسة كتاب السماء وهذا الكتاب ويلزم الرجوع الى الكتاب الرابع من الكتاب السابع من الطبيعة .

§ ١١ ولكن هل الحركة متصلة - هذه المسألة المهيبة قد طرحت على البحث وحلت فى الكتاب الثامن من الطبيعة ب١٥ وما يليه ، وفى الكتاب الثانى عشر من ما بعد الطبيعة ب٦ وما يليه على وجه فيه بعض المفارقة لما قرر هنا .- اتصال المكان .- اتصال الكيف ليس النص على هذا القدر من الصراحة - الذى يكيف الشيء ؟ - زدت هذه الكليات لتكوين الفكرة أكثر بيانا .- المتحرك متصل - هذا غير مفهوم تماما . فان الاتصال يمكن ان يكون اما اتصال الزمان او اتصال المادة .- الا بالمكان - عبارة النص اقل ضبطا .- الذى له وحده خاصية الاحاطة بها - وسعت عبارة النص لجعلها أبين .- الاعظم الدائرة - ر . الطبيعة ك ٨ ب١٢ ف٤١ ص ٥٤٧ من ترجمتى وب١٤ ف١ ص ٥٥٣ - دائما متصل بنفسه - لان المحيط يرجع على ذاته - الجسم الذى له النقلة الدائرية - والازلية ، يعنى السماء .

## الباب الحادى عشر

نظرية تعاقب الاشياء الابدئى المنتظم - على أى مقدار يكون تدخل الوجوب - الاشياء الواجبة والاشياء الممكنة - الوجوب المطلق - الوجوب الاضافى - علاقة الواجب والازلى - كون الاشياء لا يمكن أن يكون ابدئيا الا اذا كان دائريا - ترتيب الاشياء العجيب - الحركة الدائرية للفلك الاعلى تنظم كل الحركات السفلى ، حركة الشمس ، وحركة الفصول وكل الحركات الاخرى - ابدئية الانواع - فناء الاشخاص المتعاقب - الزلية بعض الجواهر - خاتمة الكتاب .

§ ١ - لما أننا فى جميع الاشياء التى تتحرك بحركة متصلة اما لتكون واما لتستحيل واما بالاختصار لتتغير ، نرى دائما حادثا يوجد بعد آخر وظاهرة تتكون على أثر أخرى بحيث لا يقع لا خلو ولا تخلف فيلزمنا أن نفحص ما اذا كان يوجد شيء ما بالواجب أو أنه ممكن فى حق جميع الاشياء ألا تكون اذا لم يكن شيء موجودا بالواجب . وبديهي أن بعض الاشياء هى واجبة وهذا هو الحامل على أن القول على شيء بالتعيين انه سيوجد هنا مغاير تماما للقول بأنه يجب أن يوجد . لانه مادام قد حق القول على شيء بأنه سيوجد، فيلزم ايضا ان يحق القول ذات يوم على شيء أنه موجود فى حين أنه متى صدق القول بالبساطة على شيء أنه يجب ان يوجد فلاشيء يمنع من ألا يوجد : مثال ذلك قد يمكن جدا ان انسانا كان يجب ان يتنزه الا يتنزه .

§ ٢ - ولكن لما أن من بين الاشياء التى هى موجودة ما يمكن أيضا ألا توجد فبديهي أن يكون الامر كذلك أيضا بالنسبة للاشياء التى تصير.

§ ١ - لاخلو ولا تخلف - ليس فى النص الا كلمة واحدة - اذا كان يوجد شيء ما واجب - على نظرية الوجوب . ر . الطبعة ك ٢ ب ٩ ص ٦١ من ترجمتى .  
- بعض الاشياء هى واجبة - تلك هى النتائج الضرورية لفرض ما ولكن الفرض نفسه ليس واجبا . - بالتعيين - زدت هذه الكلمة زيادة فى تحديد الفكرة . - بأنه يجب ان يكون يوجد فى عبارة النص نحو من الاحتمال ليس موجودا فى التعبير الفرنسي . - بالبساطة - زدت هذه الكلمة ايضا . وربما كان من الاحسن ان يستعاض فى الترجمة عن عبارة « يجب ان يكون » بعبارة « يمكن ان يكون » فان هذه الصورة الدقيقة من الصعب نقلها من لغة الى لغة اخرى .

§ ٢ - التى تصير وتكون - ليس فى النص الا كلمة واحدة ويلزم الالتفات الى التمييز بين الوجود وبين الصيرورة . فان أحدهما ازل او على الاقل باق فى حين أن الآخر حادث ومؤقت . - بالنسبة الى الصيرورة - جئت بهذا التعبير الذى هو أول ما يوفى عبارة النص لا يمكن الا تكون - معنى انها واجبة . - المنقلبات الدورية - ليس النص على هذا القدر من الصراحة .



وتكون وأنه ليس هناك أيضا وجوب . فهل جميع الأشياء التي تكون هي في هذه الحالة أم هل هي ليست فيها ؟ أو ليس يوجد منها ما يجب بالضرورة ان يكون ؟ او لا يكون الامر بالنسبة الى الصيرورة كما هو الحال بالنسبة للوجود ؟ أو ليس يوجد أيضا أشياء لا يمكن ألا تكون في حين ان أخرى يمكن أن تكون ؟ مثال ذلك وجوب ان توجد المنقلبات الدورية وليس ممكنا انها لم تكن أصلا .

§ ٣ - والحق هو انه انما يلزم بالضرورة ان المتقدم يكون لاجل ان المتأخر يكون أيضا في دوره . مثال ذلك لكي يوجد بيت يلزم بديا ان يوجد أساس . ولأجل ان يوجد اساس البيت يلزم ملاط . ولكن هل لان الأساس قد عمل يكون واجبا ان البيت يقام أيضا ؟ أم هل ليس هذا واجبا الا اذا كان البيت نفسه واجبا على الاطلاق ؟ وعلى هذا الوجه اذا من الضروري في الواقع أنه مادام الأساس قد عمل فالبيت يكون أيضا لان هذا هو في الحقيقة علاقة المتقدم بالتأخر انه اذا كان المتأخر يجب ان يكون فيلزم وجوبا أيضا ان يكون المتقدم قد كان من قبله .

§ ٤ - واذا كان حينئذ المتأخر واجبا لزم أن يكون المتقدم واجبا كذلك . واذا كان المتقدم واجبا وكان المتأخر واجبا مثله فذلك ليس بسببه بأية طريقة ما بل فقط لانه كان المفترض وجوب المتأخر نفسه . وعلى هذا اذا فانه حيثما كان المتأخر واجبا كان التكافؤ . ودائما حينئذ متى كان المتقدم فواجب ان المتأخر يكون في دوره . § ٥ - اذا سار التعاقب الى اللانهاية نازلا من درجة الى درجة فمن ثم لا يكون واجبا أن المتأخر يكون مطلقا . ولكن حتى هذا لا يكون واجبا بحسب الفرض

§ ٣ - المتقدم ... المتأخر - الامثلة التالية تبين معنى هاتين الكلمتين - بيت ... أساس - يكاد يكون هذا المثل هو عين المثل الذي ضرب في الطبيعة كـ ٩ بـ ٢ ص ٦٢ من ترجمتي لتبيان الفكرة عينا . - ملاط - عبارة النص بالضغط والحماة . - الا اذا كان البيت نفسه - ليس النص على هذه الصراحة . - فالبيت يكون أيضا - ولكن فقط لأنه هو نفسه واجب وليس البيت لأنه يجب ضرورة أن يكون النتيجة للأساس . - المتأخر إنما هو هنا البيت المتقدم - انما هو الأساس الموضوع ليحمل البناء . الأساس ضروري للبيت ولكن البيت ليس ضروري يا للأساس .

§ ٤ - مثله - زدت هذا اللفظ بسببه - فالبيت ليس واجبا أصلا بالنظر الى الأساس في حين ان الأساس واجب بالنظر الى البيت . - كان المفترض - انما هو بالفرض الصريح أن البيت واجب ولكنه ليس كذلك بالنظر الى المواد التي تأسس عليها . - كان التكافؤ - يعني أن الاول ضروري للثاني بقدر ما يكون الثاني للاول .

§ ٥ - التعاقب - العبارة الاغريقية غير محددة . - الى اللانهاية - يفترض الشراح أن المقصود التناسل على خط مستقيم متناهي أو غير متناه عوضا عن تناسل دائري واجب على نفسه كتولد البنات . - نازلا من درجة الى درجة - عبارة النص هي بالبساطة :

الموضوع آنفاً لأنه سيوجد دائماً شيء آخر يتقدم بالضرورة على المتأخر .  
وهذا الشيء الآخر يجب أن يكون بالضرورة أيضاً . وبالنتيجة كما أنه  
لا يوجد مبدأ ممكن للانهاية فلن يوجد كذلك حد أول عامل على أن الأخير  
يجب أن يكون بالضرورة ٥ § ٦ - ولكن حتى في الأشياء التي لها  
حد منته لا يصدق القول بأنه يوجد وجوب لأن تكون الكائنات على الإطلاق .  
مثال ذلك أن البيت قد كان لأن الأساس قد كان . لأنه إذا البيت كان من  
غير وجوب وجود دائم بالضرورة فينتج منه أن ما يمكن ألا يكون دائماً  
يكون دائماً . ولكن شيئاً لا يمكن أن يكون دائماً من حيث كونه إلا إذا  
كان هذا الكون واجباً لأن الواجب والأزلي يتمشيان معاً . فما يكون وجوباً  
لا يمكن ألا يكون . وعلى هذا إذا كان وجوباً فهو بذلك نفسه أزلي . وإذا  
كان أزلياً فهو واجب الوجود وكذلك الحال أيضاً إذا كان كون الشيء واجباً .  
فهذا الكون هو أزلي أيضاً وما دام أزلياً فهو واجب الوجود على سواء .

٥ § ٧ - وإذا كان إذا الكون المطلق لشيء هو واجباً لزم ضرورة أن  
يكون هذا الكون دائرياً ويرجع على نفسه لأنه يلزم مطلقاً إما أن للكون  
حداً أو أن ليس له حد . فإن لم يكن له لزم أن يقع على خط مستقيم أو  
على دائرة . ولكنه ليكون أزلياً محال أن يكون على خط مستقيم لأنه حينئذ  
لا يكون له ابتداء لا من تحت كما نرى اخذاً بالأشياء التي ستكون ولا من

= «نحو التحت» - بحسب الفرض الموضوع آنفاً - ليس النص على هذا القدر من التحديد  
ويمكن ترجمته هكذا : « هذا لا يكون واجباً حتى على طريق الفرض » . لأنه سيوجد دائماً  
يعنى قبل الحد الأخير المفروض أنه واجب توجد سلسلة حدود متقدمة وهي لأنها غير متناهية  
لا يمكنها أن تنفذ . ومع ذلك فإن كل هذه الفقرة غامضة قليلاً ويظهر أن فيلوبون يشكو  
من غموضها . عامل على أن الأخير - النص ليس على هذا القدر من الضبط ، ففي الانهاية  
لا يوجد حد أول ولا حد آخر إذ لا أول لها كما لا آخر لها .

٥ § ٦ - التي لها حد منته - أو «آخر» - لأن ٥٠٠ الكائنات - عبارة النص غير  
محددة . - لأنه إذا البيت كان - تابعت بالضبط أسلوب النص . ولكن ليس جسيمة  
البيان وفيه معانٍ وسطاء محنونة سببت الغموض . وإليك شرحاً يجلو غموض هذه الفقرة  
«حتى في الأشياء التي لها آخر معين ليس من الضروري دائماً أن يتبع المتأخر المتقدم مثال .  
ذلك أساس البيت يمكن أن يعمل دون أن يعمل البيت ضرورة بعده مع أن الأساس ضروري  
للبيت . لأنه إذا كون البيت من غير أن يكون مع ذلك واجباً فينتج منه أن شيئاً ممكناً  
انقطع عن أن يكون ممكناً ليصير واجباً » - ما يمكن ألا يكون دائماً - يعنى ما هو ممكن  
الواجب والأزلي يتمشيان معاً - أو «الواجب هو في آن واحد أزلي أيضاً» .

٥ § ٧ - دائرياً ويرجع على نفسه - هذا أحد المبادئ المهمة المقررة في كتاب الطبيعة  
٨ ب ١٣ و ١٤ ص ٥٥١ وما بعدها . فإن الحركة الدائرية هي الوحيدة التي يمكن أن  
تكون أزلية - للكون - أو التناسل - لا من تحت ٥٠٠ ولا من فوق ٥٠٠ ما سبق  
فه «من تحت» يدل على السلسلة النازلة فانه يسار مما هو كائن لأجل افتراض كل =

فوق اذا أخذنا بأشياء التي قد كانت • ولكنه يلزم ضرورة ابتداء لتكون من غير ان يكون محدودا وانه يجب ان يكون أزليا • فيوجد اذا ضرورة لان يكون الكون دائريا • وعلى هذا النحو ان التكافؤ او الرجوع يكون واجبا • ومثلا لو أن شيئا كائن بالواجب لكان المتقدم على هذا الشيء هو واجبا ايضا واذا كان هذا المتقدم واجبا يلزم وجوبا ايضا أن المتأخر يكون • • وهما اذا اتصالا أزليا حقيقيا لانه لا يهيم ان يقع الاتصال بين وسيطين او عدة وسطاء • على هذا فالوجوب المطلق لا يوجد الا في الحركة وفي الكون الدائري • ومتى وجدت الدائرة فكل شيء يكون او كان بالواجب • وكذلك اذا وجد وجوب فالكون يقع دائريا •

§ ٨ - كل هذا الترتيب هو غاية في المعقول • وما دام قد بين ايضا في موطن آخر ان الحركة الدائرية هي أزلية كما هي الحال في حركة السماء فبديهي ان كل ذلك يقع وسيقع بالواجب وان كل الحركات التي تتصل بتلك والتي تلك تنتجها هي واجبة مثلها لانه اذا كان الجسم الذي يقبل أزليا الحركة الدائرية يوصلها الى جسم آخر فينتج منه ان حركة هذه الاجسام الاخر يجب أن تكون دائرية ايضا ومثلا لما ان النقلة تحصل بطريقة ما في الافلاك العليا فيلزم ان الشمس تتحرك بالطريقة عينها • ومتى كان هذا هكذا بالنسبة الى الشمس فلفصول بهذه العلة مجرى دائري وترجع دوريا • وما دامت كل هذه الظواهر العظمى تقع بهذه الطريقة فكل الظواهر السفلى تحصل بالانتظام عينه •

---

= تعاقب الكائنات • من فوقه يدل على السلسلة الصاعدة ما دام انه يسار ماضيا وللصعود الى ما قد كان • فلا يوجد اذا ابتداء لا من احدى الجهتين ولا من الاخرى والسلسلة غير متناهية في الجهتين لأن الخط المستقيم يمتد على امتداد غير متناه • يلزم ضرورة ابتداء - هذا يظهر انه يناقض آراء ارسطو المعروفة على أزلية العالم وزد على ذلك انه ليس للدائرة ابتداء بالمعنى الخاص - للكون الكون - النص ليس على هذا القدر من الضبط •

- التكافؤ او الرجوع - ليس في الاصل الا كلمة واحدة • اتصالا أزليا حقيقيا - ليس في الاصل الا وصف واحد • وسطاء • التعبير الاغريقي غير محدد بالمرّة لذلك لم أكن أكثر منه ضبطا •

§ ٨ - هو غاية في المعقول - اعترف دائما ارسطو بنظام الطبيعة العجيب من غير أن يجعل مع ذلك لمشيئة الله وعنايته الالهية دخلا مباشرا • - قد بين ايضا في موطن آخر في الكتاب الثامن من الطبيعة كما يقول فيلوبون - الجسم الذي يقبل أزليا الحركة الدائرية هذا هو المتحرك الأول يعنى السماء أو جزء العالم الابعد عن الارض • بطريقة ما - زدت هذه العبارة لتمام الفكرة • - هذه الظواهر العظمى - ليس النص على هذا القدر من الضبط بالانتظام عينه - ليس النص على هذا القدر من الضبط •

§ ٩ - ولكن حينما توجد أشياء تتحقق بالفعل على هذا النحو ومثلاً حينما الماء والهواء يكون لهما هذه الحركة الدائرية ما دام انه لاجل تكوين السحاب يلزم أن تكون قد أمطرت ولاجل أن تمطر يجب أن يوجد السحاب فكيف يحصل أن الناس والحيوانات لا تعود هي أيضاً على نفسها بحيث أن الشخص نفسه يظهر مرة أخرى ؟ لانه من أن أباك قد كان ، لا ينتج ضرورة أنك كان يجب أن تكون . والذي هو ضروري فقط انما هو انه اذا كنت فيلزم أن أباك قد كان . والعلة في ذلك هي انه انما هذا تناسل يقع على خط مستقيم .

§ ١٠ - غير ان مبدأ البحث الذي نتصدى اليه هنا سيكون أيضاً أن نتساءل عما اذا كانت كل الاشياء تعود أيضاً الى أعيانها أو لا تعود وعما اذا كان حقاً ان بعضها يعود بالعدد وبالشخص في حين أن الآخر لا تعود الا بالنوع . بالنسبة لجميع الاشياء التي يمكث جوهرها غير قابل للفساد في الحركة التي يلقاها من البين أنها تبقى دائماً عددياً متمثلة ما دام أن الحركة تطابق حينئذ المتحرك . ولكن كل الاشياء التي على ضد

§ ٩ - لهما هذه الحركة الدائرية - والمتكافئة بحيث ان احدهما تولد الاخرى - لاجل تكوين السحاب يلزم ان تكون قد أمطرت - الميتورولوجيا ك ١ ب ٦ ص ٥٤ وما بعدها من ترجمتي . - والعلة في ذلك هي - ليس النص على هذا القدر من التحديد . - تناسل أو كون .

§ ١٠ - مبدأ - يظهر أن هذا أولى به أن يكون الملخص والمتمم ما دام أن هذه المناقشة هي آخر هذا الكتاب . - بالعدد وبالشخص - ليس في النص الا كلمة واحدة لا تعود الا بالنوع - يعنى أن الشخص يتغير كمن الابن الى الابن وان النوع يبقى هو عينه في الكائنين اللذين يخلف أحدهما الآخر . بالنسبة لجميع الاشياء - جوابه على السؤال الموضوع آنفاً . - عددياً متمثلة - وعلى ذلك فالشمس هي دائماً بعينها كما نرى اليه فيلوبون . فان جوهرها غير قابل للفساد ولا تتغير في الحركات القائمة بها . - الحركة تطابق - عبارة النص بالضبط هي : « الحركة تتبع المتحرك » . وهذه العبارة ليست جلية وفيلوبون لم يفسرها . وأظن أنه يريد أن يقول أن الحركة هي أزلية وغير قابلة للفساد كالجسم الذي تحل به .

- لا عددياً - يعنى لان الشخص يبقى هو ما هو . - بالنوع - كما يرى هذا من الابن الى الابن . فان الابن يهلك ولكن النوع يبقى منقولاً منه الى الكائن الذي ولد له - ذاته عددياً وشخصياً فان الهواء بالنوع مشابه للهواء المتقدم الذي دثر . ولكنه ليس هو هو عينه . - هو بحيث انه يمكن ألا يكون - يعنى أنه ممكن وليس واجباً . ويلاحظ أن نظرية الابد الازلى لبعض الاجسام واللاانواع ارتقاء وعظمة جدية بالكتاب السابع من ما وراء الطبيعة والكتاب الثامن من الطبيعة . وهذا انما هو أيضاً نفس جديد المذهب المصادفة والاتفاق الذي طعن فيه أرسطو دائماً . ر . مقدمتنا للطبيعة لارسطو ص ٩٣ و ١٠٢ وما بعدها من المجلد الاول . ومقدمة كتاب السماء ص ٩٤ وما بعدها .

ذلك جوهرها قابل للفساد فانها يجب ضرورة أن تتم هذه الرجعي لا عدديا بل فقط بالنوع وعلى هذا النحو أن الماء يأتي من الهواء وأن الهواء يأتي من الماء ، يأتي هو في نوعه لكن لا هو ذاته عدديا . غير انه اذا كان من الاشياء ما ترجع عدديا أيضا بأعيانها فليست البتة هي التي جوهرها هو بحيث انه يمكن الا يكون .

تم كتاب كون الاشياء وفسادها

## تحقيق على الكتاب الموصوم

« في ميليسوس وفي اكسينوفان وفي غريغياس »

لترجمة هذا الكتاب الصغير اعتمدت على طبعة ف. ج. ١٠. ملانخ المنشورة سنة ١٨٤٦. والمنقولة في مجموعة فيرمين ديديو الاغريقية (١) . وهذه الطبعة جيدة قد أعادت الى سيرته الاولى بطريقة توشك ان تكون نهائية كتابا مهما جدا على ما فيه من نقص . وقد استعان ملانخ لاصلاح النص فوق اعمال من تقدمه نسخة مخطوطة من مكتبة ليبزج العمومية يظهر أنها اضبط النسخ التي وصلت اليها . وهذه المخطوطة كان قد استعانها بعض الشيء أوليغاريوس وهو يعمل لمجموعة فيريسيوس الاغريقية ( طبعة هارلس ج ٣ ص ٢٨٤ ) . ولم تبدئ البحوث الادخل في باب الجدل والنفع الا على يد فلبيرون الذي نشر سنة ١٧٠٩ شرحه المسمى :

"Liber de Xenophane, Zenone et Gorgia, Aristotelis vulgu tributus, passim illustratus".

وبعد أربع سنين هذا ج. ل. اسبلدنغ حذو فلبيرون في بحثه مدرسة ميغار فأبرز الجزء الاول من الكتاب « في اكسينوفان وزينون وغريغياس » (٢) . وكان بين يدي اسبلدنغ مخطوطة ليبزج استخرج منها عدة اصطلاحات وبهذه المساعدة تسنى له أن نشر نصا محسنا جدا وقرن به تعليقات ممتعة

(1) Aristotelis de Melisso, Xenophane et Gorgia disputationes, cum Eleaticorum philosophorum Fragmentis et Ocelli Lucanæ qui fertur de universi naturæ libello, conjunctim edidit, recensuit, interpretatus est Frid. Guill. Aug. Müllach, Beroln, 1846, XXX — 210. Bibliothèque grecque de Firnu Didot. Fragmenta philosophorum Graecorum. Pages 270 et suiv.

(2) "Commentarius in primam partem libelli de Xenophane, Zenone et Georgia, praemissis Vidicis philosophorum Megaricorum, Beroln, 1793, 8°. XIV — 83.

وكان اسبلدنغ يتبع طبعة اسلبورج في أكثر كتابه .

على الفقرات الأشد غموضا ، ولكنه لم يقرن به ترجمة . وانما كان الجديد في هذا التحقيق هو أن اسبلدنج كان يجعل الجزء الاول من اكتاب مخصوصا بمذاهب ميليسوس وكان يثبت ببراهين قاطعة انه اسم ميليسوس كان يجب أن يستبدل باسم زينون . وقد قبل من يومئذ رأى اسبلدنج هذا وانى لذاكر الآن السبب الذى يوجب قبوله .

ولم يستطع اسبلدنج مع فحصه مخطوطة ليبزج مقابلتها بطريقة مضبوطة تماما واعتمد على الاختص على الاصلاح الخفيف الذى عمله فيها أولياريوس . غير أن كر . دان . بك مغير جامعة ليبزج الشهير الذى كان قد يسر بحوث اسبلدنج قد اخذ على عاتقه اتمام تلك البحوث فنشر في السنة عينها كل الروايات المختلفة في تلك المخطوطة الثمينة على هذا الكتاب وعلى بعض مؤلفات اخرى لارسطو ( ١ ) . وهذه النسخة المطبوعة التى اعتد بها مللاخ فضل اعتداد لم تكن ، فيما يظهر ، لتقدر بل لم تكن لتعرف عند علماء اللغة الذين اشتغلوا بعد ذلك اما بأمر مدرسة ايليا على العموم واما على الخصوص بالكتاب الخاص الذى فيه فحصت مذاهب اكسينوفان وميليسوس . فالمجمع العلمى ببرلين مثلا لم ينتفع بها في طبعته حق الانتفاع حتى إن مللاخ قد اظهر الاسفل هذا الاهمال الذى كان اتقاؤه ميسورا ( ٢ ) .

في سنة ١٨٤٣ أى بعد اثنتى عشرة سنة قد سد تيودور برج بعض هذا النقص فاعتمد على روايات بك ووضع شرحا أمتع من كل ما تقدمه من الشروح ( ٣ ) . ومع ان هذا العمل قد كان موضع المدح والاستحسان فانه لم يشن مللاخ عن إعادة النظر من جديد فنشر ، بعد عمل برج بثلاث سنين ، الطبعة والشرح اللذين ذكرتهما آنفا . غير أن مللاخ واسبلدنج لم

(1) Solemnia Doctorum philosophiae et magistrorum artium a. d. XIV febr. M D CCXCIII antiquo ritu creandorum indicti Chr. Dan. Beckius. Praemissa est varietas lectionis libellorum Aristotelicorum e codice Lipsiensis diligenter enotata.

وان داليل بك من الرجال الذين قد أعطوا في الثلث الاول من هذا القرن التاسع عشر ) في الدراسات الفلسفية في ألمانيا نهضتها القوية .

(٢) ظهرت طبعة أرسطو العامة التى أنجزها بركو برانديس تحت رعاية المجمع العلمى ببرلين سنة ١٨٣١ .

(2) Regiae universitati litterarum Frederico — Alexandrinae D. XXIII mensis Augusti MDCCCXLIII sacra saecularia prima agent gratulatur academia Marburgensis. Praemissa est Theodori Bergkii commentatio de Aristotelis libello Xenophane, Zenone, et Gorgia, Marburgi, 1843.

يترجما الكتب مع أن ترجمة كتاب مثل هذا مخروم أشد ضرورة من ترجمة غيره . فظلت خيرا ترجمة لاتينية هي ترجمة جان برناردان فيليشيانو المعلم في البندقية سنة ١٥٥٢. ولكن مع أن هذه المخطوطة التي ترجمت قليلة التحريف فإنه كان من الممكن أيضا بل من النافع تصحيحها وضبطها وقد نقلت في طبعة المجمع العلمي في برلين .

تلك هي الأعمال التي تناولت الكتاب على ميليسوس واكسينوفان وغرغياس حتى الآن . وأنه لينبغي أن يضم إليها تحقيق «م. هنري ادواردفوس» على غرغياس الليونتيومي ( ١ ) إذ أنه نشر فيه ، من غير ترجمة النص ، الجزء الذي يتعلق على الاخص بغرغياس ، أي الباب الخامس والسادس من هذا الكتاب الذي نترجمه ، وذيله بتفسير .

وبعد هذه التفاصيل اللغوية يلزمنا الكلام على الكتاب ذاته : في أية حال وصل الينا) ومن هو مؤلفه على المشهور؟ وما هي قيمته الذاتية؟

فالاول ما هو العنوان الذي يجب أن يعنونه به هذا الكتاب الصغير؟ عند القدماء جميعا تقريبا وعند المتأخرين الى بحوث اسبلدنج كان عنوانه المجمع عليه على العموم هو : « في اكسينوفان وفي زينون وفي غرغياس » . أو بحسب مخطوطة ليبزج في زينون وفي اكسينوفان وفي غرغياس» فان اسبلدنج بتقريبه شواهد « سمبليسيوس» العديدة من تحاليل هذا الكتاب ابان بطريقة لا تحتمل النقص ان المقصود في الجزء الاول هو ميليسوس لا اكسينوفان فانه في شرحه الممتع على كتاب الطبيعة لارسطو قد نقل فقرات تامة من ميليسوس على الموجود أو الطبيعة . وهي مشابهة حتى في ألفاظها في بعض المواطن كل المشابهة للتفاصيل المسطورة في هذا الكتاب الذي نترجمه . فلما وضع اسبلدنج هذه الموافقات بعضها قبالة البعض الآخر وقارن بينها وجها لوجه لم يعد بعد في الامكان انكار أن ميليسوس هو الفيلسوف المتكلم عنه في البابين الاولين .

الى هذا الدليل الذي يكفي وحده في اثبات المطلوب ينضم دليل آخر وهو أنه في فهرس « ديوجين اللايرثي » ( ك ٥ و ١٠ وف ٢٥ طبعة فرمين ديدرو ص ١١٦ ) ذكر صريح لكتاب ارسطو على مذاهب ميليسوس . وهذا الذكر ليس مفردا بل يؤكد ديوجين أن ارسطو قد نقد أيضا آراء زينون

(1) De gorgia leontino commentatio, interpositus est Aristotelis de Gorgia liber emendatus editus ab H. Ed. Foss, Halis Saxonom, 1828, 8°. IV — 186. Le traité sur Gorgias et le commentaire sont pages 110 et suivantes.



وكذلك قد بحث بحثنا خاصا في مذاهب اتباع فيثاغورث وإرختاس وسبوسيب واكنينو قراط . الخ .

وفهرس ميناش المجهول واضعه يؤيد شهادة ديوجين اللايرنى وانه لينذكر أيضا بحوث أرسطو في منهجى ميليسوس وغرغياس . وما من شئ أقرب الى الاحتمال من أن يكون أرسطو قد اشتغل بمذاهب ميليسوس اذ ان هـا بين ايدينا من كتبه يدلنا على شدة اضطراره بجميع الفلسفات المتقدمة على فلسفته . وهو يذكر ميليسوس غالبا . واننا ذاكرون اكثر من مرة ماذا قاله عنه وعن اكسينوفان سواء في علم الطبيعة او في علم ما بعد الطبيعة او في غيرهما .

وعلى هذا فالحق في جانب «اسبلدنچ» في أن الجزء الاول من هذه الكتاب يتعلق بميليسوس .

ربما نتساءل كيف كان لهذا الشك سبيل الى هذه النسبة . اذ كان أرسطو ينقد ميليسوس أو فيلسوفا آخر بعينه فيكون واجبا عليه فيما يظهر ان يسميه باسمه اذ لا مسوغ لهذا الاتهام الذى لا يفسر . ولكنه لسوء الطالع لم يفعل ، بل قنع في هذه الكتب بأن يقول دائما : « هو » دون أن يعين أسسا مرجعا لهذا الضمير . ولا سبيل الى معرفة من هو المعنى بالنقد الا تعرف صاحب المنهج المنقود من مذهبه نفسه . وعلى ذلك فان هذا الكتاب انما كتب بغير عناية فى شكله الظاهر على الأقل وأن مؤلفه أيا كان قد أخطأ فى أنه لم يكن مبينا حتى لقد احتيج الى فطنة الفلاسفة المتأخرين لسد هذا النقص الذى ربما لا يكون منشؤه الا خطأ ناسخ .

وان ما أقوله هنا عن ميليسوس يوشك أن يكون منطبقا على اكسينوفان أيضا . فانه ليس مسمى كذلك في الجزء الثانى من الكتاب ولكنه مع ذلك لا سنسبيل الى الشك فى امره لأن مذهباه معروفه اكثر من مذاهب ميليسوس . فنسبة ما يقال هنا اليه لا يتطرق اليها الخطأ .

ان هذا اليقين ينسحب من باب اولى على غرغياس الذى هو غير مسمى أيضا فى أول الجزء الثالث (ب ٥ و ٦) الذى يخصه ولكن براهينه قد نقلت اليها على يد سنكستوس أميريكوس (adversus mathematicos exlogicos) ٧ ج ٢ ص ٢٨٥ طبعة سنة ١٨٤٢ ج ١ ص ١٣٤ ) وانها تماثل على الاطلاق البراهن التى تراها فى هذا الكتاب .

من هذا استنتج أن العنوان النهائى الذى يجب أن يحمله هذا الكتاب هو « فى ميليسوس وفى اكسينوفان وفى غرغياس » فان هذا العنوان يتفق

تماماً وما يحويه الكتاب ، وقد أحسن ملاح في اتخاذه . ومنسند الآن لا يمكن الا اتخاذ هذه الصيغة عنواناً لهذا الكتاب كما فعل ملاح . اما انا فاني لم اتردد لحظة في اتخاذه . وفي الحق انه ليقين ان تعيين « زينون في عنوانات النسخ المخطوطة لا مسوغ له . غير اني سأحاول فيما يلي مقتنيا أثر ملاح اكتشاف المصدر الذي يمكن أن يكون صدر عنه هذا التعيين . والآن أسوق القول الى ما كنا بصدده » من حيث العنوان لنفرغ منه .

قد راجع بيكر مخطوطتين معنوتين بعنوانين يخالفان العنوان العادي مغفلاً فيهما ذكر الاسماء الاعلام . فالعنوان فيهما بالبساطة هو : « كتاب أرسطو على المذاهب » أو : « كتاب أرسطو على مذاهب الفلاسفة » فالعنوان الاول هو لمخطوطه في مكتبة سنت مرك في البندقية q والثاني لمخطوطه في الفاتيكان Bg بحسب تعريف بيكر . واختلاف هاتين الروايتين مهم من حيث افتراض أن الشكوك كانت متسلسلة حتى في الازمان القديمة الى صحة العنوان المشهور . ومن المحتمل أنهم لم يكونوا يعرفوا اكسينوفان وزينون في الجزء الاول والثاني (ب ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ) . وتلقاه هذا الغموض استحبوا علم التعيين . فقد كان وسهم الكتاب بأنه وعلى المذاهب الفلسفية « لامتولية فيه لانه هو مع ذلك على صعبه صحيح ان لم يكن مضبوطاً . وما كنت لاتخذ هذا الوسم دون غيره ولكنه يلزم ان يقام له وزن ولذلك ذكرته .

أما وقد تحدد العنوان وبين على هذه الصورة فمن هو مؤلف الكتاب؟  
أأرسطو هو أم هو آخر ؟

مخطوطة في الفاتيكان مرقومة Bg طبعة برلين تنسب هذا الكتاب الى تيوفراسط او على الاقل هي تدرجه ضمن كتب أخرى كلها لتلميذ أرسطو وخليفته . وان ما يجعل لهذا الفرض محلاً من الشبه الحق والثقة هو أن ستمبليسيوس في شرحه على كتاب الطبيعة (الورقة ٥٨ ) يستشهد بفقرة من تيوفراسط فيها ينقل هذا المؤلف عن اكسينوفان . آراء مطابقة تمام المطابقة لما نقرؤه في هذا الكتاب . ولا شك في أن هذين السببين هما الحاملان . برنديس في « تاريخه للفلسفة الاغريقية واللاتينية » (جزء ١ ص ٣٥٨) على أن يسحب هذا الكتاب من ارسطو ليرده الى تيوفراسط . ولكن هذا التغيير لم يحل محل القبول من ذوق علماء اللغة ولو أنه صادر عن حكم لا يقل عنهم في العلم والا في الحق ، فقد صرح م . تيودور برج أن هذا الكتاب على رأيه ليس احق بتيوفراسط منه بأستاذة .

واني هنا على رأى ملاح وارى كما يرى ان ذلك تجاوز ابعاد جدا ما ينبغي . وقد نهبت استعاه ان هذا الكتاب لم يكن ليكتيب بالعناية المطلوبه مادام الفلاسفة الذين تنقد فيه مذاهبهم ليسوا معينين بأسمايتهم ولكن في مجموع تأليف ارسطو كما نقلته اليها القرون كم من غلطات من هذا النوع ، وكم من اهمال في التحرير ، وكم من قطع لم تتم ؛ وكم من صحف مشوشة حتى في أجل كتبه مثل « ما بعد الطبيعه » مثلا على أن الاسباب التي حملت ارسطو على ان يترك كل مخطوطاته في حالة نقص معروفة . فانه لم يكده ينشر شيئا مدة حياته . ولم يكن الا حين ناهزت سنه للخمسين عول على اظهار شيء من تعاليمه . فلما فوجيء بالخرقة الموجهة ضده المقدونيين بعد وفاة الاسكندر واضطر الى هجرة آتينا على عجل مشردا هنيئا لم يسكن الى محل طمأنينة ان عاجلته المنون لا تعرف كيف كانت ولكن المعروف انها كانت ميتة عنيفة في سن الثانية والستين . فجمع تيوفراست كل ما كان تركه أستاذه من الاعمال والاوراق ، ولم ينشر منها شيئا هو نفسه أيضا فيما يظهر . وبقية الحكاية معروفة فان العالم الغربي لم يكن يعرف مؤلفات ارسطو الا حينما جرى بها من آتينا بعناية «سلا» فترتبت بطريقة حسنة أو ضاءت بعناية «أندرونيكوس الرودسي» .

وقد يكون من الغريب أن مخطوطات أهمها المؤلف بحكم الضرورة وأهمها خليفته الاول هي احسن نظاما في الترتيب من غيرها . فان التشويش او بالاولى النقص في كتيبنا هذا لا يطمع فيه . بل انى قائل ان هذا الكتاب على ما وجدناه عليه ليس فيه من عدم النظام والخرم مثل وفي مؤلفات ارسطو التي لاشك في صحة نسبتها اليه . بل قد يكون هذا الكتاب أبعد عن سوء التأليف فان الاجزاء الثلاثة التي يتألف منها متميز بعضها عن بعض ومتتابعة من غير خلط ، وعرض المذاهب المنتقدة فيه هو من الوضوح والتنسيق بمكان . واذا كان لم يتقبل على العموم بقبول حسن فذلك لأن طابعه الاول قد شوهه بأغلاط شق تلافتها من بعد ذلك عناية المتأخرين وحذقهم حتى لم يبق منها شيء . واني ألقت الى هذا نظر القارئ الفطن الذي يريد فحص هذا الكتاب الصغير لان يأخذ بالطبعة التي أصلحها ملاح وترجم هذه .

ومهما يكن هذا الكتاب « في ميليسوس واكسينوقان وخرغياس » طيننا في نسبته الى ارسطو فانه لا شيء فيه يبعده عن مدرسة المشائين الملائمة لهذا بأرسطو . واني لالقي القيد الى رأى ملاح الذي يميل الى اعتبار هذا الكتاب خلاصة من مؤلفات ارسطو التي ذكرها ديوجين اللايرثي كما ذكرناه آنفا . وقد تكون هذه الخلاصة من وضوح بعض المشائين ، كما يحتمل أن يكون تيوفراست قد اقتبس كذلك من مؤلفات

أرسطو ما رواه عن أكسينوفان كما يذكره لنا سمبليسيوس . وأن في مؤلفات أرسطو لجلالته من هذا القبيل . والشاهد على ذلك أسلوب « علم الاخلاق الكبير » وأسيلوب « علم الاخلاق الى أوديم » فانهما ليسا الا تحاليل ممتعة كثيراً أو قليلا لكتابه « علم الاخلاق الى نيقوماخوس » . ولقد أستطيع أن استنتج انه إن كان هذا الكتاب ليس من عمل أرسطو ولا من عمل تيوفراسط فهو على أقل ما يكون من زمان لا يبعد كثيراً عن زمانهما . وهذا وحده يكفي أن يجعل له أهمية انكارها محال .

ولقد تأخذ بي القيمة العالية لما يحويه هذا الكتاب بالنظر الى تحريره فضلا عن أن ميليسوس وأكسينوفان وقرغياس رجال ثلاثة كبار لا يمكن لتاريخ الفلسفة أن يهمل تذكراهم . ولو انهم هنا لم يرتبوا على مقتضى الترتيب الزمني فان هذا لا ينقص قيمة القول فيهم . ولن تجد في أي كتاب آخر قولا على ثلاثة الفلاسفة المذكورين مستفيضا كما في هذا الكتاب ولا شك في انه يرغب في أزيد من ذلك ، ولكن هذه المقاطيع هي كل ما لدينا عن مجموع مذاهبهم ، والشكر علينا واجب لمن حفظ الكتاب على هذه الصورة . فان مدرسة ايليا على رغم أغلاطها بالغة غاية المجد وانه الى جانب آرائها الدقيقة الخافية في وحدة الوجود ولا تحركه فمن المشوق الاستماع الى نظرياتها السامية العميقة على وجود الله وقدرته الكلية . وبهذه المثابة فان أكسينوفان الذي يعتبر مؤسس مدرسة ايليا رجل كبير المقام وانه قد تنبأ قبل سقراط وأفلاطون بنبوءات خليقة بهما . وميليسوس وإن لم يكن في مستوى أكسينوفان يستحق على الأقل ألا ينسى . وأما قرغياس فمهما كان سفستائيا فهو لا يحط مطلقا قدر الطائفة التي يضعونه فيها ، وفي الحق حسبنا أن نذكر أن أفلاطون وضع تحت هذا الاسم الشهير واحدة من أجمل محاوراته .

ولكن كيف في النقد الموجه لمدرسة ايليا ومذاهب أهلها يغفل المؤلف أمر زينون ؟ كان اسم زينون في عنوان الكتاب في أكثر النسخ المخطوطة فلماذا لم يكن له وجود في صلب الكتاب ؟ من اين هذا الاغفال وهذا النقص ؟ يرى مللاخ بحق أن هذا الكتاب الذي ليس له الآن الا ثلاثة أجزاء كان يجب أن يكون فيما سبق مؤلفا من أربعة أجزاء ، وأن نقد زينون كان يجب أن يتلو نقد أكسينوفان . وهذا الفرض مقبول وقد يستنتج طبعاً من أن أرسطو قد فحص مذاهب زينون كما فحص مذاهب الفلاسفة الثلاثة الآخرين . ويؤيد مللاخ هذه القرينة بفقرة في هذا الكتاب (ب ٥ ف ٣) حيث ذكر فيها اسم زينون عقب اسم ميليسوس بالصراحة . وألى هذه الفقرة يمكن أن يضاف أيضاً فقرتان تكادان تكونان في المعنى عينه (ب ٦ ف ٦ و ٩) . وهكذا دون أن نخرج من هذا الكتاب الصغير يمكننا أن نجد براهين تكفي للقول بأنه كان لهذا الكتاب جزء رابع

أفرد القول فيه على زينون ولكنه غير موجود الآن . وهذا الجزء كان يأتي في الترتيب عقب الجزء الخاص باكسينوفان .

وفوق ذلك فإن في الفقرة الأولى من الباب الثاني يرى أن ميايسوس مسمى ومقربا من اكسينوفان الذي لا يجيء فممن مذهبه إلا بعد فحص مذهب ميايسوس . فيظهر من المحقق إذا أن غرض مؤلف هذا الكتاب الصغير أن يدرس ميليسوس قبل اكسينوفان . كذلك يوجد هذا الترتيب في فهرس ديوجين اللايرثي . فإن كتاب أرسطو على ميليسوس مقدم على كتبه على غريغياس واكسينوفان وزينون . ولكنه لو روعي الترتيب الزمني كما كان يجب أن يعمل لكان اكسينوفان هو الأول وزينون الثاني وميليسوس الثالث وغريغياس الأخير . لا ينبغي أن يعلق على هذه المسائل من حيث الترتيب الزمني أهمية كبرى . ولكن تعاقب المذاهب لا يوجد فهمه إذا خلطت العصور عن غير ترتيب وإنما ينتج الفلسفة ذاتها أن يتدرج في ترتيب عصورها بالتسلسل على قدر الامكان .

يوشك ألا يكون من الأهمية بمكان ذكر أن يكون أرسطو هو الذي أخطأ في الترتيب إذا كان هو مؤلف الكتاب أو أن مختصره هو الذي ارتكب هذا الخطأ فأني تارك إلى جانب مسألة الترتيب التي هي مادية محضة لأقول بعض كلمات على الفلاسفة الثلاثة المذكورين في كتابنا هذا .

اشتهر اكسينوفان بأنه كان رئيسا لمدرسة ايليا وهذا هو المجد الذي يسند عادة اليه وإن كان أفلاطون في الفقرة الوحيدة التي ذكر فيها اكسينوفان يشير ، فيما يظهر ، إلى أن مدرسة ايليا أقدم منه (السفسطائي ص ٢٤١ من ترجمة كوزان - و ص ١١٩ ب ٤٤ من الطبعة الاغريقية في طورينو سنة ١٨٣٩ ) . لما نفى اكسينوفان من وطنه كولوفون إلى يونيا آسيا الصغرى يظهر انه هاجر إلى صقلية واحتمى فيها بمدينة زنكل ثم بقطنة ، ثم ذهب إلى ايليا التي كان قد أسسها حديثا الفوكيون سنة ٥٣٦ قبل الميلاد على شواطئ اغريقا الكبرى وعلى بحر طرهينيا ، وأنشأ فيها هو نفسه هذه المدرسة التي اشتهرت بها تلك المدينة الجديدة . ولا يدري أمات بها أم رجع إلى كولوفون . والظاهر انه عمر طويلا حتى سلم بصحة ما نقل اليها من بعض أبيات يقول فيها (١) : ان سنة أربت على الثانية والتسعين . وفي الحق أن هذه الابيات يمكن أن تفسر بمعنى آخر تدل به على أن اكسينوفان كانت سنة وقتئذ سبعة وستين عاما وأن الحوادث التي قيل فيها الشعر حصلت حين لم يبلغ عمره الا خمسة وعشرين ، فانه يقول : « اذا صبح اني أستطيع الكلام على هذه الاشياء

(١) ديوجين اللايرثي ك ٩ ب ٢ ص ٢٣٤ طبعة فرمين ديدو .

بصورة مضبوطة » • يقول ديوجين اللايرثى : انه ظهرت آثاره نحو السادسة والستين أولمبية يعنى نحو السنة ٥٤٠ وبفرض انه كانت سنة فى هذا الحين ٤٥ أو ٥٠ سنة فيكون ميلاده متأخرا قليلا عما يفترض له اذ يقال : انه ولد سنة ٦١٧ قبل الميلاد •

وان ما يحمل على الظن بأن ميلاد اكسينوفان يجب أن يكون أقرب من ذلك هو أنه استشهد بفيثاغورث (١) الذى ربما قبل آراءه فى التناسخ • ونقد نعلم بشهادة شيشيرون الصريحة (الجمهورية ك ٢ ب ١٥) أن فيثاغورث لم يأت سيبارس وقروطن الا فى سنة ٦٢ أولمبية أى السنة الرابعة من حكم طرخان العظيم أعنى سنة ٥٣٠ أفىكون من المحتمل أن اكسينوفان تكلم عن فيثاغورث وهو حى بما تكلم به • وحينئذ لا يلزم عليه أن ينزل بالعصر الذى عاش فيه وبميلاده الى أنزل من ذلك • واليك هذه الايات :

« لما رأى ذات يوم كلبا يضربه بالسوط صاحبه »

« أخذته الشفقة بهذا الكائن الشقى »

« فقال : لا تضرب تلك هى روح صديق »

« تعرفته بسماع صراخه »

وقد زاد ديوجين اللايرثى الذى روى هذه الايات فى ترجمة فيثاغورث - فى موضع آخر (٢) أن اكسينوفان كان يحارب مذهب حكيم ساموس ومذهب طاليس وايبيمينيد كما أنه كان ينقد بحدة ما كان يصور به هيزيود وهوميروس والآلهة وشهواتهم ونقائصهم • وقد كان اكسينوفان يودع أفكاره القصائد والحماسيات التى كان يقرضها • بل قد يكون محتملا أنه كان يرتزق على دأب «رهيسود» بأشاد قصائده ليطرب السامعين ويستجدى سخاءهم •

واذا كان اكسينوفان قد طعن فى آراء طاليس وفيثاغورث وايبيمينيد فيجب أن يكون متأخرا عنهم وليس محالا أن يكون قد عاش الى زمن الحرب الاولى الميمنية (سنة ٤٩٠ قبل المسيح) •

وهناك واقعة قد لا يستطيع الشك فيها ما دام أرسطو يشهد لها (الميتافيزيقا ك ١ ص ١٤٦ ترجمة كوزان) • وهى أن برمينيد كان تلميذ اكسينوفان • وعلى هذه النقطة كل القدماء على وفاق • غير أننا نعام يقينا

(١) ديوجين اللايرثى ك ٨ ب ٨ ص ٢١٣ طبعة ديدو •

(٢) ديوجين اللايرثى ك ١١ ب ٢ ص ٢٣١ طبعة ديدو •

من أفلاطون ( تيمستيت ص ١٥٤ - والسفسطائي ص ١٦٤ ترجمة كوزان ) انه حينما جاء برمينيد آتينا مع زينون كانت سنة ٦٥ سنة (١٨٣٩) . وبفرض أن ص ٦ ترجمة كوزان و ص ٧٥١ طبعة طورينو (١٨٣٩) . وبفرض أن سقراط كان حديث السن عند حوار برمينيد المنقول لنا في المحاور المشهورة بهذا الاسم ولم يكن عمره الا عشرين سنة ، فان هذا ينقلنا الى سنة ٤٥٠ قبل الميلاد . وعلى هذا الفرض يكون برمينيد قد ولد في سنة ٥١٥ ، وليتلقى العلم على اكسينوفان يلزم أن يكون هذا الاخير قد مات في نحو العهد الذي ذكرناه آنفا .

غير أنى تارك مرة أخرى هذه المجادلات التاريخية (آ) لاقف برهة عند آراء اكسينوفان الفلسفية التي لها في نظري أهمية أخرى . ولئن كان فيما يتعلق به نقطة مجمع عليها فانما هي أن أفكاره في الآلهة ، بل يمكن أن يقال أفكاره في الله ، كانت أصح وأرقى من أفكار معاصريه . وهذا الكتاب الذي نترجمه يكفي وحده في اثبات هذه الدعوى ، غير أن الشواهد على ذلك متواترة أكثرها جوهريّة شاهد اكسينوفان نفسه . ولم نتخذ المسيحية في أمه فان كاسمان السكندري (استروماتس) ك ٥ ص (٦٠١) يثنى على فيلسوف كولوفون بأنه نزه الله تعالى عن التجسد وبأنه قال :

« واحد قدير على كل شيء ملك الاشدين قوة فآله لا يشبهنا لبالعقل »  
« ولا بالجسم وان الناس بتصويرهم الآلهة على صورتهم يسندون اليهم أفكارهم » « وأصواتهم ووجوههم » .

ويروي كاسمان السكندري فوق ذلك أبياتا أخرى تكرر هذه الفكرة عينها في قالب آخر ، وفيها يقول اكسينوفان :

« اذا كان للثيران والاسود أيد تصور كما يصور الناس لاعطت الآلهة التي » « تصورها أجساما أشبه بأجسامها ، ولكانت الخيل تصورهم بصور خيل والثيران » « تصورهم بصورة ثيران »

منذ اكسينوفان قادت هذه الابيات التي هي غاية في الحق الف مرة . ولكيلا يصور الناس الله على صورتهم حين يحاولون تصويره اضطروا أن يكفوا على الاطلاق عن تمثيله كما يهذى اليه بعض الديانات المتشددة الى الغاية .

بعد أبيات اكسينوفان يمكن الاستظهار بشهادة أرسطو في مؤلفاته الأخرى غير هذا الكتاب الذي نترجمه مثل ما في الخطابة : (ك ٢ ب ٢٣)

(١) ر . الحدي الخاص لفكتور كوزان في الجزء الاول من القطع الفلسفية .

حيث ينقل انه على رأى اكسينوفان أن « من الالحاد الاعتقاد بولادة الآلهة وبموتهم لانه على كل واحد من الوجهين تقع برهة لا يكون للآلهة وجود » .  
وفى موضع آخر بعد هذا بقليل يروى أرسطو جواب اكسينوفان على أهل ايليا الذين كانوا يسألونه : أيجب عليهم أن يقربوا قربانا الى « لوقوتوا » ويجأروا بالنواح عليها ؟ فقال لهم : « اذا صح فى نظركم انها آلهة فلا ينبغى أن تبكوها . فان لم تكن الا هالكة فلا ينبغى أن تقرب لها القرابين » .  
يسند بلوطرخس أيضا الى اكسينوفان فكرة مماثلة لهذه فيها أن المخاطبين هم المصريون عوضا عن أهل ايليا ، وأوزيريس عوضا عن عذراء لوقوتوا ص ٤٦٣ وأما طريوس ص ٩٣٣ طبعة فرمين ديدو « ايزيد وأوزيريد » .

من هذه الافكار السامية الحققة فى حق الله تفهم علة حنق اكسينوفان على الشعراء الذين كانوا يحيطون من الجلالة القدسية والذين هم كهوميروس وهيزود لا يحجمون عن أن يسندوا الى الآلهة كل ما يحيط من الشرف فى نظرون الناس كالسرقة والزنا والكذب والغدر ( سكستون امبيريكوس بيرون هيبوتيب . ك اب ٣٣ ص ٩٩ (Adversus Mathem. Physicos) طبعة ١٨٤٢ ك ٩ ص ٦١٢ . Grammaticos) ك ١ ص ١١٢ ) .

وفى موضع آخر تكلم أرسطو أيضا على آراء اكسينوفان هذه . وفى كتابه « الشعر » ذكر أن الفيلسوف كان يطعن فى المعانى التى يتصورها العامة فى حق الآلهة ( ر . الشعر ب ٢٥ ف ١١ ص ١٤٢ من ترجمتى ) .  
وأخيرا ذكر أرسطو اكسينوفان أيضا فيما بعد الطبيعة ( ك اب ٤ ص ١٤٦ ترجمة كوزان سنة ١٨٣٨ ) .

وفى هذا الموضع الاخير لم يحتفل أرسطو بنظريات اكسينوفان على الوحدة التى خلطها بالله فلم ير فى هذه النظريات ما ينبغى من الضبط من حيث ان هذه الوحدة ليست عقلية كوحدة برمينيد ولا مادية كوحدة ميليسوس . بل يزيد على ذلك أيضا أن أفكار اكسينوفان فى هذه النقطة أفكار جافية كأفكار ميليسوس الذى لا يفرق بينه وبينه .

ها نحن أولاء قد أتينا على كل ما وجد فى أرسطو تقريبا على اكسينوفان . ولكن تلك الفقرة المذكورة فى « ما بعد الطبيعة » عظيمة الأهمية من حيث انها ترينا رأى أرسطو فى أن مذاهب ميليسوس ليست بعيدة عن مذاهب اكسينوفان . وذلك يدلنا على حكمة الجمع بينهما فى كتاب واحد اذا كان أرسطو هو مؤلف هذا الكتاب وان لم يكن فكيف تسنى لمؤلف آخر أن يجمع بينهما دون أن يقرب بينهما قسرا . غير أنه كان يلزم مراعاة للترتيب الزمانى أن يتكلم على ميليسوس بعد اكسينوفان . ولكن ربما كان هذا مجرد خطأ مآدى فى الوضع سببه اهمال نساخ . ولما



أنه ليس بين الجزأين الخاصين باكسينوفان وميليسوس ارتباط ضروري،  
فليس في التشويش مستنكر ولا مستعصى عن الفهم .

أما ميليسوس الذي نضعه في الصف الثاني سواء في الاهمية  
والترتيب الزماني فانه رجل يسترعى الاهتمام وان كان أقل رفعة من  
سابقه . قد ولد في ساموس كفيثاغورث وتبوأ فيها مركزا عظيما ودافع  
عن وطنه بمهارة وشجاعة عند ما حاصره الاتينيون قبل حرب بيلوبونيز  
بخمسة عشرة سنة . ولقد نجح ميليسوس في كسر الحصار واتخذ لقومه  
منه مخرجا قادهم به حتى أتلّف أعمال الحصار ووصل الى أسطول الاعداء  
وخر به كله تقريبا . كل ذلك في غيبة بيريكليس الذي كان قد غادر  
الحصار لملاقاة السفن الفينيقية الآتية لنصرة مدينة ساموس . فامكن  
المدينة أن تحصل على ما نقصها بالحصار من التموين وذلك بفضل النصر  
الذي أحرزه ميليسوس . ولكن الدائرة قد دارت على أهل ساموس حين  
رجع بيريكليس من غيبته فانهمز ميليسوس في حرب برية واضطرت  
المدينة الى التسليم على شروط أقسى ما تكون . لم يذكر طوسيديد الذي  
روى هذه الوقائع (ك ١٦٦) ميليسوس ، غير أن بلوطرخس ذكره في  
ترجمة بيريكليس (ب ٢٦ ف ٣ ص ١٩٩ من طبعة فيرمين ديدو ) على  
صورة لا تحتمل الشك ، لانه يقول بالصراحة : ان ميليسوس بن ايتاجين  
كان فيلسوفا . وزاد على ذلك بلوطرخس نقلا عن أرسطو من غير أن يبين  
موضع النقل : أن ميليسوس كان قد هزم قبل ذلك بيريكليس في واقعة  
بحرية أخرى . وذلك انما يعطى من مقدرة ميليسوس الحربية فكرة  
أسمى .

ومهما يكن من الامر فان من المحقق أن ميليسوس كان به تحت  
نياب الفيلسوف وطنى وسياسى وقائد بحرى ورجل حرب . وذلك من  
النبرة في تاريخ الفلسفة بحيث يجب علينا التنبيه اليه كما فعل  
بلوطرخس (باب ٣٢ ص ١٣٧٧ طبعة فيرمين ديدو Adversus Coloten)  
ولما أن ساموس قد ساءها الاتينيون صنوف القسوة فمن المظنون أن  
ميليسوس ذلك الوطنى الغيور والذي كان له حظ عظيم في مقاومة الغاصبين  
لم يشأ أن يبقى تحت الحكم الاتينى وأنه هاجر في هذا الظرف العسير .  
وكان ذلك في الاولبية الرابعة والثمانين أى السنة ٤٤١ قبل الميلاد .  
وهذا التاريخ مضبوط ومتفق تماما مع شهادة أبللودور التي نقلها الينا  
ديوجين اللايرثى (ك ٩ ب ٤ ص ٢٣٣ طبعة فيرمين ديدو) .

كذلك لا يرى لماذا لم يمكن أن يكون ميليسوس تلميذا لبرمينيد كما  
يقوله أيضا ديوجين اللايرثى . فان التواريخ لا تقف دون ذلك . ولما أن  
ميليسوس هو من أتباع مدرسة ايليا فيمكن بسهولة أن يكون تلقى مذهب

من خليفة اكسينوفان . ولقد قرن أرسطو مرات عديدة ذكر برمينيد بذكر ميليسوس في كتاب الطبيعة (ك ١ ب ٢ ف ١ و ٥ ص ٤٣٣ و ٤٣٦ من ترجمتي ) ليفندهما جميعا في نظرية وحدة الوجود ولا تحركه . كذلك فعل أفلاطون في كتابه «تيتنت» (ترجمة كوزان ص ١٤٤) . وان هذا على التأكيد لا يكفي لاثبات أنه كان بين الفيلسوفين علاقة استاذ وتلميذ ، غير أن هذه التقاريب لا تنفي هذا الظن الكثير الاحتمال في شيء (ر) أيضا الطبيعة ك ١ ب ٣ ف ٩ ب ٩ ب ٤ ف ١) . وفي ما بعد الطبيعة في الفقرة التي استشهدنا بها آنفا اسم ميليسوس مقنون باسم برمينيد . وكذلك في كتاب السماء (ك ٣ ب ١ ف ٢ ص ٢٣٣ من ترجمتي ) . ومن ذلك استنتج أن دعوى ديوجين اللايرثي مهما كانت فريدة لا ترفض بهذا الازدراء الذي لاقت من بعض مؤرخي الفلسفة . فان ميليسوس لما هاجر الى ايليا في ايريا الكبرى يمكن جيدا أنه قد سمع دروس برمينيد الذي استمر يلقي دروس اكسينوفان .

وعلى جملة من القول لا يعرف شيء عن حياته ، ولكن من العدل أن يفترض أن نهايتها كانت مطابقة لبدايتها .

كان كتاب ميليسوس موسوما « في الوجود » بل ربما كن موسوما « في الطبيعة » عنوان شائع جد الشيوخ عنه أكثر فلاسفة تلك الازمان القديمة واذ الطبيعة في مجموعها هي موضوع درسهم حتى يتهيأ لهم تحليل مفصل ما كان ليؤسس الا على مشاهدات أكثر عددا . نحن نعرف مؤلف ميليسوس هذا بالمختصر الموجود في هذا الكتاب الذي نترجمه وبالشواهد التي نقلها سمبليسيوس في شرحه على الطبيعة لارسطو اما لانه كان بين يديه النسخة الاصلية لكتاب ميليسوس واما ، وهو الأرجح ، لانه لم يكن لديه الا ملخصات تيوفراست الذي يستشهد به . لا اريد أن أختصر أنا أيضا تلك المختصرات المختلفة ولكنني أقنع بأن أحيل على قطع ميليسوس التي سوف نذكرها بعد أخذنا عن اسبلدنج وملاخ . وفيها يرى مذهب الفيلسوف السموسي ، على ما وصل اليها بالقليل . وزيادة على ذلك يرى لماذا كان كتابنا الصغير أمينا على المؤلف الذي يعرفه للناس في حين أنه ينقض مذهبه ا .

بعد اكسينوفان وميليسوس لا أقول شيئا عن زينون ما دام كتابنا لا يتكلم عنه وان ذكره الوارد في عناوين بعض المخطوطات يجب أن يعتبر كسهو . فيبقى غريغاس الذي يجب أن يكون كلامنا عليه موجزا جدا لانه معروف أكثر ولانه لا يكاد يكون الا سفسطائيا (١) .

(١) ر . التحقيق الخاص (H.E. Hoss, Halis Saxonum, in 8°, 1828)

ولد غرغياس فى ليونتيوم بصقلية نحو الواحدة والسبعين اولمبييه  
وبنح من اكبر مبلغا عظيما حتى لقد بلغ على ما يظهر المائنه وانتسعين  
اولمبيه اعنى أنه لم يمت الا فى سن الثمانه أو التاسعه بعد المائنه كما يقول  
كل كتاب الزمن القديم بالاجماع . ولا يعرف عن حياته العمليه تفاصيل  
طويله . اما عائلته فاعلم أنها كانت ، فيما يظهر ، عائله ممتازة وكان  
اخوه « هيروديكوس » ، الذى لا ينبغي أن ينسب بهيروديكوس السمبرى ،  
طبيباً حاذوا ( ر . غرغياس لافلاطون ص ١٨٥ و ٢٠٩ ترجمه كوزان ) .  
وهذا يدل فيما يظهر على أنه كان فى سعة من العيس وعلى جانب عظيم من  
الثقافة العقلية . وأما غرغياس فانه اجتهد على الاخص فى الخطابة وكانت  
فنا مخترعا حدينا وقتئذ حصل منه على اسم كبير فى صقلية وأفاد من  
تعليمه اياه فوائد أكبر . ولا شك فى أن قدرته الخطابية هى التى  
أكسبته ثقة مواطنيه اذ استنجدوا آتينا ضد سيراكوزة والمدائن الاخرى  
الدورية . فبعثوا غرغياس يطلب مساعدة الجمهورية ويظهر أن التاريخ  
المضبوط لسفاراته هذه هو السنة الثانية للاولبياد الثامنة والثمانين أى  
سنة ٤٢٧ قبل الميلاد . ويظهر أن سقراط الذى رآه بلا شك لم يكن  
ليستين بفصاحته النى كثر اللفظ بشأنها فى آتينا وصارت مصدر  
ثروة لهذا المعام الحسن البيان ( ر . هيباس لافلاطون ص ١٠٠ ترجمة  
كوزان ) . ولقد ظن أن أرسطوفان فى روايته المضحكة عن الطيور كان  
يريد أن يستهزى بغرغياس لانه كان يرى أسلوبه منتفخا وغير طبيعى .  
منذ هذه السفارة المشهورة التى ربما أتبعها غرغياس بالعودة ثانية  
الى آتينا بل بالاقامة فيها لم يعرف لحياته العمليه أثر آخر . وكل مايعلم  
عنه أنه فى آخر حياته أقام فى تساليا حيث استمع اليه « ايزوقراط » وأنه  
عاش زمنا طويلا فى لارسا أترى مدن تلك الجهة بسبب نفوذ عائلة  
الالويين . ولئن رجعنا الى كلمة طيبة رواها أرسطو ( السياسة ك ٣ ب  
٩ ص ١٢٧ من ترجمتى طبعة ثانية ) لوجدنا أن غرغياس لم يكن عظيم  
الاحترام لوطنية اللارسيين ولا يعلم أن هذا السفسطائى الشهير قد مات  
بين ظهرائى هؤلاء . ومع أنه صار من الثروة على جانب عظيم ومن الزهو  
بحيث انه وضع لنفسه تمثالا من الذهب فى معبد دلفوس فانه كما يقال  
كان على بقية من قناعة تضرب بها الامثال . ويقال : ان نقشفه المتناهى  
هو الذى أطال عمره الى ذلك الحد . ويزعم لوسييان خبثا منه بلا شك  
أن غرغياس لما مل الحياة ترك نفسه يموت جوعا ( Misoboloi ب ٢٣ ص  
٦٤٣ طبعة فيرمين ديدو ) .

ولم يكن مشرفا مركز غرغياس فى المحاوره التى وضعها أفلاطون  
وسماها باسمه . ففيها يبين له سقراط أن فن الخطابة الذى يزعمه ليس

فنا كما يزعم وضيق عليه في المناقشة حتى بهت بأن جعله يقنع في التناقض المبين والجهل إلى تبرير الظلم والقسوة . وساء دفاع غريغاس عن دعواه الخاسرة غير أنه كان يسبغ عليه من القصد وحسن الذوق ما لم يكن لبولوس وعلى الاخص قايقليليس اللذين يسوقان المعاني التي لا يجيدان فهمها سوفا إلى النهاية . وينصبان نفسيهما أشياء عينا للقوة على الحق وللشر على الخير وللضلال على الهدى . ولقد يتعرف من دهاء غريغاس خلقه العام الذي يسند اليه بل ربما كان إلى هذا الدهاء أيضا ينسب تأثير مركزه السياسي أيضا فانه لم يكن في بلده ويجب عليه أن يدارى الاتيين الذين كان ينتظر منهم نصرة وطنه ، يداريهم حتى في المداقشات النظرية البحتة .

وأما كتاب غريغاس فكان عنوانه « في اللاموجود أو في الطبيعة » ولا يعلم ماذا كان يحوى على العموم ولكنه يرى على قدر الكفاية من كتيبنا هذا ماذا كانت فكرته العامة . في الواقع انما هي لا أدريه مطلقة . وفي هذه النقطة لا محل للتردد في الحكم فان سكستوس أمبريكوس الذى يظهر أنه كان بين يديه نسخة غريغاس نفسها قد نقل إلينا كما بيناه آنفا تحليلا مطابقا تمام المطابقة لما سنجد هنا (ك ٧ ص ٢٨٥ - ٢٩٠ طبعة ١٨٤٢ Adversus Mathematicos, Logicos). . وانه ليضع غريغاس في صف الفلاسفة الذين يأبون على الانسان أية مائة للحكم على حقيقة الاشياء وينكرون امكان الاهتداء لذلك . وما ذلك الا مذهب فقير يحوى في نفسه كما في كل لا أدريه مطلقة تناقضا ليس منه محيص . ولما تزعزع الايمان بالمنطق تزعزع بالاخلاق على السواء فلا عجب أن يكون سقراط قد أقام حربا عوانا على السفسطائيين الذين يفسدون العقول والاخلاق .

يظهر أن كتاب غريغاس الذى فى عنوانه وحده ازدراء بالذوق العام قد ألف أو ظهر فى الاولمبية الرابعة والتسعين أعنى سنة ٤٠٣ قبل الميلاد وكان ذلك فى آخر حرب بيلوبونيز وكان الطرف سيئا للتنازع فى حقيقة الاشياء اذ كانت اغريقا كلها تعاني من الشرور ما لا شبهة فيه . ومتى يمكن أن تكون اللا أدريه فى وقت مناسب ؟ لقد كان ذلك لاربع سنين قبل الحكم على سقراط اذ نشأت ضلالة أخرى كان يمكن للأدري أن يسخر منها كما يسخر من هزيمة آتينا فى نزاعها مع هذا الحكيم جزاء له على ما كاله لها من صنوف التهم . وسمع ذلك فان غريغاس فى شيخوخته الطويلة قد عاش بعد سقراط وهجر أيضا آتينا إلى بلاد أقل منها قرى فيها لم تكن لا ادريته لتعزيه بعض الشيء عن نفيه .

ولكى تقدر فكرة غريغاس تقديرا تاما قد أثبت قطعة سكستوس أمبريكوس . فمن السهل مقارنتها بكتيبنا هذا الذى لها به ارتباط بين .

يجب أن يرى بناء على كل ما تقدم أن كتابنا الصغير مهما كان فيه من النقص والعيوب والغموض حتى بعد البحوث التي تناولته لا يزال على جانب من الأهمية . وحين كان النص مملوءا بالأغلات كان يمكن إهماله واعتباره غير معقول تقريبا فأما منذ ملاح فقد أصبح هذا الزدراء لا محل له وأنا من جهتي دون أن أكون مرتاحا تماما لا أجد أن هذا الكتاب أكثر غموضا من كثير من الكتب الأخرى في مؤلفات أرسطو . مع الإصلاحات التي تناولته والتي هي مقبولة جـد القبول لأن أكثرها قام الدليل على صحته من المخطوطات التي درست خير دراسة ، مع هذه الإصلاحات يقف النقارئ جيدا على ما أراده المؤلف وإن أسلوبه لمن البيان على قدر المطلوب . فن لم تكن هذه الرسالة التي ليست بعد كل شيء إلا مجموع مذكرات إن لم تكن من قلم أرسطو فإنها ليست غير خليقة بأن تنسب إليه كما قد ظن ذلك زمانا طويلا . وعلى الأخص فليست قليلة الفائدة من حيث تاريخ الفلسفة . وبهذا العنوان وعلى هذا الاعتبار يستوصى بها كل أصدقاء الفلسفة القديمة .

أما فيما يتعلق بموضوع المذاهب وبمركز مدرسة إيليا فقد قلت بعض كلمات في مقدمتي على هذا المجلد . وتصديت لأن أبين في هذا البحث أن الفلسفة الإغريقية جدتنا المحترمة كانت نشأت باجتماع ظروف سعيدة قبل الميلاد بستة قرون في المستعمرات التي أسست على شطوط آسيا الصغرى . وقد أعلنت هذا الحادث كواحد من أعظم تواريخ العقل البشرى . وعينت الحوادث السياسية الكبرى التي في وسطها نتجت هذه النتيجة . واستخلصت من هذه اللوحة مهما كان موضعها من قلة الكمال نتائج قد تكون أوسع من إطارها . ألا إنما في تلك البيئة يجب أن نحل فلاسفتنا لفهمهم جد الفهم ولنقدر حق قدرها تلك القيمة السامية لهؤلاء الاساتذة معلمى الحكمة القديمة والذين مهدوا لنا فلسفتنا الحالية والذين لا يزالون يشجعوننا حتى على هذا البعد الشاسع .

# في ميليسوس وفي إكسينوفان وفي غرياس

## مذاهب ميليسوس

### الباب الأول

الوجود هو أزل غير متناه واحد ولا متحرك - أركان الوحدة ولتناجها - الاختلاط -  
ظواهر الانبعاث هو ضد الوحدة - الحذر الذي ينبغي أخذه من شهادة الخواص - ردود على  
نظرية الوحدة وعلى اللا إدارية - الآراء المضادة لهذا المذهب - شواهد من هيرودوت  
وأبسط فلاسفة آخرين .

§ ١ - هو يقرر أنه ان يكن من شيء فذلك الشيء يجب أن يكون  
أزلياً ما دام أنه - على رأيه - من المحال أبداً أن يتولد شيء من لا شيء .  
وسواء أكان في الواقع أن الكل قد خلق أم أن الكل لم يكن يخلق فيلزم  
على ذلك في الفرضين أن الأشياء التي خلقت تكون أخرجت من لا شيء  
ما دام أنه ما من واحد من جميع الأشياء التي تكونت على هذا النحو كان  
يوجد من قبل .

ب ١ - مذاهب ميليسوس - زدت هذا العنوان الذي ليس في الأصل الاغريقي .  
د . ما سبق في التحقيق الذي أجريناه على هذا العنوان وعلى نسبة المذاهب التي يشملها  
البابان الأولان الى ميليسوس .

§ ١ - هو يقرر - حفظت عبارة النص على ابهامها . وقد كان يحسن أن يسمى  
الفيلسوف بالتصريح . ومع العنوان الذي سمحت لنفسه بوضعه لهذا الباب يذهب الشك  
في الشخص المقصود . ولكنني لم أسمح لنفسى بأن أدخل هذه الزيادة على النص نفسه  
في أول جملة وفي بدء هذه الرسالة . وأما في غضون الأبواب فقد زدت اسم ميليسوس  
مرات عدة كما فعلت بالنسبة لإكسينوفان وغرياس ، وفيما يتعلق بالاستناد الى ميليسوس  
ر . ما سيأتي بـ § ١ . - ان يكن من شيء - ر . ما سوف يلى من قطع ميليسوس  
القطعة الأولى . - على رأيه زدت هذه العبارة لأزدي قوة النص الاغريقي . - أم ان الكل  
لم يكن يخلق - وأنه لم يكن الا عدد ما من الأشياء كان قد خلق - . في الفرضين النص  
ليس على هذا القدر من الصراحة .

٢ - وأنه اذا قيل ان من الاشياء ما كان موجودا من قبل ومنها ما جاء بعد ذلك لينضم اليه نتج من ذلك أن الكل الذى هو واحد قد زاد بالعدد وبالكلمة . وهذا نفسه الذى به يصير أكثر عدداً وأكبر يجب ان يأتى أولاً من لا شيء لان الأكثر لا يمكن أن يكون فى الأقل ولا الأكبر فى الأصغر .

٣ - ومتى كان الكل أزلياً يجب ان يكون بهذا عينه لا مندمعاً لانه لا يكون هناك مبدأ يأتى منه كما انه لا يكون له آخر منى بلغه انتهى . وكل لا متناه يجب ضرورة أن يكون واحداً لانه اذا وجد عدة لا منتهيات بل لا متناهيات اثنان حدد بعضها بعضاً على التكافؤ .

٤ - ولما كان واحداً وجب أن يكون متشابهاً فى جميع أجزائه لانه اذا كان غير متشابه فبهذا وحده لا يكون بعد واحداً . ولما لم يكن واحداً كان كثرة . ولما كان الواحد أزلياً لا قابلاً لان يقاس متشابهاً فى جميع أجزائه وجب ان يكون عسير متحرك لانه لا يمكن أن يتحرك الا فى شيء ينطلق أمامه ولكن الانطلاق لا يمكن أن يكون الا للذهاب فى الملاء أو فى الخلو . فمن جهة الملاء لا يمكن بعد أن يقبل شيئاً ومن جهة أخرى الخلو نفسه ليس شيئاً .

٥ - لما كان الواحد هو ما قلنا آنفاً ينتج من ذلك انه لا يمكن ان يلحقه تعب ولا ألم ويجب أن يكون سليماً وبغير مرض . كما أنه لا يمكن أن يغير وضعه ليتخذ أحسن منه ولا أن يتحول ليأخذ نوعاً آخر ولا أن يختلط بشيء آخر . وفى كل هذه الاوضاع الواحد يصير كثرة واذا يكون اللاموجود هو المتولد . والموجود يكون هو الذى قد فسد بالضرورة .

- التى تكونت على هذا النحو - والى هى بالنتيجة ليست أزلية .  
٢ - ان الكل الذى هو واحد - عبارة النص هى بالبساطة « الواحد » بالعدد وبالكلمة - عبارة النص : « يصير متعدداً وأعظم » .  
٣ - كان الكل أزلياً - ر . ما سوف يجىء فى قطع ميليسوس القطعتين ٣ و ٢ . بهذا عينه لا متناهياً - يكاد يكون ذلك تكراراً لان الأولى ليس الا للامتناع فى المدة . - حدد بعضها بعضاً على التكافؤ - تلك هى العبارات عينها التى ينقلها سمبليسيوس . ر . ما سوف يجىء من قطع ميليسوس القطعتين ١ و ٣ .

٤ - وجب أن يكون متشابهاً فى جميع أجزائه - راجع قطع ميليسوس القطعة ٤ . - وجب أن يكون غير متحرك - راجع القطعة ٤ . - فى شيء ينطلق أمامه راجع القطعة ٥ من قطع ميليسوس - الخلو نفسه ليس شيئاً - راجع القطعة الانفة الذكر .  
٥ - لا يمكن أن يلحقه تعب ولا ألم - يمكن أو تحل هذه العبارة على المادى أو على المعنوى على السواء . ر . القطعة ٤ من قطع ميليسوس . - سليماً وبغير مرض - ربما كانت هذه المعانى أضيق مما يبنى وفيها يعتبر الواحد كما لو كان جسداً انسانياً ر . القطعة ١١ . - هو المتولد - هذه هى عبارة النص الاخرى بالفصيح .

٦ - وكل هذا محال مطلقا . وفى الحق اذا كان الواحد مقولا على الخليط لانه تألف من عدة اشياء فيلزم حينئذ ان يكون مسبوقا بوجود عدة أشياء وأن هذه الاشياء تكون قد تحركت بعضها نحو الاخرى . وليس الاختلاط فى الواقع الا تركيب عدة أشياء فى شيء واحد أو انما هو كجمع بين الاشياء المختلطة عن طريق التصنيف . وعلى هذا النحو قد تختلط الاشياء لانها تنفصل بعضها عن الاخرى . ولما أن هذا الجمع يحصل فى سحق الاشياء فقد يجب أن يوجد جليا كل واحد منها برفع الاشياء الاولى التى اختلطت باقترابها بعضها من بعض . وليس توجد واحدة من هاتين الحالتين .

٧ - وهكذا على هذه الطريقة تكون الاشياء ، على رأى ميليسوس ، متكررة ولا تظهر لنا البتة بوحدة ، وبالنتيجة لما أنه ليس ممكنا أن يكون الحال هكذا على هذا الوجه وأنه لا يمكن أن تكون الاشياء متكررة فيلزم القول بأن هذا ليس الا ظاهرا خداعا كما أنه مع ذلك يوجد كثير من الاشياء تدع حواسنا وتغرها ولكن العقل يؤكد لنا ان تلك الاشياء ليست موجودة ، بل هو يؤكد لنا أن الموجود لا يمكن أن يكون كثرة وأنه واحد أذلى لا متناه متشابه فى جميع أجزائه .

٨ - وحينئذ هل تكون عنايتنا الاولى بعدم قبول كل ظاهر والا نشق منه الا بما هو الاحق ؟ ولكن اذا كان كل ما يظهر لنا أنه حق ليس صحيحا ولا يستحق على ذلك تصديقنا فقد نحسن صنعا بعدم قبول

§ ٦ - اذا كان الواحد مقولا على الخليط - ر . على نظرية الاختلاط ما سبق فى كتاب الكون والفساد ك ١ ب ١٠ . - التصنيف - يظهر أن الكلمة التى يستخدمها النص هنا كانت خاصة بلهجة الايدريانيين . ر . تفسير سبليسيوس على كتاب الساء الورقة ١٥١ . - لانها تنفصل - أو يمكن أن تنفصل . ومن المحتمل أن يكون لفظ فصل ها هنا مأخوذا على معنى تمييز - فى سحق الاشياء - هذه هى عبارة النص وان لم تكن مضبوطة تماما .

§ ٧ - على رأى ميليسوس - زدت هذه العبارة لاحصل النص فى كل قوته . - ليس الا ظاهرا خداعا - تلك هى لا أدربة مدرسة ايليا التى بايتانها العقل أكثر مما ينبغي لم تبق للحواس ما يتناسب معها ر . فيما سوف يجرى شيئا من هذه المعانى فى الفقرة ١٧ من قطع ميليسوس . - العقل يؤكد لنا - اذ طبق هذا فى حق الله فالنظرية لا جدال فيها فوحدايته بديهية فى حكم العقل كلا نهايته وكامل قدرته . ولكن ذلك لا يمنع تكرر الكائنات بأشخاصها ويلزم العقل التسليم به من غير أن يستطيع مع ذلك أن يفسره .

§ ٨ - هل تكون عنايتنا - صيغة الاثبات هنا أولى فيما يظهر ولكنى اضطررت الى اتباع النص . وهذا المر هو أتم ما تركى لنا الاقدمون على نمط مدرسة ايليا ومنطقها - كل ظاهر - أو كل ما يظهر لعقلنا لان المراد هنا ليس هو الظاهر الحسى =



هذه القاعدة أيضا : أنه لا شيء البتة يمكن أن يأتي من لا شيء لأنه ربما كان هذا أيضا واحدا من تلك الآراء القليلة الصدق والكثرة العدد التي نحن جميعا قد تصورناها بواسطة ادراكات قابلة الصدق أو كثرته .

٩ - ولكن اذا كانت كل ادراكاتنا ليست فاسدة واذا كان بعض أحادها صحيحا فيلزم أن يختار اما الرأي الذي قام الدليل على صحته واما الآراء التي تظهر أنها أحق . لأن هذه الأخيرة تكون دائما أمتن من الآراء التي يجب أن يدلل عليها من بعد بمساعدة تلك المبادئ الأولى .

١٠ - فلنسلم ، اذا شئت ، بأن هذين الرأيين مضادان أحدهما للآخر كما يفترض ميليسوس : باديء بدء أنه عند تأييد الكثرة يضطر الى استخراجها من الوجود . ثم لما كان هذا محالا وجب انه يستنتج من ذلك أن الموجودات ليست متكثرة والموجود بما هو موجود فقط هو لا متناه وبما هو لا متناه هو واحد .

١١ - نزع ان هذين الرأيين لا يشبتان لاحدهما ولا الآخر ان الموجود هو واحد و أنه كثرة . ولكن اذا كان أحد الاثنين أحق وأمتن

= ليس صحيحا ولا يستحق على ذلك تصديقنا - ليس النص على هذا القدر من السمة . - بعدم قبول هذه القاعدة أيضا - الامر على الضد من ذلك فان مدرسة ايليا قد قبلت هذه القاعدة كل القبول واتخذتها أساسا لنظرياتها على الازلية ووحدة الموجود . - قليلة الصدق - ليس النص على هذا القدر من التعيين ، ولكنه على التحقيق يشمل هذا المعنى .

٩ § - كل ادراكاتنا ليست فاسدة - في هذا التحفظ شرف عظيم لمدرسة ايليا ويجب اعتباره والاعتداد به . فان السفسطائيين وعلى الخصوص فروطاغوراس قد ذهبوا بعيدا في المعنى المضاد بأن قرروا أن الانسان هو معيار الكل وقد جرهم هذا الافتراض الى لا أدب غريغياس المطلقة . ر . فيما يلي الباب الخامس والسادس من هذا الكتاب وتحليل مذهب غريغياس الذي قام به سكستوس أمبريكوس . - اما الرأي الذي قام الدليل على صحته - مبدأ جميل قد كرره فيما بعد أفلاطون وديكارت بصورة أخرى ليست أشد جزما . - التي تظهر أنها أحق - والتي هي غير قابلة للايضاح وصالحة ، من ثم ، لايضاح سائر البقية . هذا هو المذهب العظيم لارسطوطاليس في الانالوطيقا الثانية . وهذا هو الأساس الذي اليه يستند كل برهان سواء أكان هذا الأساس مكتسوبا أو مغبا . ر . ترجمتنا لالوطيقا الثانية ، منطق أرسطو ج ٣ ك ١ ب ٢ ص ٩ .

= بمساعدة تلك المبادئ الأولى - التي هي في ذاتها غير قابلة للبرهان لانها بديهية .

١٠ § - كما يفترض ميليسوس - عبارة النص هي فقط « كما يفترض » ر . ما سبق ف ١ والتحقيق . وهذه الجملة كلها قلقة في ترجمتنا كما هي كذلك في النص الاغريقي . - يضطر الى استخراجها من الوجود - ر . ما سبق ألفا ف ١ .

١١ § - نزع - قد لا تكون عبارة النص على هذه الصراحة . - لتكون النتائج التي تستنتج - أو النتائج التي تستخرج منها . على أن من البين أن المبدأ الذي يسار =

فتكون النتائج التي تستنتج منه هي أيضا أجلى وضوحاً • فان كان لنا هذان الاعتقادان معا أن لاشيء يمكن أن يأتي من لاشيء وأن الموجودات هي متكررة ومتحركة فلما أن هذا الأخير يظهر لنا حقيقاً بالثقة فهو أولى من الآخر بتصديق الناس • وبالنتيجة إذا كان هذان الرأيان هما متضادين في الواقع وإذا كان من المحال أن شيئاً يأتي من لاشيء وأن الموجودات متعددة فإن هاتين النظريتين تتباطلان وتتفاسدان على التكافؤ

١٢ - لكن لماذا إذا يكون رأى ميليسوس أحق ! انه يمكن أيضاً تأييد الرأى المضاد مادام أن ميليسوس قد وضع استدلاله من غير أن يكون قد دلك على أن الرأى الذي يصدر عنه هو الحق أو على الأقل أنه أمتن من الرأى الذي يقصد الى أن يبرهن على فساده • وهذا من جانبه ليس الا فرضاً محضاً أن يرى أن مجيء الاشياء من لاشيء أشبه بالحق من أن تكون متعددة •

١٣ - ولقد أصاب من قال على ضد ذلك هاهنا ان أشياء لم تكن قد كانت وان كثيراً من الاشياء اخرج من العدم • وليس هؤلاء الذين افترضوا هذه الافكار من أناس كيفما اتفق • بل هم مشهورون بأنهم أعقل الناس • مثال ذلك قال هيزيود :

« كان العماء موجودا قبل كل الاشياء »

منه بما أنه هو ذاته أمتن فالبرهان الذي ينتج منه هو أمتن أيضاً • - هذان الاعتقادان - العبارة الاغريقية تدل مباشرة على « فرضين وهميين » • - لاشيء يمكن أن يأتي من لاشيء - هذا حق متى طلق على موجودات الطبيعة ولكنه ليس حقاً بهذا المقدار متى طبق في حق الله • وحينما يكون الامر متعلقاً بالله فيلزم أن يوصل الى خلق حقيقي • - الموجودات هي متكررة ومتحركة - كما تنبئ لنا به حواسنا شهادة غير مبرحة • - هاتين النظريتين تتباطلان - وحينئذ يمكن أن شيئاً ما يأتي من العدم وان الموجودات هي متحركة •

§ ١٢ - رأى ميليسوس - عبارة النص غير معنة ولا تسمى ميليسوس ر • ماسبق ف ١ • - ما دام أن ما سبق - التمس السابق • - الذي يقصد الى أن به هن على فساده - عبارة : لنص ببساطة « التي عليه يبرهن » • - ليس الا فرضاً محضاً • - الحد الذي يستعمله النص ها هنا هو بعينه من جهة الاشتقاق الذي في الفقرة السابقة • - أشبه بالحق - أو بعبارة أخرى أن الخلق من العدم أكثر احتمالاً من وحدانية الوجود • فانه يمكن أن نفهم على وجه أحسن أن الانشياء أتت بها من لاشيء من أن نفهم أنها متعددة • والسبب في ذلك أن التعدد يدهى فيما يظهر في حين أن الخلقة تختفى في ظلمات الماضي والبداءة •

§ ١٣ - قد كانت - هذه الجملة في المخطوطات واردة على صيغة النفي لا على صيغة الانادات كما ينسب اليه م • ملاخ • وقد اقترح اسبلدنج محوها • واني أرى كما يرى م • ملاخ أنها ضرورية لتتابع المعاني • من أناس كيفما اتفق - من العوام هيزيود راجع =

« ثم ظهرت الارض ذات الصلر الفسيع

« وهى الاساس الازلى لكل ما تحمل

» . . . . .

« ثم بعد ذلك العشق الذى هو أقدر الآلهة » .

فعلى رأى هيزيود سائر الاشياء تولد من هذا ولكن المبادئ الاول لم  
تولد من شيء .

١٤ - ومن الفلاسفة من يقولون بأن لاشيء يكون وأن الكل يصير  
وهم يؤكدون كذلك أن كل الاشياء التى تصير تولد من أشياء غير موجودة .  
وبالنتيجة يمكن أن يقال ان عند بعض الفلاسفة الصيرورة يمكن أن تنتج  
حنى من اللاموجود .

---

= التيرجوني :ليبيت ١١٦ وما بعده ص ٣ من طبعه فيرمين ديدو . وان هذه الابيات التى  
لم يستشهد بها ها هنا بالنص موجوده فى الطبيعة لارسطو . ك ١ ب ٢ ف ٧ ص ١٤٢  
من ترجمتها وفى ما بعد الطبيعة ك ١ ب ٣ ص ١٣٨ من ترجمة كوزا .

- لم تتولد من شيء - أولى بهذا أن يكون نتيجة مستخرجة من أفكار هيزيود لا  
فكرة من أفكاره الخاصة .

١٤ - ومن الفلاسفة - كان من الحسن أن يسمى هؤلاء :للاسفة الآخرين -  
بأن لا شيء يكون أو يوجد . - وأن الكل يصير - قد يكون هذا هو رأى هيرقليطس  
اذ يظن أن كل الاشياء هى فى مد أبدي - تولد من أشياء غير موجودة - :للتيجة  
بأنه بدأتها فيما يظهر وأن ما يصير لم يكن قبل ان يصير . الصيرورة يمكن أن  
تخرج حتى من :للاموجود - أو أن الاشياء التى تتولد تخرج من أسباب ليست موجودة .

## الباب الثاني

تتمة تنفيذ ميليسوس - ردود على مبدأ انه ليس شيء يأتي من لا شيء - تولد الاشياء وكونها بعضها من بعض على التكافؤ - نظريات أمبيدل وانكسساغوراس وديمقريطس وبرميتيد وزيثون - تتواءم من شعر أمبيدل وهيزيود - لاوجود ليس ضرورة واحدة أزليا ولا متناهيا .

١ - نحن لا نشتغل ببحث ما اذا كان مايقوله ممكنا أو ممتنعا . لكن هنا نقطة يجب علينا أن نعيها بعض الالتفات وهي ما اذا كانت مثل تلك النتائج تنتج بلا تخلف من فروضه أو اذا كانت الاشياء يمكن أن تكون ضد ما يعتقد لانه يمكن في الحق أن يكون الواقع مخالفا تمام المخالفة .

٢ - فهو يقرر بادىء بدء ان ليس شيء يمكن ان يأتي مما هو ليس موجودا . ولكن يرد عليه هذا السؤال : أمن الضروري اذا أن تكون جميع الاشياء بلا استثناء غير مخلوقة ؟ أو ليس من الممكن أيضا أن تأتي الاشياء بعضها من بعض وأن هذه السلسلة يمكن أن تتمشى الى مالا نهاية ؟ أو ليس من الممكن أيضا أن تتكون رجعي دائرية بحيث ان الواحد يأتي من الآخر وأنه على ذلك يوجد دائما موجود ما وأن كل واحد قد أمكن أن يخرج على هذا النحو من جميع الآخر على التكافؤ في عدد غير متناه من المرات ؟ على هذا المعنى لا شيء يمنع أن الكل قد خلق وأصبر حتى مع التسليم بذلك الفرض أنه ليس شيء يمكن البتة أن يأتي من لا شيء . وبما أن الموجودات على ذلك غير متناهية فيمكن اذا ، كما يشاؤه ، أن تسمى بجميع الاسماء التي لا تناسب الا الوحدة لانه يطبق هو أيضا على اللامتناهي كيفية انه كل وانه يسمى كلا .

§ ١ - ما اذا كان ما يقوله - ميليسوس وقد حفظت النص على ما فهم من عدم التعيين الشخصي . - بعض الالتفات - وربما يمكن أن يقال « التفاتا جديا » . - من فروضة - أو « المبادئ التي يسلم بها »

§ ٢ - فهو يقرر بادىء بدء - ليس :النص على هذا القدر من الضبط وعبارته عامة وهي ما دام قد تقرر . . . الخ . - بلا استثناء - زدت هذا القيد لاحتمل كل قسوة العبارة الاغريقية . - غير مخلوقة - ر . ما سبق في الفقرة الاولى حيث هذا التحفظ بعض الاشياء هي أزلية وغير مخلوقة والبعض الآخر ليس كذلك . - أن تأتي الاشياء بعضها من بعض - هذا ممكن بلا شك ولكن لا بد بادىء بدء من افتراض وجود بعض اشياء تكون أزلية بالنتيجة . وهذا الاعتراض لا يرد مباشرة على نظرية ميليسوس . - رجعي دائرية - هذا هو ما ذكر آنفا بعبارة أخرى . ولكن الكون ليكون على التكافؤ يلزم ضرورة أن يكون مسبقا بوجود ما قد لا يكون أزليا وباقيا . - يوجد دائما موجود ما - مؤقت ووسيط ولكن التعاقب مع ذلك هوأزلي اذ لم تكن الموجودات أزلية =

٣ - حتى من غير أن يقرض أن عدد الموجودات غير متناه يمكن أن يفهم أن كونها دائري . فإذا كان كل بصير وأن لا شيء يوجد كما يزعم بعضهم فكيف يوجد إذا أشياء أزلية ؟ ولكن ميليسوس يتكلم عن الموجود كأنه كائن وكأنه مسلم به على الإطلاق . فانه يقول : « إذا الموجود لم يصر وإذا هو يكون فيلزم أن يكون أزليا » . وهذا إنما هو تسليم بأن الوجود يتعلق ضرورة بالأشياء .

٤ - وأكثر من ذلك أنه مع الافتراض ، بقدر ما يراد من الافتراض ، بأن الوجود لا يمكن أن يصير وأن الموجود لا يمكن أن ينعدم البتة كما الذي ينم أيضا أن من الأشياء ما تولد ومنها ما تكون أزلية ؟ تلك إنما هي نظرية أمبدقل نفسه . فانه مع أنه مسلم وفقا لرأى ميليسوس بأن من الممتنع أن أى شيء اتفق بخبر مما لم يكن وأنه لا سبيل مطلقا لأن شيئا وجد مرة يمكن أن ننعدم البتة « مادام أن الموجود يبقى دائما حيث أمكن وضعه » مع كل هذا لا يزال هذا الفيلسوف يؤيد أن من الأشياء ما هو أزلي كالنار والماء والارض والهاء وأنه إنما من هذه الأشياء أتت وتأثر حمصه الآخر . وعلم أنه ليس للموجودات كون آخر غير هذا . وأن الكون ليس هي الحقيقة الا اختلاطا وتحذلا . وهذا ما يسمى عاميا كون الأشياء وطبيعتها .

= ان الكل قد خلق - في التعاقب لا في البدء . - انه كل وأنه يسمى كلا - وبعبارة أخرى : لاننا هي هو كل وهذا هو ما يسمى بالكل .

٣ - كونها - بعضها بواسطة البعض الآخر . - دائري - وبالنتيجة على التكاثر، فان الثاني يكون الاول كما ان الاول قد كون الثاني . - كما دأب نفسه - هرقلطس وفروطاغوراس مثلا . - ولكن ميليسوس - عبارة النص : - ولكنه « ر » ما سوف يجي القطعة الاولى وما لديها من قطع ميليسوس . فانه يقول - هذه الصيغة تدل على أن القول المروى هو من كلام ميليسوس .

٤ - بأن الوجود لا يمكن أن يصير - يعنى أن ما لم يكن لا يمكن أن يكون انما . - وأن الموجود لا يمكن أن ننعدم - وأنه أزل . - من الأشياء - التي هي موجودة أو التي وجدت فيما سبق . - نظرية أمبدقل - لم يذكر أبيات أمبدقل بنصها ولكن المعنى قد حصل بالضبط . ر . قطع أمبدقل البيت ١٠٢ و ١٠٣ طبعة فرمين دندو ص ٣ . - وفقا لرأى ميليسوس - ليس الاسم في النص الاغريقي ولكنه يستنتج من العبارة نفسها التي استخدمها المؤلف . - ما دام أن الموجود يبقى دائما - هذا الشاهد بيت من أسات أمبدقل روى «منه» بالضبط دون لفظه . ر البيت ١٠٤ في المرجع السابق . - كالنار والماء . الخ - الاربعة العناصر التي يسلم بها أمبدقل أيضا . - الا اختلاطا وتحذلا - تاك هي عبارة أمبدقل بالنص . ر . قطع أمبدقل الستين ١٠٠ و ١٠١ في المرجع السابق . وأن أرسطو يذكر أيضا هذا البيت في كتاب الكون والفساد ك ٢ ب ٦ ف ٦ . - عاميا - عبارة النص عند الإناس . - قطع أمبدقل البيت ١٠١

٥ - ومع ذلك فإن أمبيدقل يزعم أن الصيرورة لا تنطبق على الاشياء الازلية وأن ماهو موجود لا يصير . فتلك في نظره محالات واضحة اذ يقول: « كيف يمكن في الحق أن يقال : ان شيئها يزيد الكل ؟ ومن أين يأتي ذلك الشيء ؟ » « انما هو من اختلاط النار وتركبها ومن جميع العناصر التي تصحبها أن خرج تكثر » « الاشياء » وبانفصال هذه العناصر وتباعدها بعضها عن بعض تنعدم الاشياء من جديد . والتكثر يأتي من الاختلاط والتفرق ولو أنه بالطبع لا يوجد الا أربعة عناصر بصرف النظر عن العلل بل عنصر واحد أحد » .

٦ - حتى مع افتراض أن العناصر لامتناهية منذ الاصل لتكون الاشياء بتركبها وتفسدها بافتراقها كما يدعى أحيانا أنه كذلك كان يفكر أنكساغورس الذي كان يعتبر هذه العناصر الازلية غير المتناهية كمصدر لجميع الاشياء التي تتكون . وقد لا ينتج من هذا أيضا أن الكل هو أزل بل استثناء . بل يوجد دائما بعض أشياء قد تأتي وتكون أنت من موجودات متقدمة وتغنى في جواهر أخرى .

٧ - بل يمكن أيضا ألا يكون الا صورة واحدة للكل كما كان يؤكد أنكسيمندروس وأنكسيمين اذ يؤيدان أحدهما أن الكل هو من الماء والآخر وهو أنكسيمين أن الكل انما هو من الهواء .

٨ - وانما هذه هي أيضا نظرية جميع من يفهمون على هذا النحو

٥ - ومع ذلك فإن أمبيدقل - النص لا يسمى ما هنا أمبيدقل . ولكن كل مايل يثبت تماما أن القول انما هو بصدده . - الصيرورة - أو التولد . - كيف يمكن في الحق - ليست هذه تعابير أمبيدقل بالضبط ولكن المعنى هو «مما» ر . قطعة الببتن ٩٤ و ٩٥ في المرجع السابق ذكره . ور . أيضا الطبيعة لارسطو ك ٨ ب ١ ص ٤٥٥ من ترجمتنا . - بصرف النظر عن العلل - عبارة النص : دون العلل ، ومن المحتمل أن أمبيدقل يعنى ما هنا بالعلل العشق والتنافر اللذين يجمعان أو يحللان الاشياء بأن يكونا ويسدا دوريا السفيروس . ر . الطبيعة لارسطو ك ٣ ب ٤ ف ١٣ ص ٩٤ من ترجمتنا .

٦ - بتركبها . . . . . بافتراقها - على حسب نظريات أمبيدقل . - أنكساغورس - ر . الطبيعة لارسطو ك ٣ ب ٤ ف ٨ ص ٩٠ من ترجمتنا . - بلا استثناء - أضفت هذه الكلمات . - في جواهر أخرى - هذا التعبير يكاد لا يكون أرسطو طاليا . وليس من عادته أن يستعمل لفظ الجوهر في مثل هذا المعنى .

٧ - ألا يكون الا صورة واحدة - هذه الجملة هي الترجمة المباشرة للنص لاغريقي ولكن ما يلى يثبت أن المعنى بلفظه « الصورة » هو « العنصر » وإن آراء أنكسيمندروس وأنكسيمين هي معروفة حق المعرفة فإن أحدهما يريد أن يستخرج كل العالم من الماء كما كان يزعم طاليس والآخر يريد أن يستخرج العالم من الهواء .

٨ - كوحدة - أو كواحد . ولقد حفظت أسلوب النص وربما كان أجلى من ذلك أن يتكلم على اتجاه المادة وحينئذ يرجع إلى مذهب الذوات كما سبقين فيما بعد بمنااسبة

« الكل » كوحدة • وذلك انما هو تبعا لان « الواحد » يتغير بالصور او بعدد أكبر أو أصغر وتبعا لانه رقيق قليلا أو كثيرا أو لانه سميك أن الاشياء مهما كانت متعددة ولا متناهية تتوالد • وحينئذ « الواحد » مع بقائه هو هو يكون بقية الاشياء ويشكلها •

٩ - أما ديمقريطس فانه من ناحيته يقول على السواء ان الماء والهواء وكل واحد من الاشياء المختلفة هكذا هي متحدة وانه لا فرق بينها الا في المجرى والتماس والاتجاه • وما المانع أيضا ، في هذا الفرض ، من أن الاشياء المتكثرة تتولد وتنعدم مادام « الواحد » يتغير أبدا من الموجود الى الموجود بالفروق التي ذكرت من غير أن « الكل » في مجموعة يصير بذلك أبدا لا أصغر ولا أكبر ؟

١٠ - وفوق هذا ماذا يمنع أن أجساما متعددة كما يشاء تتولد من أجسام آخر وتحلل الى أجسام آخر أيضا بحيث تكون دائما على كمية متساوية في تحللها وبحيث انها تنعدم من جديد •

١١ - لكن حتى مع التسليم بهذا والتسليم بأنه يوجد شيء غير مخلوق فماذا يزيد هذا في اثبات أن الموجود هو لامتناه ؟ على رأى ميليسوس الموجود لا متناه اذا هو يوجد والا يكون قد ولد البتة • لان الحدود على رأيه هي هنا بداية الكون ونهايته • غير أن الموجود مع أنه غير مخلوق الا يمكن أن يكون له حدود أخرى غير المذكورة آنفا ؟ فاذا كان اللامتناهية

ديمقريطس • - تبعا لان الواحد ينفر بالصور - الجملة طويلة بعض الشيء ولكننا كذلك أيضا في النص الاغريقي نوجب علنا الاحتفاظ بأسلوبها • - يكون .... ويشكلها - ليس في النص الا فعل واحد •

٩ ٨ - ديمقريطس - هو في طريفته أيضا نصير للوحدة لان ذراته هي على الاطلاق متماثلة ولا تختلف الا بالعدد وبالصورة وبالتماس وبالحركة • - الاشياء المختلفة هكذا - كان الاحسن أن يقول يظهر لنا انها مختلفة بهذا القدر لانها في الواقع هي بعضها على حسب ديمقريطس • - في المجرى والتماس والاتجاه - هذه الكلمات الثلاثة مستعارة من ديمقريطس والظاهر أنه واضعها أو على الاقل هو الذي في المجموعة نقلها من معناها الامادي • على أنى لا أحد هذا المر من هذا الكتاب موجودا في قطع ديمقريطس الاغريقية لغيرميتي ديفاز • فان المجرى والتماس والاتجاه متعلقة بالذرات اذ تتركب في الحلو بعضها مع بعض • من الموجود الى الموجود - دون أن نشأ ما يمكن أن تولد من العدم وذلك بان الذرات متصورة أزلية ر • كتاب السماء ٣ ب ٤ ف ٥ ص ٢٥٠ من ترجمتنا •

٩ ١٠ - وفوق هذا - هذا نظير أنه تبع للافكار النسبية ها هنا الى ديمقريطس وهذه الفقرة لا تكاد تكون الا تكريرا لما سبق • - على كمية متساوية - الكلمة والعدد الكلي للذرات لا ينقصان ، وفقط المركبات التي تركبها تلك الاجزاء التي لا تتجزأ هي التي تحتهي منها على عدد أكبر أو أصغر •

٩ ١١ - أن الموجود هو لا متناه - ليس النص على هذا القدر من الضبط واللفظ الذي استعمله هو غير محدد • - على رأى ميليسوس - هذا يتعلق بميليسوس لا

قد خلق فلا بد من أن يكون له على رأى ميليسوس هذه البداية آتى منها يخرج ليكون .

١٢ - فماذا يمنع اذا - حتى بدون أن يكون قد كون - أن يكون له بالاقبل بداية ؟ لا البداية التى منها آتى - اذا شئت - بل بداية اخرى . وأن الاشياء مع كونها أزلية يتحدد بعضها ببعض على طريق التكافؤ

١٣ بل ماذا يمنع أن « الكل » الذى يكون غير مخلوق أن يكون لامتناهيا وان جميع الاشياء التى هى فيه تكون متناهية باعتبار أن لها بالسطاة بداية ونهاية فى كونها .

١٤ - ألا يمكن أيضا كما يبغي برمينيد أن « الكل » مع أنه واحد وغير مخلوق يكون متناهيا « بأن يكون من جميع الجهات مشابها لكتلة كرة مضبوطة الشكل وأن يكون متساوى الأبعاد من المركز من غير حاجة أصلا الى أن يكون فى الجزء الفلانى أو الفلانى أكبر أو أصغر مما هو ؟ » .

١٥ - ولما أن له وسطا وأطرافا فله حد مهما كان غير مخلوق مادام أن « الكل » مع أنه واحد كما يعترف به ميليسوس نفسه فإنه ، من حيث كونه جسما ، كل أجزاءه بلا استثناء مشابهاة بعضها لبعض . ومن هذه

= بدمقريطس ولكن النص قد وضع الفعل مطابقا لضمير الغائب من غير أن يعين بالاسم الفيلسوف الذى يقصد تعينه . - اذا هو يوحد - ر . ما سبق ف ١ - . والا يكون قد ولد المنة - ان لا نهاية الموجود - تنتج ، على رأى ميليسوس ، من أزليته .

بدانة الكون - أو عبارة أخرى « بدانة تعد الموجد » . لان الموجد بما هو أزلي . ان يحد ما هو متجانس والكنه لا يحد ما المقودة . - حده المنة - المنة آلفا - بعد انتهاء النفاذ التى يمكن أن ناهيا ونهايتها . - على رأى ميليسوس - أضفت هذه الكلمات التى تستنتج من سياق الكلام ومن الناحية التى يستعمله المؤلف . - فما ساعدنا فى القاطعة ٢ من قوله ميليسوس .

١٢ § - حتى انه أن يكون قد كون - أعني « نفاذه أزليا » - بل بدانة اخرى - هذا لا ينطبق الا على التفسير الذى يصير الموجود غير ما هو من حيث أن يكون شئ من أزليته . - نتجاد بعضها بعض - « أن تنوالد على طائفة الكاؤو » .

١٣ § - متناهية - والكه دون أن تكونه بالعدد وأن يكون بعضها بعضا بتسلسل مؤيد . - بالسطاة - زدت هذه الكلمة التى تفهم من القرنة فما يظهر لى .

١٤ § - كما سفي برميند - يظهر على حسب هذه الفقرة أن رسالتنا الصغيرة هذه من انطوقا على ميليسوس واكسينوفان على وجه الخصوص قد تكون انطلاقا عاما لدراسة انابا . ر . قطع برميند البت ١٠٢ وما بعده فى القطع الفلسفة الاغريقية لفرمن دندى ص ١٢٤ .

١٥ § ميليسوس نفسه - ليس فى النص الاسم الظاهر بل هو يستخدم ضمير الغائب كما هو الحال فى كل موطن . - هو بقرر - أى ميليسوس ولكن هذا يمكن على =



الجهة إنما هو يسر التشابه المطلق « للكل » ولا يقول كما يقول فلاسفة آخرون ان « الكل » مشابه لشيء آخر غير ذاته . تلك هي النظرية التي يبتليها أنكساغوراس بقوله : اذا كان اللا متناهي مشابها من جهة أن يكون مشابها لمقايير له فمن ثم هما اثنان بل أكثر . وحينئذ لا يوجد بعد لا « واحد » ولا لامتناه .

١٦ - ولكن قد يمكن أن ميليسوس يعنى هو أيضا أن اللا متناهي مشابه اضافيا لذاته أو يقول بعبارة أخرى ان « الكل » هو متشابه لان أجزاءه متشابهة بما ان هذا « الكل » هو مع ذلك من الماء أو من الارض أو من شيء آخر .

١٧ - من البين أن ميليسوس مع تسليمه هكذا بالوحدة يرى أن كل جزء من الاجزاء هو نفسه جسم لا يمكن ان يكون لا متناهي . لان « الكل » هو وحده لامتناه . وبالتالي فأن هذه الاجزاء التي ليست مخلوقة أيضا يصلح بعضها حدودا لبعض على التكافؤ .

١٨ - ولكن اذا كان « الكل » أزليا ولا متناهي فكيف يمكن أن يكون « واحدا » مع كونه جسما ؟ تم اذا كان مركبا من أجزاء متغايرة فاذا يعترف ميليسوس نفسه بأن « الكل » هو كثير ومتعدد . ومع التسليم بأنه من

= سواء أيضا أن يطبق على مذهب برمينيد كما يرى في الايات التي ذكرت آنفا . - التي يبتليها أنكساغوراس - قد يمكن ان يفهم منه أيضا كما فهم م . هلاخ « التي يؤيدها أنكساغوراس » . وعلى ذلك يكون أنكساغوراس من رأى ميليسوس وبرمينيد ، عوضا عن أن يبتل رأى الفلاسفة الذين يقررون أن الكل هو مشابه لآخر غيره وهذا في الواقع شيء واحد . ر . قطع أنكساغوراس لساوباخ ص ١٠١ . ولكن نظرية أنكساغوراس يظهر أنها ترجع فقط الى العقل لا الى العالم . فان الفعل الاعلى لا يمكن في الحق أن يتغير فانه دائما مشابه لذاته ولا يمكن أن يكون شبيها لاي ما كان .

§ ١٦ - ميليسوس - النبيه السابق . أى أن ميليسوس ليس مسمى هاهنا أيضا - اضافيا لذاته - النص أقل ضبطا : « هل يعنى الشبيه نسبيا اليه » .

§ ١٧ - ميليسوس - كررت ها هنا أيضا اسم ميليسوس كما فعلت فيما سبق ولو لم يكن مذكورا في النص . - كل جزء من الاجزاء هو نفسه جسم . ر . ماسوف يل من قطع ميليسوس القطعة ١٦ .

- هو وحده لا متناه - زدت كلمة « وحده » لبيان الفكرة . - يصلح بعضها حدودا لبعض على التكافؤ . ر . ما سبق ف ١٢ .

§ ١٨ - مع كونه جسما - أى أنه بالنتيجة ذو أجزاء مختلفة . - ميليسوس نفسه - اسم ميليسوس ليس مذكورا في النص الذي ليس فيه دائما الا ضمير غالب . - كما أن زينون يحاول أيضا أن يثبت - أن ذكر زينون هذا يسمح لنا أن نقدر رسالتنا الصغيرة هذه كان ينبغي أن تعرض أيضا لمذهبه على حدة . ر . التحقيق الذي سبق .

الماء أو من الأرض أو من أى عنصر آخر فحينئذ يكون للموجود عدة أجزاء كما أن زينون يحاول أيضا أن يثبت أن « الكل » يجب أن يكون له أجزاء كثيرة إذا كان هو واحدا على الوجه الذى يدعون .

١٩ - ومتى كانت أجزاؤه متعددة لزم أن يكون بعضها أصغر وبعضها أكبر اعنى مختلفة جد الاختلاف حتى بدون أن يأتى التخالف من زيادة جسم ما أو فقد جسم ما . ولكن إذا كان « الكل » ليس له جسم ولا طول ولا عرض فكيفه يكون لامتناهيا ؟ وما المانع إذا أن يكون بمجموعه كثرة وواحدا بالعدد ؟ بل ما المانع أن الاشياء مع كونها هكذا متكررة وأكثر من واحد أن تكون على عظم غير متناه ؟

٢٠ - قد يزعم أكسينوفان أن عمق الأرض وعمق الهواء غير متناه . ولكن أمبيدقل يبطل هذه النظرية اذ يبين فى انتقاده المحكم أنه إذا كانت الاشياء كما يزعمون فمن المحال مطلقا ان تكون البتة .

« ان أسس الكرة والاثير غير الملموس التى كثر ما يكلموننا عنها ليست الا كلمات فارغات يكررها لسان الحمقى بلا داع » .

٢١ - لكن العالم يمكن أن يكون واحدا من غير أن يكون هناك سخف فى افتراض أنه ليس متشابهة فى جميع أجزائه . وفى الحق إذا كان العالم كله ماء أو كله نار أو أى عنصر آخر من هذا القبيل فيمكن جيدا أن يقال بوجود عدة أشياء ولو أن الموجود يبقى واحدا وأنه يلزم دائما

§ ١٩ - بعضها أصغر - حتى من غير اختلاف الامتدادات يكفى أن توجد عدة أجزاء لتكون متميزة ولو كانت مع ذلك متساوية تمام التساوى . - من زيادة جسم ما - لا يمكن أن تكون زيادة ولا نقص لأى ما دام أن المقصود هو « الكل » . - متكررة وأكثر من واحد - ليس فى النص الا كلمة واحدة . - على عظم غير متناه - عبارة النص بالضببط « غير متناهية فى العظم »

§ ٢٠ - قد يزعم أكسينوفان - رأى أكسينوفان هذا مذكور فى كتاب السسماء لك ٢ ب ١٣ ف ٧ ص ١٩٤ من ترجمتنا . فى تلك الفقرة أيضا يذكر أرسطو التقاد أمبيدقل ويستشهد بالبيت عينه الذى استشهد به هنا .

§ ٢١ - أنه ليس متشابهة فى جميع أجزائه - ان تخالف الاجزاء لا يمنع الوحدة بل قد يكون شرطها . - بوجود عدة أشياء - أو بعبارة أخرى أن الموجودات متكررة بما هي موجودات خاصة ، وان هذا غير مانع وحدة المجموع . - لانه لا يمكن - يقدر ملانخ ان هذه هي نظرية ميليسوس التى يبطلها المؤلف ولا شىء فى النص يعزز أو يرفض هذا التقدير . - خلو فى باطن المتخلخل - اضطررت لاستخدام هذه الصيغة لتحصيل كل قوة النص الاغريقى . - باقى هو ما هو - ليس النص على هذا القدر من الضبط . - لما أن « الكل » ملى - يمكن أن تقدر هنا هذه العبارة « على رأى ميليسوسى » على حسب تقدير ملانخ . ر . القطعة هـ من قطع ميليسوس .

أن يكون كل واحد من هذه العناصر مشابها لذاته • لانه لا يمكن أن يكون الجزء القلاني متخلخلا والآخر كثيفا الا ان يوجد خلو في باطن المتخلخل • ولكن لاشيء يمنع انه بالنسبة لبعض الاجزاء يوجد في المتخلخل خلو منفصل تماما بحيث انه جزءا بعينه من « الكل » يكون كثيفا وآخر بعينه يكون متخلخلا مع ان الكل مع ذلك باق هو ماهو • ولكن لما ان « الكل » مليء فالتخلخل حينئذ لا يكون أقل امتلاء من الكثيف •

٢٢ - وإذا كان « الكل » غير مخلوق فكيف يمكن ان يستنتج من هذا وحده أنه لامتناه وأنه لا يمكن أن يوجد أيضا واحد بعينه أو احمر يكون متناهيًا مثله ؟ ولماذا يستلزم كونه غير مخلوق التسليم فوق ذلك بأنه واحد وأنه لامتناه بهذا السبب وحده ؟ وكيف حينئذ يكون اللامتناهي هو ذلك « الكل » الذي ينوهونه ؟ •

٢٣ - يقول ميليسوس ان الموجود لا يتحرك اذا كان ليس ثم من خلو • لان الاشياء لا تتحرك البتة الا بان تنغير بالايين • غير انه بادیء بدء كثير من الناس من لا يوافقون على هذه النقطه ومع تسليهم بوجود الخلو فانهم لا يقبلون أن يكون جسما • يمكن أن يعنى بالاشياء هنا نحو مايعنيه بها هيزيود حين يقول في الخلقه « انما هو العماء الذى ظهر بادیء الامر » مفترضا بذلك أنه كان يلزم قبل كل شيء أن يوجد محل للموجودات هذا هو مايعنى بالخلو الذى يعتبر كنوع آنية تكون خالية من وسطها •

٢٤ - على انه حتى مع عدم وجود خلو فان العالم يمكن ان يتحرك أيضا على السواء • وان أنكساغوراس الذى اشتغل أيضا بهذه المسألة

§ ٢٢ - من هذا وحده - يظهر لى أن الرد واضح للغاية وما دام العالم واحدا فيظهر أن من الضروري أو يكون لا متناهيًا • لانه من المحال على عقائنا أن يفترض له حدودا •

- ولماذا يستلزم - هذا ليس فى معظمه الا تكريرا لما سبق • - يتوهونه - صيغة النص صيغة جمع يمكن أن تعود على ميليسوس واكسينوفان وبرمينيد وزيتون •

§ ٢٣ - يقول ميليسوس - • وهنا أيضا ليس ميليسوس مذكورا بالاسم • - بان تفسر بالايين - تلك هى حركة النقلة • ولكن حركة الاستحالة يمكن أن تحصل من غير تفسير فى الاين • هيزيود - ر • ما سبق • ب ١ ف ١٣ فى الخلقه - وأحسن من هذا « فى كون الاشياء » • - العماء الذى ظهر فى بادیء الامر - العماء لا يشبهه بالخلو • انه ، اذا شئت ، عدم النظام ولكن الاشياء • موجودة ما دام تدخل العقل ضروريا لتنظيمها • - هذا هو ما يعنى بالخلو - هذا متنازع فيه جدا فان العماء لم يكن ليهم قط على هذا المعنى •

§ ٢٤ - فان العالم يمكن ان يتحرك أيضا على السواء - أو « أن ذلك لا يمنع حصول الحركة » • - انكساغوراس الذى اشتغل أيضا بهذه المسألة - وفى رواية بعض المخطوطات =

لم يقنع بأثبات أنه لا يوجد خلو بل أثبت فوق ذلك أن الموجودات تتحرك على سواء من غير أن يكون الخلو ضرورياً .

٢٥ - وفي هذا المعنى عينه قال أمبيدقل ان الاشياء متى تم تركيبها تحركت طوال الزمان من غير أن يوجد ، على رأيه ، مالا يفيد في « الكل » ولا أن يوجد خلو كذلك . وفي الحق من أين يمكن أن يحدث الخلو ؟ يقول أمبيدقل لان الاشياء متى تركبت في صورة واحدة بطريقة أنها تؤلف الوحدة :

« فلا شيء يكون خلوا ولا شيء زائد »

ليس يمكن في الواقع أن الاشياء تتحرك بعضها في بعض وأن الكل يكون دائريا مادام أن الشيء يتغير الى آخر وهذا الآخر الى ثالث . ومادام أن شيئا بعينه يتغير دائما آخر الامر الى الاول ؟ .

٢٦ - وفوق ذلك لا ينبغي نسيان تغير الصورة هذا الذي يغير الشيء ولو أنه يبقى في الحيز عينه ، تغير يسميه فلاسفة آخرون وميليسوس نفسه الاستحالة وادا لا شيء مما قال يدفع ان هذا النوع من الحركة يوجد في الاشياء حينما تمر من الابيض الى الاسود أو من المر الى الحلو لانه ليكن الخلو غير موجود وليكن الميء لا يمكن أن يقبل شيئا فذلك لا يمنع الاستحالة أن تكون ممكنة .

= « الذي اشتغل بهذه المسألة من قبله » . - أنه لا يوجد خلو . ر . الطبيعة لارسطو ك ٤ ب ٨ ف ٣ ص ١٩٤ من ترجمتنا حيث لا يظهر على أرسطو أنه قدر تقديرا حسنا نظريات انكساغوراس على الخلو كما فعل هنا .

§ ٢٥ - متى تم تركيبها - بواسطة العشق على حسب أمبيدقل وتم انقائها بعد ذلك بالتنافر . ر . الطبيعة لارسطو ك ٨ ب ١ ف ٤ ص ٤٥٥ من ترجمتنا . - طول الزمان - ليس معنى ذلك أبديا ولكن المقصود هنا هو في مسافة من الزمان فيها السفرسوس ينسبط أو ينقبض في ذاته ( ر . تعليقات كتتاب الكون والفساد ك ١ ب ١ ف ١٠ ) . - يقول أمبيدقل - ر . فطع أمبيدقل البيتين ٩٤ و ١٦٦ من القطع الفلسفية الاغريقية طبعة فيرمين ديدو . - في صورة واحدة - هذه عبارة النص بعينها . - فلا شيء يكون حلوا البيت ليس مذكورا بتمامه في النص . - وأن الكل يكون دائريا - يظهر جليا أن هذا هو رأى أمبيدقل فان العشق والتنافر بفعلهما على التناوب يؤلفان تماما شكل دائرة .

§ ٢٦ - وميليسوس نفسه - وليس اسم ميليسوس مذكورا في هذه الفقرة أيضا . ر . ما سبق ب ١ ف ١ . الاستحالة - ر . في الطبيعة ما يختص بحركة الاستحالة ك ٣ ب ١ ف ٨ ص ٧١ من ترجمتنا وكذلك الكون والفساد ك ١ ب ٤ . - الاستحالة أن تكون ممكنة - حركة الاستحالة بما أنها تقع في الشيء ذاته لا حاجة لها بعين جديد كحركة النقلة بل ولا كحركة النمو ذاتها .

٢٧ - وبالتبع فلا ضرورة لان كلا يكون أزليا وأن كلا يكون واحداً أو لان « الكل » يكون لامتناهيا . ولا ضرورة أيضاً لان يوجد عدة لامتناهيات ولا وحدة متماثلة في كل مكان ولا وحدة غير متحركة سواء مع ذلك وجدت الوحدة أو الكثرة .

١٨ - ومتى سلم هذا لا يرى شيء في نظريات ميليسوس يمنع من الموجودات بتغير ترتيبها وليست مادامت الحركة هي هكذا في النوحه التي نحصل حينئذ بالامر وبالأقل والتي تستحيل بطرائق شتى بدون ان ينضم اليها شيء او اذا انضم اليها شيء فيدون انه يكون هذا الشيء جسماً وإذا كانت عدة اشياء هي التي تنضم فيدون الا تزيد على ان تمتزج بعضها ببعض وتنفصل على التكافؤ .

٢٩ - ولكن الاختلاط ليس فيما يظهر هو الجمع أو التركيب المدين يتكلم عنهما ميليسوس والذين بدونهما ربما تنعزل الاشياء في الحال بل بدونهما لا تظهر الاشياء باستقلالها التام الا بعد ان يبعد بين بعضها وبين البعض الآخر اذ هي تحتاج ، في حين انه يلزم لوجود اختلاط حقيقي أن كل أجزاء الشيء المختلط تكون بحيث لا يمكن حل تركيبها

§ ٢٧ - وبالتبع - يظهر أن هذا هو ملخص الاعتراضات السابقة كلها ولكن النتيجة لا يظهر انها لازمة . - كلا يكون أزليا - كما يزعم ميليسوس . وهذه الجملة التي هي محرفة في أكثر المخطوطات هي كما أوديعها الآن في مخطوطة ليجز وكذلك في ترجمة فليسيانو كما نبه اليه ملانخ .

٨٨ ٢ - في نظريات ميليسوس - بدلا من الاسم الطاهر ليس في النص الا ضمير غير معين والظاهر انه يكفي قبول حركه الاستحالة لينهزم دفعة واحدة مذهب ميليسوس في وحدة الموجود ولا تحركه . ترتيبا وكيفا - عبارة النص بالضغط ( أن تكون الموجودات مركبة على وجه آخر ولا تكون مستحيلة ) - بالاكتر وبالأقل - مثال ذلك أن تكون أكثر أو أقل بياضا ، أكثر أو أقل سواد لان الكلام هنا هو بصدد استحالة بسيطة وليس مقصودا غيرها حتى ولا النمو . - فيدون أن يكون هذا الشيء جسماً - الوافسح أن في الاستحالة ليست هنا اضافة ما من أي نوع كان . فان الاستحالة تقع بحركة للموجود داخلية بحتة . أن نمتزج بعضها ببعض - كما يمكن الكيوف أن تختلط وأن تنفصل على التكافؤ في موجود واحد أحد بعينه .

§ ٢٩ - اللذين يتكلم عنهما ميليسوس - الملاحظة ها هنا كالملاحظة السابقة فيما يتعلق بذكر اسم ميليسوس الذي لم يذكر اسمه هنا أيضا . والظاهر أن العبارة في المذكورتين في هذا الممر هي من خصائص لغة ميليسوس الفلسفية . - بدونهما - جملة النص فيها من التحير والتردد ما في الترجمة وهاك سرحا يمكن أن يثير الفكرة : « لا يفهم ميليسوس حق الفهم ما هو الاختلاط اذ يسميه جمعا وتركيبا . وهو يظن انه في الخليط يمكن عند الارادة عزل الانبياء من جديد في الحال أو على الأقل عزلها تماما بعد تقنية بها يظهر كل واحد منها على الحالة الخاصة به . وليس الاختلاط هو ذلك أبداً . ولأجل أن يكون حقيقيا يلزم أن تكون الاجزاء فيه مركبة تماما بحيث لا يمكن حل ذلك التركيب =

بعد . لكن بشرط أن كل واحد من الأجزاء المخلوطة يكون على وفاق تام مع مجموع الخليط لأنه بما أنه لا يوجد جواهر فردة فينتج من ذلك أن كل جزء هو مختلط مع كل جزء كيفما اتفق مشابه مطلقا للكل :

---

= وان كل جزء يكون مشابها مطلقا للكل الذي هو منه . لا يوجد جواهر فردة ومن ثم كل جزء من الخليط هو بالضرورة مشابه للكل الذي هو منه جزء كيفما اتفق « . - لوجود اختلاط حقيقي - ر . على نظرية الاختلاط ما سبق في كتاب الكون والنفساد ك ١ ب ١٠ . - بما أنه لا يوجد جواهر فردة - قد أبطل دائما أرسطو مذهب الجزء الذي لا يتجزأ لديمقريطس . ر . الطبيعة المرجع المذكور قبلا .

## مذاهب إكسينوفان

### الباب الثالث

نظرية إكسينوفان في حق الله - الأولية - القدرة - أحدية الله - يجب أن يتصور كأنه فلك - الله منزّه عن الحركة والسكون ومنزه عن أن يكون متناهيًا ولا لا متناهيًا .

١ - هو يقول أن يوجد من شيء فمحال أن هذا الشيء كان مخلوقًا مطبقًا هذا في حق الله مادام أنه يلزم بالضرورة أن كل ماهو كائن يتكون من الشبيه أو من اللاشبيه . وكلا الأمرين غير ممكن ، فانه باديء يده ليس تولد الشبيه من الشبيه أولى من أنه يلد الشبيه نفسه لأن هذا يخالف التضاد المتكافئ الذي بين المتساوين والاشباه . وثانياً ليس من الممكن أن غير الشبيه يخرج من غير الشبيه . فإذا كان ، في الحق ، الأقوى يخرج من الأضعف وإذا كان الأكبر يأتي من الأصغر والأحسن من الأقبج أو بالعكس الأقبج من الأحسن فيكون حينئذ الموجود يأتي من اللاوجود وهذا محال قطعاً .

٢ - إذا يلزم أن يستنتج من كل هذا أن الله أزلي . إذا كان الله هو سيد الموجودات فيلزم ، على رأى إكسينوفان ، أن يكون أيضاً أحداً لانه

§ ب ٣ مذاهب إكسينوفان - لا ريب في صحة هذا العنوان فإن أربعة المخطوطات مخطوطة سان مارك ومخطوطة اللاتيكان ومخطوطة أوربين ومخطوطة باريس تذكره بغاية الوضوح - وبعض مخطوطات أخرى فيها هذا العنوان الخطأ : « في زينون » . وإن بحث النظريات مثبت قطعاً أن الكلام إنما هو بصدد إكسينوفان ر . ما سبق في « التحقيق » .

§ ١ - هو يقول ليس إكسينوفان المذكور بالاسم هنا كما كان الأمر في ميليسوس ر . ما سبق ب ١ ف ١ . ولم أشأ أن أذكر اسمه في الجملة الأولى من هذه الرسالة ولكني سأفعل فيما بعد حتى تكون الفكرة أشد جلاء . - أن يوجد من شيء - هذا الشك ، فيما يرى « برنديس » مضاد لآراء إكسينوفان (Commentationes Elladicæ) ص ٢٧ ف ١ فهو يرى خطأ أن بداية هذا الباب تكرير لبداية الباب الأول على ميليسوس . مطبقاً هذا في حق الله - لا على العالم كما يفعل ميليسوس فيما يظهر . - تولد ... يلد - هذا التكرير هو في النص . - بين المتساوين - بالكلم - والاشباه . - بالكيف - وثانياً - أضفت هذه الكلمة لزيادة البيان .

§ ٢ - أن الله أزلي - أن اسم الأزلي هو الاسم الخاص لله في كثير من الأحوال فإن الله هو الوجود بذاته والذي كان موجوداً دائماً كما أنه يوجد دائماً . جاء في التوراة « أنا الموجود » . وإن فكرة إكسينوفان هي ها هنا تلك الفكرة بعينها . - على رأى إكسينوفان =

لو كان فيه اثنان أو عدة فمَنْ ثم لا يكون اذا سيد جميع الموجودات ولا أكبرها مادام من ثم أن كن واحد من هذه الموجودات المتكثرة قد يكون مطلقا مشابها له تماما . ان ما يحقق الله في الواقع والقدرة الالهية انما هو أن يتساط على وجه السيادة ولا يكون مسلطا عليه . أن يكون سيد الجميع وأقدرهم . وبالنتيجة مادام أنه ليس الاقدر فانه يفقد بنسبة ذلك شيئا من الوهيته . وان كانوا عدة وكان بعضهم أعلى أو أدنى من الآخرين من بعض الوجوه فأولئك ليسوا آلهة بعد . لان ماهية الاله ألا يعلو عليه أحد . وان كانوا عدة متساوين فمن ثم ليس هذا بعد طبع الاله الذي هو أن يكون الاحسن لان المساوى ليس بالبداة أقبح ولا أحسن من مساويه .

٣ - ولما كان الله هو حينئذ كما ذكر آنفا لزم ضرورة أن يكون واحدا والا لا يمكن أن ينفذ كل مايشاء . لا يمكنه ذلك مادام فيه آلهة اخر . فيلزم حينئذ أن يكون أحدا

٤ - ولانه أحد فهو مشابه لذاته على الإطلاق . يرى من كل جهة ويسمع من كل جهة وعنده جميع الجهات على مقياس واحد . والا لزم ان بعض اجزاء الاله تكون حاكمه ومحكومة على التناوب . وهذا ممتنع بين الامتناع .

٥ - ولما كان الله مشابها لذاته مطلقا ومن كل وجه لزم أن يكون فلكيا لانه ليس كذلك في جزء بعينه دون أن يكونه في أى جزء آخر لكنه كذلك في جميع الاجزاء بلا استثناء .

= لم يذكر النص اسم اكسينوفان وليس هنا الا اسم اضارة غير معين . ر . ماسبق  
ف ١ - أكبرها - عبارة النص بالضبط « أحسنها » . ويلزم أن يلاحظ أن تدليل اكسينوفان هذا متين منانة وجلي جلاء . وقد نعلم بنحو فرن مذاهب سقراط وأفلاطون ويجب الاعتقاد بأنه رشح لتلك المذاهب . وكثيرا ما اتهم اكسينوفان بالشرك ولكن هـ ذا الشرك لا أثر له ها هنا . لاذ كان الله مدمجا في العالم فلا محل للقول بأنه المولى والقادر على كل شيء . - لان ماهية الاله - كما يستطيع عقل الانسان أن يفهمها .

§ ٣ - لزم ضرورة أن يكون واحدا - الادلة اللاحقة ليست أقل في قوتها من السابقة . فان قدرة الله الكاملة تستتبع وحدانيته . وان الذي حصل هنا هو فكرة اكسينوفان دون عبارته . وقد حاول ملأخ أن يقوم الابيات في هذا الموطن وقد فوم ثلاث منها ولم يذكرها طبعاً في قطع اكسينوفان .

§ ٤ - يرى من كل جهة - كان يمكن المؤلف أن يذكر بيت اكسينوفان بنصه الذي حفظه لنا أيضا « سكستوس امپيريكوس » . Adversus mathenoticos Physicos  
ك ٩ ف ١١٤ ص ٥٩٦ طبعة ١٨٤٢ ينتقد سكستوس امپيريكوس وصف الاله هذا ويرى أنه لا ينبغي أن يسند اليه الا حاسة واحدة البصر مثلا .

§ ٥ - أن يكون فلكيا - تلك هي استمارة جاء بها اكسينوفان بعد أن عاب هو نفسه الصور الباطلة التي بها يحاول الضعف الانساني أن يتجمل بها الله . الله هو الملك الذي =





٨ - فانظر كيف يزعم اكسينوفان أنه يلزم شيثان على الاقل أو أكثر من واحد لكي توجد الحركة ، وأن اللاشيء هو في سكون ولا متحرك ، وأن الاحد على ضد ذلك لا يمكن أن يكون في سكون ولا أن يكون في حركة لأنه لا يشبه اللاموجود ولا الموجودات المتكثرة .

٩ - ومن كل هذه الوجوه فهذا - على رأى اكسينوفان - هو الله أزل أحد متشابه من كل جهة وفلكي لا لا متناه ولا متناه لا هو في سكون ولا هو في حركة .

---

= في اللا موجود - عبارة النص بالضبط « نحو اللا موجود » . وهو ما يظهر لي قليل الضبط .

§ ٨ فانظر كيف يزعم اكسينوفان - عبارة النص غير معينة وليس هنا اسم اشارة ولكن صوغ الجملة بصيغة الحال يستتبع أن العبارة هي تحصيل فكرة اكسينوفان . - على الاقل .. أضفت هاتين الكلمتين - اللاشيء - هذا هو لفظ النص بعينه . - لأنه لا يشبه ... - قد يكون الدليل غير قوى فيما يظهر بسل يمكن أن يعلو الموجودات الى اللا نهاية من غير أن يشبهها بوجه ما .

§ ٩ - على رأى اكسينوفان - الملاحظة عنها التي أبدت في الفقرة السابقة . فان اكسينوفان لم يسم هنا أيضا ولكن لا شك في أن الامر بضده .

## الباب الرابع

ابطال نظريات اكسينوفان - استشهاد من ميليسوس - كيف يلزم أن يعنى بقدره الله - الله ليس فلكيا - أنه لا متناه - وحدانية الله ليست متناهية لكونه متناهية - في نفى الحركة عن الله في الحركة التي يمكن أن تصورها في حق الله استشهاد من زينو .

١ - نبيه تنبيهها أولا ، وهو أن اكسينوفان كميليسوس يفترض أن كل مايولد ويصير يتولد من الموجود . ومع ذلك فماذا يمنع من أن مايولد لا يولد لا من الشبيه ولا من اللاشبيه بل يولد من اللاموجود ؟ ولكن الله ليس لا مخلوقا أكثر من الباقي اذا كانت كل الاشياء آتية من الشبيه أو من اللاشبيه . ذلك هو مالا يمكن . وبالنسبة إما أنه لا شيء خارج عن الله وإما أن يكون سائر الاشياء هي أيضا أزلية .

٢ - ولكن اكسينوفان يقبل فوق ذلك أن الله هو المولى . يريد بذلك أن يقول انه الاقدر والاحسن . ليس هذا مايعتقده العامة وانهم ليقبلون أن الالهة في كثير من الاشياء أعلى بعضها من بعض . على ذلك لم يستعز اكسينوفان هذا الرأي الجريء من اجماع العامة . ولكن متى قيل ان الله هو القادر على كل شيء فليس معناه أن هذا هو طبع الله بالنسبة لواحد آخر بل هذا هو شأنه الخاص بالنسبة لذاته . أما في علاقته مع الغير فمن الجائز تماما أن الله لا يقدر عليه بعلمه وقوته التي ليس لها من شبيه بل بضعة الاغيار . وأنه لا أحد يعنى على هذا الوجه قدرة الله بل

§ ١ - كميليسوس - ما هنا ميليسوس مذكور بالاسم وهذا دليل آخر على أن الجزء الاول من هذه الرسالة خاص به . ما سبق به ١ ف ١ والتحقيق . يفترض - عبارة النص هي على هذا المقدار من القوة . يولد ويصير - ليس في النص الا كلمة واحدة . - ولا من اللاشبيه - هذه الكلمات التي ليست في المخطوطات قد وضعها ملأخ تبعا لترجمة فيليبسيانو . - ولكن الله ليس لا مخلوقا - يظهر أن هذا هو رد من أرسطو على مذهب اكسينوفان . ولكن من الجائز أيضا أن يكون ردا من اكسينوفان موجها للنظريات المضادة كنظرياته . - لا شبيه خارج عن الله - هذا الرأي هو من الآراء التي يمكن انها سميت الهام اكسينوفان بالشرك . « خارج عن الله » هي رواية مخطوطة لبيزج وقد كانت موجودة في ترجمة فيليبسيانو كما نبه اليه ملأخ بحق .

§ ٢ - اكسينوفان يقبل - كذلك ليس هنا اسم اكسينوفان أيضا . ما يعتقده العامة - أو « ما يجب أن يكون معتقدا طبقا للقانون » . أعلى بعضها من بعض - كذلك الاله « مارس » هو أشمسد الالهة حربا واشجهم و « زهرة » أجمل الالهات و « ميثرة » أحكمهم و « أبلون » أعلمهم . الخ . - لم يستعز اكسينوفان - لم يذكر هنا أيضا اسم اكسينوفان ولكن هذا مدح جميل لمذهبه وللمجته . فانه كان ضد الآراء الشائعة في زمانه . =

يقدم الناس أن الله له بذاته كل ما يوجد من الاحسن وأنه منزّه عن النقص  
أيّا كان ، وإن له كل ما هو طيب وجميل . وبهذه الكمالات كلها فله أيضا  
كمال القدرة الكاملة .

٣ - حقا أنه قد يمكن أيضا التسليم بوجود آلهة متعددة موصوفة  
بالصفات عينها جامعة بين أكبر الكمالات الممكنة مادام أنها أكبر قدرة من  
سائر الموجودات دون أن يكون بعضها أقوى من البعض الآخر ولكنه يوجد  
أيضا على ما يظهر موجودات أخرى غيره .

٤ - قى الحق هو بزعم أن الله هو القدير ، ويلزم ضرورة أن يكون  
أقدر من بعض الموجودات . ولكن بهذا السبب وهو أن الله هو الاحد  
لا يلحق أن يقال أنه يصير من كل ناحية ويسمى من كل ناحية لأنه ليس  
لأنه قد لا يصير من الجزء الفلاني أو الفلاني أنه لا يصير من الجزء الفلاني  
أنه لا يصير من ذلك الجزء منه . بل ربما أيضا حشما بقا ، أن الله وحده  
من كل جهة كان من ذلك بالسمطة أنه بهذه الطريقة يكون أيضا كمالا  
مادام أنه متشابه في جميع أجزائه .

٥ - إذا كان الأمر كما قرر آنفا فلماذا يعطى صبرة ذلك ؟ لماذا لا  
يكون أولى به شكرا آخر مادام أنه يسمى من كل جهة ويرى من كل جهة؟  
لأنه كما أننا نحقق أن الاسبيداج أبيض في كل فراحيه لا نريد أن

= - بالنسبة لواحد آخر - كان هذا التبدل غاية في التعقيد وتعطى فكرة سامة عن  
عقله والاسبيداج . - ليس لما من شيء أضفت هذه الكلمات . - فله أيضا  
كمال القدرة الكاملة - ليس النص على هذا القدر ان الطرقة . فإن عبارته فيها ما فيها  
من الابهام . ولكن المعنى لا ريب فيه .

٦ - حقا أنه قد يمكن أيضا التسليم - هذه هي الثالثة - بالجملة هذه هي  
وله أن آلهة ذلك الشارع أيضا بعض القدرة فإن كانت هي هي الأكبر ، والآلهة ، بينهم جميعا .  
- موجودات أخرى غيره - أو « موجودات أخرى غيرهم » وقد أثبتنا أن ذلك لا بد من أن  
أرجع الضمير إلى الله عندما عن الآلهة .

٧ - هو يزعم - حافظت على دسنة النص عوضا عن أن أكرر اسم اكسينوفان .  
- من بعض الموجودات - هذا هو اصلاح من عند ملانخ وهذا الاصلاح ضروري ، فربما  
يظهر ، ولو أنه لا تجبزه أية مخطوطات . ولكن فليسنا في ترجمته كان لديه رواية من  
هذا القبيل فيما يظهر . أن الله هو الاحد - كما يدعى اكسينوفان . - من الجزء الفلاني  
أو الفلاني - ليس النص على هذا القدر من الضبط .  
- متشابه في جميع أجزائه - لا شك في أن اكسينوفان يريد أن يقول بالسمطة  
أن الله شاهد في كل مكان .

٨ - كما قرر آنفا - على حسب نظرية اكسينوفان . - صورة فلك - هذا في  
الحق ملتبس مضاد لآراء الفيلسوف الذي يعيب الصفات والصور التي يستند عليها العامي إلى

نعني شيئاً آخر الا أن يكون البياض منتشرًا في جميع أجزائه ، كذلك ما الذي يمنع حينما يقال ان الله يرى ويسمع ويتسلط من كل مكان أن يفهم أن أى جزء من الله كيفما اتفق ، له دائماً هذه الصفات ؟ ولا يلزم لذلك بعد أن يكون الله فلكياً كما لا يلزم أن يكونه الاسبيداج .

٦ - وفوق ذلك كيف يمكن أن الله من حيث هو جسم ومن حيث ان له عظمًا لا يكون متناهيًا ولا لامتناهيًا مادام اللامتناهي إنما يقع على ما ليس له حد مع قابليته لأن يكون له حد ؟ فإلا الحد يجب أن يقع على العظم وعلى العدد وعلى كل كمية . . ايا كانت بحيث ان عظمًا واحد له هو يسمى لامتناهيًا .

٧ - ومتى جعل الله فلكياً فمن الضروري أن يكون له حد لان له نهايات مادام أن له مركزاً على أبعد مسافة ممكنة من الحد . وإذا لابد له من مركز مادام فلكياً ، اذ أنه يعنى بفلكي ماله مركز على مسافة متساوية من النهايات . ولا فرق بين أن يقال ان للجسم حداً وأن له نهايات .

٨ - اذا كان اللاموجود لا متناهياً فإم لا يكون الوجود لامتناهيًا كذلك ؟ ما المانع أن يكون للموجود ولللاوجود بعض كيوف مشتركة

= "الالهة" . ذلك هو أيضا قليل الشبه بالمعقول كمنهيب المشبهة المعروف . - يسمع من كل جهة - الفلك هو الوحدة وهذا التصوير لا يتفق ومعنى أن الله لا متناه . - ان الاسبيداج أبخس في كل نواحيه - هذا التشبيه بالاسبيداج ليس منقاداً ويظهر عليه نوع من الشغل . - أى جزء من الله كيفما اتفق - هذه النظريات ينبغي أن تظهر أشد ارتقاء عن الزمان الذي كان يقررها فيسه اكسينوفان . ولا يمكن السك في انها نظرياته مع المشاهدات التي نقلها لنا الزمن القديم أجمع . - أن يكونه الاسبيداج - راجع ملاحظتنا على التشبيه بالاسبيداج . ومع ذلك فان الفكرة صحيحة في موضوعها ولو كان في شكلها شئ من الشذوذ .

٦ § - وفوق ذلك - رد جديد من المؤلف على نظريات اكسينوفان . - متناهيًا ولا لا متناهيًا - في الحق من المحال على عقلاً أن يفهم الله الا على جهة اللامتناهي . - ما ليس له حد - هذا حق ولكن ماسيلى ليس كذلك حقا فان ما هو قابل لأن يكون له حدود لا يمكن أن يكون أبدا لا متناهيًا حتى ولو لم يكن له حدود . وهذا ليس الا اللام محدد واللامعين . - عظمًا لا حد له هو يسمى لا متناهيًا - وربما كان الاولى أن يقال « كما » وحينئذ يكون التعبير أعم .

٧ § - ومتى جعل الله فلكياً - لبس النص على هذا القدر من الصراحة . - فمن الضروري أن يكون له حد - هذا يناقض فكرة لا نهاية الله ، والرد شديد القوة . - أنه يعنى بفلكي - هذا في الواقع هو تعريف الفلك كما هو تعريف الدائرة على السواء بفارق واحد هو ما بين الجسم وبين السطح . - حدا . . . نهايات - هذا التماثل موجود في اللغة الفرنسية كما هو في اللغة الإغريقية لانه في اللهن دون أن يكون في اللفظ فقط .

٨ - اذا كان اللاموجود لا متناهيًا - هذه الرواية هي التي كانت عند فيليسيانو كما تدل عليه ترجمته وهي الوحيدة التي يمكن قبولها بالنظر الى سياق النص وأن كانت =

ومتماثلة ؟ فانه لا يمكن فعلا أن يحس الوجود . وكيف يحس ما ليس موجودا . وكذلك يمكن تماما ألا يحس فعلا ماهو موجود . يمكن قول الاثنين معا ونصورهما معا الوجود ليس ابيض ولكن هل ينتج من ذلك وجوب القول بأن كل الموجودات بيض حتى لايسند شيء واحد الى الموجود والى الوجود ؟ أو لا يمكن أن يوجد بين الموجودات واحد لا يكون أبيض ؟ وإذا كان الامر هكذا على نقيض القاعدة العتيقة أن الموجود لا ينحصر في أن يكون له أكثر منه في ألا يكون له فالامتناع قد يقبل أيضا سلبياتيا . وبالنتيجة فالموجود أيضا يمكن أن يكون لامتناهيا أو أن يكون له حد .

٩ - ولكن ربما يكون من غير المعقول أن تلزق اللانهاية بالاموجود . فانه لا يمكن أن يقال على كل شيء انه لامتناه لا شيء إلا لانه ليس له حد ، كما أنه لا يقال مثلا على الوجود انه غير متساو .

١٠ - ولكن بما أن الله واحد فلماذا لا يكون له حد ؟ لا شك في

= لا توجد في المخطوطات . - بعض كيوف - « أو حالات » عبارة النص غير محرومة . - يحس ما ليس موجودا - تلنت واجبا على أن أضيف هذه الجملة . فان هذا التكرير ليس في النص . - الاثنين - اللذين بنطبقان على السواء على الوجود وعلى الوجود . وفي الحق أن ما لا يحس وما لا يدرك بوجه ما هو بالنسبة لنا كانه لا موجود ولو كان موجودا انه بالنسبة لنا هو الوجود ولو لم يكن في الواقع . - وجوب القول - ليس النص على هذا القدر من السعة .

- لا يكون ابيض - كما أن الوجود لا يكون كذلك . - سلبياتيا - ليس المعنى بين الظهور لأن اللامتناه ليس هو ذاته سلبي . فانه لا سلبي إلا في الوجود واللا معين . وقد يمكن التبدل من جهات نظر شتى على أن اللامتناه اقصى وجودا من المتناهي أو بالأولى هو الموجود الحقيقي الوحيد . من هذا ترى كيف أن الله هو لا متناه من أية ناحية يعتبره عملنا الضعيف سواء في الزمان وفي المكان وفي القدرة وفي العدد وفي الرحمة . . . الخ . - القاعدة العتيقة - لا أعرف مؤلفا آخر قد ذكر هذه القاعدة . وربما كان لهذا المعنى آخر غير المعنى الذي اخترته وقد يعنى به بالبساطة « على ضد ما ذكر آنفا » . وكنت أخاف هذا المعنى إذا كانت هذه العبارة كررت ولو بجزئها فما تقدم ، ولكن لا أراها جلية فيه . - وبالنتيجة فالموجود أيضا يمكن أن يكون لا متناهيا - لا يظهر أن هذه النتيجة لازمة ولكن الفكرة صادقة . فانما الموجود في الواقع هو اللامتناه في حين أن الوجود لا يمكن أن يسمى بهذا الاسم إلا بالنسبة للوجود الذي هو سلبي له .

٩ - أن تلزق - يظهر لي أن هذا النوع من الابتذال موجود أيضا في النص . - اللانهاية - والاحسن : « معنى اللانهاية » . - لا شيء ، إلا لانه ليس له حد - بين أن الفرق كبير جدا بين اللامتناه واللا محدود . - مثلا - أضفت هذه الكلمة .

١٠ - لا شك في ذلك ولكن لا يمكن أن يكون له حد . - ليست عبارة النص على هذا المقدر من البيان ولكن المفكرة بينة فيما يظهر ولو أن المخطوطات ليست متفقة =

ذلك ولكن لا يمكن ان يكون له حد، تلقاء اله آخر . اذا كان الله واحداً كله  
فيلزم أن تكون جميع أجزاء الله لا تكون أيضاً الا وحدة محضة . لانه  
لا يفهم ، اذا كانت الاشياء المتكثرة يحد بعضها بعضاً بالتبادل ، انه يلزم  
على ذلك أن الواحد يكون لا حد له . لان الكثرة والوحدة لهما عدة محمولات  
متشابهة تماماً والموجود مشترك بين احدهما وبين الأخرى . فقد يكون  
من الغريب ان يذهب الى انكار وجود الله ، مادام وجود الكثرة امراً مستمراً  
حتى لا يشبه الله الاشياء في هذا المعنى .

١٦ — لماذا الله مع كونه واحداً لا يكون متناهياً ولا يكون له حدود  
كما يقوله برمينيد وهو يعترف بالله بالوحدانية حين يشبهه

«بالفلك المستدير تماماً والمتساوي في جميع النقط ابتداء من المركز...»

في الواقع أن شيئاً يمكن أن يكون له بالضرورة حد من غير أن  
يكو ذلك بالاضافة الى شيء ما . كما انه ليس من الضروري ان  
ماله حد يكون له حد اضافي كالمتناهي بالنسبة لغير المتناهي الذي يليه .  
أن يكون متناهياً انما هو أن يكون له نهايات ، ولكن ماله نهايات ليست  
له بالضرورة بالنسبة الى شيء ما . بل يوجد بعض أشياء تكون معاً متناهية  
وملازمة شيئاً ما ، ولكن من الاشياء أيضاً ماهي متناهية وليست كذلك  
بالاضافة الى شيء ما .

= الرواية ١٠ — تلقاء له آخر — عبارة النص « تلقاء اله » ومع ذلك فان كل هذا الموضع قد  
أصلح تبعا لما ارتأى « برالدينز » وتبرره ترجمة فيليبسيانو .

— وحدة محضة — في هذا ما في الملاحظة السابقة . — الواحد يكون لا حد له —  
لن ها هنا رواية أخرى ولكن الفكرة لبست جلية البيان ولو أن العبارة ذاتها جلية  
فان الموجود مفهوم على جهة الوحدة التي تشمل الكل هو بالضرورة لا متناه . — الكثرة  
والوحدة — ر ١٠: ما سبق ب ٨ حيث الموجود واللا موجود مقارنان أيضاً في هذا المعنى .  
— وجود الله ١٠٠٠ وجود الكثرة — هذا التكرار هو في النص . — في هذا المعنى — عبارة  
النص هي كذلك مبهم . والتناقض المتعارف اليه ها هنا قد تكرر في نظريات الاسكندرانيين  
وقد ذهبوا فيه الى حد انكار الوجود على الواحد كما كانوا يتصورونه مع اثباتهم الوجود  
للأشياء الجزئية .

١٦ — كما يقوله برمينيد — هذا البيت قد ذكره أرسطو بجزئه في الطبيعة  
د ٣ ب ٩ ف ٤ ص ١٦٦ من ترجمتنا . ر . أيضاً مقطوعات برمينيد البيتين ١٠٣  
و ١٠٤ طبعة فيرمين ديدو . — ابتداء من المركز — أو « من مركزه » هذا هو تعريف  
الفلك كما تعطيه الهندسة — من غير أن يكون ذلك بالاضافة الى شيء ما — الظاهر على  
ضد ذلك أن معنى الحد يستتبع ضرورة معنى الاضافة . — حد اضافي — أو بالاضافة الى  
شيء ما . — وملازمة شيء ما — هذا هو معنى المتناهي بعينه . — وليست كذلك بالاضافة  
الى شيء ما — كان ينبغي أن يذكر المؤلف هذه الاشياء على نحو اضبط من هذا .

§ ١٢ - ومن جهة نظر أخرى القول بأن الموجود والاحد ليسا  
لا متحركين ولا يتحركان مع ذلك بحجة ان اللاموجود لا يتحرك انما  
هو قول من الغرابة بمكانة ماسبقه على الاقل . انه لا تماثل قطعاً ،  
كما قد يمكن ان يظن ، بين ان يقال ان شيئاً لا يتحرك وبين ان يقال انه  
لامتحرك . فمن جهة انما هذا هو سلب للحركة على جهة ما يقال على  
شيء انه لا يكون مساوياً وهذا يمكن ان يصدق حتى على اللاموجود ، في  
حين انه من جهة أخرى يقال على شيء انه لا يتحرك لانه فعلاً على حال  
ما ، كما انه يقال على شيء انه لا مساو ، فهنا السكون هو ضد الحركة  
كما ان على العموم جميع السلوب المكونة من همزة الازالة تنطبق على  
اضداد . حتى انه يقال على اللاموجود انه لا يتحرك ولكنه ليس حقاً  
ان يقال على اللاموجود انه في سكون . كما انه لا ينبغي ان يقال انه  
لامتحرك وهذا ماله المدلول بعينه . ولكن اكسينوفان يستعمل في  
حق اللاموجود لفظ السكون ويقول ان اللاموجود هو في سكون لانه  
لأنقطة له .

§ ١٣ - وكما قلنا آنفاً قد يكون من الخطأ الجزم - لا لشيء سوى ان  
محمولاً يصلح حملة على المعدوم - بأن هذا القول لا يكون صالحاً بعد  
لحمل على الموجود خصوصاً اذا كانت الكلمة التي تستعمل لذلك ليست  
الا سلباً نحو قولهم : لا يتحرك ولا ينتقل ؛ فاني اكرر ان كثيراً من

§ ١٢ - ليسلا متحركين ولا يتحركان مع ذلك - ر . ما سبق ب ٣ ف ٧ وربما كان  
يلزم وضع صيغة المفرد موضع صيغة المثني فان الموجود والواحد متجانسان كلاهما . ان شئنا  
لا يتحرك وبين ان يقال انه لا متحرك - في اللفظة العادية لا فرق بين هذين التعبيرين . ولكنه  
يمكن أيضاً تمييزهما كما قد كان ههنا . فمتى يقال على شيء انه لا يتحرك فذلك بان في  
طبيعته امكان التحرك ومتى يقال على ضد ذلك : انه لا متحرك فذلك بما انه متمتع بالحركة  
على الاطلاق . وههنا يمكن ان يصدق حتى على اللا موجود - ولو ان اللا موجود بكونه لا  
شئاً يمكن ان يوصف بكل كيف او ان يسلب كل كيف على السواء . - لانه فعلاً على حال  
ما - العبارة مبهمه ولم اشأ ان احررها . - كما ان على العموم جميع السلوب المكونة -  
ربما لم يكن هذا الا تذبذبا اضافته بعض المفسرين . - انه لا يتحرك - يعنى انه دائماً ينبغي  
ان يتكلم على اللاموجود بالصيغة السلبية . ومتى يقال على الضد من ذلك «موجود مساكن»  
«موجود لا متحرك» فتلك اجابات لا يحتملها اللا موجود . وكل ذلك غرض دقيق . وهذا  
ماله المدلول بعينه - ناعتبار ان لا فرق الا في شكل العبارة بعض الشيء . - اكسينوفان -  
عبارة النص هي «هذه ر . ب ٣ ف ١ وبه اف ا»

§ ١٣ - وكما قلنا آنفاً - ر . ما سبق ف ٨ وف ١٢ - ليست الا سلباً - سلباً له  
بالتحفة علاقة باللا موجود أكثر منها بالموجود - اكرر . - ر . ما سبق ف ٧ و ٨ - ايضاً  
على الموجودات التي يمكن حملها على اللا موجود . - ليست آحاداً - أى لا تكون وحدة .  
وكل الاشياء النسخية هي في هذه الحالة . تنتج الاضداد فيما يظهر - قد كان ينبغي ان  
يقال « الاضداد أعينها » كما يظهر ان ذلك ينتج من الامثلة المضروبة . - اما حركة واما



المجموعات ما يجوز جملة أيضا على الموجودات لانه يوجد أشيائه كثيرة لا يصدق عليها القول بأنها ليست أحادا بحجة أن المعلوم ليس واحدا . ثم انه يوجد اشياء فيها السلوب بعينها تنتج الاضداد فيما يظهر . فمثلا من الضروري أن يوجد اما مساواة واما لا مساواة ما دام هناك كم ؛ وانه كذلك يوجد اما زوج واما فرد مادام هناك عدد . وكذلك ايضا يلزم ان يوجد اما حركة واما سكون ما دام هناك جسم .

§ ١٤ - غير أنه اذا قيل أن الله والأحد لا يتحرك البتة لان الاشياء المتكثرة تتحرك بعضها نحو البعض الآخر ، فما الذى يمنع أيضا أن الله يتحرك بأن يسعى نحو شيء آخر ؟ هذا قطعاً ليس لانه ليس الا الله بل لانه لا واحد احد الا الله . واذا لم يتحرك هو ذاته فما المانع ان اجزاء الله تتحركها بعضها نحو بعض أن يكون الله هو أيضا له حركة دائرية ؟

§ ١٥ - لكن على هذا لا يكون بعد واحد كما يعنى زينون انما هو متعدد كما قد نبه اليه ، لان زينوناً يقرر أن الله جسم سواء جعله هو الكل الذى نرى أو سماه باسم آخر . واذا كان الله لا جسمانيا فكيف يكون فى الواقع فلكيا ؟ ويلزم أن يكون لا جسمانيا أعني لم يكن أصلا لكى لا يكون له حركة ولا سكون . واذا كان جسميا فما المانع أن يتحرك كما قد قيل ؟

= سكون - هذه النتيجة ليست أقل ضرورة من الاثنتين الاخرين . غير أن المقابلة الصريحة لا توجد الا فى المثل الاول حيث المساواة والا مساواة معبر عنهما بكلمتين أصلهما واحد ولا تختلفان الا بالسلوب وفى المثل الثانى والثالث والكلمات مختلفة ولها جميعا صورة الايجاب ولم أستطع فى لغتنا « الفرنسية » أن أحصل هذه الفروق مع شدة رغبتى فيها .

§ ١٤ - لا يتحرك البتة - قد حفظت صيغة المفرد لأن الله والأحد متحدان - . بأن يسعى نحو شيء آخر - قد حافظت على تردد النص ولكن الفكرة ليست صحيحة لأن الله بأنه فى كل مكان لا يمكن أن يتحرك كالموجبات الجزئية لهو مكان لم يكن فيه . ليس الا الله - الفكرة تبقى غامضة كالعبارة خصوصا متى اذكر ان اكسينوفان فيما سبق قد جعل الله على كل شيء قديرا .

اجزاء الله - هذا فيما يظهر ادماج الله والعالم كما قد اتهم به اكسينوفان - . له حركة دائرية - باعتبار ان الحركة الدائرية هى وحدها التى يمكن ان تكون لا متناهية وأزلية . الطبيعة كـ ٨ ب ١٢ ص ٥٢٩ من ترجمتنا .

§ ١٥ - زينون - ان ذكر زينون بالصراحة يجيز الاعتقاد ، فيما يظهر ، بأن هذه الرسالة يجب ان يكون لها جزء رابع فيه الكلام على زينون كما ان الكلام فى الثلاثة الاخر على مابليسوس واكسينوفان وجرغياس ر . ما سبق فى التحقيق - انما هو متعدد - الترجمة الحرفية للنص هى « كثير من الاشياء » - الذى نرى - ليس النص على هذا القدر من الضبط يكون فى الواقع فلكيا - كما فيما سبق فـ ١١ فى بيت برمينيدس - ان يكون لا جسمانيا - هذا هو بالضبط ما يؤيده ارسطو فى الباب الاخير من الطبيعة فـ ٢٦ ص ٥٦٩ من ترجمتنا . كما قد قيل - أو « كما قد قلت آلفاء »

# مذاهب غريغياس

## الباب الخامس

النظريات الثلاث الاصلية لغريغياس : على الوجود وعلى امتناع العلم وعلى نقل العلم - على النظرية الاولى يجمع غريغياس بين الراء الساجلة - ميليسوس وزينون - بسط مذهب غريغياس في امتناع الوجود والمعدوم على السواء .

§ ١ - هو يقرر ان لا شيء بموجود حقيقة ، وانه ان يوجد من شيء فهذا الشيء يبقى مجهولا عندنا ، وانه ان يوجد شيء ويمكن لامرئ العلم به فانه لا يمكن التعبير عنه للاغيار .

§ ٢ - فيما يتعلق بهذا القول الاول الذى هو ان لا شيء بموجود حقيقة يؤلف غريغياس بين نظريات فلاسفة آخرين ، اذ يقررون افكارا متناقضة في امر الحقيقة كما تظهر لنا . اعتقدوا : هؤلاء انه لا شيء الا الوحدة وان الكثرة ممنوعة ؛ واولئك ، على ضد ذلك ، ان الكثرة وحدها هى الحقيقة وان الوحدة ليست حقيقة . ذلك بان بعضهم يرون الاشياء غير مخلوقة والآخرين يرونها مخلوقة .

§ ٣ - يؤلف غريغياس بين هذين الرأيين ليدلل هكذا ، « يقول انه يلزم ضرورة ان كان شيء موجودا ان يكون هذا الشيء لا واحدا ولا كثره ، وان تكون الاشياء لا غير مخلوقة ولا مخلوقة . وحينئذ لا شيء بموجود . اذا كان في الواقع شيء فيلزم ان يكون اما احدهما واما الاخر » . فاما

§ ١ - هو يقرر - ر . ما سبق ب ١ ف ٣ وب ٣ ف ١ . غريغياس ليس مذكورا هنا وشاه في ذلك شان ميليسوس وراكسبنوفان . ولكن بمخطوطة ليبزج عنوان هذا الجزء من الكتاب : « فى ارسطو طاليس على غريغياس » ولا يمكن ان يكون ها هنا اقل شك فى امر الفيلسوف الذى يخصه هذا التحليل ر . لا شيء بموجود حقيقة - ر . فيها سبق ب ١ ما يتعلق بميليسوس وفما بعد تحليل سكستوس امپيريكوس لمذهب غريغياس .

§ ٢ - غريغياس - ل هذه الفقرة ايضا لم يسم غريغياس وليس بها الا فعل مستدالى ضمير الغائب . كما تظهر لنا - او « كما تظهر لهم » . يرونها مخلوقة - ر . كتاب السماء ١٠ ب ١٠ ص ٨٣ من ترجمتنا .

§ ٣ - يؤلف غريغياس - كذلك هنا لم يسم غريغياس . - يقول . . . لا واحدا ولا كثره - ر . ما سئل . تحليل سكستوس امپيريكوس فى اوله . - ان يكون اما احدهما واما الاخر قد حفظت عبارة النص فى ترجمتها كلة . وبعبارة اخرى ويلزم ان يكون ما كان

انه لا وحدة ولا كثرة وان الاشياء ليست الا مخلوقة ولا غير مخلوقة فانه يحاول ايضاح ذلك اما كميليسوس واما كزينون بعد برهانه الخاص به اذ اثبت على طريقته ان الموجود واللاموجود لا يوجدان لاحدهما ولا الاخر .

§ ٤ - فعنده أنه اذا كان ممكنا ان اللاموجود يكون اللاموجود فيكون اللاموجود ليس بأقل وجسودا من الموجود . لان هذا اللاموجود يكون اللاموجود ، كما ان الموجود يكون الموجود ، بحيث انه لا يمكن أن يقال على الاشياء انها تكون بأقوى من أن يقال عليها انها لا تكون .

§ ٥ - يقول غريغياس : « اذا كان اللاموجود موجودا فمن ثم لا يكون الموجود بعد ، مقابلة لانه اذا اللاموجود يكون فيلزم ان المرجود لا يكون . وبالنسبة انه لا شيء بموجود ؛ الا أن يكون الموجود واللاموجود شيئا واحدا بعينه . ولكن انما هما في الواقع شيء واحد ومن ثم لا يوجد شيء . لان اللاموجود ليس يكون ، فالموجود ليس يكون كذلك ما دام أنه مماثل للاموجود » . هذا هو تدليل غريغياس حرفا بحرف .

اما واحد او كثرة . ويلزم ان يكون اما مخلوقا واما لا مخلوقا « . اما كميليسوس واما كزينون - من هذه الفقرة التي قد ذكر فيها ميلسوس وزينون بالاسم يمكن استنتاج هاتين النتيجةين : اولا ان الجزء الاول من هذا الكتاب يتعلق تماما بميليسوس ، وثانيا ان هذا الكتاب ناقص منه جزء كان فيه تحليل آراء زينون كما حللت آراء ميليسوس واكسينوفان وغريغياس . ر . التحقيق . ان الموجود واللاموجود - عبارة النص حرفيا هي « ان الموجود واللاموجود لا يكونان » .

§ ٤ - ان اللاموجود يكون اللاموجود - كل السفسطة تعتمد على فعل « الكون » مسندا الى اللاموجود . وما دام انه يقال على اللاموجود أنه كائن فيمكن ان يستنتج منه انه هو والموجود سيان . وذلك هي دفايق عبر جدية . وقد احسن افلاطون وسقراط في انهما سخرا بهذه السفسطة . ان يقال على - ليس النص على هذا القدر من الصراحة .

§ ٥ - يقول غريغياس - ليس في النص الا ان الفعل مسند الى ضمير الغائب ولم يسم غريغياس ولكن اضطررت لاطهاره لبيان الفكرة في الترجمة . مقابلة لفظة المقابلة اعم من التضاد - ر - المقولات ب ١٠ ص ١٠٩ من ترجمتنا . شيئا واحدا بعينه . ويظن غريغياس انه قد برهن على انهما متماثلان . - ومن ثم لا يوجد شيء - قد يمكن ايضا ان يستنتج منه ان الكل موجود الموجود واللاموجود على السواء . وتكون هذه النتيجة صحيحة كالآخري . - حرفا بحرف - اضعفت هذا القيد لاحصل قوة النص الاغريقي .

## الباب السادس

نقض نظرية غريغياس الاولى - شاهد من ميليسموس وزيون - الموجود والا موجود لا يشتبهان . والحركة هي ممكنة - شاهد من مقالات لوكيبس - نقض نظرية غريغياس الثانية على امتناع العلم . ونقض النظرية الثالثة على امتناع نقل العلم بعينه كسبه - ايدان بان نظريات الفلاسفة القدماء ستدرس بعد دراسة خاصة .

١ - لا ينتج البتة من ادلة غريغياس ان لا شيء يوجد . لالك ترى كيف يدل على الاتشاء التي يحول ابياتها . اذا كان اللاموجود يوجد او بعبارة اعم لو ان اللاتشيء يوجد فالموجود هو كذلك اللاموجود على السواء .

٢ - ولكن لا يظهر البتة ان الامر هكذا ولا ان هناك ادنى ضرورة ان يوجد اللاموجود . لما يكون الحال في شيئين أحدهما يكون حقيقة والاخر لا يزيد على ان يظهر . فيلزم بالضرورة ان يكون أحدهما حقا والاخر ليس كذلك . كذلك من ان اللاموجود لا يوجد، لا ينتج أن الاثنين أو أحدهما يجب ان يكونا أو ألا يكونا . يقول غريغياس : لان اللاموجود ليس بأقل وجودا من الموجود اذا كان « ليس يكون » هو أيضا شيئا ما . لذلك لا يقال البتة ان اللاموجود يكون البتة بأى وجه كان فذا كان اللاموجود هو في حالة اللاموجود فحينئذ لا يكون اللاموجود على النحو الذي يكون عليه الموجود لانه ليس الا في حالة اللاموجود بخلاف الموجود فانه موجود فعلا .

١ - أدلة غريغياس - هنا أيضا ليس غريغياس مسمى . وليس في النص كما قد سبق الافعل مسند الى ضمير الغائب . يحاول اثباتها - عبارة النص بالضببط : « التي يبرهن عليها » . وقد ظهر لي أن أسلوب عبارتي أفضل . - لو أن اللا شيء يوجد - هذه عبارة النص نفسها وربما كان الاحسن أن يقال « اذا لم يوجد شيء » . - فالموجود هو كذلك اللاموجود على السواء - يعني ان الموجود هو اللاموجود كما هو الموجود على السواء .

٢ - أدنى ضرورة - أدنى ضرورة للبرهان الذي يلجئ الى الاستنتاج الموجه لجهة او لاخرى . - لا يزيد على ان يظهر - عبارة النص هي فقط « يظهر » . - من ان اللاموجود لا يوجد - عبارة النص ليست على هذا القدر من الصراحة . - يقول غريغياس - اسم غريغياس ليس مذكورا . - اذا كان « ليس يكون » هو أيضا شيئا ما - التناقض بين بيان حتى في الالفاظ ولكن السفسطائي ما كان لينظر في الامر عن كثب هكذا . - لا يقال البتة لا أحد الا السفسطائيين كغريغياس والاخرين يعني البتة بان يؤتى اللاموجود اقل حقيقة ولا ادنى وجود . - في حالة اللاموجود - انما يدور الاتهام على صيغة المصدر مادام أن اللاموجود هو اللاموجود فانه موجود في الحقيقة كالوجود سواء بسواء . - على النحو الذي يكون عليه الموجود الجواب ١ . . قاطعا .

§ ٣ - إذا كان حقا أن الوجود قد وجد بطريقة مطلقة فيكون على الأقل عجيبي أن يقال أن الوجود موجود . ولكن إذا كان هذا . هكذا بالمصادفة فكيف إذا يكون الحال أبدا بالنسبة للأشياء التي يرجع في أمرها أن تكون على ألا تكون ؟ لأنه يظهر أن النقيض نفسه قد يمكن أن يكون حقيقيا أيضا .

§ ٤ إذا كان الوجود يكون وكان الموجود يكون أيضا . إذا فكل موجود مادام أن كل ما هو موجود وكل ما ليس بوجود كلاهما كائن من غير فرق ، وأنه ليس من الضروري البتة إذا كان الموجود كائنا أن يكون الموجود غير كائن . عبثا يقال أن الوجود يكون والموجود لا يكون فإن ذلك لم يؤثر شيئا في أن جميع الأشياء موجودة ما دام أننا لو صدقنا ذلك القول لأصبحت الأشياء التي لا تكون كائنة

§ ٥ - ولكن إذا كان « يكون ولا يكون » شيئا واحدا فمن ثم لا يمكن أن يقال بعد على شيء أنه يكون كما لا يمكن كذلك أن يقال عليه أنه لا يكون لأنه كما أنه غريغاس يقرر أنه إذا كان الوجود والموجود هما شيئا واحدا ، فالموجود ليس يكون بأشده وجودا من الوجود بحيث ينتج أن لا شيء بموجود . كذلك يمكن أن يؤيد العكس أن الكل موجود لأنه لما أن الوجود هو كالموجود تماما فيستنتج منه أن الكل موجود بالحقيقة .

§ ٣ - قد وجد بطريقة مطلقة - أي على حد سواء هو والموجود ذاته - عجيبي ربما كان في الأسلوب الإغريقي نوع من التهمك يناسب في الواقع كل المناسبة الرد على هذه الدقائق في أمرها أن تكون على ألا تكون - هذا بين بذاته ولكن غريغاس إذا ينال الظفر وقد استنتج منه أن لا شيء بموجود . فالدليل حيث مزدوج الغاية فإنه يمكن أن يستنتج منه الوجود كما يستنتج منه الوجود سواء سواء - النقيض نفسه - يعني « نقيض ما يقال هو أيضا حقيقيا كالذي يقال » .

§ ٤ - الوجود يكون - كما يزعم غريغاس - كلاهما كائن - احتفظت بعبارة النص أن لم تكن قطعية فإن الوجود حقيقه كالموجود فإن السلب صادق كالإيجاب سواء بسواء . - من غير فرق - أضفت هذه العبارة التي تؤخذ من أسلوب النص . ليس من الضروري البتة - من حيث أن في نظريات غريغاس ، المتناقضات صادقة على السواء وإن الأمر وضده يمكن إقامة الدليل عليهما أحدهما كالأخر - لو صدقنا ذلك القول عبارة النص هي «على حسب دليل هذا» يعني غريغاس .

§ ٥ - شيئا واحدا - يعني في النظرية التي يعني المؤلف بإبطالها - أن يقال بعد - ليس النص على هذا القدر من الصراحة - كما أن غريغاس يقرر - عبارة النص هي «هذا» إذا كان الوجود والموجود هما شيئا واحدا بعينه - هذا هو أساس سنفسطة غريغاس . - أن لا شيء . - بموجود - وبعبارة أخرى أن لا شيء موجود لا صادقا ولا كاذبا - العكس - أو بعبارة أخرى «عكس القضية» - أن الكل موجود بالحقيقة - النص ليس على هذا القدر من السعة . ر . ما سئل في تحليل سكستوس أمبريكوس .

§ ٦ - بعد هذا الدليل هو يقيم دليلا آخر يقول : ان يوجد من شيء فاما ان يكون هذا الشيء لا مخلوقا واما ان يكون مخلوقا . فاذا كان لا مخلوقا فهو لامتناه ، على ما يعترض غريغاس بحسب مبادئ ميليسوس ولكن اللامتناه ليس في مكان ما ، ما دام انه ليس في نفسه ولا في غيره وحينئذ يكون اذا لا متناهيان أو عدة لا متناهيات هذا الذي في الآخر وذاك الذي الآخر فيه . ولما لم يكن في مكان ما فهو لا شيء ، على حسب أدلة زينون على حيز الموجودات . وبهذه الأدلة يستنتج غريغاس ان الموجود لا مخلوق .

§ ٧ - ولكن الموجود لا يمكن كذلك ان يكون قد خلق . فانه لا يمكن في الواقع ان يكون قد خرج من الموجود ولا من المعدوم . لانه اذا كان الموجود يسقط وهو مخلوق فلم يكن اذا الموجود ، كما ان اللاموجود لا يكون بعد اللاموجود من وقت ان يصير شيئا ما . ومن جهة أخرى الموجود لا يمكن أيضا ان يأتي من اللاموجود ، لانه اذا كان اللاموجود لا يكون فممتنع من ثم ان أيا كان يتولد من لا شيء . واذا كان بالمصادفة اللاموجود يوجد فان الاسباب التي تجعل الموجود لا يأتي من الموجود هي عينها تجعله لا يأتي أيضا من اللاموجود الذي هو كائن .

§ ٨ - فاذا كان حينئذ من الضروري ، ما دام ان شيئا ما موجود ، ان هذا الشيء يكون لامخلوقا أو مخلوقا وأن كلا الأمرين ممتنع ، فينتج منه أنه ممتنع أيضا ان يوجد أي شيء ما .

§ ٦ - على ما يفترض غريغاس - كذلك هاهنا ليس غريغاس مذكورا بالاسم . - ميليسوس - ميليسوس مذكور بالاسم صراحة . ما سبق به ٣ والتحقيق السابق . - ولكن اللامتناه ليس في محل ما - وبما هو ليس في مكان فيستنتج منه انه ليس موجودا البتة كما سيذكر فيما سيلي . زينون ٢٠ ما سبق به ٣ - على حيز الموجودات - زدت المضاف اليه الاخير . راجع فيما يتعلق بنظرية زينون الطبيعية لارسطو لك ٣ ف٦ ص ١٤٦ من ترجمتنا وبه ف١٠ ص ١٦١ - يستنتج غريغاس - ليس غريغاس مذكورا بالاسم والنص ليس على هذا القدر من البيان ٢٠ ما سيلي تحليل سكستوس امپيريكوس حيث هذا الدليل على بسطة من البيان .

§ ٧ - لا يمكن كذلك ان يكون قد خلق - أو انه قد صار - هذا هو الجزء الثاني من تدليل غريغاس - فانه لا يمكن في الواقع - على حسب تدليل غريغاس . - يسقط - هذه هي عبارة النص بعينها ، فان الموجود ليصير يجب أن يفقد كرامة الوجود ويبتدىء في الا يكون بعد ليصير شيئا ما . - اللاموجود لا يكون بعد اللاموجود - ولكن يظهر هاهنا ان اللاموجود عوضا عن ان يسقط فهو يسمى بوجه ما ليصير شيئا ما . وكذلك دقائق لفظة . أيا كان يتولد من لا شيء - هذا هو مبدأ ميليسوس ٢٠ ب ١ ف١ - بالمصادفة - أضفت هذه الكلمة .

§ ٨ - لا مخلوقا أو مخلوقا - ما سبق ف٦ وقد اضطرت الى استعمال لا مخلوق ومخلوق لأنني لم أجد خيرا منهما في لغتنا (الفرنسية) ولكنهما لا نحصلان بالضبط معنى الكلمات اليونانية . فان شيئا اذا صار فذلك بأنه ليس أزليا وبالاقل من جهة ان يصير وان

§ ٩ - يقول غرغياس : رُد على هذا انه اذا شيء يوجد فليزيم ان يكون هذا الشيء واحدا او كثيرة . فاذا لم يكن لا واحداً ولا كثيرة فينتج منه الا يوجد شيء . ذلك الشيء لا يمكن ان يكون واحداً ، لان « الواحد » يجب ان يكن لا جسمانياً واللاجسماني هو لا شيء ، كما يقول غرغياس متبعاً في ذلك رأياً يقرب كثيراً من رأى زينون . وبما ان الموجود لا واحداً ؛ فانه ليس ايضاً كثيرة من باب اولى . ولكن الموجود بما هو لا واحد ولا كثيرة فهو غير موجود البتة . وبالنتيجة يقول غرغياس ايضاً : اذا كان كذلك فما هو الا لا شيء . وفي الواقع اذا لم يكن لا واحداً ولا كثيرة فانهما هو ليس اياً كان .

§ ١٠ - يزيد على ذلك: لكن لا شيء ليس في حركة ، لانه اذا كان الموجود في حركة فلا يكون بعد هو ما هو . وحينئذ الموجود لا يكون بعد واللاموجود يصير شيئاً . وفوق ذلك بما أن الموجود يتحرك وينقطع عن ان يكون متصلاً بانتقاله فعلى هذا المعنى هو لا يكون بعد . وبالنتيجة اذا كان متحركاً في جميع اجزائه فهو منقسم في جميعها على الاطلاق ، واذا كان هكذا وليس موجوداً البتة . وفي هذا الصدد يقول غرغياس : أن الموجود هو

يتغير بالنتيجة . فاذا كان على الضد ازلما كان ليصير بل يبقى هو ما هو . - متنتع ...  
متنتع - هذا التكرير هو في النص . ر . فمما سيلي هذا التدليل مبسوطاً بأكثر من ذلك في تحليل سكستوس امبريكوس .

§ ٩ - يقول غرغياس - النص لا يذكر غرغياس بالاسم وليس به الا فعل مسند الى ضمير الغالب ر . فيما يتعلق بها الدليل الجديد تحليل سكستوس امبريكوس . - يقول غرغياس - ليس في النص اسم غرغياس . رأى زينون ر . ما سبق آنفاً فـ ٦ وبه فـ ٣ . - يقول غرغياس ايضاً - لم يسم هنا ايضاً .

§ ١٠ - لا شيء ليس في حركة - هذا الجزء من تدليل غرغياس ليس موجوداً في تحليل سكستوس امبريكوس . وربما كانت هذه الادلة ضد الحركة متعلقة بزينون اكثر من سملقها بفرغياس . ولكن لا شيء في النص يدل على أنه يلزم نسبتهما هنا الى زينون . - فلا يكون بعد هو ما هو - لأن الحركة تقتضي دائماً تغيراً . - وحينئذ الموجود لا يكون بعد اذا كان الموجود لا ينعدم بأكمله فبالاقل يفقد منه جزء ويكون هو الذي يصير غير ما كان . - وينقطع عن أن يكون متصلاً - لا يرى لشيء يمكن أن يكون هذا لازماً لان الموجود يمكن الا يفقد شيئاً من اتصاله بنقلته . - في جميع اجزائه - عبارة النص ليست بيئة جد البين . - يقول غرغياس - ليس في النص هنا ايضاً اسم غرغياس . - لوكيس فيما يسمى بمقالاته - يظهر أن المؤلف ، كما نبه اليه مللاخ ليس هنا واتفا من كتاب لوكيس . وه قطع ديمقريطس للملاخ ص ٣٧٤ ، يقول ديوجين اللايرني ٩ ف ٤٦ طبعة فيرمين ديدو ص ٢٣٨ ان ثيوفراست كان ينسب الى لوكيس كتاباً معنوناً «نظام العالم الكبير» الذي كان المعتقد دائماً انه لديمقريطس . ر . ايضاً فيما سبق آراء لوكيس على الخلق في كتاب الكون والفساد ١ ك ب ٨ ف ه ص ٨٩ وقد يظهر جلياً على حسب هذه الفقرة الاخيرة أن لوكيس كان قد كتب بعض مؤلفات يظهر ان المؤلف قد استخلص منها ما يعوله .

ناقص من جهة ما هو منقسم - وهو يتكلم على التجربة عوضاً عن أن يتكلم على الخلو كما كتبه لوكيبس فيتما يسمى بمقالاته .

§ ١١ - يظن غريغاس انه في هذا قد وفى البيان حقه . يقول : اذا ثبت حينئذ ان لا شيء فالكل حينئذ يعزب عن علمنا . فلم يبق بعد من ثم الا ما يتصور . واللاموجود ما دام أنه غير كائن فلا يمكن البتة تصوره . ومتى كان هذا كمن المحتمل ، على رأى غريغاس ، الا يكون هناك شيء باطل بل لا يكون خطأ ان يقال مثلاً : ان «العربات تدرج على امواج البحر» لان كل هذا حق كما أنه نقيضه حق .

§ ١٢ - ولكن كيف توجد الاشياء التى ترى أو التى تسمع بهذا السبب وحده وهو ان يتصور كل واحد منها ؟ فاذا لم يكن ذلك هو السبب الذى يجعلها تكون ، واذا كانت الاشياء التى نتصورها لا توجد من أجل ذلك أيضا ، فهل للاشياء التى نشاهدها وجود أدخل في باب الحقيقة والفعل من الاشياء التى نتصورها ؟

§ ١٣ - فى الواقع ، كما أنه ممكن جداً أن كثيراً من الناس يشاهد الاشياء فكذلك من جهة أخرى كثير من الناس يتصورها أيضاً . فالاشياء الذهنية هى اذا على الاطلاق مثل الاشياء الخارجية . ولكنه لا يدري أى الفريقين هو الحقيقى . وبالنتيجة ان يوجد من شيء فمن المحال ان تكون الاشياء معلومة لنا .

§ ١١ - غريغاس - ليس غريغاس مذكوراً هنا أيضاً بالاسم . - فالكل حينئذ يعزب عن علمنا - هذه هى النظرية الثانية لغريغاس . ما سبق به فى تحليل سكستوس أمبيريكوس . فلم يبق من بعد من ثم - ليس النص على هذا القدر من البيان . - فلا يمكن البتة تصوره - وغريغاس مع ذلك يتصور اللاموجود مادام انه يتكلم عنه . وكل هذا مبسوط فى تحليل سكستوس أمبيريكوس . - على رأى غريغاس - كذلك لم يسم هنا . - العربات تدرج على امواج البحر . - فيما سيلي تحليل سكستوس أمبيريكوس حيث هذا المثل مذكور ومضاف الى مثل غيره .

§ ١٢ - ولكن كيف - قد احتفظت بصيغة النص . ولكن من البين ان الجملة هنا غاية فى الإيجاز وان الفكرة ليست مبسطة البسط الكافى . وتحليل سكستوس افضل فى هذا الوطن . - لا توجد من أجل ذلك أيضاً - لاننا نبصرها وفى هذه مجاوزة بالاداء أدري الى مدى بعيد . ولكن تلك كانت هى عادة السفسطائيين اذ يلزم لهم ان يقتحموا الذوق العام .

§ ١٣ - هى اذا على الاطلاق مثل الاشياء الخارجية - ليس النص على هذا القدر من الصراحة . والتعبير الاغريقى أعم ولكن المعنى بين الجلاء . ولكنه لا يدري - تلك سفسة محضة لأنه فى هذا الخصوص ، اللادورى لا يتردد أكثر من العامى ويعتقد حقيقة ادراكاته . وبالنتيجة - النتيجة ليست لازمة . وفى تحليل سكستوس هذا الدليل اقوى وامتن دون ان يكون بالغاً حد القوة .



§ ٦٤ - يقول غريغاس : حتى مع التسليم بأنها معلومة لنا فهل يمكننا أن ننقل التعبير عنها إلى الغير ؟ كيف يمكن الإنسان أن يعلم غيره بطريق الكلام ما قد شاهدته هو بالنظر ؟ وكيف يمكن الإنسان لمجرد سماعه شيئاً أن يفهمه جلياً إذا لم يكن قد رآه ؟ وفي الواقع كما أن النظر لا يدرك الاصوات كذلك السمع لا يسمع الألوان ولا يسمع إلا الاصوات ، فالذي يتكلم يتكلم كلاماً ولا يتكلم لونا ولا أى شيء آخر أياً كان .

§ ١٥ - لكن كيف يمكن أن يلتبس المرء في كلام الغير شيئاً لم يكن هو نفسه قد تصوره ؟ هل يتفق بالمصادفة أن توجد دلالة أخرى ، تعطيك فكرة الشيء أن لم يكن لونه حينما يرى وصوته حينما يسمع ؟ لأن المبدأ هاهنا على رأى غريغاس ليس هو لا الصوت ولا اللون بل هو مجرد الكلام . فلا يفكر الإنسان لونا بل يراه ولا يفكر صوتاً بل يسمعه .

§ ٦٦ - لنفترض ، إذا شئت ، أن ذلك ممكن وأن الذي يتكلم بعلم الشيء وعند الحاجة يمكنه أن يعرفه كيف أن الذي يسمع الكلام يكون موقناً بأنه يفهم الشيء بعينه على هذا النحو ؟ لأنه ليس ممكناً أن يكون الشيء بعينه في آن واحد في كائنات عدة وفي كائنات منفصلة لأنه حينئذ يكون الشيء الواحد عدة . يقول غريغاس : ولكن شيئاً واحداً ولو كان في آن واحد في عدة أذهان وكان فيها هو بعينه فلا شيء يمنع أنه يظهر متماثلاً عند جميع الأشخاص الذين هم انفسهم ليسوا متمثلين في الظاهر والذين هم ليسوا على استعداد واحد بعينه .

§ ١٤ - حتى مع التسليم - مناقشة النقطة الثالثة - ر . ما سبق به فـ ا ، وتحليل سيستوس أمبيريكوس . - يقول غريغاس - ليس في النص إلا فعل مستند إلى ضمير الغائب . - لا يدرك الاصوات - قد كان الاحسن أن يقال : «لا يرى الاصوات» ولكن اتبعت النص الذي تتخذ تعبيراً عاماً كالذي اتخذته . - فالذي يتكلم يتكلم كلاماً - هذا التكرير في النص .

§ ١٥ - أن يلتبس - هذه هي عبارة النص بعينها . - بالمصادفة - أضفت هذه الكلمة لبيان الفكرة - دلالة أخرى - ليس النص على هذا القدر من الضبط . - على رأى غريغاس ليس غريغاس مذكوراً بالاسم هنا . وأن المعنى الذي اختاره في ترجمتي هو الاحسن فما يظهر لي . ولكن يمكن أن تفهم هذه النقطة على وجه آخر : « الذي يتكلم لا يتكلم لا الصوت ولا اللون انه لا يتكلم إلا الكلام » ولا يكون هذا إلا تكريراً لما قيل آنفاً . وهذا هو الذي حملني على اتخاذ المعنى الذي اخترته .

§ ١٦ - وعند الحاجة - أضفت هذه العبارة . - أن يعرفه . - أن يقرأه . متى كان مكتوباً . - نكون موقناً - عبارة النص « يفهمه » . - أن يكون الشيء بعينه في آن واحد - هذا يقتضى أن يكون الشيء حقيقياً في الذهن كما هو في الخارج وهذا ما قد ذكر فيما سبق وعلى حسب هذه النظرية يمكن أن يقال على الشيء أنه محال لا لشيء إلا لأنه معاً في عدة أحياء أو موجودات . ومع ذلك فلي الفكرة شطط . - الشيء الواحد - عبارة النص « الواحد » . - يقول غريغاس - لم يذكر في النص اسمه . - في الظاهر - زدت هذه العبارة . - على استعداد واحد بعينه - عبارة النص غير محددة .

§ ١٧ - لنسلم أيضا أنهم في استبعاد واحد أفلا يكونون إذا اثنين بالاقول عدة ؟ ولكن الشخص بعينه ليس له في الوقت الواحد احساسات متشابهة فان سمعه وبصره يعطيان احساسات مختلفة ، والاحساسات التي به في الحال هي مغايرة لاحساسات سابقة . فباطل اذا أن تظن أن غيرك يمكن أن يكون له ادراكات شبيهة بادراكاتك في اى شيء كان .

§ ١٨ - على هذا لا يمكن العلم بشيء ما مع التسليم بوجود شيء ما . خصوصا انه لا يمكن البتة للانسان ان يعلم غيره ما يعلم هو ، لان الاشياء ليست أقوالا وانه لا شخص يمكنه البتة أن يفهم بالضبط ما يفهمه شخص آخر .

§ ١٩ - كل هذه المسائل المحيرة قد اثارها فلاسفة آخرون اقدم عهدا . وسندرس هذه النظريات عند البحث الذي سنعقده لمذاهبهم المختلفة .

---

§ ١٧ - أفلا يكونون اذا اثنين - ليس اعنى بينا وقد حاولت أن أبينها باضافة كلمة « بالاقول » . ومع ذلك يظهر لى أنه يمكن قبول سلسلة هذه المعالي التي هي مؤلفة النتائج بعضها مع بعض . في الوقت الواحد - عبارة النص هي كالعبارة المذكورة في الفقرة السابقة ولكنه يكملها بأن أضاف اليها كلمة الوقت التي ربما يلزم أن تكون مقدرة في الفقرة السابقة .

§ ١٨ - على هذا لا يمكن العلم بشيء ما - ملخص نظرية غريغاس . ر . ما سبق به ف . - مع التسليم بوجود شيء ما - النقطة الاولى التي كان ينكرها غريغاس الذي هو من النجس واللا أدريه بمكان .

§ ١٩ - أقدم عهدا - من غريغاس . وربما على هيرقليدس الا فيزوسي - الذي سنعقده ليس النص على هذا القدر من الصراحة ولكن يظهر أنه يعد بكتاب آخر بعد هذا .

## قطع من ميليسوس

١

قال سمبليسيوس في شرحه كتاب الطبيعة لارسطو ( الورقة ٢٢ ) :  
فلننظر اذا الى أدلة ميليسوس وهو الاول الذى انجى عليه أرسطو . ان  
ميليسوس معتقدا على مبادئ الطبيعيين (١) في كون الاشياء وفسادها ؛  
يبدأ كتابه بالعبارات الآتية :

« ان لم يوجد شيء كيف يمكن بأى حال اعتبار هذا الاشياء كأنه  
شيء ما ؟ » ان كان يوجد شيء ما فهذا الشيء اما مولود واما ازل . فان كان  
مولودا وكان قد كوناً فهو لا يمكن أن يأتى الا من الموجود أو من اللاموجود  
وتكن ليس ممكناً أن ما ليس شيئاً ، وبالأولى ما هو موجود على الإطلاق ،  
يمكن البتة ان يأتى مما ليس موجوداً . كما لا يمكن أيضاً ان يأتى مما هو  
موجود لان الموجود حينئذ يكون قد وجد ولم يكن به من حاجة الى ان يصير  
وان يوجد . اذا الموجود لا يمكن أن يصير واذا فهو اذلى . ومن جهة  
اخرى الموجود لا يمكن ان يفسد ، لانه ليس ممكناً أن الموجود يتغير الى  
لا موجود . وتلك هى نقطة يوافق عليها الطبيعيون . ليس ممكناً أيضاً  
أن الموجود يتغير الى اللاموجود لانه بهذه الطريقة أيضاً الموجود يبقى ولا  
يفسد . على ذلك فالموجود ما كان ليتمكن أن يولد ، وانه لن ينعدم ، فقد كان  
وسيعكون أبداً » .

٢

سمبليسيوس . المرجع السابق

« لكن اذا كان ما قد ولد له أول فالذى لم يولد ليس له أول .  
فاذا كان الموجود ليس مولوداً فلا يمكن ان يكون له أول كذلك . ويمكن  
أن يزداد على ذلك ان ما قد فسد له آخر ، ولكن اذا كان شيء غير قابل  
للفساد فليس له آخر ممكن . اذا فالموجود بما هو غير قابل للفساد ليس  
له من آخر . وما ليس له لا أول ولا آخر هو بهذا عينه لا متناه . واذا  
فالموجود لامتناه » .

(١) الطبيعيون . هم فلاسفة مدرسة يونيا . الطبيعة لارسطو ك ١ ب ٢ ف ٩ ص  
٤٣٣ من ترجمتنا .

### ٣

#### سمبليسيوس • المرجع السابق •

« اذا كان الموجود لا متناهيًا فهو واحد • لانه اذا كان موجودا  
فلا يمكن ان يكونا لا متناهيين مادام انهما يحدان بعضهما بعضا • وبما ان  
الموجود هو لا متناه فالموجودات لا يمكن ان تكون كثرة • واذا فالموجود  
هو واحد » •

### ٤

#### سمبليسيوس • المرجع السابق •

« اذا كان الموجود واحدا فهو بالتبع لا متحرك • لانه الموجود بما  
هو واحد هو على الدوام مشبه لذاته • الموجود بما هو باق على الدوام  
شبيها لذاته لا يمكن ان ينعدم ولا ان ينمو ولا ان يتغير ولا ان يتأثر  
ولا ان يضمحل • فاذا كانا يعانى أدنى واحد من تلك التأثيرات فلا يكون  
بعد واحدا • لان موجودا يعانى حركة من أى جنس كان يتغير من حالة  
ما الى اخرى • والموجود لا يمكن ان يكون شيئا الا الموجود • وبالنتيجة  
الموجود لا يمكن ان يكون له حركة » •

### ٥

#### سمبليسيوس • المرجع السابق •

« ومن جهة اخرى لا شيء من الموجود يمكن ان يكون خلوا لان الخلو  
ليس شيئا • واللاشيء لا يمكن ان يكون • واذا فالموجود لا يتحرك • لانه  
ما دام انه لا خلوا فلا مكان فيه يمكنه ان يتحيز • ولكن ليس ممكنا ان  
يدخل الموجود في ذاته ما دام انه يلزم على ذلك اذا ان يكون اكثر تخلخلا  
او اكثر كثافة مما هو • وهذا ممتنع لانه التخلخل لا يمكن ان يكون مليئا  
كالكتيف وما هو متخلخل هو اشد خلوا مما يمكن الكثيف ان يكونه •  
اذا الخلو لا يوجد • للحكم على الموجود أهو مليء أم لا فذلك يمكن معرفته  
بان ينظر هل هو يمكنه او لا يمكنه ان يقبل في ذاته شيئا ما • فان لم يقبل  
فذلك بأنه مليء • وان يقبل فذلك بأنه ليس مليئا • لكن اذا لم يكن خلوا  
فمن ثم كل شيء مليء • واذا كان السكل مليئا فلا حركة بعد • لانه ليس  
ممكنا ان تقع الحركة في الملاء كما نقوله حين نتكلم على الاجسام • واخيرا

فالموجود الذي هو الكل لا يمكن أن يتحرك في الموجود ما دام أنه لا شيء خارج عنه ، ولا في اللاموجود ما دام اللاموجود ليس موجودا .

## ٦

### سمبليسيوس • الورقة ٣٤

« لاثبات ان الموجود لا يمكن ان يكون قد خلق يعتمد ميليسوس على هذه القاعدة العامة : ما قد كان قد كان دائما ويكون دائما • لانه اذا كان قد ولد في لحظة ما ، فيلزم أنه لم يكن شيئا قبل أن يولد • فاذا لم يكن شيئا حينئذ فقد كان من « المتع أن شيئا يولد من لا شيء » .

## ٧

### سمبليسيوس • الورقة ٧ ، ٩ ، ٢٣

« قد وجه نقد الى ميليسوس هو ان لفظ البداية متعند المعاني . فعوضا عن أن يأخذ البداية بالاضافة الى الزمان الخاص بالموجود الدائن أخذ البداية بالاضافة الى الشيء تلك البداية التي لا يمكن ان تنطبق على الاشياء التي تتغير دفعة واحدة • فلفظ رأى ميليسوس ، حتى قبيل ارسطوطاليس ، ان كل جسم متناه مع انه اذلى ليس له الا قوة متناهية وان هذا الجسم معتبرا في ذاته فهو دائما على حد الزمان » • • • • • بحيث انه بما ان له من جهة العظم بداية ونهاية يجب ان تكونا كلتاهما له على السواء بالاضافة الى الزمان • وعلى التكافؤ : ما له بداية ونهاية بالاضافة الى الزمان لا يمكن معا ان يكون الكل • ومن أجل ذلك يسند ميليسوس برهانه الى البداية والنهاية مطبقتين فقط على الزمان • ولا يسمى بلا بداية وبلا نهاية ما ليس الكل • يعنى ما ليس مع العالم اجمع • وهذا لا ينطبق الا على الاشياء التي لا اجزاء لها وغير المتناهية في وجودها ، وينطبق على الخصوص على الموجود المطلق ما دام الموجود المطلق هو بالضبط الكل • وهاك مع ذلك أقوال ميليسوس اعيانها :

« على ذلك ما لم يكن قد كون فهو كائن دائما وقد كان دائما وهيكون دائما ، فليس له أول ولا آخر ، ولكنه لامتناه • فاذا كان قد كون فيكون له أول لانه يكون قد بدأ يصير في حين ما ، ويكون له ايضا آخر لانه يكون قد انقطع ايضا عن ان يصير • فاذا لم يكن قد بدأ قط واذا لم يكن قد انتهى قط فذلك بأنه قد كان دائما ويكون دائما بما انه ليس له لا أول ولا آخر لان ما ليس الكل لا يمكن أن يصل الى أن يكونه » .

٨

سمبليسيوس • الورقة ٢٣ •

كما أن الموجود أزلى كذلك يلزم أن يكون عظمة أبدية لا متناهية •

٩

سمبليسيوس • المرجع السابق •

« ما له أول وآخر لا يمكن البتة أن يكون أزليا ولا لا متناهيا » •

١٠

سمبليسيوس • المرجع السابق •

« إذا لم يكن هو أحد فهو يحد آخر » •

١١

سمبليسيوس • الورقة ٢٤ •

إن لغة ميليسيوس نفسه يمكن أن تكون قديمة ولكنها ليست غامضة •  
نقطة: يمكننا أن نضع تحت الانظار هذه المؤلفات العتيقة حتى يتهيا للذين  
يقرءونها أن يكونوا قضاة يحسنون الحكم في ايضاحات اضط وأوفى •  
وهناك إذا ما يقول ميليسيوس ملخصا ما قد بسطه في الماضي ومتابعا نظريته  
على الحركة :

« على هذا إذا فالعالم ، الكل ، هو أزلى لامتناه واحد ومتشابه • إنه  
لا يمكن أن يفنى ولا يمكن أن ينمو ولا يمكن أن تتغير صورته ، ولا يمكن  
أن يقبل ولا يمكن أن يضمحل • فإذا هو عانى شيئا من ذلك فلا يكون  
واحدا • وفي الحق أنه إذا صار الموجود غيرا فيلزم ضرورة ألا يكون متشابهها  
وإن الموجود الأول يفنى وإذا اللا موجود يصير • ولو اقتضى الكل ثلاثين  
ألف عام ليصير غيرا لانتهى بأن يفنى في كل ما يلي من الزمان » •

١٢

سمبليسيوس • المرجع السابق :

« ولكن لا يمكن أن تتغير صورته ، لأن النظام المتقدم للعالم لا ينعدم  
والنظام الذي لم يكن بعد لا يتكون • ولكن ما دام أنه لا شيء يولد من

جديد وما دام انه لا شيء ينعدم وما دام انه لا شيء يتغير كيف يمكن ان  
أى موجود اتفق يمكن ان تتغير صورته ؟ انه يكون قد تحول من قبل  
اذا كان يمكن ان يصير غير ما هو » .

١٣

سمبليسيوس • المرجع السابق :

« انه لا ينفعل لان الكل لا يمكن ان ينفعل ما دام انه لا يمكن ان  
شيئا قابلا يكون ازليا • ومن ثم لن يكون له بعد قوة شيء يكون في كمال  
الصحة • وكذلك هو لا يكون متشابها اذا كان ينفعل • انه لا يمكن  
ان ينفعل الا اذا فقد او كسب شيئا • وبهذا وحده ينقطع عن ان يكون  
متشابها • كذلك ليس من الممكن ان شيئا صحيحا ينفعل بأى قة كان  
لانه حينئذ الموجود وهذا الصحيح ينعدم والاموجود يكون • والدليل  
عينه الذى ينطبق على الانفعال ينطبق ايضا على أى اضمحلال مالموجود » .

١٤

سمبليسيوس • القطعة ٩ و ١٧ و ٢٤ :

« لا شيء من الخلو بموجود ، لان الخلو ليس شيئا • وبما هو لاشيء  
لا يمكن ان يكون • الموجود لا يتحرك لانه لا محل يمكنه أن يستقر فيه  
ولكن الكل هو ملء • اذا كان خلو فالموجود يتحيز فى الخلو • ولكن ما  
دام أنه لا خلو فلا محل يستقر فيه • ما دام الكل ملئا فلا حركة • كذلك  
لا يكون لا كثيفا ولا متاخلا لانه ليس ممكنا ان يكون المتخلخل مليئا  
كالكثيف سواء بسواء • والمتخلخل هو أخل من الكثيف • اليك كيف  
يلزم الحكم فى الملء والخلو » .

واذا كان شيء يتحيز او يقبل شيئا ما فذلك بأنه ليس مليئا • فاذا  
لم يتحيز او اذا لم يقبل فذلك بأنه ملء • اذا ليس الا الملء اذا لم يكن  
خلو • اذا كان اذا الكل هو ملئا فلا حركة ممكنة » .

١٥

سمبليسيوس • المرجع السابق الورقة ٢٤ :

« اذا تجزأ الموجود تحرك ، ولكن حينئذ لا يتحرك كله معا » .

## ١٦

سمبليسيوس • ما سبق الورقة ١٩ :

« وإذا كان الموجود يوجد فيلزم ان يكون واحدا • وبما هو واحد يلزم في آن واحد الا يكون جسما • لانه اذا كان له سمك كان له ايضا اجزاء ولا يكون بعد واحدا » •

## ١٧

سمبليسيوس • شرح كتاب السماء • الورقة ١٧٣ :

« او سيب وهو يستشهد أرسطوقلس (Preparation Evangélique XV) هذا هو اذا الدليل الاقوى على اثبات وحدة الموجود • ولكن هالك من جهة أخرى أدلة تثبتتها ايضا • ان كان موجودات متكثرة فيلزم ان يكون كل واحد منها كالموجود الذي اثبتت وحدته • اذا كان الارض والنار ، واذا كان الهواء والحديد ، والذهب والنار اذا كان الحى والميت ، اذا كان الابيض والاسود وسائر الاشياء التى يعتبرها الناس حقائق ، هى موجودة فى الواقع كما يقال ، فيلزم ان يكون كل شئ على الحقيقة هو ما قد ظهر لنا بآدى الامر ، وانه لا يتغير حاله ، وانه لا يصير غيرا بل يبقى دائما هو ما هو • ولكننا نعتقد فى حالة الاشياء الراهنة اننا نحسن رؤيتها ونحسن استماعها ونحسن ادراكها • فالحر يظهر لنا انه يصير باردا والبارد يصير حارا والصلب يصير لينا واللين يصير صلبا والحى يظهر لنا انه يموت ويتولد ثانيا مما ليس حيا بعد ، فالكل بلا استثناء يظهر لنا انه يصير غيرا • ولا شئ يظهر بأنه يبقى فى الحالة بعينها التى كان فيها والتى هو فيها • الحديد نفسه مهما كان صلبا ينبرى بلامسة الاصبع • والذهب والحجر وأى جسم آخر مما يظهر لنا صلبا هكذا تأتى من الماء كما يأتى منه الارض والحجر • وبالنتيجة يمكن ان يقال اننا لانرى ولا نعرف الموجودات فى حقائقها • على ذلك فكل ذلك ابعد من أن يتطابق • اننا نقول حقا على بعض الاشياء انها أزلية ومع ذلك نرى صورها كلها وخواصها كلها تتغير تحت اعيننا وتنقطع عن ان تكون على ما قد كنا رأيناها عليه فى كل حالة خاصة • اذا يلزم التسليم باننا لا نحسن رؤية الاشياء وان ظهور الاشياء لنا متكثرة انما هو خطأ • لانها لو كانت حقيقية ما تغيرت ولكنها تكون على ما يظهر لنا كل واحد منها انه موجود ، ما دام انه لا شئ فوق الموجود الحقيقى • ففى التغير قد هلك الموجود ، وهذا الذى يتكون هو اللاموجود • حينئذ مرة ثانية اذا كانت الاشياء متكثرة كما يقال فيلزم انها كانت على الاطلاق كما يكون الموجود الواحد » •



## تحليل نظرية غريغياس

لسكستوس أميريكوس

(Adversus Mathematicos Logicos)

« ك ٧ ، ص ٣٨٥ ، طبعة ١٨٤٢ »

قال سكستوس بعدان أثنى على فروطاغوراس وأوتيديم وريونيسودور  
الذين لم يعترفوا بالموجود وبالحقيقة الا فى الاضافى :

« غريغياس الليونتيومى قد تبوأ مكانا ايضا فى طائفة الفلاسفة  
الذين انكروا ملكة الحكم . ولكنه لم يتخذ فى هجماته الطريقة التى اتخذها  
فروطاغوراس . فانه فى كتابه المعنون « فى اللاموجود او فى الطبيعة »  
يقرر النقط الثلاث الآتية : اولاً انه لا شىء بموجود . وثانياً انه اذا كان  
شىء موجوداً فذلك الشىء هو غير قابل لان يدركه الانسان . واخيراً وثالثاً  
ان هذا الشىء لو كان قابلاً لادراكنا لما أمكن التعبير عنه ولا تفهيمه الغير .

« واليك كيف يثبت النقطة الاولى وهى ان لا شىء بموجود . اذا  
كان شىء موجوداً فانما هو الموجود او اللاموجود او الموجود واللاموجود  
معاً . ولكن الموجود ليس موجوداً كما سيبيطه . واللاموجود كذلك  
ليس موجوداً كما سيبيطه . وأخيراً ما هو معاً موجود ولا موجود لا  
يوجد كما سيبيطه . اذا لا شىء بموجود . بديهى ان اللاموجود غير  
موجود . لانه اذا كان اللاموجود موجوداً فينتج منه انه يوجد ولا يوجد  
معاً . لانه من جهة أنه متصور لا موجوداً فلن يوجد ، ومن جهة أنه  
اللاموجود فهو سيوجد من جديد وعلى العكس . ولكن من السخف أن  
شيئاً يكون ولا يكون معاً . اذا اللاموجود غير موجود البتة . أضف الى  
ذلك أنه من جهة نظر أخرى اذا كان اللاموجود موجوداً فالوجود حينئذ لا  
يوجد لانهما على التكافؤ ضدان احدهما للآخر ، واذا كان الموجود يصل  
الى اللاموجود فاللاموجود يصل الى الموجود .»

ولكن ما دام الموجود ليس موجوداً فاللاموجود ليس موجوداً من باب  
اولى . على هذا اقول : ان الموجود ليس موجوداً . لانه اذا كان الموجود  
موجوداً فانما أن يكون أزلياً واما أن يكون مخلوقاً واما ان يكون معاً أزلياً  
ومخلوقاً . ولكن ، كما سنبرهنه ، الموجود ليس لا أزلياً ولا مخلوقاً ولا  
كليهما معاً . اقول : اذا أن الموجود لا يكون . لانه اذا كان الموجود أزلياً

مادام انه يجب الابتداء بذلك ، فليس له اول وكل ما يولد له اول . والازلى . بما هو لم يخلق لا يمكن ان يكون له اول ما . وبما هو ليس له اول فهو لامتناه . وبما هو لامتناه فليس فى اى مكان ما . وفى الحق انه اذا كان فى مكان ما فيلزم انه كان موجود آخر غيره وفيه يوجد . واذا كان الموجود محوبا هكذا فى شىء ما فلا يكون بعد لا متناهيا ما دام ان المحوى هو اكبر من المحوى . ولا يمكن ان يكون شىء اكبر من اللامتناهى . اذا اللامتناهى ليس فى حين ما .

ولكن اللامتناهى لا يمكن ان يكون كذلك محويا فى ذاته لانه اذا يكون المحل والحال يشتبهان ويصير الموجود اثنين : المحل اولا ثم الجسم ، فان ما فيه الجسم هو الحيز وما فى الحيز هو الجسم . ولكن هذا سخف . وبالنتيجة فالموجود ليس كذلك حالا فى ذاته . وبالنتيجة ايضا اذا كان الموجود أزليا فهو لا متناه . وبما هو لا متناه فهو ليس فى اى حين . وبما هو ليس فى حين فهو غير موجود . اذا كان اذا الموجود أزليا فلا يمكن ان يكون له كذلك اول .

ومن جهة اخرى الموجود لا يمكن كذلك ان يكون قد خلق . فاذا كان بالمصادفة قد ولد فيجب ان يكون قد أتى من الموجود او من اللاموجود . ولكنه لا يمكن ان يكون قد أتى من الموجود لانه اذا كان الموجود موجودا فذلك بأنه لم يكن قد ولد وانه موجود من قبل . ولا من اللاموجود مادام اللاموجود لا يمكن ان يكون شيئا ما ايا كان مادام ان ماهو قادر على ان يكون شيئا يجب بالضرورة ان يكون قد شارك فى الوجود . اذا فالموجود لا يمكن ان يكون قد خلق .

وقد يثبت بالدلة غيبتها ان الموجود لا يمكن ان يكون الاثنين معا . اعنى أزليا ومخلوقا معا . وفى الحق ان هذين المعنيين يتفاسدان . واذا كان الموجود أزليا فهو لم يولد . واذا ولد فليس أزليا . حينئذ مرة أخرى ، الموجود بما هو لا أزلى ولا مخلوق ولا الاثنين معا فذلك بأنه لا يوجد البتة .

دليل آخر : اذا كان الموجود يوجد فهو واحد أو كثرة . ولكن الموجود ليس واحدا ولا متكاملا كما نعتى ذلك . ومن ثم فالموجود ليس البتة . فاذا افترض واحدا فهو اما كم واما متصل واما عظم ما واما جسم . ولكن ماهو فى اى ما من هذه الاحوال ليس بعد واحدا . وفى الحق ، أنه اذا كان الموجود كما فيكون منقسما . واذا كان متصلا فيمكن فصله . واذا افترض له فى الذهن عظم فلا يكون بعد غير منقسم . واذا ذهب الى حد ان يجعل جسما فاذا يكون له الابعاد الثلاثة ، وبعبارة اخرى

يكون له طول وعرض وعمق • ويكون مما لا يستطيع تأييده ان يدعى  
ان الموجود ليس على الاطلاق شيئا من ذلك كله • واذا فالموجود ليس  
واحدا •

أقول : ان الموجود ليس كذلك متكثرا لانه ما دام ليس واحدا لا  
يمكن بعد ان يكون كثرة • وفي الحق أن كثرة لا تتألف الا من تركيب  
الوحدات • ومتى نفيت الوحدة انتفتت الكثرة حتما •

حينئذ على ما تقدم كله يرى جليا ان الموجود ليس اكثر وجودا من  
اللاموجود • ويمكن ان يستنتج منه ان الموجود ليس كذلك الموجود  
واللاموجود معا • اذا كان الموجود ، في الحق ، هو مايوجد ومالا يوجد  
فحينئذ اللاموجود يتحد مع الموجود في أمر الوجود • ومن ثم لا يوجد  
لا احدهما ولا الآخر • فأما ان اللاموجود لا يوجد فهذا موضع اتفاق  
جميع الناس • ولكن قد قرر آنفا ان الموجود يتماثل مع اللاموجود •  
فالموجود اذا ليس يوجد كذلك • ولكن اذا كان الموجود مماثلا للاموجود  
فلا يمكن ان يكون الاثنين معا • فاذا كان الاثنين معا فلا يكون مماثلا  
واذا كان مماثلا فلا يكون الاثنين • وينتج منه أن الموجود هو لا شيء •  
لانه اذا لم يكن لا الموجود ولا اللاموجود ولا كليهما ، ولا شيء وراء ذلك ،  
فذلك بأن الموجود ليس شيئا •

الآن يلزمنا ان نوضح انه ان كان من شيء فذلك الشيء غير معروف  
للانسان وان عقله لا يمكن ان يفهمه • يقول غريغاس : اذا كانت تصورات  
عقلنا ليست موجودات فالموجود لا يمكن ان يتصور • وذلك بسيط  
كل البساطة • وفي الحق ، كما انه اذا كانت الاشياء التي نتصورها بيضاء  
هي في الحقيقة متصورة بيضاء فكذلك الاشياء المتصورة ليست موجودات ،  
فينتج منه بالضرورة الحتمية أنه لا يمكن ان تتصور موجودات حقيقية •  
وهذا دليل صحيح تام الصحة ومنتهج جد الانتاج • فاذا كانت الاشياء  
المتصورة ليست موجودات فالموجود لا يمكن ان يتصور الاشياء  
المتصورة ليست موجودات كما سنقرره • وذلك فرض اول ينبغي التسليم  
به • اذا الموجود ليس متصورا • فأما ان الاشياء المتصورة ليست  
موجودات فذلك ما هو بين بذاته • لانه اذا كانت التصورات هي الحقائق  
فحينئذ كل ما يتصور يوجد وعلى الوجه الذي تصور به ايا كان هذا  
الوجه • وهذا هو سخيفه بالبداية وافترضه غير معقول بالمره • مثال  
ذلك : اذا شاء المرء ان يفترض انسانا يطير في الاجواء وعربات تلج  
على الامواج ، فلا ينتج من ذلك وحده ان الانسان يستطيع ان يطير والعربات  
تلج على امواج البحر • على هذا فالتصورات التي تتصور ليست حقائق •

يلزم ان يزداد على هذا انه اذا كانت الاشياء المتصورة موجودة فينتج منه ان الاشياء التي ليست موجودة لا يمكن ان تتصور . لان الخواص المتضادة تتعلق بالاضداد . واللاموجود هو نقيض الموجود . فاذا كان اذا الموجود يمكن ان يتصور كما قد يعتقد فينتج منه ان اللاموجود لا يمكن ان يتصور . وهذا سخف . لان الانسان يتصور «سيلا» و«الشيمير» واشياء شتى اخرى ليس لها وجود ما . اذا الموجود ليس متصورا . وكما ان الاشياء المرئية هي بذلك يقال عليها انها قابلة لان ترى وان الاشياء المسموعة يمكن ان يقال عليها انها قابلة لان تسمع لان الانسان يسمعها وان المرء لا ينكر الاشياء المرئية لانه لا يسمعها كما انه لا ينكر الاشياء القابلة لان تسمع بحجة انه لا يراها فان كل واحد من هذه الاشياء يجب ان يحكم عليه بحاسته الخاصة لا بحاسة اجنبية ، كذلك الامر في الاشياء المتصورة لانه لا يمكن ان ترى بالنظر ولا ان تسمع بالسمع ما دام انها مدركة بالحاسة الخاصة بها . وبالتبع اذا كان امرؤ يتصور العربات تدرج على المياه ولا يراها فلا يلزم منه انكار ان العربات تدرج على الماء . ولكن هذا سخف . واذا فالمرجوح ليس متصورا ولا يمكن ان يفهم .

ولكن بافتراض انه يفهم فلا يمكن نقله الى الغير . وفي الحق ان الموجودات التي يمكن للمرء ان يراها ويسمعها وعلى وجه العموم ان يحسها هي مفروضة خارجة عنا ومن بينها المرئيات مدركة بالنظر وما يمكن سماعها مدركة بالسمع دون ان يكون البتة عكس ممكن ، فكيف يمكن حينئذ التعبير عنها للغير . وفي الواقع ان طريقة الايضاح التي عندنا هي الكلام ، والكلام ليس هو الاشياء نفسها ولا الموجودات . اذا ليست الموجودات هي التي نعبر عنها للغير بل هو الكلام وحده الذي هو على الاطلاق خلاف الحقائق اعينها . واذا فكما ان المرئي لا يمكن ان يصير قابلا لان يسمع وعلى التكافؤ ، فكذلك الموجود المفروض انه خارج عنا لا يمكن ان يصير هنو كلامنا . وبما ان الكلام ليس موجودا فليس من الممكن التعبير عن شيء ما للغير . وفي الواقع ان المقالة - كما يقول غرغياس - لا تتألف الا من اشياء خارجية تأتي فتقع في ذهننا اعنى اشياء تدركها حواسنا . وعلى هذا فعلى اثر تسلط ذوق ما في الاشياء المنوطة يتكون عندنا الكلام الذي نعبر به عن هذا الكيف الخاص . وتبعاً لتسلل اللون يتكون الكلام الذي نعبر به عنه . فاذا كان هذا هكذا فليس الكلام هو الذي يمثل ما هو في الخارج بل هو الشيء الخارج الذي يعين الكلام . لا يمكن ان يقال : ان الكلام هو على الوجه الذي عليه الاشياء المرئية او المسموعة بحيث ان الكلام بافتراضه يمكن ان يستدل به على الموجودات والموضوعات الخارجية . يقول غرغياس : لانه اذا كان الكلام هو ايضا موضوعا فهو يختلف بالاقول عن جميع الموضوعات الاخرى . ومثال ذلك

أية مسافة لا تكون بين الأشياء المرئية وبين الكلمات التي تعبر عنها ؟  
 وفي الحق انه انما يختلف العضو الذي تدرك به الأشياء المرئية والذي  
 يدرك به الكلام الذي يعبر عنها . وعلى ذلك فالكلام لا يمكن ان يبين  
 الجزء الاعظم للأشياء الخارجية بذواتها ، كما ان أكثر الأشياء لا يمكن على  
 التبادل ان يبين بعضها طبع البعض الآخر .

تلك هي ادلة غرغياس التي هي على قدر قيمتها تفسد كل مقياس  
 للحق ، لانه ليس بعد من مقياس ما دام ان الموجود ليس موجودا ، وانه  
 لا يمكن ان يعلم ، وانه ليس قابلا لان ينقل علمه الى الغير .

راجع أيضا Hypotyposes Pyrrhoniennes ك ٢ ب ٦ ف  
 ٥٧ و ٥٩ و ٦٤ - ص ١٣٤ و ١٣٦ من طبعة سنة ١٨٤٢

# فهرس

## كتاب الكون والفساد

مقدمة المترجم

بارتلمى سانتيلير

### ( اصول الفلسفة الاغريقية )

صفحة

هذان الكتابات اللذان جمع بينهما في هذا السفر هما حملة مدرسة ايليا التي هي من اقدم مدارس الفلسفة اليونانية - مهد الفلسفة هو في مستعمرات شواطئ آسيا الصغرى : طاليس وفيثاغورث واكسينوفان ٥٠ الخ ، وسابقوهم الحقيقيون بالاعجاب : هوامبروس وسافو ٥٥٠ الخ - علم الفلك والرياضيات والتاريخ والطب ٥٥٠ الخ - الاتحادات الثلاثة: الاوليون في الشمال ، واليونان في الوسط ، والديوريون في الجنوب - جملة الاحداث الكبرى التي تلحل في امرها الفلاسفة من طاليس الى ميليسوس من السنة ٦٢٥ الى السنة ٤٣٥ قبل الميلاد - حرب يونيا مع ليديا ومع مملكة الفرس - الوسائل المادية التي كانت عند الالفين لكتابة المؤلفات - الكتب من طاليس الى زمن ارسطو طاليس - شهادات هيرودوت وطوكوديدس واكسينوفان والافلاطون وارسطو - الاستعمال العام لورق البردي المصري - صنع الورق على قول بلاين - رسائل شيشرون - ايضاح هذه الاحداث - ورق البردي المحفوظ في دور الآثار عندنا (فرنسا) - معاصر واللام الكتبة التي يرجع تاريخها على الاقل الى نحو خمسة وعشرين قرنا - اولية الفلسفة اليونانية - كونها لا تدن بشيء للشرق - المقابلة بينها وبين الفلسفة الهندية - خلاصة القول على مدرسة ايليا - المعنى الحقيقي لنظرية الوحدة

# الكون والفساد

## الكتاب الأول

صفحة

الباب الأول - الموضوع العام لهذا الكتاب - تمحيص المذاهب السابقة - آراء مختلفة - تمحيص نظريات انكساغوراس ولوكيبس وديمقريطس - نقض خاص للمذهب أمبيدقل - لاستشهاد ببعض آياته - المعاني المختلفة التي يحمل عليها كون الأشياء تبعاً لما يسلم به من الوحدة أو التعدد للعناصر الأولية ... .. ٨٩

الباب الثاني - عدم كفاية نظرية أفلاطون - عود على نظرية ديمقريطس ولوكيبس - نظرية جديدة على كون الأشياء وفسادها - النمط المتبع - أهمية مسألة الذوات - رأى ديمقريطس ولوكيبس - رأى أفلاطون في كتابه طيمائوس - خطأ هؤلاء هؤلاء وجوب الأخذ بملاحظة الأحداث على الأخص - فضل ديمقريطس من هذه الجهة - الفكار في قابلية الأشياء للقسم - يمكن افتراض القسمة لامتناهية - صعوبات هذه النظرية - صعوبات ليست أقل خطراً من نظرية الذرات - نقض هذه النظرية - المعنى العام الذي يحل عليه كون الأشياء ... .. ٩٥

الباب الثالث - في الكون المطلق وفساد الأشياء - صعوبة هذه المسألة - الكون والفساد الإضافيان - النمط الذي يتخذ في هذا البحث - شواهد من كتاب الحركة - أبدية الكائنات وتعايقها المستمر - تبادل الكون والفساد - تمييز مفظي مهم - استشهاد برمينيد - الفرق بين الكون المطلق والكون الإضافي - فروق الفساد باعتبار هذين الوصفين - لرأى العامي في هذا الموضوع - في أن شهادة الحواس تعطى أكثر مما تستحق - توضيحات مختلفة - طريقة فهم أبدية الظواهر ... .. ٩٥

الباب الرابع - فصول الكون والاستحالة - تمييز الموضوع ومحمول الموضوع - حد الاستحالة - أمثلة مختلفة - حد الكون المطلق وأمثلة متنوعة - آخر المقارنة بين الكون والاستحالة ... .. ٩٥

الباب الخامس - نظرية النمو - الفروق بينه وبين الكون والاستحالة - سواء في موضوع النمو أم في الكيفية التي يحصل بها النمو - نقلة الشيء النامي غير المحسوسة صعوبة ادراك من أين يأتي النمو في الجسم - كل أجزاء الجسم تنمو دفعة واحدة الشروط الأصلية للنمو ثلاثة - المقارنة بين النمو والاستحالة - نظرية جديدة للنمو - تمييز ما بالفعل من ما بالقوة - يلزم أن ما بالقوة يتحقق حتى يوجد النمو - علاقة العنصر الجديد الذي يحدث نمو الجسم النامي ... .. ٩٨

الباب السادس - الفعل المتكافئ للعناصر بعضها في بعض - في اختلاطها - رأى ديوجين الابلولي - لأجل ادراك أن العناصر تفعل أن تنفعل بعضها ببعض يلزم توضيح ما معنى بتماثلها - المعاني المختلفة لهذه الكلمة - الفرق بين الحركة والفعل - المحرك غير المتحرك لا حاجة به ضرورة إلى مس الشيء الذي يحركه - الشيء المحرك يمكن ألا يمس شيئاً هو أيضاً في نوبته - آخر نظرية التماس ... .. ٩٩

صفحة

**الباب السابع -** نظرية الفعل والانفعال - آراء الفلاسفة - ديمقريطس هو الذى اجاد فهم هذا الموضوع - سبب خطأ الفلاسفة - التشبيه لا يمكن أن يقبل أى فعل من التشبيه - العلاقة الضرورية بين الفاعل والمنفعل - التشبيه والفرق بينهما - توفيق رأين متعارضين فى تمييز لفظى - المشابهة بين الحركة وبين ظاهرى الفعل والانفعال - المحرك الاول يمكن أن يكون غير متحرك - الفاعل الاول يمكن أن يكون كذلك لا منفعلا - ختام نظرية الفعل والانفعال ... ... ١٣٧

**الباب الثامن -** نقض النظرية التى تفرض أن الفعل والانفعال يحدثان فى الجواهر المادية بالمسام - رأى الفلاسفة القدماء - استنهاد من امبيدقل - لوكيبس وديمقريطس هما اقرب الى الحق - وحدة الوجود محال وكذلك ثباته - غرائب ضلالات الفلاسفة القدماء - عرض نظرية لوكيبس - عرض نظرية امبيدقل - مواطن الاتفاق والاختلاف بينهما وبين نظرية لوكيبس - استنهاد من طيمائوس افلاطون - مقارنة بين افلاطون ولوكيبس - اعتراضات على نظرية افلاطون وعلى نظرية الوحدة ونظرية الذرات - استحالة قبول وجود الذرات وفهم من اين جاءتها الحركة - الرؤية من خلال الاوساط تصير غير قابلة للايضاح - خاتمة نقض النظرية التى تفسر بواسطة المسام الفعل والانفعال فى الاشياء ... ... ١٤٤

**الباب التاسع -** تفاصيل جديدة على نظرية كون الاشياء وعلى خواصها الفاعلة والقابلة الافعال التى تحصل عند النماس وعلى بعد - توضيح ديمقريطس غير الكافى - تحول أشكال الأجسام اذ تتغير بالحال دون أن تتغير بالمكان - خاتمة نظرية الفعل والانفعال ... ... ١٥٥

**الباب العاشر -** نظرية الاختلاط - من الفلاسفة من الكر ان الاشياء امكنتها ان تختلط فسا بينها - ابطال هذه النظرية - المعنى العام لشروط الاختلاط - الطبع المختلف للأجسام المختلطة - الفرق بين الاجتماع وبين الاختلاط الحق - لكى يوجد اختلاط بين الاشياء يلزم أن يوجد بينها تجانس بل شئ من التناسب - النقطة من التبيد فى كمية من الماء - سهولة الاختلاط أو صعوبته تبعاً للتخالف فى طبع الاشياء وصورتها - خاتمة نظرية الاختلاط ... ... ١٥٩



## الكتاب الثانى

صفحة

**الباب الاول -** نظرية عناصر الاجسام - عددها - شاهد من أمبيدقل - المادة ليست منفصلة عن الاجسام كما هو في طيمائوس افلاطون فيما يظهر - نقض هذه النظرية انها حقة بجزئها باطلة بالجزء الاخر - شاهد من المؤلفات المختلفة السابقة - نظرية جديدة على المبادئ العنصرية للاجسام - طبعها وعددها ... .. ١٦٦

**الباب الثانى -** حذ الجسم كما تعرفه لنا حاسة اللمس - تعديد الاضداد الاصلية التى يعرضها الجسم المحسوس باللمس - فصول هذه الاضداد - الفعل المتباين للبارد والحار والجاف والساخن - علاقة جميع الفصول الاخرى بهذه الفصول الاربعة الاصلية ١٧٠

**الباب الثالث -** تراكيب العناصر بين بعضها والبعض - ليس منها الا اربعة لان الاضداد خارجة عنها - نظريات سابقة على عدد العناصر - برمينيد - افلاطون - أمبيدقل طبع العناصر المختلفة - الامكنة المختلفة التى تشغلها فى الاين ... .. ١٧٤

**الباب الرابع -** نظرية تبدل العناصر بعضها ببعض - فصول العناصر فيما بينها يمكن ان تكون اكثر او اقل عددا - سهولة التبدل وصعوبته - امثلة مختلفة بحسب تجاوز العناصر أو البعد بينها فى النظام الذى هى مرتبة به وبحسب تماثل كفاءات العناصر أو تقابلها - خاتمة الجزء الاول للنظرية التبدل المتكافى بين العناصر ... ١٧٨

**الباب الخامس -** بقية نظرية تبدل العناصر من المحال الا يوجد الا عنصر واحد منه تأتى كل العناصر الاخرى - فى هذا الافتراض قد تحصل استحالة العنصر الوحيد ولكن لا يحصل البتة كون حقيقى للعناصر المختلفة - شاهد من طيمائوس لافلاطون - عرض جديد للطريقة التى بها تتغير العناصر بعضها الى بعض يحصل التبدل بسرعة متناسبة مع وجود كيف مشترك - نسبة العناصر الاطراف بعضها الى بعض ونسبة العناصر الاوساط - الحدود الضرورية لهذا التحول - لا يمكن التمنى الى اللانهاية فى اى واحدة من الجهتين - البيان الحرفى لهذا المبدأ ... .. ١٨٣

**الباب السادس -** ابطال نظرية أمبيدقل على مقارنة العناصر بينها سواء بالنسبة الى الكم أم بالنسبة الى الاثر والتناسب - فى مذهب أمبيدقل نمو الاشياء يرجع الى مجرد جمع - انه لا يفسر ايضا كون الاشياء بل أخضعه لسلطان المصادفة - ولا علة الحركة الاصلية ولا طبع النفس الحقيقى - شواهد مختلفة من تسعر أمبيدقل ... .. ١٨٩

**الباب السابع -** بقية مذهب أمبيدقل - متى أنكر أن العناصر يمكن أن تتغير بعضها الى بعض فلا يمكن توضيح تكون الجواهر المضيوية المختلفة - شاهد من أمبيدقل - صعوبة توضيح تكون الجواهر المختلفة ليست اقل عظما متى سلم بأحدية المادة - تعيين نظرية جديدة فيها تكون الاضداد هى التى يفعلها المتكافى تكون جميع الطبيعة ... .. ١٩٥

صفحة

الباب الثامن - التركيب العام للأجسام المختلطة - يوجد في كلها من الأرض ومن الماء اللذين هما عنصران ضروريان - وفيها أيضا من الهواء ومن النار وهما ضد العنصرين الأولين - ظاهرة التغذية التي يستشهد بها سندنا لهذه النظرية كیف أن النار هي العنصر الوحيد ، من العناصر البسيطة ، الذي ينفذ نفسه ١٩٩

الباب التاسع - الهيولى والصورة - المبادئ الأولى للأشياء - ضرورة مبدأ ثالث وهو العلة المحركة - إبطال نظرية المثل على نحو ما عرضها أفلاطون في الفيدون أن المثل لا يمكن أن تفسر كون الأشياء - أنها لا تكون - يرى أن طائفة من الأشياء تتكون تحت أعيننا بعلل أخرى - إبطال النظرية التي تفسر كون الأشياء بحركة المادة - المادة قابلة لفاعلة - أمثلة مختلفة مستخرجة من طرائق الفن ... ... ٢٠٢

الباب العاشر - كون الأشياء وفسادها - هما متصلان بالحركة ويتعلقان بالثقل الدائرة للعالم - ضرورة حركتين - الثقل الدائرية المائلة تسد هذه الضرورة - انتظام الكون والفساد الطبيعيين - المدة الدورية للكائنات - فعل الله - القوانين النابتة التي وضعها في أبدية الأشياء - النظام العجيب للعالم - تغير الأجسام إنما هو الذي يحفظ مدتها - المحرك الأول غير المتحرك هو المبدأ الوحيد للحركة العالمية - اتصال الحركة يتعلق باتصال المتحرك ... ... ٢٠٦

الباب الحادي عشر - نظرية تعاقب الأشياء الأبدية المنتظم - على أي مقدار يكون تسخل الوجوب - الأشياء الواجبة والأشياء الممكنة - الوجوب المطلق - الوجوب الإضافي - علاقة الواجب والأزلي - كون الأشياء لا يمكن أن يكون أبديا إلا إذا كان دائريا - ترتيب الأشياء العجيب - الحركة الدائرية للفلك الأعلى تنظم كل الحركات السفلى ، حركة الشمس ، وحركة الفصول وكل الحركات الأخرى - أبدية الأنواع - فناء الأشخاص المتعاقب - أزلية بعض الجواهر - خاتمة الكتاب ... ... ٢١٢

تحقيق - على لكتاب الموسوم في ميليسوس وفي أكسينوفان وفي ثرخياس ... ٢١٨

## في ميليسوس وفي اكسينوفان وفي غريغاس

### مذاهب ميليسوس

صفحة

الباب الاول - الموجود هو ازل غير متناه واحد ولا متحرك - اركان الوحدة وثنائجها - الاختلاط - طاهر الاشياء هو ضد الوحدة - الحذر الذي ينبغي اخذه من شهادة الحواس - ردود على نظرية الوحدة وعلى الا ادوية - الآراء المضادة لهذا المذهب - شواهد من هيزيود وبعض فلاسفة آخرين ... ٢٣٤

الباب الثاني - تامة تفنيد ميليسوس - ردود على مبدأ أنه ليس شيء يأتي من لا شيء - تولد الاشياء وكونها بعض من بعض على التكافؤ - نظريات أمبيدقل وانكساغوراس وديمقريطس وبرمينيد وزينون - شواهد من شعر أمبيدقل وهيزيود - الموجود ليس ضرورة واحدا أزليا ولا متناهيا ... ٢٤٠

### مذاهب اكسينوفان

الباب الثالث - نظرية اكسينوفان في حق الله - الازلية - القدرة - أحدية الله - يجب أن يتصور كانه فلك - الله منزوع الحركة والسكون ومنزه عن أن يكون متناهيا أو لا متناهيا ... ٢٥١

الباب الرابع - ابطال نظرية اكسينوفان - استشهد من ميليسوس - كيف ينبغي أن يعنى بقدرة الله - الله ليس فلكيا - انه لا متناه وجدانية الله ليست متناهية لكونه متناهيا - في نفى الحركة عن الله - في الحركة التي يمكن تصورها في حق الله - استشهد من زينون ... ٢٥٥

### مذاهب غريغاس

الباب الخامس - النظريات الثلاث الاصلية لغريغاس : على الوجود ، وعلى امتناع العلم ، وعلى نقل العلم - على النظرية الاولى يجمع غريغاس بين الآراء السابقة - ميليسوس وزينون - بسط مذهب غريغاس في امتناع الوجود والمعدوم على السواء ... ٢٦٣

الباب السادس - نقض نظرية غريغاس الاولى - شاهد من ميليسوس وزينون - الموجود والاموجود لا يشتبهان - والحركة هي ممكنة - شاهد من مقالات لوكيبيس - نقض نظرية غريغاس الثانية على امتناع العلم - ونقض النظرية الثالثة على امتناع نقل العلم بمدكسبه - ايدان بأن نظريات الفلاسفة القدماء مستدرس بعد دراسة خاصة ... ٢٦٤

قطع من ميليسوس ... ٢٧١

تحليل نظرية غريغاس لسكسوس أمبريكوس ... ٢٧٧

الدار القومية للطباعة والنشر

شركة ذات مسئولية محدودة

١٥٧ شارع عبيد - روض الفرج

تليفون ٤٥٣٤٦ - ٤٥٤٠٥ - ٣١٦٢٥

طبع هذا الكتاب على ورق صناعة شركة راكتنا

















